الابتهاج

بشرح كتاب الإيمان من صحيح مسلم بن الحجاج

للعلامة
أ. د. ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية - سابقًا

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع

مصورات
أبي عبد الرحمٰن السلفي الفلسطيني

الابتهاج

بشرح كتاب الإيمان
من صحيح مسلم بن الحجاج

حقوق الطبع محفوظة

للمؤلف

1436هـ - 2015م

الطبعة الأولى الشرعية المعتمدة من المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

العلم ميراث النبي كذا أتى في النص والعلماء هم وراثه
ما خلّف المختار غير حديثه فينا فذاك متاعه وأثاثه

رقم الإيداع القانوني: 2014-4292

ردمك: 978-9947-48-090-8

الميراث النبوي

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع

الصنوبر البحري - المحمدية - الجزائر العاصمة

الجوال: 554250098 (00213) تلفاكس: 26936739 (00213)
البريد الإلكتروني: dar.mirath@gmail.com

الابتهاج

بشرح كتاب الإيمان
من صحيح مسلم بن الحجاج

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية
بالمدينة النبوية - سابقاً

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبيِّه ورسوله محمد خير خلقه أجمعين، وعلىٰ أصحابه وأزواجه وذريته، والتابعين بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فهذا سفرٌ مباركٌ من نَتَاج شيخنا العلامة ربيع بن هادي -حفظه الله تعالىٰ- نخرجه لطلبة العلم ومحبِّيه، وناشدي الحق ومبتغيه، وسالكي منهج السلف الصالح وآمِّيه، تضمن شرحًا لأكثر أبواب كتاب الإيمان من صحيح الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري رحمه الله تعالىٰ، أفاد فيه الشيخ -حفظه الله- فوائد عزيزة، وأبدىٰ فيه نكتًا وجيهة، وتعقب الشارح أبا زكريا يحيىٰ بن شرف النووي -رحمه الله تعالىٰ- في مسائل عقدية عديدة زلَّ فيها عن الصواب، وتابع فيها رؤساء الكلام من أهل الزيغ والارتياب، كما برهن الشيخ -حفظه الله- علىٰ وهاء تلك المقولة التي يزعم صاحبها أن مسلمًا -بعبقريته- صنف كتابه الذي سماه الصحيح لبيان العلل، لا علىٰ طريقة أهل العلم السابقين وبعدهم من اللاحقين، ولكنه

ابتدع تصنيفًا لا يهتدي إلىٰ مراده منه إلا الأفذاذ من أمثال هذا الزاعم، ودلَّل الشيخ -أيضًا- علىٰ تهافت القاعدة التي ادعاها أبو عمرو ابن الصلاح رحمه الله التي مفادها أن مسلمًا جرىٰ علىٰ طريقة في ترتيب أحاديث الباب، يورد الإسناد الأقوىٰ، ثم الذي يليه، وهكذا، وفي الكتاب مباحث ومسائل ونُقول ودلائل يسعىٰ إلىٰ تحصيلها أولو الهمم وأهل الفضائل.

وأصل هذا الشرح دروس ألقاها الشيخ -حفظه الله- علىٰ الطلبة في بيته، فجمع منها ما أمكن تحصيله، ونُقِّح وصُحِّح، ووثقت نقوله، وخرجت أحاديثه وآثاره، ثم عُرض علىٰ الشيخ، فأذن بطبعه ونشره، جزاه الله خيرًا.

فنسأل الله تعالىٰ أن ينفع بهذا الكتاب النفع الكبير، وأن يثيب شيخنا عليه الثواب الحسن الجزيل، ويجعله صدقة جارية ينمىٰ له أجرها إلىٰ يوم الدين. والحمد لله رب العالمين.

الناشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإذن الخطي من المؤلف

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه وسلم؛ أما بعد:

فقد أذنت لدار الميراث النبوي للنشر والتوزيع لصاحبها أبي معاذ سيدعلي لخضر بن عمر سحالي بطباعة وتوزيع كتبي

الابتهاج بشرح كتاب الإيمان من صحيح مسلم بن الحجاج

معرفة قدر الصحابة رضي الله عنهم

مميزات وخصائص أهل السنة

الوصايا المنهجية لمتبعي السنة النبوية

عمدة الأبي بجمع ردود الشيخ ربيع المدخلي علىٰ علي الحلبي

النبراس بشرح حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه " ياغلام"

الإجابات الجلية عن القضايا المنهجية

الكلمات المضيَّة علىٰ أحاديث خير البريَّة صلىٰ الله عليه وسلم

والله الموفق وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

كتبه: ربيع بن هادي عمير المدخلي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(٢٠) بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الإِيمَانِ، وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٧٨)[٤٩] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، كِلَاهُمَا، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ -وَهَذَا حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ-، قَالَ: أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرْوَانُ. فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، فَقَالَ: قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَىٰ مَا عَلَيْهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**».

(٧٩)[٠٠] وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَجَاءٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَعَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ

الْخُدْرِيِّ، فِي قِصَّةِ مَرْوَانَ، وَحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ شُعْبَةَ، وَسُفْيَانَ.

التعليق:

[هذا تدقيق من تدقيقات مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نقله لهذه النصوص، يدقق فيها في المعاني، وفي الألفاظ وفي اختلاف الألفاظ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا الحديث مداره علىٰ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ. وَعَنْ قَيْس مَعْطُوف عَلَىٰ إِسْمَاعِيل. مَعْنَاهُ رَوَاهُ الْأَعْمَش عَنْ إِسْمَاعِيل عَنْ قَيْس. وَاللهُ أَعْلَم.

وفي الحديث: أن رجلًا أنكر علىٰ مروان الصلاة قبل الخطبة، فأيَّدَه أبو سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، واستدلَّ بحديث رسول الله ﷺ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»].

(٨٠)[٥٠] وَحَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَاللَّفْظُ لِعَبْدٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنِ الْحَارِثِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمِسْوَرِ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ**

لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ». قَالَ أَبُو رَافِعٍ: فَحَدَّثْتُهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ فَأَنْكَرَهُ عَلَيَّ، فَقَدِمَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَنَزَلَ بِقَنَاةَ فَاسْتَتْبَعَنِي إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ يَعُودُهُ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا جَلَسْنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، فَحَدَّثَنِيهِ كَمَا حَدَّثْتُهُ ابْنَ عُمَرَ، قَالَ صَالِحٌ: وَقَدْ تُحُدِّثَ بِنَحْوِ ذَلِكَ عَنْ أَبِي رَافِعٍ.

(٨٠)[••] وَحَدَّثَنِيهِ أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْحَارِثُ بْنُ الْفُضَيْلِ الْخَطْمِيُّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا كَانَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ كَانَ لَهُ حَوَارِيُّونَ يَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ، وَيَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِهِ». مِثْلَ حَدِيثِ صَالِحٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ قُدُومَ ابْنِ مَسْعُودٍ وَاجْتِمَاعَ ابْنِ عُمَرَ مَعَهُ.

التعليق:

[هذا الحديث -فيما أعرف- مما أنكره الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنه يرىٰ

أنه يخالف أحاديث الصبر علىٰ الولاة].

❁ ❁ ❁

عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: هَذَا الْحَدِيثُ غَيْرُ مَحْفُوظٍ. قَالَ: وَهَذَا الْكَلَامُ لَا يُشْبِه كَلَامَ ابْنِ مَسْعُودٍ. وَابْنُ مَسْعُودٍ يَقُول: اصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي. هَذَا كَلَام الْقَاضِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو: هَذَا الْحَدِيثُ قَدْ أَنْكَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وَقَدْ رَوَىٰ عَنِ الْحَارِثِ هَذَا جَمَاعَةٌ مِنَ الثِّقَاتِ، وَلَمْ نَجِدْ لَهُ ذِكْرًا فِي كُتُبِ الضُّعَفَاءِ. وَفِي كِتَابِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ مَعِينٍ أَنَّهُ ثِقَة. ثُمَّ إِنَّ الْحَارِثَ لَمْ يَنْفَرِدْ بِهِ، بَلْ تُوبِـعَ عَلَيْهِ عَلَىٰ مَا أَشْعَرَ بِهِ كَلَام صَالِح بْن كَيْسَانَ الْمَذْكُور. وَذَكَرَ الْإِمَامُ الدَّارَقُطْنِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي كِتَاب «الْعِلَل» - أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ قَدْ رُوِيَ مِنْ وُجُوه أُخَرَ؛ مِنْهَا: عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[(١)].

التعليق:

[هذا التعليل من الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ له نظائر، قد يكون الحديث إسنادُه صحيحًا، لكن من حيث المعنىٰ يستنكر معناه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هذا وإن كنَّا لا نوافق عليه، لكنه من الشواهد علىٰ أن أهل الحديث لا يتعلَّقون بالأسانيد فقط، بل ينظرون إلى المعاني، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فقد يكون الحديث إسناده صحيحًا، ولكن

---

(١) "شرح مسلم" للنووي (٢/ ٢٨).

معناه منكرٌ، يخالف النصوص الأصح منه، وقد يخالف الآيات، وهؤلاء القوم -ولله الحمد- عندهم فقهٌ عميقٌ بما جاء به محمد ﷺ من كتاب وسنة، ويميِّزون بين ما يصح نسبته إلى رسول الله ﷺ وبين ما لا يصح نسبته أكثر من غيرهم من المتطفلين ومن المحاربين للسنة وأهلها، كالمعتزلة والخوارج والروافض والعقلانيين في هذا العصر، الذين يقولون عن أهل الحديث أنهم ليس لهم عناية إلا بالأسانيد، ولا عناية لهم بالمتون؛ وهذا كذب، فأحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ له انتقاداتٌ لبعض المتون، وقد يصيب فيها، وهذا في الظاهر أنه اجتهادٌ منه، وحجَّتُه أن عبد الله له أحاديث غيرُ هذا، وأنه يأمر بالصبر، وهذا يوحي بأنك لا تصبر؛ لأن فيه الجهاد باليد وباللسان، ويمكن أن يتعلَّق به الخوارجُ وأهلُ الفتن، ويسلُّون به السيوف علىٰ الأئمة؛ فإذا استغلَّه أهلُ الضلال لا بد من الفقه فيه، ويجمع بينه وبين النصوص التي يرىٰ أحمدُ أنها متعارضة؛ لأنها مقيَّدة بالاستطاعة؛ **«مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ»**، فهي مقيَّدة بالاستطاعة، وعدمِ تحقق المفاسد، وأيضًا لابدَّ أن تتحقق فيه الشروطُ التي استقاها أئمَّة الإسلام من الوحيين].

❁ ❁ ❁

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «اصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي». فَذَلِكَ حَيْثُ يَلْزَم مِنْ ذَلِكَ سَفْكُ

الدِّمَاء، أَوْ إِثَارَةُ الْفِتَن أَوْ نَحْو ذَلِكَ، وَمَا وَرَدَ فِي هَذَا الْحَدِيث مِنَ الْحَثِّ عَلَىٰ جِهَاد الْمُبْطِلِينَ بِالْيَدِ وَاللِّسَان، فَذَلِكَ حَيْثُ لَا يَلْزَم مِنْهُ إِثَارَة فِتْنَة، عَلَىٰ أَنَّ هَذَا الْحَدِيث مَسُوق فِيمَنْ سَبَقَ مِنَ الْأُمَم، وَلَيْسَ فِي لَفْظه ذِكْرٌ لِهَذِهِ الْأُمَّة.

هَذَا آخِر كَلَام الشَّيْخ أَبِي عَمْرو[(١)].

❋❋❋

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٨). وانظر: «صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط» لأبي عمرو بن الصلاح (ص٢٠٩) دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية.

(٢١) بَابُ تَفَاضُلِ أَهْلِ الإِيمَانِ فِيهِ، وَرُجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فِيهِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٨١)[٥١] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، ح، وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، ح، وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، كُلُّهُمْ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، ح، وَحَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ - وَاللَّفْظُ لَهُ -، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: سَمِعْتُ قَيْسًا يَرْوِي عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ نَحْوَ الْيَمَنِ، فَقَالَ: **«أَلَا إِنَّ الْإِيمَانَ هَاهُنَا، وَإِنَّ الْقَسْوَةَ وَغِلَظَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ، عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الْإِبِلِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةَ، وَمُضَرَ»**.

(٨٢)[٥٢] وَحَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ، قَالَ: أَنْبَأَنَا حَمَّادٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ»**.

قَالَ النوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَدِ اخْتُلِفَ فِي مَوَاضِعَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ، وَقَدْ

جَمَعَهَا الْقَاضِي عِيَاض رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَنَقَّحَهَا مُخْتَصَرَة بَعْده الشَّيْخُ أَبُو عَمْرو بْن الصَّلَاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَأَنَا أَحْكِي مَا قَالَ: أَمَّا مَا ذُكِرَ مِنْ نِسْبَة الْإِيمَان إِلَى أَهْل الْيَمَن فَقَدْ صَرَفُوهُ عَنْ ظَاهِره؛ مِنْ حَيْثُ إِنَّ مَبْدَأ الْإِيمَان مِنْ مَكَّة، ثُمَّ مِنَ الْمَدِينَة، حَرَسَهُمَا اللَّه تَعَالَىٰ، فَحَكَىٰ أَبُو عُبَيْد إِمَامُ الْغَرْب[1] ثُمَّ مَنْ بَعْدَهُ فِي ذَلِكَ أَقْوَالًا: أَحَدُهَا: أَنَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ مَكَّة فَإِنَّهُ يُقَال: إِنَّ مَكَّة مِنْ تِهَامَة، وَتِهَامَة مِنْ أَرْض الْيَمَن.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُرَاد مَكَّة وَالْمَدِينَة، فَإِنَّهُ يُرْوَىٰ فِي الْحَدِيث أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ هَذَا الْكَلَام وَهُوَ بِتَبُوك، وَمَكَّة وَالْمَدِينَة حِينَئِذٍ بَيْنه وَبَيْن الْيَمَن، فَأَشَارَ إِلَى نَاحِيَة الْيَمَن، وَهُوَ يُرِيد مَكَّة وَالْمَدِينَة، فَقَالَ: «**الْإِيمَان يَمَان**». وَنَسَبهمَا إِلَى الْيَمَن؛ لِكَوْنِهِمَا حِينَئِذٍ مِنْ نَاحِيَة الْيَمَن، كَمَا قَالُوا: الرُّكْن الْيَمَانِيُّ. وَهُوَ بِمَكَّة؛ لِكَوْنِهِ إِلَى نَاحِيَة الْيَمَن.

وَالثَّالِث: مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاس وَهُوَ أَحْسَنُهَا عِنْد أَبِي عُبَيْد، أَنَّ الْمُرَاد بِذَلِكَ الْأَنْصَار؛ لِأَنَّهُمْ يَمَانُونَ فِي الْأَصْل، فَنَسَب الْإِيمَان إِلَيْهِمْ؛ لِكَوْنِهِمْ أَنْصَاره.

قَالَ الشَّيْخ أَبُو عَمْرو رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلَوْ جَمَعَ أَبُو عُبَيْد وَمَنْ سَلَكَ سَبِيله طُرُق

---

(١) الصواب: أبو عبيد، إمام الغريب: غريب اللغة والحديث، المتوفى سنة (٢٢٤هـ). وانظر كلامه في "غريب الحديث" له (٢/ ١٦١-١٦٤).

الْحَدِيث بِأَلْفَاظِهِ كَمَا جَمَعَهَا مُسْلِمٌ وَغَيْره، وَتَأَمَّلُوهَا؛ لَصَارُوا إِلَى غَيْر مَا ذَكَرُوهُ، وَلَمَا تَرَكُوا الظَّاهِر، وَلَقَضَوْا بِأَنَّ الْمُرَاد الْيَمَن، وَأَهْل الْيَمَن عَلَىٰ مَا هُوَ الْمَفْهُوم مِنْ إِطْلَاق ذَلِكَ؛ إِذْ مِنْ أَلْفَاظه: «**أَتَاكُمْ أَهْل الْيَمَن**». وَالْأَنْصَارُ مِنْ جُمْلَة الْمُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ، فَهُمْ إِذن غَيْرُهم. وَكَذَلِكَ قَوْله ﷺ: «**جَاءَ أَهْل الْيَمَن**». وَإِنَّمَا جَاءَ حِينَئِذٍ غَيْرُ الْأَنْصَار، ثُمَّ إِنَّهُ ﷺ وَصَفَهُمْ بِمَا يَقْضِي بِكَمَالِ إِيمَانِهِمْ، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ: «**الْإِيمَانُ يَمَان**». فَكَانَ ذَلِكَ إِشَارَة لِلْإِيمَانِ إِلَى مَنْ أَتَاهُ مِنْ أَهْل الْيَمَن، لَا إِلَى مَكَّة وَالْمَدِينَة. وَلَا مَانِعَ مِنْ إِجْرَاء الْكَلَام عَلَىٰ ظَاهِره، وَحَمْله عَلَىٰ أَهْل الْيَمَن حَقِيقَة؛ لِأَنَّ مَنِ اتَّصَفَ بِشَيْءٍ وَقَوِيَ قِيَامُه بِهِ، وَتَأَكَّدَ اضْطِلَاعُهِ مِنْهُ؛ يُنْسَب ذَلِكَ الشَّيْءُ إِلَيْهِ إِشْعَارًا بِتَمَيُّزِهِ بِهِ، وَكَمَالِ حَاله فِيهِ، وَهَكَذَا كَانَ حَالُ أَهْل الْيَمَن حِينَئِذٍ فِي الْإِيمَان، وَحَالُ الْوَافِدِينَ مِنْهُ فِي حَيَاة رَسُولِ اللَّه ﷺ، وَفِي أَعْقَاب مَوْته كَأُوَيْسِ الْقَرْنِيِّ، وَأَبِي مُسْلِم الْخَوْلَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَشِبْههمَا مِمَّنْ سَلِمَ قَلْبُهُ، وَقَوِيَ إِيمَانه؛ فَكَانَتْ نِسْبَة الْإِيمَان إِلَيْهِمْ لِذَلِكَ إِشْعَارًا بِكَمَالِ إِيمَانهمْ، مِنْ غَيْر أَنْ يَكُون فِي ذَلِكَ نَفْيٌ لَهُ عَنْ غَيْرهمْ، فَلَا مُنَافَاة بَيْنه وَبَيْن قَوْله ﷺ: «**الْإِيمَان فِي أَهْلِ الْحِجَاز**». ثُمَّ الْمُرَاد بِذَلِكَ الْمَوْجُودُونَ مِنْهُمْ حِينَئِذٍ، لَا كُلّ أَهْل الْيَمَن فِي كُلّ زَمَان؛ فَإِنَّ اللَّفْظ لَا يَقْتَضِيه، هَذَا هُوَ الْحَقّ فِي ذَلِكَ، وَنَشْكُر اللَّه تَعَالَىٰ عَلَىٰ هِدَايَتنَا لَهُ. وَاللَّه

أَعْلَم[١].

التعليق:

[التخصيص بالموجودين فيه نظر؛ لأن الرسول ﷺ أطلق هذه الميزة وهي موجودة، واللهِ عندهم من التميز ما لا يوجد عند غيرهم، وتجد كثيرًا منهم فقيرًا يرفض الدنيا لأجل العقيدة والإيمان، لهم ميزة الآن لا توجد في كثير من الناس، كثيرٌ منهم ثابتون علىٰ السنة مع الزهد، ثباتٌ وجهادٌ، وأيضًا يأرز الإيمان إلىٰ أهل الحجاز؛ هذه الميزة تبقىٰ لأهل الحجاز إن شاء الله، فكثيرٌ منهم ثابتون علىٰ الإيمان، والتوحيد، والسنة].

❁ ❁ ❁

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٨٣)[٥٢] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، ح وَحَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يُوسُفَ الْأَزْرَقُ، كِلَاهُمَا، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَة، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ**».

التعليق:

[يعني: ليسوا قساةَ القلوبِ، قُلُوبهم فيها رحمة، وفيها رقَّة، وهذا من

(١) "شرح مسلم" (٢/ ٣٢-٣٣). وانظر: "صيانة صحيح مسلم" لابن الصلاح (ص٢١٠-٢١٢).

علامات الإيمان، ومن علامات قوَّة الإيمان، ويأتي بعدهم رُعاةُ الغنم].

❁ ❁ ❁

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٨٤)[٠٠] وَحَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ، وَحَسَنٌ الْحُلْوَانِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ الْأَعْرَجِ، قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَضْعَفُ قُلُوبًا، وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الْفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ**».

التعليق:

[الفقه يمان، والحكمة يمانية، اللهمَّ فقِّهنا في الدين، «**أَضْعَفُ قُلُوبًا**» يعني أنهم لم يتَّصفوا بالقسوة، والمراد بالفقه هنا الفقهُ في دين الله، «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[1]].

❁ ❁ ❁

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٨٥)[٠٠] وَحَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَىٰ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ الْفَدَّادِينَ، أَهْلِ**

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧)، عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

الْوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ».

التعليق:

[**نحو المشرق**: يعني موضع الزلازل وموضع الفتن، ولهذا تجد الجهمية والمعتزلة والخوارج والروافض والباطنية كلهم نبعوا في العراق وما وراءها، والخبثاء من أهل البدع والضلال يُنزِّلون هذه الأحاديث علىٰ دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قبَّحهم الله، ولو نزَّلوها علىٰ مُسيلِمة ومن كان معه لهان الأمر، ولأصابوا، ولكن نزَّلوها علىٰ دعوة الأنبياء التي رفع لواءها الإمامُ محمدُ بنُ عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فما أخبث أهل البدع وما أفجرهم! ولا يقتضي هذا في كل زمان ومكان، والشرُّ في الغالب من المشرق لا شك، وأهلُ البدع من الخوارج والمعتزلة والجهمية، وأهلُ الإلحاد من القرامطة والباطنية نبغوا في المشرق، وهناك أيضًا أهلُ سنة في العراق وفي خراسان...، فلا يمنع وجود الشرِّ في المشرق من وجود الخير أيضًا، كما أن وجود الخير في الحجاز وفي اليمن لا يمنع من وجود الشر، فقد ارتدَّ الأسودُ وتبعه أناسٌ في اليمن، والضلال يوجد الآن في اليمن وفي الحجاز، كما يوجد الخير الكثير، ولولا دعوة الإخوان المسلمين لكانوا أفضل البلدان، لكن جاءت دعوة الإخوان المسلمين ففرَّقت كثيرًا من الشباب، كانت الدعوة إلىٰ عهد قريب في نجد كأنهم في عهد الصحابة دينًا

والتزامًا.

الشاهد: أن الشرَّ هذا موجود في المشرق وفي غيره، ولكن هذا لا يمنع من وجود الخير، ومن وجود الإسلام، ووجود التوحيد].

❁ ❁ ❁

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٨٦)[٠٠] وَحَدَّثَنِي يَحْيَىٰ بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، وَابْنُ حُجْرٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْكُفْرُ قِبَلَ الْمَشْرِقِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ، وَالْفَخْرُ وَالرِّيَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْوَبَرِ**».

التعليق:

[في الغالب أن الذي يعيش بين هذه الحيوانات القوية، ويأكل من لحومها ويشرب من ألبانها، أن يكون فيه شيء من أخلاقها من القسوة والجفاء، والذي يتغذىٰ من الغنم - فالأنبياء كانوا رعاة غنم؛ كما جاء في الحديث: «**مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَىٰ الغَنَمَ**»[1] -، فإنه يكتسب هذه الرِّقَّة وهذا

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه البخاري (٢٢٦٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
ورواه البخاري (٣٤٠٦)، ومسلم (٢٠٥٠)، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بمعناه.

اللين وهذا اللطف، وكان النبيُّ ﷺ يُربَّىٰ علىٰ رعاية الغنم، ليرعىٰ البشر بعد ذلك، فيقودهم بالحكمة والعلم والرحمة والرِّقة، يعني البيئة والحياة التي يعيشها الإنسان، والمآكل والمشارب، تنعكس آثارُها علىٰ نفسه وأخلاقه، فالذي يربِّي الحيوانات القوية الغليظة، ويأكل ويشرب منها يحصل له شيءٌ من آثارها، وقد يُسلِّم الله بعض الناس، لكن في الغالب هكذا، وأهلُ الغنم بحُكم مُعايشتها، وبحكم الأكل من لحومها والشرب من ألبانها، تحصل له هذه الصفات، وإلا قد يكون مجرمًا أحيانًا، لا يصلي، ولا يزكي...، ولكن هذه الآثار تحصل في الغالب].

* * *

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٨٧)[٠٠] وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ**».

التعليق:

[**الفدَّادون**: هم أهلُ الأصوات المرتفعة، فَهُمُ الَّذِينَ تَعْلُو أَصْوَاتهمْ فِي إِبِلهمْ، وَخَيْلهمْ وَحُرُوثِهِمْ، وَنَحْو ذَلِكَ].

❁ ❁ ❁

قال النوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالصَّوَاب فِي «**الْفَدَّادِينَ**» بِتَشْدِيدِ الدَّال جَمْع «فَدَّاد» بِدَالَيْنِ أُولَاهُمَا مُشَدَّدَة. وَهَذَا قَوْل أَهْلِ الْحَدِيث، وَالْأَصْمَعِيِّ، وَجُمْهُور أَهْل اللُّغَة. وَهُوَ مِن «الْفَدِيد» وَهُوَ الصَّوْت الشَّدِيد. فَهُمُ الَّذِينَ تَعْلُو أَصْوَاتهمْ فِي إِبِلهمْ، وَخَيْلهمْ وَحُرُوثِهِمْ، وَنَحْو ذَلِكَ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة مَعْمَر بْن الْمُثَنَّى: هُمُ الْمُكْثِرُونَ مِنَ الْإِبِل الَّذِينَ يَمْلِك أَحَدُهُمُ الْمِائَتَيْنِ مِنْهَا إِلَى الْأَلْف.

وَقَوْلُهُ: «**إِنَّ الْقَسْوَة فِي الْفَدَّادِينَ عِنْد أُصُول أَذْنَاب الْإِبِل**». مَعْنَاهُ الَّذِينَ لَهُمْ جَلَبَة وَصِيَاح عِنْد سَوْقهمْ لَهَا[1].

التعليق:

[الإبل فيها حقد شديدٌ، وفيها شدَّةٌ، يعني: كثيرٌ من الإبل قد يقتل صاحبَه إذا ضربه ضربةً، وقد يترصَّد له حتىٰ ينام، ثم يبرك عليه، ولا يقوم إلى أن يموت، فيكتسبون هذا من هذه البيئة التي يَحْيَون فيها، لكن الآن - والحمد لله- قلَّت الإبل، وتركوا رَعْيها، وهذا من علامات نُبُوَّة هذا الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، فكم من الأشياء التي تحدَّث عنها وحصلت].

❁ ❁ ❁

(١) "شرح مسلم" (٢/ ٣٤).

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٨٨)[٠٠] وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، بِهَذَا الإِسْنَادِ مِثْلَهُ، وَزَادَ: «**الْإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ**».

(٨٩)[٠٠] وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، وَأَضْعَفُ قُلُوبًا، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، السَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ، وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ، أَهْلِ الْوَبَرِ، قِبَلَ مَطْلِعِ الشَّمْسِ**».

(٩٠)[٠٠] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَلْيَنُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، رَأْسُ الْكُفْرِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ**».

(٩٠)[٠٠] وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الإِسْنَادِ. وَلَمْ يَذْكُرْ: «**رَأْسُ الْكُفْرِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ**».

(٩١)[٠٠] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، ح

وَحَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ -يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ- قَالَا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، مِثْلَ حَدِيثِ جَرِيرٍ، وَزَادَ: «**وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي أَصْحَابِ الْإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَصْحَابِ الشَّاءِ**».

(٩٢)[٥٣] وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَارِثِ الْمَخْزُومِيُّ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**غِلَظُ الْقُلُوبِ، وَالْجَفَاءُ فِي الْمَشْرِقِ، وَالْإِيمَانُ فِي أَهْلِ الْحِجَازِ**».

التعليق:

[الفخر والخيلاء هما من الكِبْر، والكِبْر ينافي كمال الإيمان، وقد ينافي الإيمان، والسكينةُ والوقارُ من آثار الإيمان.

وخلاصة هذه الأحاديث: أن لأهل الحجاز واليمن مِيزةً يتميَّزون بها علىٰ غيرهم، وهذه المِيزةُ لا تمنع أن يشاركهم غيرُهم من أهل البلدان الأخرىٰ؛ لأن الحصر فيها حصرٌ إضافي، لا حقيقي، وواقعُ البلدان الأخرىٰ يشهدُ بذلك].

❁❁❁

(٢٢) بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ، وَأَنَّ مَحَبَّةَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الإِيمَانِ، وَأَنَّ إِفْشَاءَ السَّلَامِ سَبَبٌ لِحُصُولِهَا

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٩٣)[٥٤] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَوَكِيعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**».

التعليق:

[أقول: إن رسول الله ﷺ بعثه الله لإنقاذ الناس من النار، ولِيَحْظَوا وليسعدوا بطاعتهم للرسل واتباعهم لهم والإيمان بهم، ويَحْظَوا بدخول الجنة، ولا يدخل أحدٌ الجنَّة إلا بالإيمان، فلا يدخل الجنة إلا نفسٌ مؤمنةٌ، فقد حرَّم الله الجنَّة علىٰ الكافرين، فلا يدخلها إلا المؤمنون، سواء كان هذا المؤمن كامل الإيمان، بأن أدَّىٰ الواجبات، واجتنب المحرَّمات، وجاء بالتطوُّعات المستحبَّة، فيكون من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، أو كان

ناقص الإيمان بسبب تقصيره وارتكابه للذنوب، فإنه وإن عاقبه الله بدخول النار بذنوبه، فإنه لابدَّ أن يدخل الجنة، فالجنة لا يدخلها إلا المؤمن؛ سواء كان كامل الإيمان، أو كان ناقص الإيمان على التفصيل الذي ذكرناه.

وأمَّا قوله: «**وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا**»: فهذا من نفي كمال الإيمان الواجب، وليس نفيًا للإيمان من أصله، وإنما هو نفيٌ للكمال، لكن الكمال الواجب؛ ولهذا قال ﷺ: «**وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا**»: أي لا يَكمُل إيمانُكم حتىٰ تحابُّوا، فالنفي هنا متَّجهٌ لكمال الإيمان، لا لأصل الإيمان، لا يكون إيمانُكم كاملًا الكمالَ الواجبَ الذي تستحقون به دخول الجنة بدون عذاب، ومحبَّةُ المؤمنين من الواجبات، التي أوجبها الله وحتَّمها علىٰ عباده، محبَّتُهم وموالاتُهم والذبُّ عنهم، هذا أمرٌ مطلوب في الإسلام، لا نبغض إلا الكفار، كما قال رسولُ الله ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ...**»(١).

ومحبَّة المؤمنين أمرٌ مطلوبٌ، ومودَّتُهم والتناصحُ والتراحم فيما بينهم والتناصرُ والتعاون علىٰ البرِّ والتقوىٰ، هذه أمور مطلوبة، وعلىٰ الأقلِّ يحبُّ المؤمنُ أخاه المؤمن إذا كان ليس هناك ما يقتضي بُغضَه من بدع غليظة أو كفر، فإن كان بعيدًا عن هذه الأشياء فإن محبَّته واجبة، ومن كمال الإيمان

---

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ومن محبَّة الله وتعظيمه؛ لأنك تحبُّه لله؛ لأن الله يحبُّ المؤمنين، فأنت تحبُّهم لأن الله يحبُّهم، «**لَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا**»، فالذي يسبب هذه المحبَّة وهذه الروابط الوثيقة إفشاءُ السلام، إفشاءُ السلام لوجه الله، لا للمجاملة والنفاق، يقصد بإفشاء السلام وجهَ الله، لا يفرِّق بين صديق وغيره، بين من يعرف ومن لا يعرف؛ تقرُّبًا إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فإن هذا ممَّا يوطِّد المحبَّة بين المسلمين، فالنبيُّ ﷺ قال: «**أَفْشُوا السَّلَامُ**»، أكثروا من السلام، فسلِّم علىٰ القريب والبعيد، والصديق وغير الصديق، فإفشاء السلام هذا من أعظم الأسباب في وجود المحبَّة بين المؤمنين، وذلك مما يؤهِّلهم لدخول الجنة، فينبغي أن نراعي هذه الأشياء في حياتنا، وأن نتقرَّب بها إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، من الإيمان به ومحبَّة مَن يؤمن بالله عَزَّوَجَلَّ في ذات الله عَزَّوَجَلَّ، والسعي في ترسيخ هذه المحبَّة، ونشرها بين المسلمين؛ وهذا فيه البعدُ عن التباغض والتشاحن والتدابر والتناجش والتحاسد؛ فهذه أمور بغيضة عند الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ**»[1]].

❁❁❁

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه مسلم (٢٥٦٤)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢٣) بَابُ: بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٩٥)[٥٥] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ الْمَكِّيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: قُلْتُ لِسُهَيْلٍ: إِنَّ عَمْرًا حَدَّثَنَا عَنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِيكَ، قَالَ: وَرَجَوْتُ أَنْ يُسْقِطَ عَنِّي رَجُلًا، قَالَ: فَقَالَ: سَمِعْتُهُ مِنَ الَّذِي سَمِعَهُ مِنْهُ أَبِي كَانَ صَدِيقًا لَهُ بِالشَّامِ، ثُمَّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**». قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**».

(٩٦)[••] وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

(٩٧)[••] وَحَدَّثَنِي أُمَيَّةُ بْنُ بِسْطَامَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، يَعْنِي ابْنَ زُرَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَوْحٌ وَهُوَ ابْنُ الْقَاسِمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ، سَمِعَهُ وَهُوَ يُحَدِّثُ أَبَا صَالِحٍ، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمِثْلِهِ.

التعليق:

[هذا ممَّا يحرص عليه أهلُ الحديث، وهو العلُوُّ في الإسناد، فسفيانُ بنُ عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قَالَ: "قُلْتُ لِسُهَيْلٍ: إِنَّ عَمْرًا حَدَّثَنَا عَنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِيكَ، قَالَ: وَرَجَوْتُ أَنْ يُسْقِطَ عَنِّي رَجُلًا واحدًا". ومن حظِّه أن سُهيلًا أسقط عنه اثنين، يعني: أراد أن يحدِّثه سُهيلٌ عن أبيه، فيسقط عنه رجلًا فيعلُو، فإذا بسُهيل يحدِّثه عمَّن سمع منه أبوه، وهو عطاءُ بنُ يزيد، يعني: سفيان عن سهيل، عن عطاء بن يزيد، فحصل له مكسب، يعني: سقط عنه رجلان.

الشاهد: أنه طلب العلُوَّ فتحقَّق له ما طلبه وزيادة، أي أنه سقط عنه رجلان، وهذا مما ينشُده أهلُ الحديث؛ عُلُوّ الإسناد.

أمَّا الحديث فحديثٌ عظيمٌ، فمنهم من يقول: إنه أحد الأحاديث الأربعة التي تشمل الإسلام كلَّه، وهي: حديث: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**[(١)]»، وحديثُ: «**الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ**[(٢)]» و«**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**[(٣)]»، والحديث الرابع يختلفون فيه، حديثُ عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا**

(١) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري (١) و(٥٤) و(٢٥٢٩) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٩٠٧)، عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٢) و(٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٣) انفرد بإخراجه مسلم دون البخاري، وهو حديث الباب.

لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[(١)]، أو حديث: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ»[(٢)]، «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»[(٣)][(٤)].

فالنوويُّ يرىٰ أن هذا الحديث يتضمَّن الإسلام كله[(٥)]، «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» يعني: هذا من صيغ الحصر، فحصر الدين كلَّه في النصيحة، فيقول النوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الدين النصيحة يتضمَّن الدين كلَّه، لا ربع الإسلام.

وفي الحديث: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ». قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ». فيكون بالإيمان به وبأسمائه وصفات كماله، وتعظيمه، وإجلاله، وطاعته، والتزام أمره... إلى آخر ما يجب علىٰ العبد لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

«وَلِكِتَابِهِ»: بالإيمان بالكتب الإلهية، ومنها القرآن المنزلُ علىٰ خاتم الأنبياء محمد ﷺ؛ بأن يؤمن به، وأنه كلامُ الله، وأنه ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فُصلَت: ٤٢]. وأنه المُهيمنُ علىٰ الكتب السابقة، ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ

(١) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم رقم (١٧١٨).

(٢) أخرجه النسائي (٥٧١١)، والترمذي (٢٥١٨) وقال: "حسن صحيح"، عن الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٤) انظر: «جامع العلوم والحكم» للحافظ ابن رجب (١/ ٦١-٦٣).

(٥) انظر: «شرح مسلم» (٢/ ٣٧).

ﵟٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖﵞ [المائدة: ٤٨]، ونؤمن بما فيه من عقائد، وبما تضمَّنه من حلال وحرام، وأوامر ونَوَاهٍ، ووعد ووعيد، والإيمان بناسخه ومنسوخه، ومُحكمه ومتشابهه، إلى آخره من التفقُّه فيه، والدعوة إليه، والذب عنه، فهذه من النصيحة لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ومن التصديق بأقواله، وطاعة أوامره، واجتناب نواهيه، وكثرة تلاوته وتدبُّره، فالقرآن يحتاج إلىٰ عناية؛ هذه العناية هي من النصيحة لهذا الكتاب العظيم؛ الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، ﵟكِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِﵞ [إبراهيم:١] ، من ظلمات الشرك والكفر والجهل إلى نور التوحيد والإيمان، فهذه نعمة عظيمة جدًّا، نشكر الله تَبَارَكَوَتَعَالَى عليها، فنؤمن به، وننصح له، ونؤمن بهذا الكتاب، وننصح له.

«**وَلِرَسُولِهِ**»: وهو أن تؤمن برسالته، ووجوب طاعته، وتعظيمه، وإجلاله، ومحبَّته، ومحبَّة أصحابه، وأهل بيته، والذبّ عن سنَّته عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، واحترامها وإجلالها، والذبّ عنها، والموالاة والمعاداة من أجلها؛ فهذا يتضمَّن النصيحة للرسول الكريم عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ.

«**وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ**»: أئمَّة الإسلام منهم من يقول: الأمراء. ومنهم من يقول: إنَّهم الأمراء والعلماء. وهذا هو الراجح[1]؛ لأن العلماء يبلِّغون

---

(١) انظر: "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير (٢/ ٣٤٢-٣٤٥).

دين الله، ومن النصيحة أن يقبل الناس منهم هذا التبليغ، ما بلَّغوه من دين الله، من أحاديث الرسول الكريم، ومن تفسير القرآن نفسه، وتبليغ معانيهما، فهذا من النصيحة لهم، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جعلهم مرجعًا للأمة، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣]. وأثنىٰ الله عليهم في القرآن: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، لماذا يُشيد بهم هذه الإشادة ؟! والنبيُّ ﷺ اعتبرهم ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام(١)، فالأنبياء يبلِّغون الناس، والناس يصدِّقونهم ويطيعونهم، والعلماء الأُمناء الناصحون علىٰ الناس أن يقبلوا أخبارهم، وما ينقلونه من معاني القرآن والسنة، وليس معناه التقليد الأعمىٰ، وإنما الطاعة والتصديق إذا كانوا من الأُمناء الضابطين، فتقبل أخبارُهم ويُتديَّنُ بها، ويُتقرَّبُ بها إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وطاعةُ ولاة الأمر كذلك أيضًا، فالرسول ﷺ أمر بطاعتهم، والقرآن أيضًا، قال تعالىٰ: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾

---

(١) إشارة إلىٰ الحديث الذي أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، عن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولفظه عند أبي داود: عن أبي الدرداء سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ».

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. وطاعة الله مطلقة لا تقيَّد بشيء إلا بالاستطاعة، وطاعة الرسول ﷺ كذلك، لا تقيَّد بشيء من القيود إلا بالاستطاعة، إذا عجز الإنسان عن شيء لا يطيقه، فالله عَزَّوَجَلَّ يسقط عليه القيام بهذا الواجب، أو اجتناب هذا المحرَّم، كالمضطر إلىٰ الميتة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]. فوُلَاة الأمر المسلمون لا يجوز الخروج عليهم، ولا التأليبُ عليهم، وتجب الصلاة خلفهم، والحج معهم، والجهاد معهم، وطاعتُهم في طاعة الله، وتحبيبُهم إلى الناس؛ لأن في احترام الناس لهم وتبجيلهم لهم ضبطًا لحياة المسلمين، وإبعادًا لهم عن الفوضىٰ التي تسبِّب انتهاك الأعراض، وسفك الدماء، وضياع الدين والدنيا، وانظروا في البلاد التي حصل فيها انفلاتٌ كيف حالها، ماذا يحصل في الصومال؟! ولو كان الحاكم كافرًا، إذا كان هناك مفاسد تترتب علىٰ الخروج عليه أكبر من المفاسد الحاصلة بوجوده فينبغي الصبر، فكيف وهو مسلم؟! في اليمن لما قتلوا الإمام أحمد بن يحيىٰ بن حميد الدين أو مات، كم هلك من الآلاف؟ كم حصل من الفساد ؟ إلى الآن الفساد عريض جدًّا في اليمن، وفي العراق لما أسقطوا ملك العراق وقع أكثر من عشرين ثورة أو انقلابًا، وآخرها انقلاب صدَّام، فما الذي حدث بعد ذلك؟ لم يحصل إلا الشرور والمفاسد؛ ولهذا

ركَّز الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على الصبر، «**اِصْبِرُوا**»، «**اِصْبِرُوا**»[(١)]، وفي حديث آخر: قالوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**لَا مَا صَلَّوْا**»[(٢)]. وقال: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»[(٣)]، والرسول الحكيم الرحيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كلامُه فيه ما يدفع عن هذه الأمَّة كلَّ الشرور في دينها ودنياها، وما يحفظ لها دينها وحياتها، والسياسيون لا يقيمون وزنًا لهذه النصوص، ويُخفونها، ويحاربون من يحتج بها، ويكفُّ بأس المسلمين بعضهم عن بعض، يحاربونهم في ذلك، مرَّت عليهم سنين لا تُذكَر هذه الأحاديثُ، بل يُرَبُّون الشباب على إسقاط الحكام، وعلى إسقاط العلماء الذين يرون طاعة ولاة الأمور ما داموا في دائرة الإسلام، يقولون عنهم: عُملاء، جواسيس، إلى آخر التشبيهات الخبيثة التي يقولها هؤلاء، والرسول ﷺ أمر بالنصيحة لأئمة المسلمين.

«**وَعَامَّتِهِمْ**»: النصيحة لعامَّة المسلمين باحترام العلماء، وتصديق أخبارهم إذا كانوا عدولًا، وأمَّا الساقطون أهل البدع والأهواء فلا قيمة لهم، وهم من شرِّ الناس، ومن النصيحة لله إهانتُهم، وتحذيرُ الناس منهم، أمَّا

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه البخاري (٣٧٩٣)، ومسلم (١٠٥٩)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي معناه عن عبد الله بن زيد وابن عباس وحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٢) قطعة من حديث، أخرجه مسلم (١٨٥٤)، عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) قطعة من حديث، أخرجه البخاري (٧٠٥٥-٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩)، عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

علماء السنَّة الأمناءُ، الداعون إلى توحيد الله، الداعون إلى التمسك بكتابه وسنة نبيِّه، هؤلاء يُحَبُّون ويُحترمون، ومن النصيحة لهم أن نحبَّهم ونحترمهم، وأن نحبِّبهم إلى الناس، ونحبِّب الناس إليهم، هذا الذي ينبغي، كذلك وُلاةُ الأمر ما داموا في دائرة الإسلام يقيمون شعائر الإسلام أو يُقصِّرون فيها، الحمد لله شعائرُ الإسلام في هذه البلاد قائمةٌ كلُّها، ومناهجُ التوحيد والسنة قائمةٌ، فالتأليبُ علىٰ هؤلاء تأليبٌ -والله- علىٰ الإسلام، وحربٌ -والله- علىٰ الإسلام، الرسولُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ**»[1]، فالصلاة قائمةٌ، وكذلك الزكاةُ، والصيامُ، والحجُّ، والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر قائمٌ، والمدارسُ والمناهجُ قائمةٌ علىٰ كتاب الله وسنَّة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فلماذا هذه الحرب، ولماذا هذا الولاء لصدام وأمثاله ؟ في كلِّ فتنة مع صدَّام وأسامة بن لادن، وقد حاربوا في الجزائر، حاربوا في اليمن، حاربوا في معظم البلدان، إلا بلاد صدَّام، وبلاد الرفض، علىٰ ماذا يدلُّ هذا؟ هؤلاء أهلُ فِتنٍ، فالنصيحةُ لولاة الأمور كما ذكرنا، والنصيحةُ لعامَّة المسلمين تعليمُهم دين الله، وتحبيبُ دين الله عَزَّوَجَلَّ لهم، وأمرُهم بالمعروف، ونهيُهم عن المنكر، وإرشادُهم إلىٰ ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، والتأليفُ فيما بينهم، وبثُّ المحبَّة والتآلف فيما بين المتمسكين منهم.

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه مسلم (١٨٥٥)، عن عوف بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الشاهد: أن النصيحة تجب حتىٰ للفسَّاق؛ تأمرُهم بالمعروف، وتنهاهم عن المنكر، وتدعوهم إلى الحق والخير، وتحذِّرهم من الشر، وهذا من النصيحة للمؤمنين لمستقيمهم ومنحرفهم، فالنصيحة لهذا أن تعلِّمه وتحبَّه وتواليَه، والنصيحة لذاك أن تأمره بالمعروف، وأن تنهاه عن المنكر، وتبيِّن له خطأه أو بدعته وضلاله، هذا -والله- من النصيحة له، ومن الغشِّ التغريرُ بهؤلاء المساكين؛ بأن تدفعهم إلىٰ الفتن والبدع والضلال، وتحارب من يبيِّن لهم الحق، وهذا والله من الغشِّ الذي هو ضدُّ النصيحة، وكلُّ نصيحة يقابلها غشٌّ؛ غشٌّ في حق الله، وفي حق الرسول، وفي حق الكتاب، وفي حق ولاة أمور المسلمين، وفي حق العامَّة، فهناك نصيحةٌ، وهناك غشٌّ، فالرسول ﷺ قال كلمةً جامعةً تجمع كلَّ خصال الخير، والرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد أُوتي جوامع الكلم، ومن جوامع كَلِمِه هذا الحديثُ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» إلخ].

❁ ❁ ❁

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٩٧)[٥٦] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ، وَأَبُو أُسَامَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: «**بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**».

(٩٨)[٠٠] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَابْنُ نُمَيْرٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ، سَمِعَ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: «**بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ النُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**».

التعليق:

[حديثُ جرير هذا؛ عن قيس بن أبي حازم، عن جرير، وعن زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ، عن جرير، أنه بايع النبيَّ ﷺ علىٰ إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم، الرسولُ ﷺ يبايع علىٰ الإسلام، ويبايع علىٰ الصلاة وإيتاء الزكاة، وهنا زاد النصح لكل مسلم، فالنصح أمرٌ عظيمٌ جدًّا، وتقدَّم النصحُ لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وفي حديث جرير: «**النُّصْحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**» بما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وجرير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ طبق هذا الحديث عندما تُوُفِّي المغيرةُ بنُ شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قام خطيبًا، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَالوَقَارِ، وَالسَّكِينَةِ، حَتَّىٰ يَأْتِيَكُمْ أَمِيرٌ، فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمُ الآنَ. ثُمَّ قَالَ: اسْتَعْفُوا لِأَمِيرِكُمْ، فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ

العَفْوَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قُلْتُ: أُبَايِعُكَ عَلَىٰ الإِسْلَامِ فَشَرَطَ عَلَيَّ: «**وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**» فَبَايَعْتُهُ عَلَىٰ هَذَا، وَرَبِّ هَذَا المَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ(١).

ويذكرون له قصة: أَنَّ جَرِيرًا أَمَرَ مَوْلَاهُ أَنْ يَشْتَرِيَ لَهُ فَرَسًا، فَاشْتَرَىٰ لَهُ فَرَسًا بِثَلَاثِمِائَةِ دِرْهَم، وَجَاءَ بِهِ وَبِصَاحِبِهِ لِيَنْقُدَهُ الثَّمَنَ، فَقَالَ جَرِير لِصَاحِبِ الْفَرَس: فَرَسُك خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثمِائَةِ دِرْهَم، أَتَبِيعُهُ بِأَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَم؟ قَالَ: ذَلِكَ إِلَيْك يَا أَبَا عَبْد اللَّه. فَقَالَ: فَرَسُك خَيْر مِنْ ذَلِكَ، أَتَبِيعُهُ بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَم؟ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَزِيدُهُ مِائَة، فَمِائَة، وَصَاحِبُهُ يَرْضَىٰ، وَجَرِيرٌ يَقُول: فَرَسُك خَيْر. إِلَى أَنْ بَلَغَ ثَمَانمِائَةِ دِرْهَم. فَاشْتَرَاهُ بِهَا. فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي بَايَعْت رَسُول اللَّه ﷺ عَلَىٰ النُّصْح لِكُلِّ مُسْلِم(٢).

هذه القصة معروفة عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليس بغريب عليه، من ثلاثمائة إلى ثمانمائة! فقلَّما تجد إنسانًا يفعل مثل هذا، فقد بلغ الغاية في النصح، والبعد عن الغش، بعضُ الناس يستغلُّ سذاجة الآخرين ليشتري الشيء بأقلَّ من ثمنه، أو يبيع سلعة بأكثر من ثمنها؛ هذا -والله أعلم- في بعض صوره ينافي النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فإذا أوهمه أنه يبيع بسعر

(١) أخرجه البخاري (٥٨).

(٢) "شرح مسلم" للنووي (٢/ ٤٠). والقصة رواها الطبراني (٢٣٩٥).

مثله فهذا غشٌّ بلا شك، وإذا كان ساذجًا لا يعرف، فله أن يقول: لا خِلابة. كما كان يقول أحدُ الصحابة، فإنه كان يُغبَن في شراء السلع، فعلَّمه رسولُ الله أن يقول: "لا خلابة"(١). فإذا كان الإنسان لا يعرف المماكسة في السلع، ويُخدَع في البيع، وخدعه شخص؛ فله أن يقول: "لا خلابة"، ويعود في البيع.

الشاهد: أن هذا الصحابيَّ الجليل التزم هذه النصيحة، وطبَّقها في مواطنها، وفي حياته كلها، وهذا الذي بلغنا، ونصح لهؤلاء الذين قد يصل الأمر بهم إلى سفك الدماء، والاختلاف الذي قد يؤدِّي إلى الضغائن والأحقاد والفتن، فهدَّأهم وسكَّنهم، وقال: ترحموا على أميركم. ثم قال: "إني والله لكم لناصح". وردَّ هذه الفتنة بهذه النصيحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالإسلام قولٌ وعملٌ، فيقول ويعمل، ويبلِّغ العلم ويعمل، هذا هو الإسلام].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (٢١١٧)، ومسلم (١٥٣٣)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٩٩)[٥٦] حَدَّثَنَا سُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ، وَيَعْقُوبُ الدَّوْرَقِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ سَيَّارٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: «**بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ - فَلَقَّنَنِي - فِيمَا اسْتَطَعْتَ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**». قَالَ يَعْقُوبُ فِي رِوَايَتِهِ: قَالَ: حَدَّثَنَا سَيَّارٌ.

التعليق:

[يعني هنا بيعة الرسول ﷺ لجرير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: علىٰ السمع والطاعة، وفي الحديث الأول: "علىٰ إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم"، وجاء هنا بالسمع والطاعة، قال: فَلَقَّنَنِي: «**فِيمَا اسْتَطَعْتَ**». وهذا من رحمته ﷺ كما وصفه ربُّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]. فكان يلقِّنه أيضًا: «**فِيمَا اسْتَطَعْتَ**»، فالإنسان يبايع الرسول بيعةً مطلقة، ثم يعجز عن بعض الأشياء، فيحتاط له الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيقول: «**فِيمَا اسْتَطَعْتَ**»؛ لأنه قد يعجز عن القيام ببعض الأمور التي تكون فوق طاقته واستطاعته، فإن الله عَزَّوَجَلَّ وصفه بأنه: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾. عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وفيه: «**النُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**»، كما تقدَّم، وهنا نجد

الإمام مسلمًا نبَّه علىٰ شيء، قال: "قَالَ يَعْقُوبُ فِي رِوَايَتِهِ: قَالَ: حَدَّثَنَا سَيَّارٌ".
وهذه النكتة نبَّه عليها النووي، قال: " ثُمَّ قَالَ مُسْلِم فِي آخِره: «قَالَ يَعْقُوب فِي رِوَايَته: حَدَّثَنَا سَيَّار». فَفِيهِ تَنْبِيه عَلَىٰ لَطِيفَةٍ، وَهِيَ أَنَّ هُشَيْمًا مُدَلِّس وَقَدْ قَالَ: «عَنْ سَيَّار» وَالْمُدَلِّس إِذَا قَالَ: «عَنْ»، لَا يُحْتَجُّ بِهِ إِلَّا إِنْ ثَبَتَ سَمَاعه مِنْ جِهَة أُخْرَىٰ.

فَرَوَىٰ مُسْلِم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حَدِيثه هَذَا عَنْ شَيْخَيْنِ وَهُمَا سُرَيْجٌ وَيَعْقُوبُ، فَأَمَّا سُرَيْجٌ فَقَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْم عَنْ سَيَّار. وَأَمَّا يَعْقُوب فَقَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْم، قَالَ: حَدَّثَنَا سَيَّار. فَبَيَّنَ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ اخْتِلَافَ عِبَارَة الرَّاوِيَيْنِ فِي نَقْلِهِمَا عِبَارَته، وَحَصَلَ مِنْهُمَا اتِّصَالُ حَدِيثه، وَلَمْ يَقْتَصِر مُسْلِم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ الرِّوَايَتَيْنِ، وَهَذَا مِنْ عَظِيم إِتْقَانه، وَدَقِيق نَظَرِهِ، وَحُسْن احْتِيَاطه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ"[1].

من حيث السند:

هُشَيمٌ مدلسٌ، وفي الرواية الأولىٰ، قال: "عن هشيم عن سيَّار"، وفي الرواية الثانية، قال: "حدثنا سيَّار"، فينبِّه علىٰ أنه قد صرَّح وهو مدلِّس، فروىٰ عنه بالصيغة التي تحتمل التدليس، وهُشيم صرَّح في رواية يعقوب بالسماع.

أقول: هذا وإن كانت عنعنة المدلِّسين لا تضرُّ بأحاديث الصحيحين، إلا أن الشيخين البخاريَّ ومسلمًا قد التزما الصحة في كتابيهما؛ فلا يرويان عن

---

(١) "شرح مسلم" (٢/ ٤٠).

المدلسين ما عنعنوا فيه، إلا ما علموا صحته وسلامته من وجه آخر، هذا إلىٰ جانب أن الأمة قد تلقوا الصحيحين بالقبول، وهذا التلقي أقوىٰ من مجرد كثرة الطرق[1]].

❊❊❊

(١) انظر: "النكت علىٰ كتاب ابن الصلاح" للحافظ ابن حجر (١/ ٣٥٤)، دار الإمام أحمد، الطبعة الثانية.

(٢٤) بَابُ بَيَانِ نُقْصَانِ الإِيمَانِ بِالْمَعَاصِي، وَنَفْيِهِ عَنِ الْمُتَلَبِّسِ بِالْمَعْصِيَةِ، عَلَى إِرَادَةِ نَفْيِ كَمَالِهِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١٠٠)[٥٧] حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَىٰ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عِمْرَانَ التُّجِيبِيُّ، قَالَ: أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَسَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، يَقُولَانِ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**». قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُحَدِّثُهُمْ هَؤُلَاءِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، ثُمَّ يَقُولُ: وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُلْحِقُ مَعَهُنَّ: «**وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**».

(١٠١)[••] وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ

شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي**». وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ بِمِثْلِهِ يَذْكُرُ، مَعَ ذِكْرِ النُّهْبَةِ، وَلَمْ يَذْكُرْ «ذَاتَ شَرَفٍ»، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ هَذَا إِلَّا النُّهْبَةَ.

(١٠٢)[٠٠] وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عِيسَىٰ بْنُ يُونُسَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، وَأَبِي سَلَمَةَ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ عُقَيْلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَذَكَرَ النُّهْبَةَ وَلَمْ يَقُلْ: «ذَاتَ شَرَفٍ».

(١٠٣)[٠٠] وَحَدَّثَنِي حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمُطَّلِبِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ مَوْلَىٰ مَيْمُونَةَ، وَحُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

(١٠٣)[٠٠] وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، يَعْنِي الدَّرَاوَرْدِيَّ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ

النَّبِيِّ ﷺ، كُلُّ هَؤُلَاءِ بِمِثْلِ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ، غَيْرَ أَنَّ الْعَلَاءَ، وَصَفْوَانَ بْنَ سُلَيْمٍ، لَيْسَ فِي حَدِيثِهِمَا: «**يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ**». وَفِي حَدِيثِ هَمَّامٍ: «**يَرْفَعُ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ أَعْيُنَهُمْ فِيهَا وَهُوَ حِينَ يَنْتَهِبُهَا مُؤْمِنٌ**». وَزَادَ: «**وَلَا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ حِينَ يَغُلُّ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَإِيَّاكُمْ إِيَّاكُمْ**».

(١٠٤)[٠٠] وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ ذَكْوَانَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ**».

(١٠٥)[٠٠] وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ ذَكْوَانَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَفَعَهُ، قَالَ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي**». ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ شُعْبَةَ.

التعليق:

[لقد اعتنىٰ الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الحديث عناية عظيمة؛ حيث خرَّجه من عدَّة طرق، مدارها علىٰ عدد من الرواة عن أبي هريرة، مثل: سعيد بن المسيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وأَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، والْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وهمَّام بن مُنبِّه، وعطاء بن يسار، وحميد بن عبد الرحمن، وذكوان أبي صالح، رواه عددٌ عن أبي هريرة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ، فاعتنىٰ به مسلمٌ عناية عظيمة جدًّا، ونبَّه علىٰ اختلاف الألفاظ بينهم.

أما معنىٰ الحديث فهو -كما هو مذهب أهل السنة والجماعة- أن مرتكب الكبيرة لا يكفر، ولا يخرج بذلك من الإيمان، بخلاف الخوارج والمعتزلة، فإنه عند الخوارج إذا ارتكب المسلم الكبيرة، يخرج عن دائرة الإسلام، وإذا مات مُصرًّا عليها يُخلَّد في النار، والعياذ بالله، وعند المعتزلة لا يسمَّىٰ كافرًا، وهو في منزلة بين منزلتين، ولكنه في الآخرة يخلَّد في النار بهذه الكبيرة، وهذا مخالف للكتاب والسنة والإجماع، إجماع أهل السنة، وليس إجماع أهل البدع، إذ أجمع أهل السنة علىٰ أن مرتكب الكبيرة لا يكفر، والدليل علىٰ ذلك أنها تقام الحدود علىٰ من يرتكب كبيرة من الكبائر، فالسارق تقطع يدُه، والزاني يُجلَد مائة إذا كان غير مُحصن، ويرجم إذا كان محصنًا، وذلك بعد إقامة البينة أو الاعتراف، وشاربُ الخمر يقام عليه حدُّه أربعين أو ثمانين، كما في عهد الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ وهذا من الأدلة علىٰ عدم تكفير مرتكب الكبيرة، والله تعالىٰ يقول في كتابه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات: ٩، ١٠]. فسمَّاهم مؤمنين

مرَّتين، وبيَّن أنهم إخوة، وهذا في القتال وسفك الدماء، وهو من أكبر الذنوب.

فالشاهد: أن المؤمن إذا ارتكب كبيرة إن استحلَّها كَفَر؛ لأنه مكذِّب لله ورادٌّ لتشريعه، وإن لم يستحلَّها وهو يعتقد تحريمها، فإنه لا يكفر، ولا يخرج من دائرة الإسلام، وأنه إذا مات مُصرًّا عليها يكون تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذَّبه، ثم بعد ذلك يخرجه من النار، ويدخله الجنة، ومن الأدلة علىٰ خروجه من النار قولُه ﷺ: «...**انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ**»[(١)].

وفي باب الأسماء والأحكام، هل يسمَّىٰ مؤمنًا كلٌّ من الزاني، والسارق، علىٰ وجه الإطلاق؟ لا، لا يعطىٰ الاسم المطلق، فلا يقال: مؤمن، ويطلق. وإنما يقال: مؤمن ناقص الإيمان. أو يقال: مؤمن فاسق. مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، فلا يُسلب مطلق الاسم، ولا يعطىٰ مطلقه، مطلق الإيمان، فلا يقال: مؤمن، ويسكت أبدًا؛ لأن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يعاقبه بأن ينزع وصف المدح، ويعلِّق عليه الذمَّ وهو الفسق، فيقال: فاسقٌ بكبيرته، مؤمنٌ بإيمانه.

ومن الأدلَّة أيضًا: حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَه إلا الله. ثُمَّ مَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**». قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ:

(١) قطعة من حديث، أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣)، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

«وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ». قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ». قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ عَلَىٰ رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ»(١)، فهذا من الأدلَّة علىٰ أن المؤمن لا يخرج من الإيمان بارتكاب الكبيرة وبالمعاصي، وإنما يخرج منها بالكفر الواضح، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

فالشرك لا يُغفر، وما دون ذلك من المعاصي، فيتعلَّق بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذَّبه بذنبه، ثم لابدَّ من العفو، ولابُدَّ من الخروج من النار، هذا هو الحقُّ الذي دلَّ عليه الكتابُ والسُّنَّة، فالله تعالىٰ يقول: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨]، ويقول: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢]. فلو كان مرتدًّا بارتكاب الكبيرة، بأن يكون مستحلًّا لارتكابها، فهنا يأتي حديث: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»(٢).

إذا كان مرتدًّا، وقد قاتل الصحابة من ارتدُّوا؛ تنفيذًا لأمر الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذه كلها حجج علىٰ أهل الأهواء، وبراهين وحجج لأهل السنة أهل الوسط، ضد المرجئة الذين يقولون: إنه لا يضر مع الإيمان

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠١٧)، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

ذنب، والعمل ليس من الإيمان. وضد الخوارج الغلاة والمعتزلة الذين يخرجون المسلم من دائرة الإيمان، ويحكمون عليه بالخلود في النار.

❋❋❋

(٢٥) بَابُ بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٠٦)[٥٨] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ، ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، ح وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**». غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ: «**وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ**».

(١٠٧)[٥٩] وَحَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَاللَّفْظُ لِيَحْيَىٰ، قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سُهَيْلٍ نَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**».

(١٠٨)[٠٠] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ مَوْلَىٰ الْحُرَقَةِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مِنْ عَلَامَاتِ الْمُنَافِقِ ثَلَاثَةٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**».

التعليق:

[اللفظ الأول: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ**». والثاني: «**مِنْ عَلَامَاتِ الْمُنَافِقِ ثَلَاثَةٌ**»].

(١٠٩)[٠٠] وَحَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ الْعَمِّيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ أَبُو زُكَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْعَلَاءَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُحَدِّثُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَقَالَ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّىٰ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**».

(١١٠)[٠٠] وَحَدَّثَنِي أَبُو نَصْرٍ التَّمَّارُ، وَعَبْدُ الْأَعْلَىٰ بْنُ حَمَّادٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ يَحْيَىٰ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، ذَكَرَ فِيهِ: «**وَإِنْ صَامَ وَصَلَّىٰ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**».

التعليق:

[حديث آية المنافق مداره علىٰ عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وفيه: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا**»، وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وفيه: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ**»، وفي رواية: «**مِنْ عَلَامَاتِ الْمُنَافِقِ ثَلَاثَةٌ**»، وفيه زيادة من طريق يَحْيَىٰ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ، ومن طريق حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ: «**وَإِنْ صَامَ وَصَلَّىٰ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**». وهذه الزيادة إن شاء الله مقبولة؛ حصلت فيها متابعةٌ من حماد بن سلمة ليحيىٰ بن محمد بن قيس.

أمَّا معنى الحديث: فمعناه عند أهل السنة أن المراد بالنفاق هنا النفاق العملي، لا الاعتقادي، فإن بينهما فرقًا، فالنفاق الاعتقادي: هو أن يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر، وهذا النفاق الاعتقادي كفرٌ بالله عَزَّوَجَلَّ، وأهلُه في الدرك الأسفل من النار، أمَّا هذه الصفات فهي من علامات النفاق، قد يكون صاحبُها منافقًا نفاق الكفر، وقد يكون منافقًا النفاق العملي، وبحسب الحال: إذا كان مسلمًا، فنأخذه علىٰ ظاهره، ونقول: إن هذا نفاق عملي. وإذا كان فيه واحدة من هذه الأربع، التي ذكرها عبد الله بن عمرو بن العاص ففيه خصلة من النفاق، وإن اجتمعت فيه كان منافقًا خالصًا، وهذه فيها إشكال، لكن تأوَّلوها؛ لأن ظاهرها أنه منافق كافر، فخَالصٌ لا يشوبه شيء من الإسلام، والله أعلم، لكن تأوَّلوها بأنه يشبه المنافقين مشابهة قوية، والله أعلم، وعلىٰ كل حال فالنفاق نوعان: نفاقٌ عمليٌّ، ونفاقٌ اعتقاديٌّ، وهذه علامات النفاق العملي، فلا شك أن هذه الصفات ذميمة جدًّا، وهي من علامات المنافقين،

والعياذ بالله، وهي من الكبائر، كلٌّ واحدة منها كبيرةٌ من الكبائر، وقد تُفضي بصاحبها إلى النفاق الاعتقادي، والرسول ﷺ إنما قالها؛ تحذيرًا لأمَّته من الوقوع في شيء من هذه الصفات، وفي هذه الكبائر المُوبقة: الكذب، والخيانة، والغدر، والخُلف بالوعد، هذه من الكبائر والعياذ بالله، ودليلٌ علىٰ أن صاحبها في غاية السوء، دينيًّا وأخلاقيًّا، هذا لا يؤتمن عند الأمة لا علىٰ دين، ولا علىٰ دنيا، كيف وهو إذا اؤتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا حدث كذب، وإذا خاصم فجر، والعياذ بالله، فهذا في أحطِّ الدرجات من الأخلاق، والدين ماذا يبقىٰ له فيه، والله أعلم، وقد يكون منافقًا خالصًا، والعياذ بالله، فلنحذر من هذه الخصال؛ فإنها من علامات النفاق، نحذر من الكذب، نحذر من الخداع، نحذر من الخيانة، نحذر من الفجور في الخصومة، المؤمن مستقيمٌ في حال الرضا وفي حال الغضب، لا يفجُر في خصومته، ولا يكذب في تعامله، ولا يخون إذا اؤتمن إلخ، فالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يحذرنا من الوقوع في هذه الرذائل والمخازي، نعوذ بالله منها، وقد لا يبعد أن يكون بعضُ المتصفين بهذه الصفات من المنافقين، ولكن هذا منهج أهل السنة، بعيدون عن منهج الخوارج الذين يكفِّرون بالكبائر، فالخوارج يكفِّرون هذا الصِّنف؛ لأنه وقع في الكبائر، بل لو وقع في واحدة من هذه الكبائر فإنهم يكفرونه ويحكمون عليه بالخلود في النار إذا مات مُصرًّا عليها،

وأهلُ السنة لاعتدالهم وإنصافهم فالتكفير عندهم ليس بسهل، ولا يقدمون عليه إلا في حال الضرورة، إلا إذا كان هناك كفرٌ واضحٌ، حتىٰ المنافقون الأساسيون كانوا يعاملونهم معاملة المسلمين يأخذونهم بظواهرهم، ومآلهم وحقيقتُهم عند الله أنهم كافرون، ولكن نحن نأخذهم بظاهرهم، ونكل أمرهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وقد يتبيَّن للمسلم الذي يعاشر ويخالط يبدو له من كلامه ومن تصرُّفاته أنه منافق خالص، هذا إذا علم أنه منافق حقًّا، هذا لا يجوز أن يزوِّجه، ولا يجوز له أن يصلِّيَ خلفه، ولا أن يمشي في جنازته؛ كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [التوبة: ٨٤]. وكان عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يسأل حُذيفة عن الجنائز؛ لأن الرسول ﷺ أطلعه علىٰ أسماء بعض المنافقين، فإذا قال: إنه منافق.**لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ، وَأَمَرَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ**(١)].

❊❊❊

(١) أخرجه معمر في «الجامع» (١١/ ٢٣٨-٢٣٩-المصنف)، ومن طريقه البيهقي (٨/ ٣٤٧-٣٤٨)، عن الزهري مرسلًا.

ثم رواه البيهقي (٨/ ٣٤٨) من طريق آخر عن الزهري عن عروة بن الزبير، مرسلًا كذلك.

(٢٦) بَابُ بَيَانِ حَالِ إِيمَانِ مَنْ قَالَ لأَخِيهِ الْمُسْلِمِ: يَا كَافِرُ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١١١)[٦٠] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**».

(١١١)[••] وَحَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ التَّمِيمِيُّ، وَيَحْيَىٰ بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ جَمِيعًا، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ. فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**».

التعليق:

[هذا الحديث فيه التحذيرُ من تكفير المسلم، إذ تكفيرُ المسلم ليس بالسهل، فإنك إذا كفَّرته فإن كان كما قلت، وإلا حارت عليك، أي رجعت عليك، يعني: تقع في الكفر، ولكن ما هو هذا الكفر؟ قالوا: كفرٌ دون كفر.

الشاهد: أنه يرتكب كبيرة عظيمة جدًّا، يُطلَق عليها أنها كفر، وكفاها شرًّا أن يوصم من يقولها بأنه وقع في الكفر، والعياذ بالله، فهي من أكبر الكبائر، ولهذا ابتعد السلف عن التكفير، وحاربوا الخوارج؛ لأن التكفير يَعقُبه سلُّ السيوف، وسفكُ الدماء، ويترتَّبُ عليه الأحكامُ الخبيثة، من التكفير، والحكم بالخلود في النار، والعياذ بالله، ولهذا أهلُ السنَّة يوفِّقون بين الأحاديث، ويَجمعون بينها ويؤلِّفون بينها، ليسوا علىٰ طريقة المرجئة، الذين يتعلَّقون بنصوص الوعد، ولا علىٰ طريقة الخوارج الذين يتعلَّقون بنصوص الوعيد والذم، ويتجاهلون نصوص الوعد، والنصوصَ التي يؤخذ منها عند أهل السنة عدمُ تكفير المسلم، ويؤخذ منها بيانُ مقاصد الرسول من إطلاق هذا الكفر، ومن إطلاق نفي الإيمان، ومن إطلاق البراءة من مرتكب العمل المعيَّن، فيوفِّقُ أهلُ السنة بين النصوص ويخرجون بهذه النتائج؛ التي تدلُّ علىٰ الفقه في دين الله عَزَّوَجَلَّ ، الذي يقول فيه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(١). الفقه في الدين فقه أكبر -كما يقال-، وفقه أصغر، فالفقه الأكبر هو معرفةُ هذه العقائد، والتوفيق بين الأحاديث والآيات والتأليف بينها؛ لأنها كلُّها من عند الله؛ كما قال في القرآن: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤٢]، وكما

---

(١) تقدم تخريجه.

قال تعالىٰ في القرآن الكريم أيضًا: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، فالقرآن وحيُ الله وعلمُه، ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢] فليس فيه اختلافٌ، وليس فيه تناقضٌ، كما يرىٰ ذلك الزنادقة وأمثالُهم، وكما يضرب القرآنَ بعضَه ببعض أهلُ البدع والضلال؛ من الخوارج والمعتزلة والقدرية، أمَّا أهلُ السنة فعلىٰ منهج الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لا يضربون نصوص القرآن والسنة بعضَها ببعض، وإنما يؤلِّفون بينها، ويوفِّقون بينها، ولهذا ساروا علىٰ هذا المنهج العظيم، عندما يظهر شيءٌ من التعارض -ولا تعارض- فأوَّلُ خطوة يعملونها التوفيقُ والجمعُ بين النصوص، وبيان الأحاديث، فإذا لم يمكن الجمع فإنهم يتخذون خطوة أخرىٰ، هي البحثُ لمعرفة الناسخ من المنسوخ، فإن وجدوا أحدَهما ناسخًا والآخر منسوخًا، بيَّنوا ذلك، والأخبارُ لا ينسخ بعضُها بعضًا، وإنما هذا في الأوامر والنواهي، وأما الأخبار فلا تناسخ فيها، فإن لم يجدوا، ولم يقفوا علىٰ معرفة الناسخ والمنسوخ؛ رجَّحوا أقوىٰ الدليلين وأرجحها، رجَّحوه علىٰ الآخر، وإلا توقفوا، ليس عندهم خبط عشواء، سائرين علىٰ قواعد وأصول ونصوص مستمدة من كتاب الله ومن سنة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومرتكزة علىٰ هذين النصَّين وما شابههما، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ

اْخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، وقوله في حق الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤]، وقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لعبدِ اللهِ بْنِ عمرو بن العاص: «اُكْتُبْ»، لمَّا قَالَ: إن قريشًا تقول له: إن محمدًا بشرٌ يَتكَلم في حال الرضا والغضب. قال له رسول الله ﷺ: «اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ»(١).

الشاهد: أن هذه الأصول التي يسير عليها أهل السنة هي التوفيق بين هذه النصوص وبين النصوص الأخرىٰ التي تُشعِر بحرمة المسلم وأنه ما يجوز تكفيره، وأن من كفَّره فقد ارتكب أمرًا إدًّا أمرًا خطيرًا، فإنه إذا رمىٰ غيره بالكفر إن لم يكن كما قال وإلا حار عليه، والحور: الرجوع، إما نفس الكفر يرجع إليه علىٰ قول، ولكن كفر دون كفر، وإما يرجع إليه الإثم، إثم قوله؛ لأنه كبيرة من الكبائر].

***

(١) رواه أحمد (٦٥١٠) و(٦٨٠٢)، والدارمي (٥٠١-الداراني)، وأبو داود (٣٦٤٦)، والحاكم (١/ ١٨٧). وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٣٢).

(٢٧) بَابُ بَيَانِ حَالِ إِيمَانِ مَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١١٢)[٦١] وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ الْمُعَلِّمُ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ يَعْمَرَ أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَىٰ لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ، وَمَنِ ادَّعَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا، وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ. وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ**».

(١١٣)[٦٢] وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرٌو، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ عِرَاكِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ**».

(١١٤)[٦٣] وَحَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمُ بْنُ بَشِيرٍ، قَالَ:

أَخْبَرَنَا خَالِدٌ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: لَمَّا ادُّعِيَ زِيَادٌ لَقِيتُ أَبَا بَكْرَةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمْ؟ إِنِّي سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ يَقُولُ: سَمِعَ أُذُنَايَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «**مَنِ ادَّعَىٰ أَبًا فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ أَبِيهِ، يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ؛ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ**». فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

(١١٥)[٠٠] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ زَكَرِيَّاءَ بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ سَعْدٍ، وَأَبِي بَكْرَةَ، كِلَاهُمَا يَقُولُ: سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي مُحَمَّدًا ﷺ يَقُولُ: «**مَنِ ادَّعَىٰ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ، فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ**».

التعليق:

[الانتساب إلى غير الأب والتبنِّي كان موجودًا في الجاهلية، حتىٰ إن زيد بن حارثة تبنَّاه النبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قبل نزول التحريم، فكان يقال له: زيد بنُ محمد، ثم أنزل الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ تحريم هذا واستنكاره أشد الاستنكار، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّا

كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وللقضاء علىٰ هذه العقيدة والفكرة الجاهلية كلَّف الله محمدًا ﷺ أن يتزوَّج طليقة زيد، الذي كان ينادىٰ بزيد بن محمد، وترتَّب علىٰ هذا أنه في الجاهلية كان يحرم عليه أن يتزوَّج زوجة هذا المتبنَّىٰ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمره أن يتزوَّج زينب التي كانت تحت زيد، ثم طلَّقها، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

الشاهد: أن فكرة التبنِّي وادِّعاء الرجل غير أبيه كانت موجودة في الجاهلية وفي صدر الإسلام، ثم حرَّمها الله تحريمًا باتًّا، كما جاء في سورة الأحزاب، ثم الرسول الكريم بالغ في هذا الأمر، وشدَّد فيه، حتىٰ جاء أن الانتساب إلى غير الأب من الكفر، فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَىٰ لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ، وَمَنِ ادَّعَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا، وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ. وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ**»، فهذه الأمور من الكبائر، ومنها الانتساب إلى غير الأب وهو يعلمه، يعلم أنه ابنُ فلان وليس ابنَ فلان، ما تفسير «**إِلَّا كَفَرَ**»؟ يعني: إذا كان مستحلًّا لذلك فهو كافر كفرًا أكبر يخرج به

من الملة، وإذا كان لا يستحل ذلك فهذا من الكبائر، وهو ما يقال فيه: إنه كفر دون كفر؛ لأنه ارتكب عملًا من أعمال الجاهلية، وشابه الكفار، وإذا كان مستحلًّا فقد استحلَّ ما حرَّم الله، بنص كتابه وسنة نبيِّه، وأجمع عليه المسلمون، فهو كافر، كفر كفرًا يخرج من الملة إذا استحلَّ ذلك، أو قال: «**عَدُوُّ اللهِ. وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ**». فقال لمسلم: يا كافر. أو قال له: يا عدو الله. فأعداء الله هم الكفار، والمؤمنون أولياء الله، وكل مؤمن تقي فهو لله ولي، والكفار أعداء الله، قوله: «**وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ**»، أي: إنه إن لم يكن عدوًّا لله وليس بكافر، إلا حار عليه، إن كان يقصد أن الدين الذي أنت عليه كفر، الدين الذي جاء به محمد كفر، فهذا يكفر؛ لأنه طعن في الدين الذي جاء به محمد ﷺ، وإن كان القصد مثلًا: انتقام أو طفرة غضب أو ما شابه ذلك، وهو غير مستحل، فهذا وقع في كبيرة، ومن عقابه أن صاحبه إذا لم يكن كافرًا حَارَ وَرَجَعَ عَلَيْهِ، رَجَعَ إليه الكفر، فإن كان مستحلًا فهو الكفر الأكبر، وإن كان غير مستحل فهو كفر دون كفر، حار عليه أي صار هو الكافر، إن كان مستحلًّا فهو كافر حقًّا، وإن كان غير مستحلٍّ أطلق عليه الكفر، وهو الكفر الذي يقال: إنه كفر دون كفر، فهذه من الكبائر. قال: «**وَمَنِ ادَّعَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا**» فهذه براءة منه؛ ودليل علىٰ أن هذا أمر من الكبائر، وجزاؤه «**وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»، من ادَّعىٰ ما ليس له، كأن يدعي

نسبًا لَيْسَ له، قال مثلًا: أنا ابن هاشم. فكثير من الناس يدَّعون أنهم أبناء هاشم، أو أبناء عقيل، أبناء كذا، ادَّعىٰ مالًا ليس له، أو ادَّعىٰ أرضًا ليست له، ادَّعىٰ شيئًا من الأمور، ادَّعىٰ العلم وهو جاهل، ادَّعىٰ شيئا ليس له، «**فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»، فلا يدَّعي الإنسان شيئًا ليس له، سواء كان أمرًا من أمور الدنيا، أو الأنساب، أو الأموال، أو المراتب، أو ما شاكل ذلك، فيعرف قدر نفسه وينزِّل نفسه منزلتها، ولا يدَّعي ما ليس له، فهذا أمر مذموم جدًّا، والرسول ﷺ يتبرَّأ منه، «**فَلَيْسَ مِنَّا، وَلْيَتَبَوَّأْ**» براءةٌ ووعيدٌ بالنار، فمن علامات الكبيرة أنَّ ما يُتوعَّد عليها صاحبُها بالنار، أو بلعنة، أو بغضب، أو ببراءة، فكلُّ هذا من علامات الكبائر، وهذه تربية النبيِّ الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأمَّته، أن الإنسان يحفظ لسانه، ولا يتسرَّع باللعن، ولا بالتكفير، وبالسبِّ وما شاكل ذلك، ومن ادَّعىٰ ما ليس له من الأقوال الباطلة، كلُّ هذه تدخل في الأقوال والادعاءات الباطلة.

س: ما حكم من ادَّعىٰ الإمامة في الدين وهو ليس كذلك؟

ج: هذا سيِّئ جدًّا، وهذا يدخل في هذا الحديث، والحديث الآخر أيضًا من علامات الساعة: أنْ توسَّد الأمور لغير أهلها، كأن يعيَّن للناس مُفتٍ وهو جاهل، أو قاضٍ وهو جاهل، أو مدرِّس وهو جاهل، أو إمامُ مسجد وهو جاهل].

❊❊❊

(٢٨) بَابُ بَيَانِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١١٦) [٦٤] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارِ بْنِ الرَّيَّانِ، وَعَوْنُ بْنُ سَلَّامٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ، ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، كُلُّهُمْ عَنْ زُبَيْدٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**». قَالَ زُبَيْدٌ: فَقُلْتُ لِأَبِي وَائِلٍ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ عَبْدِ اللهِ يَرْوِيهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ. وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ شُعْبَةَ قَوْلُ زُبَيْدٍ لِأَبِي وَائِلٍ.

(١١٧)[٠٠] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ الْمُثَنَّىٰ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ مَنْصُورٍ، ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

التعليق:

[هذا فيه احترام المسلم، وعرضه، وماله، والنبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال في حَجَّة الوداع -كان من كلامه كما روى أبو بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «**أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟**»، فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ، قَالَ: «**أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ ؟**» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «**فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟**»، فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: «**أَلَيْسَ بِذِي الحِجَّةِ ؟**» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**»[(١)].

وهذا الكلام ما أراد به رسول الله ﷺ إلا تأكيد حرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، فللمؤمن عند الله حرمة عظيمة، دمه وماله وعرضه، ومن هنا يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**». القتال قد يؤدِّي إلى سفك دمه، وسبابُه انتهاكٌ لعرضه وحُرمته، فمن يسبُّ المسلم بغير حق يفسق، والفسوق خروج عن الحق، خروج عن تعاليم الإسلام، والعياذ بالله، وفي هذا خروج عن الحق، وعن صفات المؤمنين وأخلاقهم، المقاتل والساب، من صفة مؤمن إلى صفة فاسق، والعياذ بالله، قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩).

﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحُجُرات: ١١] فالذي يسخر ويلمز وينبز بالألقاب القبيحة يخرج إلى الفسق، من الوصف بالإيمان إلى الوصف بالفسق، وهذه من حصائد الألسن التي يقول فيها الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»(١) عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فهو يعلِّم المسلمين الآداب، والأخلاق العالية، واحترام المسلمين بعضهم لبعض، واحترام دمائهم وأموالهم وأعراضهم، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فهنا يقول في هذا الحديث: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ». ما هذا الكفر؟ إن كان مستحلًّا لقتاله ودمه فهو كافر كفرًا أكبر، وإن كان غير مستحلٍّ فهو كفر دون كفر، ومعنىٰ ذلك أنه فعل أفعال الكفار، أو أن هذا العمل يؤدِّي به إلى الكفر، كما فسَّروا هذا الحديث بعدَّة تفسيرات(٢)، هذا من حيث معنىٰ الحديث.

أما الإسناد: فالنوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ نبَّه علىٰ بعض الأشياء، أن بعض النسخ التي وقف عليها ابنُ الصلاح ليس فيها الإسناد عن عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان..، وبناء علىٰ هذا استنكر قوله: "كلهم"، يعني: سفيان وشعبة

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: "حسن صحيح".

(٢) انظر: "شرح مسلم" للنووي (٢/ ٥٤)، و"فتح الباري" لابن حجر (١/ ١١٢-١١٣).

كلهم عن زُبَيد، فابنُ الصلاح استنكر قوله: "كلهم" وهما اثنان، يعني: كان عليه -أي: الإمام مسلم- أن يقول: كلاهما(١).

وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**» تضمّن أمورًا، منها: أن الله حرَّم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، كما حرَّم البيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام؛ كما في خطبة حجة الوداع، ومنها: تأكيد علىٰ شدة حرمة المؤمن، وأن المؤمن عليه أن يحترم أخاه، فلا ينال من عرضه، ولا ينال من دمه، ولا ينال من ماله شيئًا؛ لأنها كلها حرام وشديدة الحرمة، سبابه فسوق، سبُ المسلم بغير حق يخرج المسلم من دائرة الإيمان الكامل إلى دائرة الفسق.

و«**قِتَالُهُ كُفْرٌ**» هذا ذنب أغلظ، إذا استحلَّه فهو كافر، وإذا لم يستحلَّه فقد وقع في كفر يسمَّىٰ كفرًا دون كفر، أما إذا كان مستحلًّا ذلك، فإنه قد استحل حرامًا حرَّمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بكتابه وبسنة نبيِّه وإجماع المسلمين، فيكون بالاستحلال كافرًا لا شك فيه، وإذا كان يعتقد حرمة هذا وأن الله حرَّمه وأن الرسول ﷺ حرَّمه، فإنه يكون قد وقع فيما يسمىٰ بالكفر، وهو كفر دون كفر، وهو ذنب عظيم أكبر من الكبيرة، يكفيه أن الرسول ﷺ أطلق عليه الكفر؛ لعظم هذا الذنب، والمسلم الذي يريد وجه الله والدار الآخرة يحترم

(١) انظر: «شرح مسلم» (٢/ ٥٤-٥٥)، و«صيانة صحيح مسلم» (ص٢٣٩).

المسلمين ودماءهم وأموالهم وأعراضهم، إلا ما أباحه الشرع، «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: النَّفْسِ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبِ الزَّانِي، وَالتَّارِكِ لِدِينِهِ الْمُفَارِقِ لِلْجَمَاعَةِ**».(١)

يعني إذا ارتكب الإنسان مُوجبًا من هذه الموجبات؛ فإنه يباح حينئذ الدمُ بشرع الله عَزَّوَجَلَّ، إذا زنىٰ وهو مُحصَن فإنه يُقتلُ بهذه الجريمة، وإذا قتل نفسًا فالقصاص؛ كما شرع الله ذلك: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥] و﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨].

والتارك لدينه، إمَّا أن يرتدَّ، فحكمه القتل؛ لقوله ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»(٢)، وإمَّا أن يفارق الأمَّة ويسلَّ عليها السيف كالخوارج؛ فيقاتَل ويُقتَل، كما أمر الرسول ﷺ بقتل الخوارج فقال: «**فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ**»(٣).

فإذا لم يرتكب شيئًا من هذه الأمور، فإنه يبقىٰ علىٰ أصل الحُرمة، والحرمة العظيمة عند الله عَزَّوَجَلَّ التي تعادل حرمة البيت الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام، والرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال هذا الكلام في حجَّة

---

(١) حديث، أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) قطعة من حديث، أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦)، عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الوداع؛ تأكيدًا لحُرمة الدماء والأموال والأعراض، كذلك عرضُه فإنه لا يجوز استحلاله، إلا إذا ارتكب موجبًا، إذا وقع في بدعة ونشرها، فيحذَّر منه ويبيَّن حالُه، وإذا كان يكذب علىٰ الرسول ﷺ يُبَيَّن كذبُه، فهذه أمور عظيمة أباحها الله لحماية دينه، ولحماية أموال الناس ودمائهم وأعراضهم، كذلك إذا كان عليه دَيْنٌ فيماطل ولا يريد أن يؤديه، فيُحبَسُ ويؤخذُ منه، وإذا منع الزكاة تؤخذ منه الزكاة قهرًا، ويقاتل عليها، والأصل الحرمة، وإذا وجدت الأمور التي تبيح ماله وعرضه فهذا أمر استبيح بشرع الله عَزَّوَجَلَّ].

❊ ❊ ❊

(٢٩) بَابُ بَيَانِ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لا ترجعوا بَعْدِي كُفَّارًا يضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»

قَالَ الإمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١١٨) [٦٥] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَابْنُ بَشَّارٍ، جَمِيعًا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، ح وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ، وَاللَّفْظُ لَهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُدْرِكٍ، سَمِعَ أَبَا زُرْعَةَ، يُحَدِّثُ عَنْ جَدِّهِ جَرِيرٍ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ». ثُمَّ قَالَ: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**».

(١١٩) [٦٦] وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

(١٢٠) [٠٠] وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ خَلَّادٍ الْبَاهِلِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ

زَيْدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ، يُحَدِّثُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «وَيْحَكُمْ - أَوْ قَالَ: وَيْلَكُمْ - لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».

(١٢٠) [••] وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَنَّ أَبَاهُ، حَدَّثَهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ شُعْبَةَ، عَنْ وَاقِدٍ.

التعليق:

[هذا من تأكيد النبيِّ ﷺ لحُرمة دماء المسلمين، ويُشبه قولَه: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**». وهنا قال: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**». وفي الحديث أن النبيَّ ﷺ طلب من جرير أن يستنصت الناس، فالقضية عظيمة جدًّا، هو يريد أن يكون هذا البلاغ عامًّا يسمعه الناس ويعوه من النبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لأن المسألة عظيمة، ففيه استنصاتُ العالِم للناس إذا كان عنده ما ينفع الناس، أو يدفع عنهم ما يضرهم، وهذا من التبليغ علىٰ أفضل الوجوه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، استنصت جريرٌ الناس وسكَّتهم واستعد للسماع، فخطب النبيُّ ﷺ خطبته المشهورة في حجَّة الوداع، ومن ضمنها قولُه: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**». فهذا نهيٌ شديدٌ جدًّا عن قتال المسلم لأخيه المسلم؛ فإن هذا إذا كان

علىٰ أساس الاستحلال فهو كفر فعلًا، وخروجٌ من الملَّة؛ لأنه يستحلُّ شيئًا من أعظم الحرمات التي حرَّمها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ وهو سفكُ دم المسلم بغير حق، وإن كان غير مستحلٍّ فقد ارتكب ظلمًا عظيمًا، ويُطلَق عليه الكفرُ، وهو كفرٌ دون كفر، وقد يأتي إشكالٌ؛ وهو أن الصحابة قاتل بعضُهم بعضًا، فيقال: إن الصحابة مجتهدون، ومتأولون، وكلٌّ منهم يرىٰ نفسه أنه علىٰ حق، فهم يُعذَرون، ولا يدخلون في هذا الحديث إن شاء الله، كما هو فقه أهل السنة، فلم يقتتلوا علىٰ أمور جاهلية ولا أمور دنيوية ولا كذا... إلخ، فالذي حصل للصحابة -رضوان الله عليهم- من الفتن التي حصلت والتبست فيها الأمور، وكلٌّ طرف يرىٰ نفسه أنه علىٰ الحق، ولهذا قال الرسول ﷺ: «**يَقْتُلُهُمْ** -أي: الخوارج- **أَدْنَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ**»(١). فصيغة «**أَدْنَىٰ**» تدلُّ أنهم كلهم -إن شاء الله- علىٰ الحق، ولكن عليًّا ومن معه أدنىٰ إلى الحق، ولهذا حثَّ الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علىٰ قتل الخوارج؛ لأنهم أهل باطل، وأمَّا هؤلاء الصحابة ومن معهم فإن رسول الله ﷺ مدح من يُنهي الفتنة بينهم، ويصلح الله به بين المسلمين، فقال ﷺ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»(٢). فكان هذا من فضائل الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ومن هنا كره أهلُ الحديث والذين توقَّفوا من الصحابة

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه مسلم (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) حديث، أخرجه البخاري (٢٧٠٤)، عن أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وغيرهم من علماء الإسلام - هذا القتال، حتىٰ وإن كان عليٌّ علىٰ الحق، فإن القتال الذي حصل أمرٌ مكروهٌ لا شك، وكان الصلح أولىٰ، بل كان التنازل أولىٰ، فالحسن له الحق ومع ذلك تنازل؛ ولهذا مُدِح، ولم يمدح رسولُ الله ﷺ إحدىٰ الطائفتين؛ ما مدح جيش عليٍّ، ولا جيش معاوية، مع علمه أنهم كلهم من أصحابه، وهذا علىٰ الحق الأكمل، وهذا علىٰ الحق الأقل؛ لهذا ومن هذه النصوص تأوَّل السلفُ الصالحُ للصحابة، وليس مجاملةً ولا نفاقًا، وإنما أخذًا من هذه النصوص واهتداءً بِهَا في موقفهم من هاتين الفئتين].

❁ ❁ ❁

(٣٢) بَابُ: بَيَانِ كُفْرِ مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِالنَّوْءِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٢٥) [٧١] حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَىٰ مَالِكٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**».

(١٢٦) [٧٢] وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَىٰ، وَعَمْرُو بْنُ سَوَّادٍ الْعَامِرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ الْمُرَادِيُّ، قَالَ الْمُرَادِيُّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، وَقَالَ الْآخَرَانِ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَىٰ مَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: مَا أَنْعَمْتُ عَلَىٰ عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ، يَقُولُونَ: الْكَوَاكِبُ وَبِالْكَوَاكِبِ».

(١٢٦) [٧٣] وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ الْمُرَادِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، ح وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ سَوَّادٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ أَنَّ أَبَا يُونُسَ مَوْلَىٰ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ بَرَكَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ بِهَا كَافِرِينَ، يُنْزِلُ اللهُ الْغَيْثَ فَيَقُولُونَ: الْكَوْكَبُ كَذَا وَكَذَا». وَفِي حَدِيثِ الْمُرَادِيِّ: «بِكَوْكَبِ كَذَا وَكَذَا».

(١٢٧) [٠٠] وَحَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ وَهُوَ ابْنُ عَمَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو زُمَيْلٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: مُطِرَ النَّاسُ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللهِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا». قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ [الواقعة: ٧٥]، حَتَّىٰ بَلَغَ:

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٢].

التعليق:

[هذه الأحاديث تتضمَّن ترسيخ العقيدة في نفوس المؤمنين، وتُنزِّه هذه العقيدة من الشرك ومن ألفاظه؛ لأن المتكلِّم بهذا الكلام: «**مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا**». قد يكون كافرًا إذا كان يقصد أن المطر إنما أنزلَتْه الكواكبُ، أو أن لها تأثيرًا ومشيئةً في إنشاء هذا المطر وإنزاله، متناسيًا ربَّ هذا الكون والمتفضِّلَ علىٰ عباده بهذه الرحمة، فهذا كفرٌ لا خلاف فيه، إذا كان يقصد أنها مدبِّرة ومُنشئة مع الله أو دونه، ويشبه هذا -والله أعلم- وأشدُّ منه ما يعتقده أهلُ الضلال في الأولياء أنهم يعلمون الغيب ويتصرَّفون في الكون، فهذا قولٌ في تفسير الحديث، من قاله علىٰ هذا الوجه فإنه لا شك أنه كافر، أن الكواكب لها تأثير، ولها تدبير، فينسب إليها هذا علىٰ أنها مُدبِّرة مُنشئة، فهذا كفر لا شك فيه، أما إذا كان يعتقد أن الله هو الذي تفضَّل علىٰ عباده بهذه الرحمة وأنزل عليهم الغيث، ولكن يرىٰ أن هذا النجم هو وقتُ نزول المطر، فهذا شركٌ في اللفظ، لا يجوز أن يقوله المسلم؛ لأنه بذلك يشابه الكفار أهل الجاهلية، ولا يجوز له ذلك، ويرىٰ النوويُّ أن هذا مكروهٌ كراهةَ تنزيهٍ(١)، ولكن هذا خطأ، ليس بكراهة تنزيه، وإنما هو محرَّم؛ لأنه إذا كان الجاهليون يعتقدون

---

(١) «شرح مسلم» (٢/ ٦١).

أن النجوم تدبِّر وتُنشئ، وأنت تحاكيهم وتقول مثل قولهم، فهذا قد يدخل في قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[(١)]. فهذه من الكبائر، ومن الشرك اللفظي الذي لا ينبغي أن يقوله المسلم، بل يسند هذه النعمة إلى الله، ويقول: إن الله تفضَّل علينا، ورحمنا بإنزال هذا الغيث، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأما أن يقول: مُطرنا بنوء كذا، مُطرنا بنوء الثريا، بنوء الهَقْعَة، نوء الهَنْعَة ...، فقد كان الكفار والجاهليون يُسندون إنزال المطر إلى هذه الكواكب، والعياذ بالله، قال النبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟». قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ. -فهذا الذي يبنغي أن يقوله المسلم- فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا. فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ».

فالمسلم الحريص علىٰ رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والحريص علىٰ حفظ لسانه وقلبه من هذه الألفاظ والأقوال لا يقول هذا الباطل؛ لأن الرجل قد يتكلم بالكلمة لا يُلقي لها بالًا، فتهوي به في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب، وقد يكون هذا من هذا الباب إذا كان غير معتقد، أما إذا كان معتقدًا علىٰ الوجه الذي ذكرناه، فهذا لا شك كفرٌ مُخرِج من الملَّة، وهنا

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه أحمد (٥١١٤) و(٥١١٥)، وأبو داود (٤٠٣١)، عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقد جود إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم" (١/ ٢٦٩-العقل).

تكلَّم الشارح عن النوء[1]، والنوءُ: مصدر نَاء يَنوء نَوْءًا، وهذا من إطلاق المصدر علىٰ الفاعل الذي هو مصدر: ناءَ، أي: برز، وهو الكوكب، ويقولون: هذه الكواكب هي عبارة عن منازل القمر الثمانية والعشرين، يسقط فىٰ كل ثلاثة عَشْرَةَ لَيْلَةً مِنْهَا نَجْمٌ فِي الْمَغْرِبِ مَعَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَيَطْلُعُ آخَرُ يُقَابِلُهُ فِي الْمَشْرِقِ مِنْ سَاعَتِهِ، فيكون مجموع المنازل ثمانية وعشرين في السنة، وهذه الكواكب من سنَّة الله عَزَّوَجَلَّ وتنظيمه لهذا الكون، فهناك كواكبُ تغيب، ويقابلها كواكبُ أخرىٰ تطلع في نفس الوقت، فالعرب كانوا يعرفونها، وكانوا يستخدمون هذا العلم في أسفارهم ومعاشهم؛ كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝١٦﴾ [النحل: ١٦].

فهناك علمُ تسيير، وهناك علمُ تأثير، فعلمُ التسيير الذي فيه مصالح العباد؛ يعرفون به متىٰ يزرعون، وهذا الوقت يصلح لزراعة النوع الفلاني من الفواكه ومن الخضار ومن الحبوب، ومواسم يُنزل الله تعالىٰ فيها غيثه ورحمته، يعرفون هذا، ويعرفه الناس إلى يومنا هذا، ومعرفة الحساب، ومعرفة المواقيت.

وهذا ما يسمَّىٰ بعلم التيسير، وذاك الباطل يسمَّىٰ علم التأثير، أي: اعتقاد أن للكواكب تأثيرًا في حياة الناس من السعادة والشقاء والأمراض والأحداث].

❋❋❋

(١) انظر: "شرح مسلم" (٢/ ٦١).

(٣٣) بَابُ الدَّلِيل عَلَى أَنَّ حُبَّ الأَنْصَارِ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنَ الإِيمَانِ وَعَلَامَاتِهِ وَبُغْضَهُمْ مِنْ عَلَامَاتِ النِّفَاقِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١٢٨) [٧٤] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَبْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ الْمُؤْمِنِ حُبُّ الْأَنْصَارِ**».

(١٢٨) [٠٠] وَحَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدٌ -يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ-، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**حُبُّ الْأَنْصَارِ آيَةُ الْإِيمَانِ، وَبُغْضُهُمْ آيَةُ النِّفَاقِ**».

(١٢٩) [٠٠] وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ، ح وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ، وَاللَّفْظُ لَهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي الْأَنْصَارِ: «**لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ**

أَحَبَّهُ اللهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ». قَالَ شُعْبَةُ: قُلْتُ لِعَدِيٍّ: سَمِعْتَهُ مِنَ الْبَرَاءِ؟ قَالَ: إِيَّايَ حَدَّثَ.

(١٣٠) [٧٦] وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، يَعْنِي ابْنَ عَبْدِالرَّحْمَنِ الْقَارِيَّ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**».

(١٣٠) [٧٧] وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، ح وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**».

(١٣١) [٧٨] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، ح وَحَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ، وَاللَّفْظُ لَهُ، قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ زِرٍّ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: «**أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ**».

التعليق:

[الذي يحبُّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ويحبُّ دينه، يحبُّ من يأتي بهذا الدين،

كالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- الذين بلَّغوا الرسالات وأدَّوا الأمانات، ومنهم نبيُّنا محمد ﷺ، وكذلك المؤمن يحبُّ من يرفع راية هذا الدين، فالأنصار نصروا هذا الدين، وأحبُّوه، وبذلوا في نصره ونشره مُهَجَهم وأموالهم، هؤلاء محبَّتُهم علامةُ الإيمان، وبُغضُهم علامةُ النفاق؛ لأن الذي يحبُّهم يحبُّهم لله، من أجل ما بذلوه في إعلاء كلمة الله ونصرة دينه، وبذل الأنفس والأموال في إعلائه، والذي يُبغضهم ما يُبغضهم إلا لأنهم أعزُّوا هذا الدين وأكرموه، وعزَّروا هذا الرسول ونصروه، فلا يكون إلا منافقًا والعياذ بالله، لأن هذا البغض من أجل دينه، لا من أجل شيء آخر؛ فيكون منافقًا، أمَّا ما يكون من الخصومة الشخصية بينه وبين فلان في الأمور الدنيوية، وأبغضه لأجل هذه الأمور؛ فهذا لا يجوز، ولكنه ليس نفاقًا.

كذلك حبُّ عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وسائر الصحابة وليس خاصًّا بعليٍّ، يعني الذي يبغض أبا بكر وعمر وعثمان من باب أولىٰ لا يبغضهم إلا من أجل هذا الدين، مثل الروافض لعنة الله عليهم وأخزاهم الله، يرفضون أبا بكر وعمر من أجل هذا الدين، زنادقتهم هذا هدفُهم، ووضعوا هذا المنهج لهذا الهدف، قبَّحهم الله، فليس هذا خاصًّا بعليٍّ، ولكن بعليٍّ وإخوانه من الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة، الذي يبغض المهاجرين أولىٰ بعلامات النفاق، من أبغض الأنصار لأنهم أنصار أيضًا في نفس الوقت، المهاجرون هم

أنصارٌ؛ أنصار الله وأنصار دينه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤].

فكلُّهم أنصارُ الله وأنصار دينه، قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. وقال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠].

فالأنصار والمهاجرون اشتركوا في هذه الصفات العظيمة التي امتدحهم الله بها، كذلك قال الله تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]. خرجوا من أجل هذه الأمور العظيمة، ومنها نصرُ الله ورسوله ﷺ، وقال في الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر ٩، ١٠]، فأولياءُ الله وأحبَّاؤه هم هؤلاء الأصناف الثلاثة، ومن عاداهم فهو من أعدائه.

الصنف الأول: المهاجرون، وقد ذكر صفاتهم العظيمة.

الصنف الثاني: الأنصارُ الذين تبوَّءوا الدار والإيمان، ووصفهم الله بهذه الصفات العظيمة؛ من نصر الله والإيثار؛ إيثار إخوانهم المهاجرين علىٰ أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة، وشهد الله لهم بأنه قد وقاهم شُحَّ أنفسهم، فنفوسُهم سَمحة وسَخيَّة، يبذلون المال والمساكن والمزارع لمن يَفِد إليهم مُناصرًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ورسوله ﷺ ويُؤونه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

الصنف الثالث: الذين اتَّبعوهم بإحسان، ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

فنسأل الله أن يطهِّر قلوبنا من الغلِّ لأصحاب محمد ﷺ ولغيرهم من المؤمنين، وأن يجعلنا ممن يحبُّهم ويتولَّاهم، وأمَّا الذين في قلوبهم غِلٌّ كالروافض والخوارج، فأبعدهم الله، وأخذ الله بحق أوليائه منهم، وقد استنبط العلماء من هذا التصنيف من الصحابة المهاجرين والأنصار وإخوانهم الذين جاءوا من بعدهم، قالوا: من عاداهم فلا يستحقُّ شيئًا من الفيء، يعني: إذا كان هناك جهادٌ وغنائم وفيءٌ فلا يستحقونه، قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح: ٢٩] من المهاجرين والأنصار، ﴿أَشِدَّآءُ

عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

الشاهد: أن هذه الصفات لأصحاب محمد ﷺ مهاجريُّهم وأنصاريُّهم رضوان الله عليهم ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ إلى آخر الصفات، وهذه الصفات موجودةٌ في التوراة وفي الإنجيل، فالله تعالىٰ يشيد بفضلهم ومكانتهم ومنزلتهم في الكتب السماوية في التوراة والإنجيل والقرآن، فكفاهم شرفًا ومنزلة وفضلًا، هذه المزايا العظيمة حباهم الله إيَّاها، وكلها يتجاوزُها أعداءُ أصحاب محمد ﷺ، فيبهتونهم ويقذفونهم، نسأل الله العافية، أما المؤمنون الصادقون فإنهم ينزلونهم منازلهم، ويرون أنهم أسوة وقدوة لهذه الأمة، ولهم من الفضل علىٰ هذه الأمة ما نصَّ الله عليه ورسولُه، وما لا يعلمه إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويعرف المؤمنون منه الشيء الكثير، ومنها حفظُهم لهذا الدين، وتبليغُه، والجهاد في سبيله، وبذل الأموال والأنفس لنصره، ففتح الله بهم الشعوب، وفتح الله بهم قلوب الناس، وامتلأت الدنيا بعلمهم وفضلهم وخيرهم وإحسانهم إلى الناس، فرحمة الله عليهم ورضوانه، ومنهم عليٌّ والأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فإن كان النصُّ في هؤلاء، فهناك من

يشاركهم؛ إما في مستواهم، وإما دونهم، وإما فوقهم وأولىٰ منهم، علىٰ حسَب ترتيب الصحابة في الفضل، وعلىٰ رأسهم الصديق والفاروق وعثمان وعليٌّ رضوان الله عليهم؛ لأنهم بذلوا في نصرة الإسلام الشيء الكثير، أبو بكر بذل ماله ونفسه من العهد المكي، فكان من كبار تجار قريش، فأفنىٰ ماله في طاعة الله وفي فداء المستضعفين من المؤمنين، وفي غزوة تبوك قدَّم ماله كلَّه، فقال رسول الله: «مَاذَا تَرَكْتَ لِأَهْلِكَ؟». قال: تَرَكْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وعثمان بذل الشيء الكثير، وعمر بذل شطر ماله رضوان الله عليهم[1]، وعليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كذلك بذل ماله، والأنصار كذلك بذلوا أنفسهم وأموالهم رضوان الله عليهم.

الشاهد: أنَّ الروافض يخصُّون بهذا عليًّا، وليست من خصوصيته، بل يشاركه فيها غيرُه من أصحاب محمد ﷺ، دلَّ علىٰ ذلك نصوصٌ كثيرةٌ من الكتاب والسنَّة، ويؤكِّده واقعُهم العظيم].

❊ ❊ ❊

(١) روىٰ أبو داود (١٦٨٧)، والترمذي (٣٦٧٥) وقال: "حسن صحيح"، عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟»، قُلْتُ: مِثْلَهُ. قَالَ: وَأَتَىٰ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَىٰ شَيْءٍ أَبَدًا.

(٣٤) بَابُ بَيَانِ نُقْصَانِ الإِيمَانِ بِنَقْصِ الطَّاعَاتِ، وَبَيَانِ إِطْلَاقِ لَفْظِ الْكُفْرِ عَلَى غَيْرِ الْكُفْرِ بِاللهِ، كَكُفْرِ النِّعْمَةِ وَالْحُقُوقِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٣٢) [٧٩] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحِ بْنِ الْمُهَاجِرِ الْمِصْرِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنِ ابْنِ الْهَادِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ، وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**». فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ**». قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: «**أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ: فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ، فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ، وَتَمْكُثُ اللَّيَالِيَ مَا تُصَلِّي، وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ، فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ**». وَحَدَّثَنِيهِ أَبُو الطَّاهِرِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ بَكْرِ بْنِ مُضَرَ، عَنِ ابْنِ الْهَادِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، مِثْلَهُ.

(١٣٢) [٨٠] وَحَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ،

قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ح وَحَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، وَابْنُ حُجْرٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو، عَنِ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ مَعْنَىٰ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

التعليق:

[في هذا الباب حديث ابن عمر وحديث أبي سعيد وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، أحال الحديثين حديث أبي سعيد وأبي هريرة علىٰ حديث ابن عمر، قال: بمثل حديث ابن عمر.

و الأمرُ بالصدقة مطلوبٌ من الرجال ومن النساء، إن الله حثَّ علىٰ الصدقة، ومدح المتصدِّقين، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وآياتٌ كثيرة تحثُّ علىٰ الصدقة، وتذمُّ البخل، فحثَّ الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علىٰ الصدقة كما في الحديث عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ، وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ،**

فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ». فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ**». قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: «**أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ: فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ، فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ، وَتَمْكُثُ اللَّيَالِيَ مَا تُصَلِّي، وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ، فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ**»، فأمرهن بالصدقة وإكثار الاستغفار، فإن في الصدقة رفعًا للدرجات وتكفيرًا للسيئات، وكذلك في الاستغفار، وهنَّ أحوج ما يكون إلى الإكثار من الصدقة والاستغفار؛ لأنهنَّ أكثر أهل النار كما قال رسول الله ﷺ، يعني أمره لهن بالإكثار من الصدقة والإكثار من الاستغفار؛ لأنه رآهن أكثر أهل النار، فقالت امرأة منهنَّ جزلةٌ -يعني: عاقلة-: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ؟ تعني: بيِّن لنا السبب، فهذه فقيهة، فقال ﷺ: « **تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ** ».

ويؤخذ من الحديث: أن من أهمِّ وأشدِّ أسباب كونهنَّ أكثر أهل النار هذان الذنبان؛ وهما: الإكثارُ من اللعن، وكُفران العشير، فاللعن لا يجوز إطلاقًا، لا يجوز لعن المسلم، ولا يجوز لعن الكافر المعيَّن، ولا الدابّة، ولا يجوز اللعن في المعيَّن، إلا إذا علم أنه قد مات على الكفر، مثل فرعون، وأبي جهل، وأبي لهب، وأمثال هؤلاء الذين ماتوا على الكفر، فابنُ عبَّاس

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: "أبو لهب لعنه الله"(١).

أما المعيَّن فلا يجوز، ويجوز اللعن بالأوصاف؛ كما في الأحاديث: **«لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ»**(٢)، **«لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ تَعَالَىٰ»**(٣)، **«لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ، وَشَارِبَهَا»**(٤).

فهذا اللعن بالأوصاف ليس بالأعيان؛ لأن هذا فيه مصلحة للناس، وفيه نفع لهم، الذين يسمعون بمثل هذا يساق لهم حديثٌ في لعن هذه الأصناف، فينزجرون ويستفيدون، بدون أن تعيِّن وتجرح مشاعرهم، أما لعن المعيَّن ففيه ظُلم له، وفيه أذىٰ، ثم أضاف رسول الله ﷺ شيئًا ثالثًا، فقال ﷺ: **«وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ»** يعني هذه من خصالهن المذمومة، وهي أنها تغلب العقلاء، قد تقوده إلى ما لا يريده، من أمور قد تضرُّه في دينه أو دنياه، ولمَّا جاء أبو أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد دعاه ابنُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لوليمة، فرأىٰ ستارة خضراء علىٰ الباب، فغضب أبو أيوب

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨٣)، ومسلم (١٦٨٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٣١)، ومسلم (٢١٢٥)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٤٧٨٧)، وأبو داود (٣٦٧٤)، وابن ماجه (٣٣٨٠). قال الحافظ ابن عبد الهادي في "تنقيح التحقيق" (٤/ ٨٨): "إسناده حسنٌ، وقال شيخنا أبو العبَّاس: هو حديثٌ جيِّدٌ".

ورجع وقال: يا ابن عمر، والله لئن كنت أظن بأحد شيئًا من هذا، ما كنت لأظنه بك. قال: غلبنا النساء يا أبا أيوب[(١)]. يعني شيء يكرهه فغلبه عليه النساء، وقد يدخلن في النياحة، ويعجز الإنسان أن يَكُفَّهن، قد يقعن في أشياء من المخالفات، ويضعف الرجل أمام بعض المطالب التي قد تدخل في الترف؛ فيغلبنه.

فهنا المرأة سألت: وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: «**أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ: فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ، فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ**». كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. فهذا دليلٌ علىٰ نقصان العقل، كون شهادة المرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا دليلٌ علىٰ ضعف عقلها ونقصانه.

وفي هذه الأيام، ومن أيام قاسم أمين ومحمد عبدُه أثير الكلام عن حقوق المرأة وأنها مظلومة، ومن ظُلْمها أنها مثلُ الشاة محبوسة في البيت مثل الدجاجة، لا تخرج، لماذا لا تسْفِر؟ لماذا لا تعمل؟ لماذا...؟ ويذكرون

---

(١) القصة علقها البخاري في "صحيحه" (٩/ ٢٤٩-الفتح) بصيغة الجزم، ووصلها الإمام أحمد في "الورع" كما في "تغليق التعليق" (٤/ ٤٢٤)، ومسدد في "مسنده" (٢٢٢٣- "المطالب العالية")، والطبراني (٣٨٥٣). واحتج به أحمد كما في "مسائل ابنه صالح" (١٧٤٠-الهندية). وجوَّد إسنادها الألباني في "آداب الزفاف" (ص٢٠١-السلام).

المساواة بين الرجل والمرأة، ويقولون: الرجل ليس بأفضل من المرأة، وينادون بالمساواة، وفي هذه الأيام نداءٌ حارٌّ بالمساواة بين الرجل والمرأة والمطالبة بحقوقها، وهو امتدادٌ لدعوىٰ محمد عبده التي كان وراءها الإنجليز والفرنسيون لإفساد نساء المسلمين، وبإفسادهن تفسد المجتمعات الإسلامية، وذلك ما يريده أعداء الإسلام، ﴿وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة:٢] فهم يتمنَّون هذا، ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وكتبوا في هذا مؤلفات، ونادوا بها في مقالات وقصص ومجلات... إلخ، وكان ممن ينادي بذلك الغزالي، وقال: لها الحق أن تتولىٰ أعلىٰ منصب في الدولة إلا منصب الخلافة، فمن الممكن أن تكون رئيسة جمهورية أو رئيسة وزراء أو وزيرة أو سفيرة[1]، وأنا رددت عليه في كتابي "كشف موقف الغزالي[2]"، وبيَّنت الفروق الكبيرة بين الرجل والمرأة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، من حين تولد، ويُعَقُّ عن الصبيِّ بشاتين، ويُعَقُّ عنها بشاة، أليس هذا من الأدلة علىٰ أن الله ميَّز الرجل عن المرأة، يموت الميت عن عشرين امرأة أو مائة امرأة من بناته، لهنَّ الثلثان من ماله، وإذا مات عن طفل يرث المال كلَّه إذا لم يكن له وارثٌ غيرُه، و﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾

---

(١) انظر: «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث» (ص٦٠) دار الشروق، الطبعة السادسة، و«سر تأخر العرب والمسلمين» (ص٢٣)، دار نهضة مصر، الطبعة السابعة.

(٢) انظر (ص٥١-٦٣)، طبعة مجالس الهدىٰ بالجزائر، الطبعة الأولىٰ.

[النساء: ١١]، وهكذا إذا مات الولد عن أم وأب، فللأب الثلثان وللأم الثلث، كذلك القوامة؛ ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]، فلماذا أعطى الرجل القوامة ؟ ذلك لفضل عقله عليها، وهذا مما ميَّزه الله عَزَّوَجَلَّ به عنها، وفي الحقيقة المرأة لا تطالب بهذه الأشياء، ولكن شياطين الإنس هم الذين يثيرون هذه الأشياء؛ لقصد الفساد، لا لقصد الإصلاح، والمرأة في البيت إن كانت أمًّا فهي معظَّمة، وإن كانت أختًا كذلك، وإن كانت زوجة حصل التوادُّ والتراحم بينها وبين زوجها. أنا قلت: الآن الرجالُ هم المظلومون، تدخل الأسواق تجدها كلها حُلي وذهب وحرير للنساء، وليس للرجال منها شيء، الرجال في المخابز والمطابخ والعمارات وتكسير الجبال، وبعض النساء الآن لهن خادمات في البيوت، والرجل مسكين؛ يكدُّ ويتحمل الديون، واللهِ الذين يطالبون بالمساواة بين الرجل والمرأة يريدون أن يحمِّلوا المرأة ما لا تطيقه.

قال ﷺ: «**وَتَمْكُثُ اللَّيَالِيَ مَا تُصَلِّي، وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ، فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ**»، طبعًا الرجل ليس كالمرأة، فلا تطرأ عليه طوارئ تمنعه من الصلاة، إلا الأعذار العامة، ولا يمتنع عن الصلاة ما دام عقلُه سليمًا، حتى لو مرض أشد المرض، ولو كُسر أو جُرح، فلا يمتنع عن الصلاة، أما المرأة فتترك الصلاة في كل شهر، وغالبًا ما يفوتها صومُ بعض رمضان، هذا نقصانُ دينها،

تترك أعظم عبادة تقرِّبها إلىٰ الله، فإذا كان في كل شهر تترك رُبعه ولا تصلي، والرجل إذا مرض أو سافر وكان يعمل عملًا كُتب له ما كان يعمل، والحائض ليست كذلك؛ لأن هذا الرجل ينوي العمل وله الحق، والمرأة لا يجوز لها نيَّة الصلاة وهي حائض، أو نية الصيام وهي حائض، فهذا نقصان في دينها].

***

(٣٥) بَابُ بَيَانِ إِطْلَاقِ اسْمِ الْكُفْرِ عَلَى مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٣٣) [٨١] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ** - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ: **يَا وَيْلِي - أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ**».

(١٣٣) [••] حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «**فَعَصَيْتُ فَلِيَ النَّارُ**».

(١٣٤) [٨٢] حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ التَّمِيمِيُّ، وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، كِلَاهُمَا عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ يَحْيَىٰ: أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرًا، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**».

(١٣٤) [٠٠] حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ مَخْلَدٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**».

التعليق:

[هذا حديثُ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيه بيانُ أنه: «**إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ، اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ** -وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ: **يَا وَيْلِي- أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ**». وفي الرواية الثانية: «**فَعَصَيْتُ فَلِيَ النَّارُ**». فهذا دليلٌ علىٰ عظمة الصلاة، وعلىٰ مكانة الطاعة عند الله عَزَّوَجَلَّ، وعلىٰ خطورة المعصية، مَن يعص أوامر الله عَزَّوَجَلَّ فإنه مهدَّد بالنار، أو يدخلها إن كان كافرًا، أو كان مرتكبًا كبيرة وأراد الله تعذيبه، فمخالفة الأوامر ومخالفة النواهي أمر عظيم؛ لأنك تعصي جبَّار السموات والأرض الذي خلقك لعبادته، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأعطاك السمع والبصر والعقل، وأسبغ عليك النعم ظاهرة وباطنة، وسخَّر لك ما في السموات وما في الأرض، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكيف تعصيه؟ كيف تعصي أوامره؟ وكيف ترتكب نواهيه؟ فالشيطان عصىٰ استكبارًا وعنادًا، فكان أشقىٰ الأشقياء، والعياذ بالله، وكل ما لحق بني آدم من الشقاء فمن هذا

الخبيث، لكنه يندم ويتحسَّر حينما يرىٰ ابن آدم يتلو الآية فيها السجدة فيخرُّ ساجدًا، فيبكي ويتحسَّر ويقول: «**يَا وَيْلَهُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ: يَا وَيْلِي - أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ**». يندم ويتحسَّر كل يوم، ولكنه لا يتوب، والعياذ بالله؛ ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأعراف: ١٤، ١٥]، ويسعىٰ في إفساد بني آدم؛ ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧]، فهو يغار؛ يريد أن يجعل ابن آدم مثله.

الشاهد: أن السجود لله عَزَّوَجَلَّ طاعةٌ، وأمر عظيم، ويُغيظ الشيطان، ويثير فيه مكامن الحسد والحزن والألم في نفس الوقت، يقول: «**يا ويلي**» يعني: يا هلاكي، وهنا في رواية: «**يَا وَيْلَهُ**». قالوا: هذا كلام مستقبح، واحتمل الضمير عوده إلى المتكلم وهو يحكي الكلام، فمن الأدب أن نعيد الضمير إلى المحكي عنه، فالضمير يعود إلى الشيطان، فإنَّنا نعيده إلى الشيطان، يعني: هذه قاعدة في الأدب، الضمائر إذا كان فيها ما يُستقبَح ويُحتَمل عودُها إلى المتكلم، يصرفها عن نفسه بمثل هذا الأسلوب، ويجعله ضمير غيبة، وليس ضمير متكلم.

وحديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **في تارك الصلاة: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ**

وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ». فالصلاة أمر عظيم، وهي الركن الثاني بعد أصل الإسلام التوحيد، وهي أهم أعمدة الإسلام بعد الشهادتين، من أهمِّ ما يقوم عليه الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا، فأصل أركان الإسلام الشهادتان، وأهمها وأعظمها بعد الشهادتين الصلاة، شرعها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على المسلم كلَّ يوم خمس صلوات، سواء أكان مسافرًا أو حاضرًا أو مجاهدًا، لا تسقط عنه ما دام معه عقلُه، والرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يحافظ عليها في سفره وفي حضره وفي الجماعة، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويوصي بها، ومن آخر ما أوصىٰ به الصلاة[1]، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فكيف يتجرَّأ من يدَّعي الإسلام أو المسلم فيترك هذا الركن العظيم؟! ولهذا شدَّد الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيها، وبيَّن أن بين الرَّجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة، فإذا امتنع من ترك الصلاة كان بمأمن من الدخول في الكفر، فقيامه بها حاجز بينه وبين الكفر والشرك، فإذا تركها دخل في الكفر والشرك، وهنا يأتي اختلاف العلماء، هل هو الكفر الأكبر المخرج من الملة أو هو كفر دون كفر؟

اتفق العلماء أنه إذا تركها لا يرىٰ وجوبها مستحلًّا تركها، فهو كافر

---

(١) كما في «مسند أحمد» (٢٦٦٥٧) و(٢٦٧٢٧)، و«سنن ابن ماجه» (١٦٢٥)، من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

بالإجماع، وإذا تركها تكاسلًا وتهاونًا فهنا يأتي الخلاف بينهم، فكثيرٌ من العلماء؛ منهم الشافعي ومالك، ورواية عن أحمد أنه ليس بكافر كفرًا مخرجًا من الملة، ولكنه كفر دون كفر، ويحتجون بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ومن النصوص النبويَّة: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»[١]، وأحاديث الشفاعة... إلخ، ثم من لم يأخذ بهذا النص وأمثاله في تكفير تارك الصلاة، ومنهم أحمد في رواية، وبعض الصحابة، وكثير من علماء الإسلام، حتىٰ في رواية عبد الله بن شقيق: **"أن أصحاب محمد ما كانوا يرون شيئًا من العمل تركه كفر غير الصلاة"**[٢].

فالأمر عظيمٌ جدًّا، ويكفي أن الصحابة أو معظمهم أو كثيرٌ من علماء الإسلام قضوا بتكفيره وإخراجه من ملة الإسلام، ولو تكاسلًا.

والأمر مُختَلَفٌ فيه، ولكلٍّ دليله، وأنا أحيانا أرىٰ كذا وأحيانا أرىٰ كذا؛ لتكافؤ الأدلة كما يقال، فأهلُ السنَّة اختلفوا في هذه القضية، فمن يكفِّره لا يقال: خارجي. ومن لا يكفره لا يقال له: مرجئ، ويدرس المرء، فإذا اقتنع بأحد الرأيين مع عرض الأدلة فله ذلك، سواء هذا أو ذاك].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤)، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بنحوه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢).

س: ما حكم لعنُ أبي طالب؛ لأنه مات علىٰ الكفر؟

ج: الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يلعنه، والسلف لم يلعنوه، فترك هذا أولىٰ وإن كان مات علىٰ الكفر، والله ما تعبَّدنا بلعن الكفار، لما أثنىٰ الخوارج علىٰ عمر بن عبد العزيز خيرًا، قالوا: إلا أنك لم تلعن آباءك. فقال: كم رأيتم في القرآن لعن الله فرعون؟ وكم لعنتم فرعون؟ قالوا: لم نلعنه. قال: فكيف تأمرونني أن ألعن آبائي(١)؟! وإذا سببت أبا الصحابي قد يغضب لأبيه ولو كان يعلم أنه كافر، وفي الحديث: «**لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ**»(٢).

س: هل تلزم إقامة الحجة في تكفير المُعيَّن؟

ج: اليهوديُّ كافر، والنصرانيُّ كافر، ولكن كونهم قامت عليهم الحجة فهذا عند الله، وليس عندنا، والغالب علىٰ اليهود والنصارىٰ أنهم قامت عليهم الحجة، فهم كفار، فنحن ندعوهم إلى الإسلام، فإن أَبَوْا فالجزية، فإن أَبَوْا وكان عندنا القوة فنقاتلهم ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٖ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩]؛ فإن أَبَوْا فنقاتلهم حتىٰ نسبيَ نساءهم، ونَغْنَم أموالهم.

---

(١) انظر: "سيرة عمر بن عبد العزيز" لابن عبد الحكم (ص١١٢-١١٥/ أحمد عبيد)، و"أنساب الأشراف" للبلاذري (٨/ ٢١٢-٢١٦)، و"الكامل في التاريخ" لابن الأثير (٤/ ١٠٢-١٠٤/ تدمري).

(٢) رواه أحمد (١٨٢٠٨) و(١٨٢٠٩)، والترمذي (١٩٨٢)، وابن حبان (٣٠٢٢)، عن المغيرة بن شعبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

والروافض الذين يُكفِّرون الصحابة مثلُهم كفار، وخاصة علماؤهم، والذين لا يُكفِّرون الصحابة، ولا يقولون بأن القرآن محرَّف جهال عوام، هؤلاء لا يقال إنهم كاليهود، الروافضُ زنادقة، خاصة الذين يكفِّرون الصحابة، ويطعنون في زوجات الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويقولون: القرآن محرَّف، فيه زيادة، وفيه نقص، وعندهم قرآن غير هذا القرآن ينتظرونه... إلى آخر عقائدهم الكفرية، العلماء وغير العلماء عندهم كفار، فهم مكذِّبون لله ورسوله، حتىٰ قال بعضهم كفر الروافض كفر وسخٌ؛ لأنك لا تستطيع أن تحكي بعض كلامهم، ولا يقوله اليهود، ولا النصارىٰ، وهم أشد الناس حقدًا علىٰ المسلمين، وأشد من اليهود والنصارىٰ علىٰ أهل السنة].

❁ ❁ ❁

(٣٦) بَابُ بَيَانِ كَوْنِ الإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَى أَفْضَلَ الأَعْمَالِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٣٥) [٨٣] وَحَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ ح، وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ، يَعْنِي: ابْنَ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**إِيمَانٌ بِاللهِ**»، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**» قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**حَجٌّ مَبْرُورٌ**»، وَفِي رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: «**إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ**».

قَالَ: وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، قَالَ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

(١٣٦) [٨٤] وَحَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، ح وَحَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ هِشَامٍ -وَاللَّفْظُ لَهُ- قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي مُرَاوِحٍ

اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الْإِيمَانُ بِاللهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ**» قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا**» قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «**تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: «**تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**».

(١٣٦) [٠٠] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ عَبْدٌ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حَبِيبٍ مَوْلَىٰ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِي مُرَاوِحٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «**فَتُعِينُ الصَّانِعَ أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ**».

(١٣٧) [**٨٥**] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنِ الشَّيْبَانِيِّ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْعَيْزَارِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِيَاسٍ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا**» قَالَ: قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**» فَمَا تَرَكْتُ أَسْتَزِيدُهُ إِلَّا إِرْعَاءً عَلَيْهِ.

(١٣٨) [٠٠] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ

الْفَزَارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو يَعْفُورَ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْعَيْزَارِ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَىٰ مَوَاقِيتِهَا**» قُلْتُ: وَمَاذَا يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «**بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**» قُلْتُ: وَمَاذَا يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**».

(١٣٩) [٠٠] وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْعَيْزَارِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَمْرٍو الشَّيْبَانِيَّ، قَالَ: حَدَّثَنِي صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ، وَأَشَارَ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا**» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**» قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي.

(١٣٩) [٠٠] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ، وَزَادَ: وَأَشَارَ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللهِ، وَمَا سَمَّاهُ لَنَا.

(١٤٠) [٠٠] وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ - أَوِ الْعَمَلِ - الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ**».

التعليق:

[هذا الباب عقده مسلمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وإن كانت الترجمة للنووي- لبيان كون الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أفضل الأعمال، ثم بيَّن فيه أيضًا بعد الإيمان تفاضل الأعمال وأفضلها، قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ [وهو: الزهري] ح، وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ، يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**إِيمَانٌ بِاللهِ**»، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**» قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**حَجٌّ مَبْرُورٌ**»، وَفِي رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: «**إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ**». فكان أصحابُ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يسألون عن الأعمال وفضلها؛ ليتقرَّبوا بها إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وليدخلوا بها الجنة، كما سيأتي في حديث ابن مسعود، فأجاب رسولُ الله هذا السائل، فقال: «**إِيمَانٌ بِاللَّهِ**»، فأدخل الإيمان في العمل؛ مما يدلُّ علىٰ أهمية العمل في الإسلام، لا كما يقول المرجئة: إن العمل ليس من الإيمان. والعياذ بالله، فيكفيه أهمية أنه يجعل الإيمان من العمل، قال: ثم ماذا؟ قال «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»، قال: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**حَجٌّ مَبْرُورٌ**»، وفي رواية محمد بن جعفر قال: «**إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**»، محمد بن جعفر بن زياد الذي يروي عن إبراهيم بن سعد، زاد قوله: «**وَرَسُولِهِ**»، فنبَّه مسلمٌ علىٰ هذه

الزيادة، فإيمانٌ بالله وبرسوله أفضل الأعمال، أي أعمال القلوب، واللسان كذلك؛ لأن المسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويعتقد ذلك، ويليه الجهاد في سبيل الله في هذه الرواية، وستأتي روايات -كما سيأتي في رواية ابن مسعود وغيره- فيها شيء من الاختلاف في لفظ هذا الحديث، فلماذا قدَّم الجهاد هنا علىٰ الحج؟ يشير بعضُ الشرَّاح -والله أعلم- إلى أن الجهاد حينما يزحف الأعداء علىٰ المسلمين، فإنه في هذه الحالة يكون فرض عين، فيقدَّم علىٰ الحجِّ؛ حجِّ التطوع طبعًا، بل إذا ضاق الوقت يقدَّم الجهاد، وفي هذه الحال يكون أفضل من الحج[1]. قال: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**حَجٌّ مَبْرُورٌ**»، الحج المبرور: الخالصُ الذي لا يشوبه إثمٌ، خالصًا لله من المعاصي، مخلصا فيه لله رب العالمين، وكان ماله حلالًا، ولم يَشُبْه بمعصية، فإن هذا يكون حجًا مبرورًا، وفي الحديث الآخر: «**وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ**»[2]. وفي رواية محمد بن جعفر قَالَ: «**إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**»، فالإجابة علىٰ هذا السؤال: **الإيمان** بالله ورسوله، ثم الجهاد في سبيل الله، ثم الحج المبرور، وساقه من طرق أخرىٰ؛ الأول: عن **إِبْرَاهِيمَ -يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ- عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ**، وهنا: **عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ**.

---

(١) انظر: "شرح مسلم" للنووي (٢/ ٧٨).

(٢) قطعة من حديث، أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

والآن ننتقل إلى حديث أبي ذر:

قَالَ: وَحَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، ح وَحَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ هِشَامٍ -وَاللَّفْظُ لَهُ- قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي مُرَاوِحٍ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الْإِيمَانُ بِاللهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ**». عطف الجهاد على الإيمان بالله، وأيضًا في حديث أبي ذر مثل حديث أبي هريرة أطلق العمل على الإيمان، مما يدل على أهمية العمل، ولا ندري لماذا يترك أهلُ البدع النصوص القرآنية والنبوية، ففي القرآن: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٤٣].

والمراد بالإيمان هنا الصلاة، وقد جعلها الله إيمانًا، والنصوص كثيرةٌ من القرآن والسنَّة على أن العمل من الإيمان.

قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا**». يعني: أحبُّها إلى أهلها وأفضلُها عندهم، «**وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا**». فجعلها في المرتبة الثانية، وهناك جعل في المرتبة الثانية الجهاد في سبيل الله، ويقولون: إن الإجابة تختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، وبحسَب الحاجات إلى العمل، فهو يجيب كلَّ شخص، وفي كل حال، بما يناسب حاله، وما يناسب تلك الظروف، فقد يكون الإنسان مقصِّرًا في عمل، أو لم يبلغه هذا العمل، فيبلِّغه؛ فيكون في حقه

هذا الأمر أفضلَ من غيره، ويقابله الآخر أيضًا، فقد يكون في حاجة ماسَّة، أو أنه مقصِّر في ذلك العمل؛ فيكون في حق هذا الشخص هذا العمل أفضل.

قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ يعني: لا يوجد جهاد، ولا يوجد عتق رقبة، قال: قلت: فإن لم أفعل، يعني: شيئًا من هذا، قَالَ: «تُعِينُ صَانِعًا». يعني: تُحسن إلى صانع، وتساعده في صنعته، ويقال: في رواية عن هشام بن عروة: "تُعِينُ ضَائِعًا"، والأصحُّ أنها: «تُعِينُ صَانِعًا»؛ لأن رواية الأخرق تسدُّ مسدَّ «ضائع»[1]؛ «أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ» فالصانع الذي عنده حرفة أو خبرة، ولكن قد يحتاج إلى المساعدة، فتساعده؛ فيكون هذا من أفضل الأعمال؛ لأن هذا من التعاون على البرِّ والتقوى، ومن الإحسان إلى إخوانك المسلمين، فيأتي في أفضل الأعمال.

«أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ» كذلك يأتي في أفضل الأعمال، أي ليس عنده صنعة وليس عنده شيء، فتصنع له إمَّا ثوبًا، أو أي شيء يحتاج إلى صناعة، فتصنع له إناء، تخيط له ثوبًا، تخبز له، تحلب له، لا يعرف مثل هذه الأشياء، فيكون محتاجا إليها فتساعده؛ فيكون من أفضل الأعمال، هذا أمرٌ عظيمٌ يغفل عنه المسلمون في مثل هذه الأشياء، وما يدري أنه إذا عمل شيئًا من هذا، فإنه يتقرَّب إلى الله تعالى بأفضل الأعمال.

---

(١) انظر: "شرح النووي" (٢/ ٧٥-٧٦).

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ يعني: جئت ببعض الأعمال، وبعض الأعمال ضعُفت عنها، وأنا عندي حرص على الأجر والثواب، قَالَ: «**تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ**». عند ضعفك عن العمل وعجزك عن العمل وتقديم الخير لنفسك وللناس، تكف شرَّك عن الناس، «**فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**»؛ لأنه: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[1]. والظالم الذي يؤذي الناس وينالهم من شرِّه، إما باليد، وإما باللسان، وإما بأي نوع من أنواع الأذىٰ، فأيُّ شرٍّ يمكن أن يصدر من المسلم يجب أن يكفَّه عن الناس، و(الناس) قد يشمل الكفَّار المُؤَمَّنِينَ، ومن يدخل في ذمَّة المسلمين، والمسلمون من باب أولىٰ، فتكفُّ شرَّك تبتغي بذلك وجه الله؛ فإن هذا صدقةٌ منك علىٰ نفسك، فكفُّ الشرِّ قد يكون لأمور دنيوية، لكن المؤمن حالُه غيرُ حال الكافر، فهو يتقرَّب إلى الله بكفِّ شرِّه عن الناس إذا عجز عن الأعمال، وحتىٰ إن لم يعجز عن الأعمال، فإن كفَّ الشرِّ عن الناس من الجيران وغيرهم ممن يعتبر عملُك وقولُك بالنسبة له شرًّا في ميزان الإسلام، فإنك إذا تركته ابتغاء وجه الله؛ فيكون صدقةً منك علىٰ نفسك.

قَالَ: وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ عَبْدٌ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ [لماذا ينبِّه مسلمٌ علىٰ الفرق بين «أخبرنا»

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

و «حدَّثنا»؟ لأن مسلمًا يفرِّق، ويرىٰ أنه لا يجوز أن تأتي بهذه الصيغة، بدل هذه الصيغة، خلاف البخاري فإنه لا يفرِّق بينهما، وكثيرٌ من المحدِّثين[(١)]].

قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حَبِيبٍ مَوْلَىٰ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِي مُرَاوِحٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «فَتُعِينُ الصَّانِعَ أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ». يعني: هنا قال: «تُعِينُ الصَّانِعَ». وهناك قال: «تُعِينُ صَانِعًا». والله أعلم، فهناك جاء غير مُعرَّف، وهنا جاء معرَّفًا، فنبَّه عليه، وهذه من دقة مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وفي الإسناد لطيفةٌ نبَّه عليها النوويُّ، وهو أن فيه أربعة من التابعين يروي بعضهم عن بعض، وهم: الزُّهْرِيُّ، عَنْ حَبِيبٍ مَوْلَىٰ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِي مُرَاوِحٍ، فهذه من الفوائد واللطائف الموجودة في صحيح مسلم ونبَّه عليها النووي[(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنِ الشَّيْبَانِيِّ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْعَيْزَارِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِيَاسٍ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ [الشيباني الثاني اسمُه سعدُ بنُ إياس، والشيباني الأول تلميذُ تلميذ الشيباني الراوي عن ابن مسعود، واسمُه كما قال النوويُّ: سليمانُ بنُ

(١) انظر: «شرح مقدمة مسلم» للنووي (١/ ٢١-٢٢).

(٢) انظر: (٢/ ٧٧).

فيروز، فعندنا شيبانيان الآن في إسناد واحد، الأولُ: سليمان بن فيروز، والثاني سمَّاه مسلم سعدَ بنَ إياس، ويقال: إنه من المعمَّرين، عاش مائة وعشرين سنة، فأدرك الجاهلية والإسلام[1]].

قَالَ عبد الله بن مسعود: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا**». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**». فهناك ذكر الإيمان بالله، ثم الجهاد في سبيل الله، ثم الحج المبرور، وهنا ذكر الصلاة، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله، وتفسيره كما سلف، أن هذا بحسَب الظروف والأحوال، والأشخاص، فالإجابة في كل وقت بالنظر لأي شخص تختلف، فقد يكون هذا سأل ذلك السؤال في أيام الحاجة إلى الجهاد، وهذا سأل في وقت لم تكن الحاجة فيه إلى الجهاد كغيره من الأوقات، والله أعلم، وهنا يؤخذ من الحديث أن الصلاة لوقتها من أفضل الأعمال، ويُفهم منه أنه إذا صلَّاها فهناك أوقات للصلاة، فهناك وقتُ فضيلة، ووقتُ اختيار، ووقت حاجة، فالفضيلة هذه إنما تأتي في أول الوقت، وقوله: «**الصلاة لوقتها**»، يعني: لأول وقتها، وكان الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يصلي الصلوات في أول أوقاتها إلا صلاة العشاء، وكان يستحب تأخيرها عن أول الوقت، أو في شدة الحر إذا

(١) "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٤/ ١٧٤)، و"تهذيب التهذيب" لابن حجر (٣/ ٤٦٨).

احتاج إلىٰ الإبراد، أو كان في سفر يحتاج إلى التأخير، والقاعدة العامة عنده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ التبكير بالصلوات في أول وقتها في الصبح وفي الظهر وفي العصر وفي المغرب، فالصبح كان يصلِّيها بغلس، لا كما يذهب الأحناف إلى تحرِّي الصلاة في آخر وقتها، مع الأسف الشديد، مع كثرة النصوص الدالة علىٰ أن أفضل الصلاة أن تصلِّيَها في وقتها، وإذا أخَّرها إلى حال الضرورة عمدًا، فتلك صلاة المنافق، يرقب الشمس حتىٰ إذا كادت أن تغيب يقوم فينقرها نقرًا أو كما ينقر الغراب، فتلك صلاة المنافق، والصلاة في أول وقتها صلاةُ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو أسوتنا، فينبغي أن نحرص علىٰ أداء الصلاة في أول وقتها، وذلك من أفضل الأعمال وأحبِّها إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ». برُّ الوالدين أمر عظيم جدًّا؛ فقد أوصىٰ الله بهما في آيات كثيرة من القرآن الكريم، فقال تبارك تعالىٰ في سورة الإسراء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وفي سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، وأخذ الله الميثاق علىٰ بني إسرائيل أن يكونوا بارِّين بالوالدين: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وهناك أحاديث كثيرةٌ جاءت تحثُّ علىٰ برِّ الوالدين والعناية بهما، حتىٰ إنه ليس لك أن تجاهد إلا بإذنهما[(١)]، وجعل العقوق من أكبر الكبائر[(٢)]، فهذا أمر عظيم في الإسلام، فالله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]. والذي لا يشكر لوالديه، فلمن يشكر؟! لا يشكر الله من لا يشكر الناس، فكيف إذا كان لا يشكر أبويه ؟! ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]. فهذا فضلٌ عظيمٌ.

قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**». لأن فيه إعلاء كلمة الله، وعزَّةَ الإسلام، وتطهيرَ الأرض من الشرك، قال تبارك وتعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وقال رسول الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ**»[(٣)]، وقال: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»[(٤)]، هذا هو الجهاد في سبيل الله؛ أن يكون لإعلاء كلمة الله

---

(١) أخرج البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: «**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**».

(٢) كما في "صحيح البخاري" (٥٩٧٦)، و"صحيح مسلم" (٨٧)، عن أبي بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) قطعة من حديث، رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٤) رواه البخاري (٢٨١٠)، ومسلم (١٩٠٤)، عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

عَزَّوَجَلَّ، لا لغرض من أغراض الدنيا.

قَالَ: "فَمَا تَرَكْتُ أَسْتَزِيدُهُ إِلَّا إِرْعَاءً عَلَيْهِ". يعني شفقة علىٰ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا يدلُّ علىٰ حبِّهم واحترامهم لرسول الله ﷺ.

الشاهد: أن هناك أسئلةً يتنافس الصحابة فيها؛ مرَّة أبو هريرة يسأل، ومرَّة أبو ذر يسأل، ومرَّة ابنُ مسعود -رضوان الله عليهم-، وابنُ مسعود كما سيأتي يسأل عن أيِّ الذنب أعظم؟ وتارةً يسأل: أيُّ العمل أفضل؟ وهذا من الفقه أن يعرف أفضل الأعمال، ويعرف أفضلها، ويعرف المعاصي والكبائر، ويعرف أخطرها، يعرف أفضلها ليقوم بها، ويعرف أعظمها شرًّا فيجتنبها.

وفي الباب أيضًا: قَالَ: وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ الْفَزَارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو يَعْفُورَ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْعَيْزَارِ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَىٰ مَوَاقِيتِهَا**». قُلْتُ: وَمَاذَا يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «**بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**». قُلْتُ: وَمَاذَا يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»، هي نفس الإجابة علىٰ السؤال الأول، لكن في هذا قال: "أَيُّ الْأَعْمَالِ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ؟"، والأقرب إلى الجنَّة هو من أفضل الأعمال، قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَىٰ مَوَاقِيتِهَا**». قُلْتُ: وَمَاذَا يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «**بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**». قُلْتُ: وَمَاذَا يَا

نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**».

كلُّ هذه الأعمال مَنْ أخلص فيها لله؛ وابتغىٰ بها وجه الله، فإنها تُقرِّبه إلى رضوان الله وإلىٰ الجنة، ويواصل مسلم في سَوْق ألفاظ سؤال ابن مسعود، فيقول هنا: "أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ "، وهذا الاختلاف -والله أعلم- لأن بعض الرواة يعبِّر بالمعنىٰ؛ لأن هذه الألفاظ كلها مؤدَّاها واحد، يعني: أحبُّ إلى الله، وأفضلُ، وأقربُ؛ كلُّها تلتقي في معنىٰ واحد إن شاء الله.

قَالَ: وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْعَيْزَارِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَمْرٍو الشَّيْبَانِيَّ، قَالَ: حَدَّثَنِي صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ، وَأَشَارَ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللهِ.

هذه الإشارة ليؤكِّد لهم أنه تلقَّىٰ هذا الحديث من عبد الله بن مسعود، فهذا تأكيد منه أنه حدَّثه وسمع هذا الحديث منه.

قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا**».

وهذا دليلٌ علىٰ أن الله موصوف بالمحبَّة، والله تعالىٰ موصوفٌ بصفات كمال تليق بكماله، ومنها المحبَّة، ومنها البغض، ومنها الرضا، ومنها الرحمة، ومنها الصفات المذكورة في كتاب الله وسنة نبيِّه ﷺ.

قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**». قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي.

وهناك قال: "فَمَا تَرَكْتُ أَسْتَزِيدُهُ إِلَّا إِرْعَاءً عَلَيْهِ". تركه إرعاءً عليه وهو يفهم أنه لو استزاده لزاده.

وبعده: قَالَ مسلمٌ: وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ، وَزَادَ: وَأَشَارَ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللهِ، وَمَا سَمَّاهُ لَنَا. هو لم يسمِّه في الرواية الأولىٰ أيضًا، ولكن أشار إلى دار عبد الله، وما سمَّاه، والله أعلم حتىٰ في الرواية الأولىٰ ما سمَّاه، ولكن أشار إلى الدار، ومعروفٌ أنها دار عبد الله.

وبعده: قَالَ: وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ [نوَّع مسلم هذه الروايات التي مدارها كلها علىٰ أبي عمرو الشيباني، فالطرق كلها مدارها علىٰ الوليد بن العيزار عن أبي عمرو الشيباني عن عبد الله بن مسعود، إلا الطريق الأخير، أورده من طريق جرير، عن الحسن بن عبيد الله، عن أبي عمرو الشيباني، عن عبد الله بن مسعود، وفي الجملة: الحديث كله مداره علىٰ أبي عمرو الشيباني.

قال: عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ -أَوِ الْعَمَلِ-**

الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ». فهنا لم يذكر السؤال، أي رواية الحسن بن عبيد الله، وكأن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حدَّث به ابتداءً، ولكن رواية الوليد بن العيزار تبيِّن أن هذا لم يكن ابتداءً، وإنما كان بناء على السؤال وإجابة عليه، وفي رواية الحسن بن عبيد الله لم يذكر الجهاد، وأبو يعفور اسمُه عبد الرحمن بن عبيد بن نِسطاس - بكسر النون -.

❋❋❋

(٣٧) بَابُ كَوْنِ الشِّرْكِ أَقْبَحَ الذُّنُوبِ، وَبَيَانِ أَعْظَمِهَا بَعْدَهُ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٤١) [٨٦] حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، وَقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**». قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ. قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**».

(١٤٢) [٠٠] وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، جَمِيعًا عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**». قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**». قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**أَنْ تُزَانِيَ**

حَلِيلَةَ جَارِكَ». فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ تَصْدِيقَهَا: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان: ٦٨].

التعليق:

[أقول: سبحان الله! لا أدري هل قصد مسلمٌ هذا أم لا؟ يعني أورد حديث سؤال ابن مسعود عن أفضل الأعمال، ثم تلاه بحديث سؤال ابن مسعود رسولَ الله عن أعظم الذنوب، علىٰ كلِّ حال الظاهر -والله أعلم- أنه قصد هذا، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، وَقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ [فهنا يفرق بين «أخبرنا» و«حدثنا» للغرض الذي ذكر سابقًا علىٰ حسب التلقي]، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ [وهو عبد الله بن مسعود، والقرينة أن الرواة عراقيون، فإذا كان الراوي مدنيًّا وأطلق عبد الله، فيعني بذلك عبد الله بن عمر، وإذا كان الراوي عراقيًّا وأطلق عبد الله، فيعني بذلك عبد الله بن مسعود][1]، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**». قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ

---

(١) انظر: «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (٢/ ٧٣/ الطحان)، و«مقدمة ابن الصلاح» (ص٣٦٢-٣٦٣/ عتر)، و«تدريب الراوي» للسيوطي (٢/ ٨٣٣-٨٣٤/ الفاريابي).

لَعَظِيمٌ. قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ». أعظم الذنوب هو الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، وهو أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك، أو تدعو مع الله ندًّا، وهو ذنبٌ لا يُغفَر؛ قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١]، والله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يقول في الأنبياء جميعًا: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]. والأنبياء لا يحصل هذا منهم، ولكن لو حصل لكان هذا الجزاء، وهذا أكبر الذنوب بلا شك، ولذا قال ابن مسعود: "إِنَّ ذَٰلِكَ لَعَظِيمٌ".

وقوله: «وَهُوَ خَلَقَكَ» يعني أن الله سبحانه خلقك لتعبده، أنعم عليك بنعمة الخلق من نطفة، ثم من علقة، ثم مضغة... وأعطاك السمع والبصر والفؤاد والنطق باللسان، وعلَّمك ما لم تكن تعلم، وأسبغ عليك النعم ظاهرة وباطنة، ثم تكفر به وتجعل له ندًّا - والعياذ بالله - قد يكون من الحجارة، وقد يكون من الحيوانات، وقد يكون من الأشجار، وقد يكون ميِّتًا، وكلُّ ذلك لا يغني شيئًا، ولا ينفع ولا يضر، وإنما هو السفه والاستكبار

والشر في النفوس التي تجعل مع الله أندادًا؛ ولهذا ذمَّهم الله كثيرًا، وأخبرنا أنهم لا يعقلون، وأنهم أهل الجهل والضلال البعيد، وكذا...، وتوعَّدهم بأشد أنواع الوعيد بالخلود في النار، والعياذ بالله، في هذا الحديث وغيره من الآيات والأحاديث أن الشرك أعظم الذنوب، وهو لا يغفر، وقوله: **"أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا"**، هذه النِّدِّيَّة لم يكن المشركون يجعلونها في أنهم خالقون مع الله عَزَّوَجَلَّ، أو يدبِّرون هذا الكون، أو يعتقدون شيئًا من هذا، وإنما يتخذونهم أندادًا مع الله في العبادة، يدعونهم، ويستغيثون بهم، ويستشفعون بهم، وكما قال الله تعالىٰ في سورة الزمر حكاية عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

فإذا اعتقد أن مع الله شريكًا في الخلق وعَبَده أو لم يعبدْهُ؛ فإنه أكبر جُرمًا من الذي يعتقد أنه هو الذي خلق السموات ويدبِّر الأمر، ولكن يتخذ معه شفعاء، فالملاحدة الزنادقة الذين ينكرون وجود الله، أو يعتقدون أن مع الله آلهة أخرىٰ تخلق وتشارك في خلق السماء أو تنظيمها، كما يُعتقَد في الكواكب أنها تدبِّر هذا الكون، فهذا الكفر أغلظُ وأغلظُ والعياذ بالله، وكل ذلك مُقتضٍ للخلود في النار، وكل ذلك من الذنوب العظيمة عند الله عَزَّوَجَلَّ.

قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**». فهو ولدك وفلذة كبدك، فإذا بلغت بالإنسان القسوة أن يقتل ولده؛ فهذا شرٌّ عظيم،

وذنبٌ خطير، وإذا كان الدافع له هذا الهلعُ والجزعُ ومخافةُ الفقر ومخافةُ أن يشاركه في الطعام والغذاء؛ فهذه خِسَّة زائدة، وشرٌّ عظيم أيضًا، والعياذ بالله، فيكون الإثم من جهتين، من جهة أنه ولدك، والثانية أنك تسيء الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، ومن جهة أخرىٰ أنه يبلغ بك الهلع والجزع والشحُّ أن تقتل الولد بهذا الاعتبار، فهذا ذنبٌ عظيم والعياذ بالله، ويتلو الشرك بالله؛ لأن قتل النفس هو أعظم الذنوب بعد الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، فإذا كان ولده، وقتله لهذا الغرض، فهذا أشدُّ إثمًا وجُرمًا، ففي قتل النفس قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾ [المائدة: ٣٢].

فإراقة الدماء وإزهاق النفوس أمرٌ عظيم عند الله عَزَّوَجَلَّ، يأتي في الضلال والكفر إذا استحلَّ، فهو في ترتيب الذنوب إن كان استحلالًا فهو كفر بلا شك، وإن كان بغير استحلال فهو من أعظم الذنوب، ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، فكيف إذا قتل فلذة كبده؟!.

قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ». لأن هذا ذنب عظيم جدًّا، ولأن الله أوصاك بالإحسان إلى الجار وإكرامه والابتعاد عن

إيذائه، وشرُّ الناس من لا يأمن جارُه بوائقَه، والرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»[1].

كيف وهو يأمنك إذا غاب، وينتظر منك الإحسان إلى أهله، مع العفَّة والنزاهة، وحماية عرضه، فإذا بك تخونه -والعياذ بالله-، ويأتيه منك من الشرِّ ما لا ينتظره، والأمرُ الذي يأمل خلافَه منك؛ فيتعاظم الذنبُ بسبب أن له عليك حقوقًا، وأنك بلغت النهاية في غشِّه وخداعه، وإفساد أهله عليه، والعياذ بالله، فهذا من أعظم الذنوب، ويأتي بعد القتل زنا يرافقه خسَّة ودناءة وخيانة، من الجهة التي ينتظر منها الخير والإحسان والبِرُّ، وإذا كان الجار قريبًا، فقد انتهكت حُرمة القرابة، وحرمة الجوار، وحرمة الإسلام، والعياذ بالله، فهذه ذنوب عظيمة، يسأل عنها عبدُ الله بنُ مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وينقلها إلىٰ الأمة ليجتنبوها، وفي الرواية الثانية قال: أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**».

فهذا من الأدلَّة علىٰ أن الدعاء عبادةٌ، ولا فرق بين «تجعل» و«تدعو»، لكن أهل الضلال لا يعتبرون الدعاء من العبادة، أي دعاء غير الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا من الأدلَّة علىٰ أن الدعاء عبادة، فإذا دعوت إنسانًا مع الله فقد اتخذته ندًّا لله عَزَّوَجَلَّ، وشريكًا لله عَزَّوَجَلَّ في أعظم حقوقه، وهي العبادة، وأيضًا من

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٤) و(٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٤) و(٢٦٢٥)، عن عائشة وابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

الأدلَّة علىٰ أن الدعاء عبادة قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦]، وقوله عز وجل: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤].

ولكن أهل الأهواء والضلال يرون أن دعاء غير الله ليس بعبادة؛ يقولون: عبادةُ غير الله أنك تسجد له، وكثيرٌ منهم يسجدون -أيضًا- ويطوفون، ولكن بعض الناس الذين تهزُّهم الدعوة السلفية يسلِّم بأن السجود لغير الله شرك، وأما البعيدون فلا يرون هذا من الشرك، يخرُّ ساجدًا، ويبكي ويتضرَّع، ويخشع أكثر مما يخشع عند بيت الله العتيق! وقد رأينا هذا بأعيننا وسمعناه بآذاننا، نسأل الله العافية، وتجدهم يدرسون مسلمًا والبخاري وغيرهما والقرآن قبلها، ثم هم لا يفهمون هذه الأشياء، وتجد دعاة يؤلِّفون المؤلفات في الاستغاثة بغير الله عَزَّوَجَلَّ، كما يفعل بعض العجم، وكما فعل النبهانيُّ في كتابه «شواهد الحق في جواز الاستغاثة بسيد الخلق»، والعياذ بالله.

والآن سُفكت الدماء، وعمَّ الزنا والتحلُّل، وهو من علامات الساعة، كما أخبر بذلك النبيُّ ﷺ(١)، ولكنَّ الله حليم، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا

(١) روىٰ البخاري (٨١) و(٦٨٠٨) وفي مواضع أخرىٰ، ومسلم (٢٦٧١)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي سَمِعَهُ مِنْهُ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ=

كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [فاطر: ٤٥] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يُسيئون إليه بالكفر والفسوق والمعاصي في كل نواحي الحياة، وهو يحلم عليهم، ويمهلهم بعد أن أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، ما أحلمه! ولكنه يمهل ولا يهمل، وما أحوج المسلمين إلى أن يستفيدوا من القرآن الكريم والسنَّة النبوية! وكثيرٌ منهم قد لا يهتمُّ بهذه الأشياء، ويكتفي ببعض الأعمال ويظن أنها الإسلام، ولا يغذِّي قلبه وروحه وعقله بهذه الآيات العظيمة والأحاديث النبوية الكريمة.

قال: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ تَصْدِيقَهَا: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان: ٦٨]. فالآية فيها تأكيدٌ لما تضمَّنه الحديثُ من أن أعظم الذنوب أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك، وأن تقتل النفس التي حرَّم الله قتلها إلا بالحق، وأن تزني، فالآية مضمونُها مضمونُ الحديث].

❊❊❊

= السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَفْشُوَ الزِّنَا، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَذْهَبَ الرِّجَالُ، وَتَبْقَىٰ النِّسَاءُ حَتَّىٰ يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً قَيِّمٌ وَاحِدٌ».

(٣٨) بَابُ بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١٤٣) [٨٧] وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بُكَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّاقِدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ سَعِيدٍ الْجُرَيْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟** -ثَلَاثًا- **الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ** -أَوْ: **قَوْلُ الزُّورِ**-». وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَّكِئًا، فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّىٰ قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

(١٤٤) [٨٨] وَحدَّثَنِي يَحْيَىٰ بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدٌ وَهُوَ ابْنُ الْحَارِثِ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْكَبَائِرِ، قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَقَوْلُ الزُّورِ**».

(١٤٤) [٠٠] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ،

قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْكَبَائِرَ -أَوْ: سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ-، فَقَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ**». وَقَالَ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟**». قَالَ: «**قَوْلُ الزُّورِ** -أَوْ قَالَ: **شَهَادَةُ الزُّورِ**-». قَالَ شُعْبَةُ: وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّهُ شَهَادَةُ الزُّورِ.

(١٤٥) [٨٩] وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**».

(١٤٦) [٩٠] وحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنِ ابْنِ الْهَادِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**».

(١٤٦) [٠٠] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَابْنُ بَشَّارٍ جَمِيعًا، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ،

قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، كِلَاهُمَا عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، بِهَٰذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

التعليق:

[هذا الباب في بيان الكبائر وأكبر الكبائر، وبيان الموبقات كما في حديث أبي هريرة: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**». والكبائر قد اختلفوا في حدِّها، وممن حدَّها ابنُ عبَّاس بأنها كلُّ المعاصي[1]؛ لأن مخالفة أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وانتهاك الحرمات التي يحرِّمها وإن كانت صغائر؛ فإنها بالنظر لمن تعصيه تعتبر كبيرة؛ لأنك كيف تتجرَّأ علىٰ مخالفة أمر الربِّ العظيم الجليل، فلا تهابه ولا تخافه ولا تخشاه؟! فبهذا الاعتبار كلُّ معصية كبيرة، لكن بالنظر إلى ذات المعاصي فإنها تتفاوت، منها أكبرُ الكبائر وهي الشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومنها كبائر عظيمة وهي تتفاوت أيضًا، ومن الأدلَّة علىٰ هذا التفاوت قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: ٣١].

فهو يفيد أن هناك صغائر، وهناك كبائر، **والدليل**: أنه نصَّ علىٰ اجتناب الكبائر، فإذا اجتُنِبت الكبائر ووقع الإنسان في الصغائر، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعفو عنه بالصلاة والزكاة، والصوم، والحج، وما شاكل ذلك، أما الكبائر فلا بد من التوبة منها بعينها، وتوفُّر شروط التوبة فيها، وهي الندم علىٰ ما فعل،

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في "تفسيره" (٩٢١٠-شاكر).

والإقلاع عن ممارسة الذنب الذي صدر منه، ولا يستمر فيه، والعزم الأكيد علىٰ ألَّا يعود إلى هذا الذنب، يعزم وينوي علىٰ ألا يعود إلى هذا الذنب أبدًا، سواء كان غِيبَة أو نميمة أو زنا أو سرقة... فهذا بالنسبة لحقوق الله، أما بالنسبة لحقوق المخلوقين فلا بد من تأدية الحقوق إلى أصحابها، أو الاستحلال بطلب العفو منه، ليتنازل عن حقه، أو إعادة مال إن كان مالًا، أو مظلمة إن كان ظلمه.

قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟** -ثَلَاثًا- **الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ** -أَوْ: **قَوْلُ الزُّورِ**-».

فهذه أكبر الكبائر، فهناك كبائر، وهناك أكبر الكبائر، فتأتي هذه الأمور في أكبر الكبائر، الإشراك بالله ذنبٌ لا يُغفَر، وعقوقُ الوالدين ليس بالأمر السهل، وشهادةُ الزور تتفاوت، فهي من أكبر الكبائر، ولكنها تتفاوت أيضًا علىٰ حسَب الضرر الذي يلحق بالإنسان، ومن يشهد الزور في أمر حقير فلا يكبر الضرر علىٰ من يُشهد عليه زورًا، وقد يكون في أمر كبير، يكلِّفه الآلاف والملايين، فهذا يتغلَّظ بقدر ما يضرُّ الإنسان ويؤذيه.

قال: "وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَّكِئًا، فَجَلَسَ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّىٰ قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ". فالرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كرَّر شهادة الزور، وكان متكئًا

فجلس، وتغيرت حالُه، قال: "فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّىٰ قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ".

وقول الزور هو زخرفة الكلام، والعياذ بالله، والتدليس فيه، فيزيِّن الكلام الباطل ويجعله في صورة الحق، وقد يشهد الإنسان زُورًا علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويشهد علىٰ رسول الله ﷺ زورًا، والعياذ بالله، فهذا يكون أشدَّ وأكبر، يقول: أشهد أن الله قال، أو أشهد أن رسول الله ﷺ قال، شهد زورًا علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، أو علىٰ رسوله ﷺ، والعياذ بالله، والله تعالىٰ يقول: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ [الزمر: ٣٢]. فما أحد أظلم منه.

والثاني: حديث أنس بن مالك، وفيه: عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَنْ أَنَسٍ، هذا حفيد أنس يروي عن جده عن النبي ﷺ، فِي الْكَبَائِرِ، قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَقَوْلُ الزُّورِ**». وقد زاد: «**قتل النفس**» في حديث أنس علىٰ حديث أبي بكرة، وقد تقدَّم الكلام عليها، وبعده: عن عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْكَبَائِرَ -أَوْ: سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ-، فَقَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ**». وَقَالَ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟**». قَالَ: «**قَوْلُ الزُّورِ** -أَوْ قَالَ: **شَهَادَةُ الزُّورِ**-»؛ لأن قول الزور قد يكون علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فالله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟

بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]. فقول الزور خطير جدًّا، سواء كان علىٰ العباد، أم علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والقول علىٰ الله أشدُّ وأعظم. قَالَ شُعْبَةُ: "وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّهُ شَهَادَةُ الزُّورِ". فتردَّد.

والثالث: عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**». [لأنها كبائر] قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**». وليست محصورةً في هذه السبع، بل هي كما قال ابنُ عبَّاس: «**هِيَ إِلَىٰ السَّبْعِينَ أَقْرَبُ**»(١).

وقد تكون أكثر، فذكر الشرك بالله وبعده السحر؛ لأن السحر كفرٌ، وتعلُّمه كفرٌ، وتعليمه كفرٌ، وهو خطيرٌ جدًّا، وقد ذمَّ الله تعالىٰ به اليهود، فقال: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ

---

(١) رواه معمر في "جامعه" (١٠/ ٤٦٠- "مصنف عبد الرزاق")، وعبد الرزاق في "التفسير" (١/ ١٥٥)، والقاضي إسماعيل بن إسحاق في "أحكام القرآن" (٨٦ برقم٣٩)، والطبري في "التفسير" (٦٢٠٦، ٦٢٠٨، ٦٢٠٩)، وابن أبي حاتم كما في "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير (٢/ ٢٨٢-طيبة)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (١٩١٧) و(١٩١٨)، والبيهقي في "الجامع لشعب الإيمان" (١/ ٤٦٣-٤٦٤ برقم٢٩٠). وهو صحيح.

فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢]، والعياذ بالله، ليس له في الآخرة من نصيب؛ لأنه وقع في الكفر، والعياذ بالله، والسحر كفر، وهو من أخطر الذنوب، ومع الأسف ترىٰ بعضًا ممن ينتحلون الإسلام يتعاطون السحر علىٰ طريقة اليهود، والعياذ بالله، وعندهم من البيان الربَّاني والنبويِّ ما يردعهم، علىٰ اجتناب هذا الشرك بالله والكفر به.

«**وقتلُ النفس**»: من الكبائر، أي قتل النفس «**الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**»، والحقُّ هذا هو قتلُ النفس بالنفس وهو القصاص، والثيِّب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة، فمن قتل بهذا الحق فلا ينطبق عليه هذا الوعيد، بل هو قائم بواجب عظيم، وهو حماية الدين، وردع المجرمين.

«**وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ**»، وفي الكتاب العزيز: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]. أي: إلا بالذي يحفظ ماله وينميه، فلا يضره.

«**وَأَكْلُ الرِّبَا**»، الرِّبا من الكبائر العظيمة، والعياذ بالله، والله قد آذن من لم يتب منه بالحرب؛ فقال: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

«**وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ**»، يعني عندما تواجه العدو، ثم تفرُّ منه، وتُوَلِّي الدبر؛ تفتِّت عضد بقية الجيش المواجه للأعداء، وتضعف معنوياته، ويكون أثره سيئًا جدًّا، فقد ينهزم من وراءك، وتكون جريمة عظيمة جدًّا، والعياذ بالله، ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٦]، والعياذ بالله.

«**وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**»، الغافلة عن الفاحشة، لا تفكِّر فيها؛ لطيبة نفسها، والمحصنة يعني العفيفة، يعني: الحُرَّات، فهُنَّ العفيفات، والعفيفة هي التي تُعِفُّ نفسها عن السفاح، الغافلات عن الزنىٰ التي تغفل عن التفكير فيه، المؤمنات، حتىٰ الكافرة لا يجوز قذفُها، لكن المؤمن له حُرمة عند الله عَزَّوَجَلَّ.

وفي حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟.

كانوا لا يتصوَّرون أن يشتم أحدٌ والديه؛ لأن عندهم أدبًا، واحترامًا، وتوقيرًا لآبائهم، ولو في الجاهلية، وأظن أن هذا الأدب ضعيف الآن عند

المسلمين الذين نشؤوا في الإسلام، في الجاهلية كان عندهم أمور محترمة، ومنها برُّ الوالدين، وحُرمة الحَرَم، والشهر الحرام، وهذه الأشياء، يعني: كان الرجل يأتيه قاتلُ أبيه، فلا يمسه؛ لأنه في الحرم، فهم أشد الناس حرصًا علىٰ الانتقام، ومع ذلك إذا وجد الرجل قاتل أبيه في الحرم فلا يقتله، ولهذا قالوا: وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**»، فهو متسبِّب، فالمتسبِّب في الشيء يُنسَب إليه، ولو لم يباشره، إذا تسبَّب في شيء فيه ضرر علىٰ الناس، أو في فتنة، أو إضلال الناس يُنسَب إليه، يؤلِّف كتابًا ينشر فيه الضلال والبدع فيضلّ الناس؛ فيُنسَب إليه، ويحمل أوزاره وأوزار من اتبعه إلى يوم القيامة، وإذا سبَّ أبا الرجل، فسبَّ أباه، فهذه كبيرة؛ لأنه تسبَّب في سبِّ أبويه، أو أحدهما، فمن هذا النص يؤخذ وجوبُ سدِّ الذرائع؛ لأن الذي سبَّ أبا الرجل تسبَّب في سبِّ أبيه، فيجب أن تترك هذا؛ لأنه يوقع في كبيرة من الكبائر.

فيجب علىٰ المسلمين أن يتفقَّهوا في دين الله، فيجتنبوا كل ما حرَّم الله، ويؤدُّوا كلَّ ما أوجب الله عليهم، وأن يسدُّوا الذرائع التي تؤدي إلىٰ ما يغضب الله من المعاصي، ولاسيما الكبائر.

❋❋❋

(٣٩) بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١٤٧) [٩١] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ دِينَارٍ، جَمِيعًا عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ حَمَّادٍ، قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّىٰ: حَدَّثَنِي يَحْيَىٰ بْنُ حَمَّادٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ، عَنْ فُضَيْلٍ الْفُقَيْمِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**». قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**».

(١٤٨) [٠٠] وَحَدَّثَنَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ، وَسُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، كِلَاهُمَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُسْهِرٍ، قَالَ مِنْجَابٌ: أَخْبَرَنَا ابْنُ مُسْهِرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرِيَاءَ**».

(١٤٩) [٠٠] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ، عَنْ فُضَيْلٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**».

التعليق:

[هذا الخلق فيه خطر، هذه الصفة: صفة الكبر، والوعيد الشديد عليها، والعياذ بالله، والكبر كما فسَّره الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**». يعني: التعالي علىٰ الناس، والاستكبار عليهم، والترفُّع عليهم، وردُّ الحق تكبُّرًا وعنادًا، وهذه صفة ذميمة جدًّا، يستحق صاحبها هذا الوعيد، واللفظ الأول: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**». قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**». إذا كان يتزيَّن بالثياب الجميلة؛ إظهارًا لفضل الله وشكرًا له، وليس عنده خيلاء؛ فإن هذا يدخل تحت قوله: «**إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ**». وأمَّا إذا أدَّىٰ به التزيُّن إلىٰ التفاخر والخيلاء فهذا عمل مذموم، وعليه وعيد شديد علىٰ فاعله، وقد خسف الله برجل الأرض وكان مُعجَبًا بحُلَّته، فخسف الله به الأرض فهو

يتجلجل فيها إلى يوم القيامة[١]، ونهىٰ رسول الله ﷺ عن إسبال الثياب، وأخبر أنه من أسبل ثيابه تحت كعبيه فهو في النار[٢]، وأمر عبد الله بن عمر أن يرفع ثوبه، فما زال يرفعه حتىٰ وصل إلى نصف ساقه[٣]، وقال: «**إِزْرَةُ الْمُسْلِمِ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ**»[٤]، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فإن كان يلبس علىٰ الطريقة الشرعية، متجمِّلًا بها، شاكرًا لنعمة الله عَزَّوَجَلَّ فهذا لا يدخل في الكبر، فإذا خالف وأسبل خيلاء؛ فيدخل في الكبر، والعياذ بالله، والرجل سأل هذا السؤال، فبيَّن له رسول الله ﷺ حقيقة الكبر، أنها احتقار الناس، وغمط الناس، ورد الحق، بأن تأتي بالحجة والبرهان فيردهما، فهذا بَطَر، ومن أخبث ومن أشرس أنواع الكبر؛ فإن احتقار الناس كبيرة، ولكن ردّ الحق الذي شرعه الله أكبر، فأنت ترد حكم العليِّ الكبير وشرعه العظيم، فقد يكون كُفرًا بلا شك، وقد لا يكون كفرًا، والعياذ بالله، ولكنه من أكبر الكبائر، فإذا كان مستحلًّا في رد الحق، متكبِّرًا عن الحق فهذا يسمَّىٰ كفرًا، وإذا كان عنادًا لصاحبه، وعلىٰ أنه يعرف أنه حق، ويعترف أنه

---

(١) كما ثبت في «صحيح البخاري» (٥٧٨٩)، و«صحيح مسلم» (٢٠٨٨)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٨٧)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) رواه أحمد (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٠٨٦).

(٤) قطعة من حديث، أخرجه أحمد (١١٠١٠) و(١١٠٢٨) و(١١٢٥٦) و(١١٣٩٧)، وأبو داود (٤٠٩٣)، وابن ماجه (٣٥٧٣)، وابن حبان (٥٤٤٦) و(٥٤٤٧) و(٥٤٥٠)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

حق وأنه من الله؛ فهذا يكون من الكبائر، والعياذ بالله، وإن أدَّىٰ به الكبر إلى جحود الحق وهو يعلم أنه من عند الله ؛ فهذا كُفر بلا شك.

هنا نبَّه النوويُّ علىٰ التأويلات؛ وتفسير هذا الكِبْر(١)، فمنهم من فسَّره بالكفر كالخَطَّابي، يعني أنه لا يدخل الجنَّة ويدخل النار، وما شاكل ذلك، فهذا ظاهرُه أنه كافر، فالنبيُّ ﷺ يقول: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»، وعلىٰ هذا فهو كافر، أو أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يطهِّره، فيدخل الجنة وقد طهَّر الله قلبه من هذا الدنس، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣]. والنوويُّ قال: إن هذا فيه بُعْدٌ، والمراد بهذا غيرُ الكفر، والمراد به المعصيةُ، وهي غير الكفر، والسياق يقتضي هذا، والوعيد علىٰ هذا الكِبْر، والأدلَّة التي تأتي علىٰ أن الكِبْر كفرٌ، فهو غير هذا، أما هذا الكبر الوارد في هذا الحديث فهو الذي قد يحصل للمسلم، والعياذ بالله، هذا كبيرة من الكبائر، إن كان غير مستحلٍّ كسائر الألفاظ التي ورد فيها الكفر والشرك وما شابه ذلك، ولم يكن متعاليًا علىٰ الله، وليس جاحدًا للحق الذي جاءه، وكان معترفا بهذا الحق، وأنه من عند الله، ولكن لديه عناد لخصم، فلا يكفر، وإلا كفَّرنا كلَّ الفرق؛ لأنهم عندهم كبْرٌ، وعندهم غمط الحق؛ فهم لم يجحدوا أنه من عند الله، وإنما ردُّوا علىٰ أهل السنة، وقد يجهل

---

(١) "شرح مسلم" (٢/ ٩١).

ذلك؛ فيردُّ الحق بجهل، بسبب شُبَهٍ، لا لِكِبْرٍ، وقد يردُّه كبْرًا، كما هو حال رؤوس الضلال الذي يعرف الحق ويتركه لمصالح وأمور دنيوية، فهذا لا يقتضي الكفر المخلد في النار، وللنووي تأويلاتٌ حول قوله: «**إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ**». تأويلات فيها أخطاءٌ كثيرةٌ، نوردها لنناقشها].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: "وَقَوْله ﷺ: «**إِنَّ اللَّه جَمِيل يُحِبّ الْجَمَال**». اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ، فَقِيلَ: إِنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ كُلّ أَمْره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حَسَنٌ جَمِيلٌ، وَلَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَىٰ، وَصِفَات الْجَمَال وَالْكَمَال".

قلت: [فهذا مثل قولهم: جاء أمرُه في تأويل: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]. والرسول ﷺ يقول: «**إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ**» يقولون: إن أمره جميلٌ، فهذا من التأويل، أمرُه جميلٌ لا شك، ولكن ماذا يريد الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بهذا الكلام، أوصف الأمر أم وصف الله؟ فالوصف هنا لله عَزَّوَجَلَّ، جميلٌ يحبُّ الجمال، فيه وصفُ الله بهذا الوصف، ووصفُه بالمحبَّة].

-:"وَقِيلَ: جَمِيلٌ بِمَعْنَىٰ مُجَمِّل، كَكَرِيمٍ وَسَمِيع، بِمَعْنَىٰ مُكْرِم وَمُسْمِع". **قلت**: [يعني: يجمل أولياءه ويكرمهم، فهذا تأويلٌ أيضًا].

-: "**وَقَالَ الْإِمَام أَبُو الْقَاسِم الْقُشَيْرِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَعْنَاهُ جَلِيل".

---

(١) "شرح مسلم" (٢/ ٩٠-٩١).

قلت: [معنىٰ الجليل يؤخذ من غير هذا النصِّ].

-: "وَحَكَىٰ الْإِمَام أَبُو سُلَيْمَان الْخَطَّابِيُّ أَنَّهُ بِمَعْنَىٰ ذِي النُّور وَالْبَهْجَة".

قلت: [والله ذو النور والبهجة، ولكن هذا يؤخذ من غير هذا، فهذا من لوازمه].

-: "أَيْ مَالِكهمَا".

قلت: [انظر؛ يقول: مالكهما ! يعني يريد أنه ليس موصوفًا بالجمال، فهذا تأويل].

-: "**وقيل**: معناه: جَمِيلُ الْأَفْعَال بِكُمْ، بِاللُّطْفِ وَالنَّظَر إِلَيْكُمْ، يُكَلِّفكُمُ الْيَسِير مِنَ الْعَمَل، وَيُعِين عَلَيْهِ، وَيُثِيب عَلَيْهِ الْجَزِيل، وَيَشْكُر عَلَيْهِ". **قلت**: [كل هذه تأويلات بلا شك].

-: "وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الِاسْم وَرَدَ فِي هَذَا الْحَدِيث الصَّحِيح، وَلَكِنَّهُ مِنْ أَخْبَار الْآحَادِ".

قلت: [هذا من المصائب؛ وإن كان يقول بأحاديث الآحاد ويثبت بها كثيرًا من الأشياء، ولكنه هنا كما ترىٰ].

-: " وَوَرَدَ أَيْضًا فِي حَدِيث الْأَسْمَاء الْحُسْنَىٰ، وَفِي إِسْنَاده مَقَالٌ". **قلت**: [يعني: الجميل ورد في حديث الأسماء الحسنىٰ، ويقول: في إسناده مقال؛

لأن ترتيب الأسماء ليس من الرسول ﷺ، وإنما سردها بعضُ العلماء، ومنهم سعيد بن عبد العزيز شيخ الوليد بن مسلم[(١)]].

-: "وَالْمُخْتَار جَوَازُ إِطْلَاقِهِ عَلَىٰ اللَّه تَعَالَىٰ، وَمِنَ الْعُلَمَاء مَنْ مَنَعَهُ.

قَالَ الْإِمَام أَبُو الْمَعَالِي إِمَام الْحَرَمَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا وَرَدَ الشَّرْعُ بِإِطْلَاقِهِ فِي أَسْمَاء اللَّه تَعَالَىٰ وَصِفَاته أَطْلَقْنَاهُ، وَمَا مَنَعَ الشَّرْع مِنْ إِطْلَاقه مَنَعْنَاهُ، وَمَا لَمْ يَرِد فِيهِ إِذْنٌ وَلَا مَنْعٌ، لَمْ نَقْضِ فِيهِ بِتَحْلِيلٍ وَلَا تَحْرِيمٍ؛ فَإِنَّ الْأَحْكَام الشَّرْعِيَّةَ تُتَلَقَّىٰ مِنْ مَوَارِد الشَّرْع".

قلت: [يعني: ما لم يذكره الله عَزَّوَجَلَّ لا بنفي ولا إثبات؛ لا ننفيه ولا نثبته أيضًا، فلا يجوز إطلاقه علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه من القول علىٰ الله بلا علم].

-: "وَلَوْ قَضَيْنَا بِتَحْلِيلٍ أَوْ تَحْرِيمٍ لَكُنَّا مُثْبِتِينَ حُكْمًا بِغَيْرِ الشَّرْع، قَالَ: ثُمَّ لَا يُشْتَرَط فِي جَوَاز الْإِطْلَاق وُرُود مَا يُقْطَع بِهِ فِي الشَّرْع، وَلَكِنْ مَا يَقْتَضِي الْعَمَل، وَإِنْ لَمْ يُوجِب الْعِلْم".

قلت: [يعني أخبار الآحاد إذا جاء فيها اسمٌ، نطلقه علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا نَفَت عنه شيئًا ننفيه، فهنا اعتبر أخبار الآحاد].

---

(١) انظر: "مجموع فتاوىٰ ابن تيمية" (٦/ ٣٨٠-)، و(٨/ ٩٦-٩٧)، و"فتح الباري" لابن حجر (١١/ ٢١٥-٢١٧).

-:"فَإِنَّهُ كَافٍ، إِلَّا أَنَّ الْأَقْيِسَةَ الشَّرْعِيَّةَ مِنْ مُقْتَضَيَات الْعَمَل، وَلَا يَجُوز التَّمَسُّك بِهِنَّ فِي تَسْمِيَة اللَّه تَعَالَىٰ".

قلت: [لا يجوز القياس إلا في العمليات، أما في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ فلا].

-:"ولا يجوز التمسُّك بهنَّ في تسمية الله تعالىٰ وَوَصْفه. هَذَا كَلَام إِمَام الْحَرَمَيْنِ، وَمَحَلّه مِنَ الْإِتْقَان وَالتَّحْقِيق بِالْعِلْمِ مُطْلَقًا، وَبِهَذَا الْفَنّ خُصُوصًا مَعْرُوفٌ بِالْغَايَةِ الْعُلْيَا".

أقول: [إن النوويَّ هنا نقل تأويلات الأشاعرة، واختار جواز إطلاق هذا الوصف علىٰ الله، ونقل عن إمام الحرمين الجواز، لكنِّي أخشىٰ أن يكون مرادهما بجواز الإطلاق علىٰ سبيل التفويض، علىٰ طريقة الأشاعرة الذين لا يسيرون علىٰ منهج السلف في الإيمان بصفات الله وإثباتها لله علىٰ الوجه اللائق بالله، بل عندهم يطلقون اللفظ، مع عدم إثباتهم لمعناه في باب صفات الله كلِّها، إلا الصفات السبع: العلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر...، إلخ].

❊ ❊ ❊

(٤٠) بَابُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ مُشْرِكًا دَخَلَ النَّارَ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٥٠) [٩٢] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، وَوَكِيعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ وَكِيعٌ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. وَقَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**» وَقُلْتُ أَنَا: «**وَمَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

(١٥١) [٩٣] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: «**مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**».

(١٥٢) [٠٠] وَحَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ الْغَيْلَانِيُّ سُلَيْمَانُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ حَدَّثَنَا قُرَّةُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، قَالَ حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ

لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ» قَالَ أَبُو أَيُّوبَ: قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ: عَنْ جَابِرٍ.

(١٥٢) [٠٠] وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، قَالَ أَخْبَرَنَا مُعَاذٌ -وَهُوَ ابْنُ هِشَامٍ- قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ بِمِثْلِهِ.

(١٥٣) [٩٤] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّىٰ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ وَاصِلٍ الْأَحْدَبِ، عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ**، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: **وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ**».

(١٥٤) [٠٠] وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ خِرَاشٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُالصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي حُسَيْنٌ الْمُعَلِّمُ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، أَنَّ يَحْيَىٰ بْنَ يَعْمَرَ حَدَّثَهُ: أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ الدِّيلِيَّ حَدَّثَهُ: أَنَّ أَبَا ذَرٍّ حَدَّثَهُ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. ثُمَّ مَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**». قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ**» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ**» ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ: «**عَلَىٰ رَغْمِ أَنْفِ أَبِي**

ذَرٍّ». قَالَ: فَخَرَجَ أَبُو ذَرٍّ وَهُوَ يَقُولُ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ.

التعليق:

[فقد ساق المؤلِّف الإمامُ مسلمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب حديث ابن مسعود، وحديث جابر، وحديث أبي ذر، في بيان فضل التوحيد، وأنه السبب للنجاة من النار ودخول الجنة، وبيان خطورة الشرك، وأنه ذنبٌ لا يُغفَر، وأن المشرك بالله عَزَّوَجَلَّ يدخل النار ويُخلَّد فيها، لا فرق بين اليهودي والنصراني والوثني، كلُّ من يصدق عليه أنه مات مشركًا بالله عَزَّوَجَلَّ فهذا مصيره، وهذا مآله: دخول النار -والعياذ بالله-، والخلود فيها، وفي حديث أبي ذر أنه سأل النبيَّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مرارًا، وراجع النبيَّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيمن يموت علىٰ لا إله إلا الله وهو عاصٍ وواقع في كبيرة: سرقة، أو زنًىٰ، أو ما شاكل ذلك، راجع النبيَّ ﷺ في ذلك ثلاث مرَّات، والرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: «**وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ**»، ثم قال في الرابعة: «**عَلَىٰ رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ**». قَالَ: فَخَرَجَ أَبُو ذَرٍّ وَهُوَ يَقُولُ: "وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ"، راضيًا بحكم الله وبحكم رسوله ﷺ، وكأنه كان يستكثر علىٰ مرتكبي الكبائر؛ لأنه يبغضها؛ من قوَّة إيمانه يبغض هذه الكبائر والمعاصي، فاستغرب دخولهم الجنَّة، وألحَّ علىٰ النبيِّ في المراجعة، وفي النهاية قال رسولُ الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**عَلَىٰ رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ**».

ورَغِم أنف أبي ذر من الرَّغام، وهو التراب، كلمةٌ يستعملها العرب،

والظاهر أن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يقصد بمعناها إذلال أبي ذر، وإن كان هذا معناها، مثل قولهم : عَقْرىٰ حَلْقىٰ، ولا يقصدون بها حصول هذه المصيبة لمن يقال له هذا الكلام، وأيضًا: الويل لك، لا يقصدون معناها، ومثلُ هذه الأشياء، والله أعلم.

والرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يريد أن يُذلَّ هذا الصحابيَّ الجليل، وإنما هي كلمة اعتادها العرب، ويقولونها ولا يقصدون معناها، والرسول كذلك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الشاهدُ في هذه الأحاديث: بيانُ فضل التوحيد، وأن الموحِّد الذي يلقىٰ الله بالتوحيد مآلُه الجنة، إن كان خاليًا من الكبائر كامل الإيمان، دخل الجنة من أوَّل وهلة بغير عذاب، كما في السبعين ألفًا وأمثالهم، وإن كان عليه كبائرُ، فهذا يدخل تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه، ثم بعد ذلك لا بد من خروجه بهذا التوحيد من النار، ودخوله في الجنة، ويصدق عليه في النهاية أنه دخل الجنة، فهو داخل الجنة لا محالة بهذا التوحيد، فإن كان من المطيعين الكاملي الإيمان والطاعة، فهذا يدخلها رأسًا، وإن كان من العصاة من أهل الكبائر، فهذا يدخل تحت المشيئة، إن شاء الله عفا عنه وهو الغفور الرحيم، وإن شاء عذَّبه بعدله، ثم بعد ذلك لا بد أن يخرجه برحمته أو بشفاعة محمد ﷺ، أو بشفاعة غيره من الأنبياء والصديقين والملائكة

وغيرهم. هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، بخلاف الخوارج والمعتزلة، فإنهم يرون أن أصحاب الكبائر مخلَّدون في النار، لا تنفعهم شفاعة الشافعين -مثل الكفار- يُخلَّدون في النار.

ويختلف الخوارج والمعتزلة في الحكم على أصحاب الكبائر في الدنيا:

فالخوارج: يرون كفر هذا العاصي إذا لم يتب ويرجع إلى الله عَزَّوَجَلَّ، واستباحة دمه، ويحكمون عليه في الآخرة بالخلود في النار.

وأما المعتزلة: فيرون أنه بارتكابه الكبيرة يخرج من الإيمان، ولا يدخل في الكفر في هذه الدنيا، ويقع في منزلة بين المنزلتين.

وكلُّ هذه المذاهب باطلة، مخالفةٌ لنصوص كتاب الله ولسنَّة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومنها هذا النصُّ علىٰ أصحاب الكبائر الزُّناة والسرَّاق، فإنهم لابد أن يغفر الله لهم، ويدخلهم الجنة، بما عندهم من التوحيد، وهم قبل ذلك تحت مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ، وكذلك يؤيِّد هذه النصوص من القرآن: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: ٤٨]، فإن العصاة من أصحاب الكبائر، وغير المشركين يدخلون في هذا النص الحاسم من كتاب الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: ٤٨]، سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وسعت رحمتُه كل شيء! ومن رحمته أنه بهذا التوحيد

العظيم الذي خلق الله الناس من أجله، وحقَّقه هؤلاء، ولم يأتوا بما يضاده من الكفر والشرك، إلا أنهم وقعوا في معاصٍ وكبائر، فهؤلاء حُكمُهم - ما قاله أهلُ السنة، وحكيناه لكم سلفًا.

فوائدُ إسناديَّة:

نتكلم عن الأسانيد، فمن لطائف الإسناد -كما يقال- أن في هذه الرواية: حَدَّثَنِي حُسَيْنٌ الْمُعَلِّمُ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، أَنَّ يَحْيَىٰ بْنَ يَعْمَرَ حَدَّثَهُ: أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ الدِّيلِيَّ حَدَّثَهُ: أَنَّ أَبَا ذَرٍّ حَدَّثَهُ. يعني: أن ابن بريدة يروي عن يحيىٰ ابن يعمر وهو تابعي، ويَحْيَىٰ بْنَ يَعْمَرَ يروي عن أبي الأسود وهو تابعي، وأَبو الْأَسْوَدِ الدِّيلِيّ تابعي، ثلاثة تابعيون، يروي بعضهم عن بعض، فهذه من لطائف الأسانيد التي ينبِّه عليها من يُعنىٰ بهذا الشأن. كذلك الْمَعْرُورُ بْنُ سُوَيْدٍ في الرواية، عن أبي ذر، قالوا: هذا من المعمَّرين، وَهُوَ ابْن عِشْرِينَ وَمِائَة سَنَة، أَسْوَد الرَّأْس وَاللِّحْيَة. قالوا: إنه وصل إلى هذه السن وشعر رأسه ولحيته أسود، وهو من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هذا ما في الأسانيد من اللطائف، مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينبِّه علىٰ هذه الاختلافات في الألفاظ، عندنا في هذا الإسناد: "حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ الْغَيْلَانِيُّ سُلَيْمَانُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا قُرَّةُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ**». قَالَ أَبُو أَيُّوبَ: قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ: عَنْ جَابِرٍ". يعني: في الأول ذكر عن الاثنين أنهما قالا: حدثنا. ونبَّه في رواية أبي أيوب أن فيها: "قال أبو الزبير: عن جابر". وأبو الزبير مدلِّس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإن كان تدليسُه لا يضر في "صحيح مسلم"؛ لأنه من رجال مسلم، فإذا روىٰ عنه مسلم سواء كان بصيغة التحديث والسماع، أو كان بصيغة (عن) المختلف فيها، هل هي تدلُّ علىٰ السماع أو أنها منقطعة تدل علىٰ الانقطاع؟ هذا بالإضافة إلى تدليس أبي الزبير، وعلىٰ كل حال صيغة (عن) في الجملة، سواء كان راويها أو الراوي بها مدلسًا أو غير مدلس - فيها اختلاف، هل هي من صيغ الاتصال أو من صيغ الانقطاع؟.

الجمهور علىٰ أنها من صيغ الاتصال، إذا كان غير مدلِّس، فإذا ثبت لقاء الراوي لشيخه، فله أن يحدِّث بأي صيغة شاء: (حدَّثنا) أو (قال) أو (سمعت) أو (عن)؛ كل ذلك سواء في حق من ثبت لقاؤه لشيخه وهو غير مدلِّس، أما المدلِّس إن كان ثقةً وصرَّح بالتحديث فيُقبَل منه، وإن كان غير ثقة فلا يُقبَل منه إلا ما صرَّح فيه بالتحديث، هذا علىٰ وجه العموم(١)، أما ما يخصُّ الصحيحين،

(١) انظر: "شرح مقدمة مسلم" للنووي (١/ ١٢٨)، و"تدريب الراوي" للسيوطي (١/ ٢٤٤-٢٤٧)، و"فتح المغيث" للسخاوي (١/ ٢٠٥-٢٠٧)، وانظر: "السنن الأبين في السند المعنن" لابن رشيد الفهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فإنه لا يختلف -يعني: الرواية- سواء من مدلِّس أو من غيره، سواء بـحدَّثنا، أو (سمعت)، أو (قال)، أو (عن)، أو أي من الألفاظ المحتملة، فكلُّها تحمل على الاتصال[1]، لماذا؟ لأن الشيخين **التزما الصحة** فيما يوردانه في هذين الكتابين العظيمين.

والميزة الثانية: أن كتابيهما قد تُلُقِّيا بالقبول، درسهما أئمة الحديث وفحوله، ونخلوهما نخلًا، وما كان فيه من علَّة بيَّنوه وتكلموا عنه، وما كان ليس به علَّة أقرُّوه وتلقوه بالقبول، فهذا يكون متلقىٰ بالقبول، فحكمه حكم الأحكام المجمع عليها. وكما أن الأحكام المجمع عليها حق ومنسوبة إلى الشريعة الإسلامية، وتصح نسبتها، كذلك الأحاديث المتلقاة بالقبول، ولا سيما أحاديث الصحيحين، فإنَّا نحكم ونجزم ونقطع بأنها حق، وأن رسول الله قالها؛ لهذه الميزات ولغيرها.

وميزةٌ أخرى: وهي أن الشيخين انتخبا هذه الأربعة آلاف الحديث الموجودة في الصحيحين، عند البخاري بالتكرار قد تصل إلى سبعة آلاف وكسر، وعند مسلم بالتكرار قد تصل إلى اثني عشر ألفًا، وكلُّها ترجع إلى أربعة آلاف حديث، هذه منتخبة، البخاري انتخبها من ستمائة ألف حديث[2]، وكم لكل حديث من الطرق، وفيها ما فيها من التصريح بالسماع

---

(١) انظر: «شرح مسلم» للنووي (١/ ٣٣)، و«النكت» لابن حجر (٢/ ٥٧٨-٥٧٩).

(٢) رواه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ١٨٥)، وفي «تاريخ بغداد»=

من المدلِّسين، وكذلك مسلمٌ انتخب هذا الكتاب من ثلاثمائة ألف حديث[(١)]، وكلاهما تحرَّىٰ الدقَّة والصحَّة رحمهما الله، وقد التزما ذلك، فلابد من الفرق في الأحكام علىٰ المدلِّسين بين الصحيحين وبين غيرهما؛ لأن غيرهما لم تتوفر لهم هذه الميزات التي حباها الله لهذين الكتابين، وجمع قلوب العلماء علىٰ صحَّتها، وكم من إمام حكىٰ الإجماع علىٰ صحَّة كلِّ ما في الصحيحين[(٢)]!.

كذلك أيضًا ينبِّه مسلمٌ في كثيرٍ من الأحيان علىٰ الفروق والاختلافات بين صِيَغِ الرُّواة، قال في موضع: "حدثنا"، وقال في موضع آخر: "أخبرنا"، و"قال فلان عن"، و"قال فلان كذا"، ينبِّه علىٰ الفروق؛ لأن هذه الألفاظ مختلفة في معانيها، فهنا -كما قلنا- اختلفوا في أدوات الاتصال والانقطاع، والجمهور علىٰ أنها متصلة، ومنهم من يقول: منقطعة، فحكمُها حكمُ المنقطع والمرسل، والراجح أنها إن لم تكن من مدلِّس فإنها تفيد الاتصال، وإذا كانت في الصحيحين أو أحدهما، فإنها تُحمَلُ علىٰ الاتصال].

❋❋❋

= (٩/٢)، وذكره الذهبي في "السير" (١٢/ ٤٠٢)، وابن حجر في "مقدمة الفتح" (ص٤٨٩).

(١) رواه الخطيب في "تاريخه" (١٣/ ١٠٢)، وذكره النووي في "شرح مقدمة مسلم" (ص١٥)، والذهبي في "السير" (١٢/ ٥٦٥).

(٢) انظر: "شرح مقدمة مسلم" للنووي (١/ ٢٠)، و"النكت علىٰ كتاب ابن الصلاح" لابن حجر (١/ ٣٤٨-٣٥٣).

(٤١) بَابُ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٥٥) [٩٥] حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ حَدَّثَنَا لَيْثٌ، ح، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ -وَاللَّفْظُ مُتَقَارِبٌ- قَالَ: أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ، عَنِ الْمِقْدَادِ ابْنِ الْأَسْوَدِ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ فَقَاتَلَنِي، فَضَرَبَ إِحْدَىٰ يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لَاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فَقَالَ: أَسْلَمْتُ لِلَّهِ. أَفَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللهِ، بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا تَقْتُلْهُ»**. قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ قَدْ قَطَعَ يَدِي، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَطَعَهَا، أَفَأَقْتُلُهُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا تَقْتُلْهُ؛ فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ»**.

(١٥٦) [٠٠] وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَا: أَخْبَرَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ح، وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَىٰ الْأَنْصَارِيُّ،

قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ ح، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ جَمِيعًا، عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ. أَمَّا الْأَوْزَاعِيُّ، وَابْنُ جُرَيْجٍ فَفِي حَدِيثِهِمَا قَالَ: **أَسْلَمْتُ لِلَّهِ**، كَمَا قَالَ اللَّيْثُ. وَأَمَّا مَعْمَرٌ فَفِي حَدِيثِهِ: **فَلَمَّا أَهْوَيْتُ لِأَقْتُلَهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**.

(١٥٧) [٠٠] وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ ثُمَّ الْجُنْدَعِيُّ، أَنَّ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ أَخْبَرَهُ أَنَّ الْمِقْدَادَ بْنَ عَمْرِو ابْنَ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيَّ، وَكَانَ حَلِيفًا لِبَنِي زُهْرَةَ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ...؟ ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ اللَّيْثِ.

(١٥٨) [٩٦] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ ح، وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي ظِبْيَانَ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - وَهَذَا حَدِيثُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ - قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. وَقَتَلْتَهُ؟**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ. قَالَ: «**أَفَلَا شَقَقْتَ**

عَنْ قَلْبِهِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟»، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّىٰ تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: فَقَالَ سَعْدٌ: وَأَنَا وَاللهِ لَا أَقْتُلُ مُسْلِمًا حَتَّىٰ يَقْتُلَهُ ذُو الْبُطَيْنِ. يَعْنِي: أُسَامَةَ. قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾؟[الأنفال:٣٩] فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ قَاتَلْنَا حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَأَنْتَ وَأَصْحَابُكَ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّىٰ تَكُونَ فِتْنَةٌ.

(١٥٩) [٠٠] وَحَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الدَّوْرَقِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا حُصَيْنٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو ظَبْيَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، يُحَدِّثُ، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ، وَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّىٰ قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ لِي: «**يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا. قَالَ: فَقَالَ: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟**» قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّىٰ تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

(١٦٠) [٩٧] وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ خِرَاشٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ أَنَّ خَالِدًا الْأَثْبَجَ ابْنَ أَخِي صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، حَدَّثَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ

جُنْدَبَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيَّ بَعَثَ إِلَى عَسْعَسِ بْنِ سَلَامَةَ زَمَنَ فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: اجْمَعْ لِي نَفَرًا مِنْ إِخْوَانِكَ حَتَّىٰ أُحَدِّثَهُمْ. فَبَعَثَ رَسُولًا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَ جُنْدَبٌ وَعَلَيْهِ بُرْنُسٌ أَصْفَرُ، فَقَالَ: تَحَدَّثُوا بِمَا كُنْتُمْ تَحَدَّثُونَ بِهِ حَتَّىٰ دَارَ الْحَدِيثُ، فَلَمَّا دَارَ الْحَدِيثُ إِلَيْهِ حَسَرَ الْبُرْنُسَ عَنْ رَأْسِهِ، فَقَالَ: إِنِّي أَتَيْتُكُمْ وَلَا أُرِيدُ أَنْ[1] أُخْبِرَكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّهُمُ الْتَقَوْا، فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ، قَالَ: وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَقَتَلَهُ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ، حَتَّىٰ أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: «**لِمَ قَتَلْتَهُ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا - وَسَمَّىٰ لَهُ نَفَرًا - وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَىٰ السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَقَتَلْتَهُ؟**» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: «**وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» قَالَ: فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَىٰ أَنْ يَقُولَ: «**كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**».

---

(١) كذا في الأصل، ولعله: ولا أريد إلا أنْ أخبركم عن نبيكم.

التعليق:

[هذا الباب أيضًا أورد فيه المؤلِّف حديث المقداد وحديث أسامة، وفيهما أن كلمة (لا إله إلا الله) تعصم قائلها من القتل، بل تعصم دمه وماله؛ «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ»، هذا في حديث أبي هريرة[(١)] وحديث جابر بن عبد الله[(٢)]، وفي حديث ابن عمر: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللَّهِ»[(٣)].

والشاهد من مجموع الأحاديث: أنه إذا قال: "لا إله إلا الله" سلفًا يُعصَم دمُه ومالُه بمجرَّد قولها، ثم بعد ذلك ننظر صدقه من كذبه، فإن أقام الصلاة وآتىٰ الزكاة عرفنا صدقه، وإلا لا يرفع عنه السيف؛ فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وفي آية أخرىٰ: ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١] فهي أوَّل ما يقولها تعصم

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٢١).

(٢) أخرجه مسلم (٣٥) (٢١) بنحو حديث أبي هريرة وزاد: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية:٢١-٢٢].

(٣) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

دمَه ومالَه، ثم إذا لم يقم الصلاة ولم يؤدِّ الزكاة يُسَلُّ عليه السيف، كما قاتل الصحابة مانعي الزكاة.

ثم يختلف العلماء[(١)] في حكم تاركي الصلاة وتاركي الزكاة، فمنهم من يكفِّر من يترك أيَّ واحدة من هذه الأركان، ومنهم من يكفِّر تارك الصلاة والزكاة، ومنهم من يكفِّر تارك الصلاة فقط، ومنهم من لا يكفِّر من يترك شيئًا منها، لكن عند الجمهور يظل السيف مسلولًا علىٰ رأس المانعين للزكاة، ورأس التاركين للصلاة، غير أن تارك الصلاة إذا ترك صلاة مثل صلاة الظهر، ينصح بإقامتها، فإن أبىٰ يُنظَر إلى صلاة العصر ثم إلى غروب الشمس، فإن صلَّاهما وإلا قُتِل، عند مالك والشافعي وأحمد رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وبعضُهم لا يرىٰ قتله، والصواب أنه يُقتَل، والدليل آيتان من سورة التوبة: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٥]، فالتخلية بعد الشهادتين وبعد الإتيان بهذه الأركان، وهناك أقوالٌ أخرىٰ مرجوحة.

وفي حديث المقداد بْنِ عَمْرو بْن الْأَسْوَد الْكِنْدِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ فَقَاتَلَنِي، فَضَرَبَ إِحْدَىٰ يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لَاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فَقَالَ: أَسْلَمْتُ لِلَّهِ. أَفَأَقْتُلُهُ يَا

---

(١) انظر "مجموع فتاوىٰ" ابن تيمية (٧/ ٦١٠-٦١١)، و"جامع العلوم والحكم" لابن رجب (١/ ١٤٥-١٥٠/ الرسالة).

رَسُولَ اللهِ، بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقْتُلْهُ**» قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ قَدْ قَطَعَ يَدِي، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَطَعَهَا، أَفَأَقْتُلُهُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقْتُلْهُ؛ فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ**».

يعني: يصير معصوم الدم والمال، ولا يجوز قتلُه إذا قال هذه الكلمة، مهما فَعل، إن قطع يدك أو قطع رجلك، ولو قتل من المسلمين وأسرف في القتل، كما في حديث أسامة، وحديث جندب؛ فإنه إذا قالها فهذه الكلمة عظيمةٌ لو وضعت السموات والأرضون في كفة، ووضعت هذه الكلمة في كفَّة لوزنتها، فلها وزنُها عند الله وعند الرسول ﷺ وفي الإسلام، ولو قالها إنسانٌ عُصم دمُه ومالُه، ولا يجوز قتلُه بحال، ولهذا يقول الرسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ للمقداد: «**لَا تَقْتُلْهُ؛ فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ**». فأنت قبل أن تقتله معصوم الدم والمال، وما الذي عصم دمك ومالك؟ هو قول: (لا إله إلا الله). بسبب هذه الكلمة العظيمة، فلما قالها هو استحقَّ هذه العصمة أيضًا، «**وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ**». يعني: تصير مباح الدم؛ لأن الله أوجب القصاص، ولكن بسبب تأويله يُدفع عنه القصاصُ، فأسامةُ قتل ذلك الرجل الذي أثخن في المسلمين بعد أن قال: لا إله إلا الله. وعتب عليه الرسولُ

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولكن لم يوجب عليه قصاصًا، واختلفوا في الدية والكفارة، فبعضُهم يوجب الدية والكفَّارة، وبعضُهم لا يوجبها.

والشاهدُ من حديث المقداد ومن حديث أسامة: أن من يقول هذه الكلمة العظيمة «**لا إله إلا الله**» في الدنيا تعصم الدم والمال، ولو كان منافقًا، ما لم يظهر منه الكفر الواضح، وتعصم صاحبها من الخلود في النار، وتعصمه من الدخول في النار إن استوفىٰ مقتضياتها ومستلزماتها، وتعصمه من الخلود في النار إذا قالها وقصَّر في مستلزماتها ومقتضياتها.

وفيه أن الرسول ﷺ شدَّد علىٰ أسامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، واستفاد من هذه الشدة كما في حديث سعد هذا، وأنه اعتزل المشاركة في القتال في الجمل وصِفِّين، اعتزل لأنها فتنة، وما السبب في اعتزاله إيَّاها؟ إنه هذا الدرس الذي لقَّنه رسول الله ﷺ فيمن يقتل من يقول: لا إله إلا الله. فبعدها صمَّم أسامة علىٰ أنه لا يسلُّ سيفه إلا علىٰ الكفار، ولا يسلُّه علىٰ من يقول: لا إله إلا الله. وقد أرسل غلامه إلى عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقال له: إِنَّهُ سَيَسْأَلُكَ الآنَ، فَيَقُولُ: مَا خَلَّفَ صَاحِبَكَ؟ فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ: «**لَوْ كُنْتَ فِي شِدْقِ الأَسَدِ لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِيهِ، وَلَكِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَمْ أَرَهُ**»[(١)].

فسعدٌ عرف منهج أسامة وموقفه في هذه القضايا، فقال: "لا أقتل من

(١) أخرجه البخاري (٧١١٠).

قال: لا إله إلا الله. إلا إذا قتله ذو البُطَين" يعني: أسامة، فصار أسامة أسوةً لسعد، وإن كان سعدٌ أفضل، لكن هو متخصص في هذا الباب أكثر من سعد، فاتَّبَعَه، فصار أسوةً لسعد رضوان الله عليهم؛ لأن الفتنة التي حصلت بين المسلمين وعلىٰ رأسهم بعضُ الصحابة؛ يعني بعضهم نصر عليًّا، وبعضهم نصر معاوية، وطائفة من الصحابة توقفوا ولم يدخلوا؛ لأن عندهم أدلة، منها هذه الأدلَّة علىٰ أن من قتل من قال: لا إله إلا الله، فهذا مصيره، ويلحقه الوعيد في الدنيا والآخرة: «**إِذَا الْتَقَىٰ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**»(١)، وهذا من أدلة أبي بكرة وأبي سعيد الذين اعتزلوا هذه الفتنة ولم يشاركوا فيها، ومنهم ابنُ عمر، ومنهم جندب، ومنهم أسامة، ومنهم سعد بن أبي وقاص، وهم من أفاضل الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، لم يشاركوا في هذه الفتن؛ لعظمة حُرمة من يقول: لا إله إلا الله، وللوعيد الذي سمعوه من الرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ.

وأمَّا مسألة الصحابة الذين دخلوا في هذه الفتنة - وهم قليلٌ جدًّا - فكانوا مجتهدين، فإن نصوص الوعيد لا تنزل عليهم؛ لأنهم أهلُ اجتهاد وأهلُ تأويل، وكلُّهم يريد الحق، والوعيدُ ينصبُّ علىٰ الذين يقتتلون من أجل الدنيا يريدون الدنيا، ويقاتلون عصبية: «**مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨)، عن أبي بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَىٰ عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»[١]، فهؤلاء الذين يدخلون في الوعيد، أما الصحابة فكلهم -إن شاء الله- مجتهدون، وكلهم من أهل الجنة، ومن الأدلة علىٰ ذلك شهادة الرسول ﷺ لطلحة والزبير وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهم من العشرة المبشَّرين بالجنة من أهل الجنة[٢].

الفوائد حول "المقداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" أنه كان يقال: المقداد ابنُ الأسود. ثم لما حرَّم الله التبنِّي صار الناس يقولون: "المقداد بن عمرو". ثم يقولون: ابن الأسود تكتب بالألف؛ لأنه كان يوصف بهذا؛ فلهذا ينبِّه النوويُّ بأن هذا يكتب «ابن» بالألف؛ لأن سقوط الألف في (ابن) عندما تكون بين عَلَمَين متناسِلَين، " فَقَوْله ثَانِيًا: إِنَّ الْمِقْدَادَ بْنِ عَمْرٍو ابْنَ الْأَسْوَد، قَدْ يُغْلَط فِي ضَبْطه وَقِرَاءَته وَالصَّوَاب فِيهِ أَنْ يُقْرَأ «عَمْرٍو» مَجْرُورًا مُنَوَّنًا «وَابْنَ الْأَسْوَد» بِنَصْبِ النُّون، وَيُكْتَب بِالْأَلْفِ؛ لِأَنَّهُ صِفَة لِلْمِقْدَادِ وَهُوَ مَنْصُوبٌ فَيُنْصَب، وَلَيْسَ «ابْن» هَاهُنَا وَاقِعًا بَيْن عَلَمَيْنِ مُتَنَاسِلَيْنِ؛ فَلِهَذَا قُلْنَا: تَتَعَيَّن كِتَابَته بِالْأَلِفِ. وَلَوْ قُرِئَ: ابْنِ الْأَسْوَد بِجَرِّ «ابْن» لَفَسَدَ الْمَعْنَىٰ، وَصَارَ عَمْرو ابْن الْأَسْوَد. وَذَلِكَ غَلَطٌ صَرِيحٌ"[٣]. وقالوا: هو ليس بكندي، هو بهراني.

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم (١٨٤٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٣/ ٤٤٣-٤٤٦)، و«جامع المسائل» (٦/ ٢٥٥-٢٥٨)، كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٣) «شرح مسلم» (٢/ ١٠٢).

ويقولون في قصته: إنه من بهران. قال النووي: "وَأَمَّا قَوْلهمْ فِي نَسَبه: الْكِنْدِيّ، فَفِيهِ إِشْكَال مِنْ حَيْثُ إِنَّ أَهْل النَّسَب قَالُوا: إِنَّهُ بَهْرَانِيٌّ صُلْبِيَّة مِنْ بَهْرَاء بْن الْحَافّ - بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَة وَبِالْفَاءِ - ابْن قُضَاعَة، لَا خِلَاف بَيْنهمْ فِي هَذَا. وَمِمَّنْ نَقَلَ الْإِجْمَاع عَلَيْهِ الْقَاضِي عِيَاض وَغَيْره رَحِمَهُمَا اللَّهُ. وَجَوَابه أَنَّ أَحْمَد بْن صَالِح الْإِمَام الْحَافِظ الْمِصْرِيَّ كَاتِبَ اللَّيْثِ بْنِ سَعْد[(١)] . قَالَ: إِنَّ وَالِد الْمِقْدَاد حَالَفَ كِنْدَة فَنُسِبَ إِلَيْهَا. وَرَوَيْنَا عَنْ ابْن شَمَاسَة عَنْ سُفْيَان بْنِ صُهَابَة -بِضَمِّ الصَّاد الْمُهْمَلَة، وَتَخْفِيف الْهَاء، وَبِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَة- الْمَهْرِيّ قَالَ: كُنْت صَاحِب الْمِقْدَاد ابْن الْأَسْوَد فِي الْجَاهِلِيَّة، وَكَانَ رَجُلًا مِنْ بَهْرَاء، فَأَصَابَ فِيهِمْ دَمًا، فَهَرَبَ إِلَى كِنْدَة فَحَالَفَهُمْ، ثُمَّ أَصَابَ فِيهِمْ دَمًا، فَهَرَبَ إِلَى مَكَّة، فَحَالَفَ الْأَسْوَد بْن عَبْد يَغُوث.

فَعَلَىٰ هَذَا تَصِحُّ نِسْبَته إِلَى بَهْرَاء؛ لِكَوْنِهِ الْأَصْل، وَكَذَلِكَ إِلَى قُضَاعَة، وَتَصِحّ نِسْبَته إِلَى كِنْدَة لِحِلْفِهِ أَوْ لِحِلْفِ أَبِيه، وَتَصِحُّ إِلَى زُهْرَة لِحِلْفِهِ مَعَ الْأَسْوَد. وَاللَّه أَعْلَم "[(٢)].

هذا ما أذكره من الفوائد].

❋ ❋ ❋

(١) كذا قال النووي، والمعروف بذلك هو أبو صالح عبد الله بن صالح الجهني، والخبر في «الاستيعاب» لابن عبد البر (٤/ ١٤٨٠-البجاوي)، عن أحمد بن صالح المصري.

(٢) «شرح مسلم» (٢/ ١٠٢-١٠٣).

(٤٢) بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا»

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٦١) [٩٨] وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ قَالَا: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ وَهُوَ الْقَطَّانُ ح، وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، وَابْنُ نُمَيْرٍ، كُلُّهُمْ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ح وَحَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ -وَاللَّفْظُ لَهُ- قَالَ: قَرَأْتُ عَلَىٰ مَالِكٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا**».

(١٦٢) [٩٩] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ نُمَيْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُصْعَبٌ وَهُوَ ابْنُ الْمِقْدَامِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، عَنْ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ سَلَّ عَلَيْنَا السَّيْفَ فَلَيْسَ مِنَّا**».

(١٦٣) [١٠٠] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ بَرَّادٍ الْأَشْعَرِيُّ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا**».

التعليق:

[ساق المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب، حديثَ عبد الله بن عمر: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا». ومن حديث سلمة بن الأكوع: «مَنْ سَلَّ عَلَيْنَا السَّيْفَ فَلَيْسَ مِنَّا». ومن حديث أبي موسىٰ الأشعري، وهو بلفظ حديث ابن عمر: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا».

وهذه الأحاديثُ من نصوص الوعيد والذمِّ لمن يرتكب هذه الكبائر، وعند المعتزلة والخوارج أن من ارتكب كبيرة -ومنها هذه- فهو عند المعتزلة خارج من الإيمان في منزلة بين الإيمان والكفر، وعند الخوارج كافر، ولكنهم يحملون السلاح علىٰ المسلمين، فماذا يقولون في هذه الأحاديث؟ هم الذين حملوا السلاح، وسلُّوا السيوف وسفكوا دماء المسلمين؛ استحلالًا منهم لهذه الأمور. أمَّا أهل السنَّة فعندهم تفصيلٌ؛ إن كان مستحلًّا لذلك، وليس له تأويل، فهو كافر يخرج من ملَّة الإسلام، وإن كان غير مستحلٍّ فهو مرتكب لكبيرة من الكبائر العظيمة، ويستحق هذه البراءة - والعياذ بالله -: «لَيْسَ مِنَّا»، ويقال: إن سفيان بن عيينة كان يستنكر أن يقال: ليس علىٰ سيرتنا، وليس علىٰ طريقتنا. ويقول: يترك تأويل هذه النصوص حتىٰ تبقىٰ لها هيبتها(١)، فالإسراف في تأويلها قد يؤدِّي إلى

(١) انظر: «شرح النووي» (٢/ ١٠٨)، وروىٰ أبو داود في «سننه» (٣٤٥٣) من طريق ابن المديني عن يحيىٰ القطان قَالَ: كَانَ سُفْيَانُ يَكْرَهُ هَذَا التَّفْسِيرَ: «لَيْسَ مِنَّا» لَيْسَ مِثْلَنَا. وقد أنكر هذا التفسير أيضًا =

استخفاف الناس بهذه الأمور، فالأولىٰ عدمُ تأويلها إلا عند الضرورة والحاجة، كالرد علىٰ الخوارج الذين يكفِّرون بها، أمَّا عند عدم الحاجة، فينبغي أن تبقىٰ لهذه النصوص هيبتُها حتىٰ تفعل في النفوس فعلها، من زجرهم عن الكبائر، ومن ذلك خطر سلِّ السيوف؛ فإنها من أخطرها، وهذه الأحاديث -كما قلنا- حجَّة عليهم، ولكن هم يتأوَّلون وعندهم تأويلات، وإلا لكفروا فعلًا -يعني: إذا استحلُّوا دماء المسلمين-، والصحابة كانوا يروونها ولا يؤوِّلونها].

❁ ❁ ❁

= الأئمة عبد الرحمن بن مهدي وأبو عبيد القاسم بن سلام وأحمد بن حنبل رحمهم الله. انظر: «السنة» للخلال (٣/ ٥٧٦-٥٧٩)، و«الإيمان» (ص٤٣) و«غريب الحديث» (٣/ ١٩١-١٩٢)، كلاهما لأبي عبيد.

(٤٣) بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١٦٤) [١٠١] حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ الْقَارِيُّ ح، وَحَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ مُحَمَّدُ بْنُ حَيَّانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي حَازِمٍ، كِلَاهُمَا عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»**.

(١٦٤) [١٠٢] وَحَدَّثَنِي يَحْيَىٰ بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، وَابْنُ حُجْرٍ، جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَىٰ صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: **«مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟»** قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: **«أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ؛ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»**.

التعليق:

[أورد المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب حديث أبي هريرة؛ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا**». وهذا تأكيدٌ لما ورد في الباب الأول، «**وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**». وساقه من طريق إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ؛ قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَىٰ صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: «**مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟**» قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ؛ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي**».

في الحديث الوعيدُ علىٰ حمل السلاح، كما سبق في الأحاديث السالفة، وفيه الذمُّ الشديد لمن يغش الناس في أمور دينهم ودنياهم، فالغشُّ حرامٌ، وكبيرة من الكبائر تستحق هذه البراءة، هذا إذا كان في اليسير من أمر الدنيا، فكيف بالجسيم فيها؟! وكيف في أمور الدين؛ في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وما شاكل ذلك؟! فالغشُّ صفة خبيثة، تضر بالإسلام والمسلمين، فلهذا يقول ﷺ: «**مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي**»، وإن كان هذا الغش في أمر يسير، كما ترون في صاحب الطعام.

الصُّبْرَةُ: الطعام المجتمع كالكومة.

وبيَّن في الحديث الثاني السبب الذي دفع رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يقول هذا الكلام، اعتبر الذي فعل هذه الفعلة، فرأىٰ أن هذا اعتذاره بقوله: أصابته السماء غير كافٍ، ولهذا قال: «**أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ؛ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ**»، فإذا أظهره للناس، وأظهر عيب سلعته، خرج من هذا الذم - يعني: يبيِّن؛ كما قال الرسول ﷺ في البيّعان: «**إِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**»(١)،

فلابدَّ من البيان، وإلا إذا بعت دابّة، أو إذا بعت منزلًا أو طعامًا، أو ثيابًا أو غيرها وفيها شيء من العيوب، فيجب أن تبيِّنه للمشتري؛ حتىٰ يكون منها علىٰ بصيرة، ويستطيع أن يدفع قيمتها، لا أكثر من قيمتها، فإنك إذا غششته يدفع في الغالب في السلعة أكثر من قيمتها، سواء كانت سيارة أو منزلًا أو ثيابًا...؛ لأنه لا يرىٰ فيها عيبًا، فإذا أخبرته بالعيب كان علىٰ بصيرة، فالغالب أن العاقل يجعل لكل شيء قدره، فيقدِّره بقدر ما يستطيع.

الشاهد: أنَّ هذا من كبائر الذنوب، غش الناس ولو في الطعام أو في الثياب وفي محقرات الأشياء، فكيف إذا كان في عظائمها؟!

س: هل قول الرسول ﷺ «**لَيْسَ مِنَّا**» دليلٌ علىٰ أن المُوجِب ذلك من الكبائر؟

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢)، عن حكيم بن حزام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ج: نعم، هذا من الأدلَّة علىٰ أن هذا الأمر من الكبائر، فالكبيرة مختلفٌ في حدِّها، ولكن الأرجح أنه ما تُوعِّدَ عليه بلعنة أو بغضب أو براءة أو وعيد بالنار[1]].

❊ ❊ ❊

(١) انظر "شرح الطحاوية" لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٥٢٥-٥٢٦)، الرسالة - الطبعة العاشرة.

(٤٤) بَابُ تَحْرِيمِ ضَرْبِ الْخُدُودِ وَشَقِّ الْجُيُوبِ وَالدُّعَاءِ بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١٦٥) [١٠٣] حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ح، وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَوَكِيعٌ ح، وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي جَمِيعًا عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، أَوْ شَقَّ الْجُيُوبَ، أَوْ دَعَا بِدَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ**» هَذَا حَدِيثُ يَحْيَىٰ، وَأَمَّا ابْنُ نُمَيْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ، فَقَالَا: «**وَشَقَّ وَدَعَا**» بِغَيْرِ أَلِفٍ.

(١٦٦) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ح، وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا عِيسَىٰ بْنُ يُونُسَ، جَمِيعًا عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَقَالَا: «**وَشَقَّ وَدَعَا**».

(١٦٧) [١٠٤] وَحَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ مُوسَىٰ الْقَنْطَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ حَمْزَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ: أَنَّ الْقَاسِمَ بْنَ مُخَيْمِرَةَ، حَدَّثَهُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَىٰ، قَالَ: وَجِعَ أَبُو مُوسَىٰ وَجَعًا فَغُشِيَ

عَلَيْهِ، وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ، فَصَاحَتِ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، «فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ، وَالْحَالِقَةِ، وَالشَّاقَّةِ».

(١٦٧) [٠٠٠] حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، قَالَا: أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو عُمَيْسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا صَخْرَةَ يَذْكُرُ عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، وَأَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَىٰ قَالَا: أُغْمِيَ عَلَىٰ أَبِي مُوسَىٰ، وَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ أُمُّ عَبْدِ اللهِ تَصِيحُ بِرَنَّةٍ، قَالَا: ثُمَّ أَفَاقَ، قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمِي -وَكَانَ يُحَدِّثُهَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ»؟.

(١٦٧) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُطِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ عِيَاضٍ الْأَشْعَرِيِّ، عَنِ امْرَأَةِ أَبِي مُوسَىٰ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ح وَحَدَّثَنِيهِ حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا دَاوُدُ -يَعْنِي: ابْنَ أَبِي هِنْدَ- قَالَ: حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ح وَحَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِالْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ عِيَاضٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا» وَلَمْ يَقُلْ: «بَرِيءٌ».

التعليق:

[أيضًا هذا الباب فيه من ارتكب أمرًا من هذه الأمور عند المصيبة وموت القريب أو الصديق، فيرتكب شيئًا من هذه المخالفات؛ فإنَّ الرسول ﷺ يقول: «لَيْسَ مِنَّا»، وهذا غالبًا يفعله النساء، وقد يفعل مثله الرجال في بعض البلدان. «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ**» يلطم علىٰ خدِّه جزعًا وهلعًا. «**أَوْ شَقَّ الْجُيُوبَ**» يعني: شقَّ جيوب الثياب. «**أَوْ دَعَا بِدَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ**»، دعوىٰ الجاهلية - والله أعلم - في هذا السياق: وامُصِيبتاهُ، وَابَعْلاه، وتأتي دعوىٰ الجاهلية كما أنكر الرسول ﷺ علىٰ رجلين أحدهما من الأنصار والآخر من المهاجرين، لما اختصما قال أحدهما: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ. وقال الآخر: يَا لَلأَنْصَارِ. فقال الرسول ﷺ: «**مَا بَالُ دَعْوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ**»؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»(١) عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فاعتبر هذه دعوىٰ جاهلية، وكذلك دعوىٰ الجاهلية، أيُّ دعوىٰ وأيُّ أمر من أمور الجاهلية يدعىٰ إليها بعصبية أو غيرها، يدخل في هذا، ويتبرَّأ منه رسولُ الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وتفسيرُه علىٰ ما سبق إن كان مستحلًّا، ويعلم أن هذا محرَّم، فقد يكون جاهلًا فلا يكفر، أما إذا كان عالمًا بالتحريم ومستحلًّا فهذا يكفر، وإلا فهو

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤)، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

مرتكبٌ لكبيرة من كبائر الذنوب، تستحق مثل هذه البراءة، والعياذ بالله، كذلك البدع برّأ الله رسوله من مرتكبيها، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، فهذا يدل علىٰ غلظ البدع، والعياذ بالله، وهي تدخل في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورىٰ: ٢١] ، فأمر البدع عظيم، وأمور الجاهلية عظيمة، فعلىٰ المسلم أن يُسلم وجهه لله، وأن ينقاد لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فلا يبتدع تابعًا أو متبوعًا في دين الله شيئًا، ويحذر من أفعال الجاهلية، ويحذر من المعاصي والكبائر التي تستحق الوعيد من الله أو البراءة من الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فائدةٌ إسناديةٌ:

هنا ابنُ نمير: هو مُحَمَّد بْن عَبْد اللَّه بْن نُمَيْر، إذا قال مسلم: حدثنا ابن نمير. فهو محمد، وإذا قال: حدثنا ابنُ نمير عن أبيه. فأبوه هو عبدُ الله بنُ نمير.

مرَّ علينا عبدُ الصمد مرَّةً: عن أبيه، ومرَّةً: عن شعبة، وعبد الصمد هذا هو ابنُ عبد الوارث، فهو يروي هذا الحديث مرَّةً عن أبيه، ومرَّةً عن شعبة؛ لأنه في الحديث السابق: حَدَّثَنِيهِ حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا دَاوُدُ، يَعْنِي: ابْنَ أَبِي هِنْدَ. وفي طريق بعده، قَالَ:

حدثني الحسن بن علي الحلواني، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِالْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ. وفيه أن أبا موسىٰ أُغمي عليه، ولم يستطع أن ينكر هذا المنكر، فلما تمكَّن من إنكاره وهو في تلك الحال يصارع الموت، بلَّغ هذا الأمر عن النبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالمؤمن عليه أن يبلِّغ، وعليه أن ينكر المنكر في أيِّ حالٍ من الأحوال بقدر ما يستطيع؛ «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[(١)] فهذا سمع منكرًا، وهو في حالة إغماء، ولم يستطع أن ينكر هذا المنكر، ثم لما تمكَّن بادر بإنكار هذا المنكر.

وقد يفرح بعضُ الناس ويتمنَّىٰ أن الناس ينوحون عليه، ويقومون بعمل المآتم، والموالد، كما هي عادة كثير من أهل الضلال والجهل، وينعون نعي الجاهلية في الصحف، وينفقون الأموال الطائلة عند موت قريب من الأقرباء، وقد يعبثون بأموال اليتامىٰ، فهذه كلُّها من أمور الجاهلية، ومن أمور الجاهلية أيضًا، كما قال جرير وعبد الله بن عمرو بن العاص: «كُنَّا نَرَىٰ الِاجْتِمَاعَ إِلَىٰ أَهْلِ الْمَيِّتِ وَصَنْعَةَ الطَّعَامِ مِنَ النِّيَاحَةِ»[(٢)]، فهذه الأمور

(١) رواه مسلم (٤٩)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) رواه أحمد (٦٩٠٥)، وابن ماجه (١٦١٢)، عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

جاهليَّةٌ، الجلوس واستقبال العزاء، والإعلانات بأن فلانًا وفلانة يتقبَّل العزاء في المكان الفلاني، أين هم من هذه السنن، ومن هذه التربية النبوية ومن محاربة أمور الجاهلية؟

الإسلام جاء للقضاء علىٰ الجاهلية بكل أشكالها وألوانها، فيجب الوقوف عند حدود الله عَزَّوَجَلَّ في كل أمر من الأمور، ونراعي حرمات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ التي تسخطه، والتي تؤدِّي إلى البراءة براءة الله عَزَّوَجَلَّ، وبراءة رسوله ﷺ، المالُ يذهب، والوقت يذهب، وأنت في حالة مع الله تعالىٰ ومع رسوله ﷺ حالة خطيرة جدًّا وهي البراءة، وقد يستحلُّ بعضُ الناس شيئًا من هذا، فيكون الأمر أخطر وأعظم، والعياذ بالله.

س: ما رُوي عن فاطمة عند موت رسول الله ﷺ أنها قالت : "**وَاكَرْبَ أَبَتَاهُ**"[(١)]، هل يعتبر من النياحة؟

ج: لا، ليس هذا القول من دعوىٰ الجاهلية، ولا هو من النياحة -إن شاء الله- كلامٌ عظيمٌ قالته رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، ولهذا لم ينكر أحدٌ عليها من أصحاب رسول الله ﷺ.

س: هل يجوز الاجتماع للعزاء، والبقاء مع المتوفَّىٰ له للمواساة والمصابرة؟

---

(١) قطعة من حديث رواه البخاري (٤٤٦٢).

ج: لا يجوز ذلك، أنت تسلِّم عليه، وتنصرف ولا تتكلَّف، إذا تمكنت من تعزيته في المقبرة أو في المسجد أو في السوق أو في العمل أو في أي مكان أمكن أن تقوم بهذه السنة؛ لأن التعزية سنَّةٌ ومواساةٌ، فتؤديها بأي شكل، أمَّا علىٰ الوجه الجاهلي الذي حرَّمه الله فلا يجوز للمسلم، وأنا أوصي إخواني وأبنائي ألا يفعلوا شيئًا من أمور الجاهلية.

وأنا رأيت رسالة للشيخ ابن عثيمين صغيرة قيِّمة جدًّا في هذا الموضوع[(١)]، في بيان عزاء الجاهلية، والكلام عليه خاصة، والجلوس في بيت الميت - كلام جيد، فابحثوا عنها وانشروها علىٰ الشبكة العنكبوتية إذا وجدتموها، ويمكن أن يكون ذلك سببًا في طبعها ونشرها، والدالُّ علىٰ الخير كفاعله.

س: كم عدد الأيام التي تُحِدُّها المرأة علىٰ زوجها؟

ج: المرأة تُحِدُّ علىٰ زوجها أربعة أشهر وعشرًا، أما الرجل فليس عنده حداد، أمَّا قريبُها، أبوها، أخوها، عمُّها، فثلاثة أيام لا يحلُّ لها غير هذا، ولهذا أمُّ حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوجة النبيِّ ﷺ، لمَّا مات أبوها أبو سفيان دعت بطيب فيه صفرة في اليوم الثالث وزيَّنت نفسها به، وقالت: إِنِّي كُنْتُ عَنْ هَذَا

(١) انظر: «مجموع فتاوىٰ ورسائل الشيخ ابن عثيمين» (١٧/ ٣٦٢-٣٦٥ و٣٧٧-٣٨٠)، جمع وترتيب فهد السليمان.

لَغَنِيَّةٌ، لَوْلاَ أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، أَنْ تُحِدَّ عَلَىٰ مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ، إِلَّا عَلَىٰ زَوْجٍ**»[1].

أبوها: أبو سفيان، من عظماء قريش ومن عظماء الإسلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ومع ذلك فلم تتجاوز الحد الذي حدَّه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. والمسلم يمهِّد لهذه الأمور، وأنا أذكر شابًّا كان سلفيًّا، ثم طرأ عليه طارئ مسكين، كان سلفيًّا صادقًا في سلفيته، فتوُفي أبوه، فاجتمعت عشيرتُه من البادية ومن هنا ومن هناك، فجاءني فقال لي: الجماعة اجتمعوا في منزلي للعزاء، وأنت تعرف الحديث في هذا، والآن من الصعب عليَّ أن أتخلَّص منهم، فبما تنصح؟ فاضطررت أن أذهب وجلست معهم، ومهَّدت لهم باللطف واللين، ثم قالوا له لما فهموا: أتريدنا أن نجلس أم نذهب؟ قال: واللهِ السنَّةُ أحبُّ إليَّ. يعني: اذهبوا. ثم بعدها انحرف هذا الإنسان، لكن هي كانت بادرة طيبة لو كان صادقًا.

الشاهد: أن بعض الأمور الصعبة تحتاج إلى تمهيدات، ويصطدم الناس بأشياء لا يعرفونها، وقد لا يفيد، ولكن الأمر يتطلَّب التمهيد وإشاعة مثل هذا في الدروس والجلسات.

الشاهد من هذا: أن تتحمَّل النفوس مثل هذه الأمور -ومثلًا رسالة ابن

---

(١) رواه البخاري (١٢٨٠)، ومسلم (١٤٨٦).

عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المسألة لو تطبع وتوزع علىٰ الناس ينفع الله بها-، لكن الرسول ﷺ قال: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ »، وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ». أخرجه مسلم، وأحمد[1]، عن أبي مالك الأشعري.

الحديث إذا كان في غير الصحيحين، فلا يجوز لك إذا كنت متمكِّنًا من تصحيحه أو تضعيفه أن تقلِّد لا أبا داود ولا غيره، إذا كان الحديث عند مسلم فالعزو إلى مسلم أولىٰ من هذه الأسانيد كلها. عند مسلم: باب التشديد في النياحة: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عفان، حدثنا أبان بن يزيد، ح وحدثني إسحاق بن منصور -واللفظ له- أخبرنا حبان بن هلال، حدثنا أبان، حدثنا يحيىٰ، أن زيدًا حدثه أن أبا سلام حدثه، أن أبا مالك الأشعري حدثه: أن النبيَّ ﷺ قال: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ». وقال: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ».

الشاهد: أن هذه الأمور من أمور الجاهلية التي عند الكثير من الناس مع

---

(١) "صحيح مسلم" (٩٣٤)، و"المسند" (٢٢٩٠٣) و(٢٢٩٠٤) و(٢٢٩١٢).

الأسف، لكن هذا أمر كوني، ولكن شرعًا يجب أن نحاربه، والرسول ﷺ أخبر أن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة[1]، فلا نقل: الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أخبر بهذا ونسلِّم. لأن الله أراد هذا والرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أخبر بهذا؛ فهذا ضلال، فيجب أن نأمر بالمعروف، وننهىٰ عن المنكر، ونبيِّن للناس الحق، ونبيِّن أن هذا محرَّم، وأن هذا من أمور الجاهلية، وكذلك في حديث ثلاث وسبعين فرقة، فلا نقل: الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أخبر، فهذا الشيء لا بد منه. لا، يجب أن نبيِّن للناس، وننبِّه الناس، فما واجبك أنت؟! أواجبك أن تزيِّنه للناس، وترغِّب فيه، وتتهاون به، أم تكافحه بقدر ما تستطيع، وتأمر بالمعروف، وتنهىٰ عن المنكر الذي ميَّز الله به هذه الأمة؟!

س: هل يطلق علىٰ من ينتقص الصحابة أنه رافضي؟

ج: إن كانوا يسبُّون الصحابة أو بعض الصحابة، فهم من الروافض، ومن الروافض من يكفِّر أصحاب محمد ﷺ، وهؤلاء كفَّار؛ لأنهم يكذِّبون بنصوص الكتاب والسنة الواضحة الجلية في الثناء العاطر علىٰ أصحاب الرسول ﷺ، ووعدهم بالجنة، وليراجع "الصارم المسلول علىٰ شاتم

(١) رواه أحمد (٨٣٩٦)، وأبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقال الترمذي: "حسن صحيح". وقال: فِي البَابِ عَنْ سَعْدٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَعَوْفِ بْنِ مَالِكٍ. انظر: "الصحيحة" للألباني (٢٠٣) و(٢٠٤).

الرسول"؛ إذ فيه بيان كفر من يشتم الرسول أو غيره من الأنبياء، وفيه بيان حكم من يشتم الصحابة، أو يكفرهم، أو يكفر جمهورهم، والروافض من أكذب الناس علىٰ الله تعالىٰ وعلىٰ رسوله ﷺ.

والكذب عند أهل البدع جميعًا، كلُّ مبتدع كذاب، إذا كان عندهم تجهُّم، وعندهم عداوة شديدة لأهل السنة؛ لابن تيمية ولابن القيم ولابن عبد الوهاب وأمثالهم من أئمة السنة، وعندهم طرق خبيثة جدًّا، يعني: يعلِّمون العوام أن الله في كل مكان، ويكفِّرون من يقول: إن الله استوىٰ علىٰ العرش، وهم أخبث أنواع الجهمية.

❋ ❋ ❋

(٤٥) بَابُ بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ النَّمِيمَةِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٦٨) [١٠٥] وَحَدَّثَنِي شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ الضُّبَعِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا مَهْدِيٌّ وَهُوَ ابْنُ مَيْمُونٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَاصِلٌ الْأَحْدَبُ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا يَنِمُّ الْحَدِيثَ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ**».

(١٦٩) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَنْقُلُ الْحَدِيثَ إِلَى الْأَمِيرِ، فَكُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ الْقَوْمُ: هَذَا مِمَّنْ يَنْقُلُ الْحَدِيثَ إِلَى الْأَمِيرِ. قَالَ: فَجَاءَ حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَيْنَا، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ**».

(١٧٠) [٠٠٠] قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَوَكِيعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، ح، وَحَدَّثَنَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ، وَاللَّفْظُ لَهُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ مُسْهِرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ

الْحَارِثِ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ حُذَيْفَةَ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ رَجُلٌ حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَيْنَا، فَقِيلَ لِحُذَيْفَةَ: إِنَّ هَذَا يَرْفَعُ إِلَى السُّلْطَانِ أَشْيَاءَ. فَقَالَ حُذَيْفَةُ إِرَادَةَ أَنْ يُسْمِعَهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ**».

التعليق:

[ساق المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب حديث حذيفة من طرق فيما يتعلَّق بالنميمة، وأنه لا يدخل الجنة قتَّات ولا نمَّام، فهذا يدلُّ علىٰ أنها من الكبائر، وإذا كان المرء يستحلُّ النميمة، وهي: نقلُ الكلام من بعض الناس إلى بعضهم علىٰ وجه الإفساد، يقصد الإفساد، فهذه جريمة عظيمة جدًّا، فهذه كبيرة، يستحق صاحبها هذا الوعيد ألَّا يدخل الجنة، فإن كان مستحلًّا لهذه الكبيرة، فدخوله دخول الكافرين، ولا يدخل الجنة، ويدخل النار دخول الكافرين، ولا يدخل الجنة، وإن كان غير مستحلٍّ فهو مرتكب كبيرة، ومستحق هذا الوعيد إن عاقبه الله وعذبه، فيستحق هذا العذاب.

وجاء في حديث آخر: مرَّ رسول الله ﷺ علىٰ قبرين، فقال: «**يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، وَإِنَّهُ لَكَبِيرٌ، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»(١)، فبيَّن أنه كبير وهو من الكبائر، وهنا توعده بالنار أو لا يدخل الجنة، فالقتَّاتُ هو النمَّام، ويستثني العلماء من هذا نقلَ الناصحين

(١) رواه البخاري (٦٠٥٥)، ومسلم (٢٩٢)، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

إلى الحاكم؛ نقلهم أعمال المفسدين الذين يسعون في الأرض فسادًا، فإنه في هذه الحال يجب الضرب علىٰ أيدي المفسدين بيد من حديد، ولا يستطيع ذلك إلا الحاكم، فمن رفع أمر فتنتهم وإفسادهم إلى الدولة والسلطان المسلم فقد أدَّىٰ واجبًا، والذين يروِّجون المخدرات، واللصوص، وقُطَّاع الطرق، وشاربو الخمر، والذين يروِّجون البدع والشبهات والفتن - هؤلاء مفسدون في الأرض، ولابد من إيقافهم عند حدِّهم وتأديبهم وعقوبتهم بما يستحقون، فإن كان مروِّجًا للمخدرات فقد أفتىٰ العلماء بقتله؛ لأنه يفسد العقول ويفسد الأموال ويفسد الأديان، والعياذ بالله، وإن كان من قُطَّاع الطرق ومن المحاربين لله ولرسوله، فحدُّه قد بيَّنه القرآن: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [المائدة: ٣٣].

فالشاهد: أن النميمة جريمةٌ وكبيرةٌ من الكبائر، ويستحقُّ صاحبُها هذا الوعيد؛ لأنه يسعىٰ بين المسلمين بالإفساد، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أمر بالمؤاخاة بين المؤمنين والإصلاح بينهم، فعلىٰ المؤمن أن يستخدم الأسباب التي تؤلف بين القلوب، وتُكسب المحبَّة والمودَّة والتعاون علىٰ البرِّ والتقوىٰ؛ لأن النميمة من أسباب الفرقة، وقد تؤدي إلى القتال، وتؤدي إلى فتن تكون

من آثارها تفريق المسلمين - والعياذ بالله - وإضعاف شوكتهم، فالذي يسعىٰ بالنميمة للإفساد قد تكون نتائج سعيه الخبيث هذه النتائج الوخيمة، لذا استحق هذا الوعيد، والذي ينقل عن الساعين في الأرض بالفساد إلى من يمنعهم من هذا الفساد، هذا لا ينقل علىٰ سبيل الإفساد، وإنما ينقل علىٰ سبيل الإصلاح، علىٰ عكس النمَّام، ولهذا كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يستعمل العَسَس والعيون، والرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يستعمل العُيون، لكن ضد الكفار عندما يحتاج، والعلماء قرَّروا هذا؛ أن الوالي يكون له عيون في الأرض ينقلون له عن المفسدين؛ ليمنعهم من فسادهم وإفسادهم.

الشاهد: أنه إذا جاءك إنسان بنميمة، وقد تؤدي إلى الفتنة، فلا تصدِّقْه؛ لأن هذا عمل الفاسق، فهو مرتكب لكبيرة، فلا يقبل نقلُه، ويُساء به الظن، ولا يقبلُ حديثُه، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحُجُرات: ٦]، فإذا كان الواحد ينقل بين الإخوان كلامًا قد يؤدي إلى الإفساد، وهو يقصد الإفساد، فيجب ألا يقبلوا نقله؛ لأنه بنقله هذا يصير فاسقًا، ويدخل في الآية الكريمة: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾].

❋ ❋ ❋

(٤٦) بَابُ بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إِسْبَالِ الإِزَارِ، وَالْمَنِّ بِالْعَطِيَّةِ، وَتَنْفِيقِ السِّلْعَةِ بِالْحَلِفِ، وَبَيَانِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١٧١) [١٠٦] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُدْرِكٍ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**».

(١٧١) [٠٠٠] وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلَّادٍ الْبَاهِلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ وَهُوَ الْقَطَّانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الْأَعْمَشُ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُسْهِرٍ، عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْمَنَّانُ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْفَاجِرِ، وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ».

(١٧١) [٠٠٠] وَحَدَّثَنِيهِ بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، يَعْنِي: ابْنَ جَعْفَرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ سُلَيْمَانَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَقَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

(١٧٢) [١٠٧] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ - قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ - وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ».

(١٧٣) [١٠٨] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَهَذَا حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَىٰ فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ لَهُ بِاللهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ، وَهُوَ عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَىٰ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ».

(١٧٣) [•••] وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ح، وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ، قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْثَرٌ، كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ: «**وَرَجُلٌ سَاوَمَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ**».

(١٧٤) [•••] وَحَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أُرَاهُ مَرْفُوعًا. قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَىٰ مَالِ مُسْلِمٍ فَاقْتَطَعَهُ**». وَبَاقِي حَدِيثِهِ نَحْوُ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ.

التعليق:

[في هذا الباب ساق مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ حديث أبي ذر وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حديث أبي ذر في ثلاثة: «**الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**». وحديث أبي هريرة في ثلاثة وثلاثة، الثلاثة الأُوَل: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ** - قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: **وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ** - **وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**». وثلاثة آخرون: «**ثَلَاثٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَىٰ فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَحَلَفَ لَهُ بِاللهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا، فَصَدَّقَهُ، وَهُوَ عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَىٰ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ**

مِنْهَا لَمْ يَفِ». هؤلاء التسعة ورد فيهم هذا الوعيد - والعياذ بالله -، فلا يكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكِّيهم، وورد في القرآن مثلُ هذا الوعيد في حقِّ الكفار: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران: ٧٧]، والنوويُّ فسَّر النظر هنا بمعنىٰ الرحمة واللطف بهم[١]، وهذا تأويلٌ، علىٰ عادة الأشاعرة الذين أخذوا هذا المذهب عن الجهمية، وإذا جاء نصٌّ فيه الرحمة أوَّلوها بالإحسان مع الأسف، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ ولا يطهِّرهم من دنس الذنوب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم، يعني: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا ينظر إليهم كما ينظر إلى أوليائه، ولا يزكِّيهم، وهناك من يقول: لا ينظر إليهم نظر رحمة، والله أعلم.

الشاهد: أننا نثبت النظر لله عَزَّوَجَلَّ، ونثبت له الرؤية، وأنه يرىٰ ويسمع ويبصر ويعلم، مثل سائر صفاته الثابتة في الكتاب والسنة.

قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارٍ. يعني: تأكيدًا لفظاعة هذه الذنوب، قال أبو ذر لما سمع الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يكررها ويذكر هذا الوعيد، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْمُسْبِلُ إزاره**»، إسبال الإزار من المحرَّمات، والذي يتعمَّد الإسبال مُرتكبٌ كبيرةً لا

(١) انظر: «شرح مسلم» (٢/ ١١٦).

شك، وبعضُ الناس يقول: هذا خاصٌّ بالمسبل خيلاء، فإذا كان لا ينوي الخيلاء فهذا لا يدخل في الوعيد، لكن هو يدخل في التحريم علىٰ الأقل، أمَّا المختال فهو يدخل في الوعيد لا شك، وأمَّا غير المختال فورد في حديث: «**إِسْبَالُ الْإِزَارِ مِنَ الْمَخِيلَةِ**»(١)، يعني: جَعَل مطلق الإسبال من المخيلة، سواء قامت بنفسه هذه المخيلة، أو لم تقم بأن هذا الفعل نفسه من المخيلة، والإسبال حرامٌ - لا شك - علىٰ من قصد الخيلاء وعلىٰ من لم يقصده. وبعضُهم يرىٰ أن هذا خاص بمن يختال، وحديثُ: "**إسبال الإزار من المخيلة**" يردُّ هذا، والإزار والقميص والعمامة سواء، والإزار له ثلاث حالات: الحال الأولىٰ: سنة، وهي إلى منتصف الساق. والثانية: مباحة إلى ما فوق الكعبين. والثالثة: حرام، وهو ما نزل عن الكعبين ففي النار.

ومما جاء في إسبال الإزار حديث أبي جري جابر بن سليم رضي الله عنه:

قال أبو داود رحمه الله: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ، عَنْ أَبِي غِفَارٍ، حَدَّثَنَا أَبُو تَمِيمَةَ الْهُجَيْمِيُّ - وَأَبُو تَمِيمَةَ اسْمُهُ طَرِيفُ بْنُ مُجَالِدٍ - عَنْ أَبِي جُرَيٍّ جَابِرِ ابْنِ سُلَيْمٍ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ، لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا

(١) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٢٠٦٣٣)، وأبو داود (٤٠٨٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٨٢)، ورواه الترمذي (٢٧٢٢) مختصرًا، ليس فيه الشاهد. وقال: "حسن صحيح". وصححه ابن حبان (٥٢١) و(٥٢٢) والحاكم (٤/ ٢٠٦)، ووافقه الذهبي، والألباني في «الصحيحة» (١١٠٩).

عَنْهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَرَّتَيْنِ، قَالَ: " **لَا تَقُلْ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ، قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ** " قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أَنَا رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإِنْ أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ، أَنْبَتَهَا لَكَ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرَاءَ - أَوْ فَلَاةٍ - فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ فَدَعَوْتَهُ، رَدَّهَا عَلَيْكَ**» ، قَالَ: قُلْتُ: اعْهَدْ إِلَيَّ، قَالَ: «**لَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا**» قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا بَعِيرًا، وَلَا شَاةً، قَالَ: «**وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ، وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ، فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ**»(١).

وَالْمَنَّانُ: المنُّ أيضًا من الكبائر، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، فلا ينبغي للمؤمن أن يتَّصف بهذه الصفة القبيحة - والعياذ بالله -، فهي من الكبائرز

---

(١) انظر التخريج السابق.

وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ: بأن يحلف للزبون: إني اشتريت هذه السلعة أو هذه السيارة بعشرين ألفًا. وهي في الواقع بعشرة، فيوقعه في ضرر، فيشتري منه بعشرين ألفًا أو بأكثر، إذا كان اشترىٰ بعشرين ألفًا، فكم يعطيه؟ لابدَّ أن يزيده.

الشاهد: أن الذي ينفق سلعته بالحلف الكاذب، ولو كان في قليل ولو كان مكسبه زهيدًا، ما دام أنه يكذب في حلفه، فهو واقع في كبيرة من الكبائر - والعياذ بالله -، ويستحق هذا الوعيد، ويكون من الذين لا ينظر الله إليهم ولا يزكِّيهم ولهم عذاب أليم، إن كان مستحلًّا لذلك وعالمًا بحرمة هذا، فهو من الكفار والعياذُ بالله، وإن كان لا يستحلُّ فهو من أهل الكبائر، ويستحق هذا الوعيد إن عاقبه الله به، ومن هذا الوعيد العذاب الأليم، ويقولون: العذْبُ هو القطع، وسُمِّي الماء عذبًا؛ لأنه يقطع العطش، فَسُمِّيَ الْعَذَاب عَذَابًا؛ لِأَنَّهُ يَمْنَع الْمُعَاقَب مِنْ مُعَاوَدَة مِثْل جُرْمه، وَيَمْنَع غَيْره مِنْ مِثْل فِعْله. وَاللَّه أَعْلَم(١).

هذا الحديث - حديث أبي ذر - أعاده مسلمٌ مرَّة ثانية، المرَّة الأولىٰ: عَنْ أَبِي زُرْعَةَ وَهُوَ ابْن عَمْرو بْن جَرِير، عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ، هذا يقال: إنه كان يتيمًا في حجر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو تميميٌّ.

---

(١) انظر: «شرح مسلم» (٢/ ١١٦).

والحديث الثاني: عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُسْهِرٍ، عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ، قال: عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْمَنَّانُ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْفَاجِرِ، وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ**». في الحديث السابق قال: «**بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**»، فهؤلاء يستحقُّون هذا الوعيد، وهذا من الأدلَّة علىٰ أن هذه من كبائر الذنوب التي يجب علىٰ المسلم أن يتجنَّبها، وأن يتقي الله في نفسه، ونسأل الله العافية من ذلك.

عن أبي هريرة ثلاثةٌ أُخر: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ** -قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: **وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ**- [يعني: لم يذكرها وكيع، وذكرها أبو معاوية] **وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**».

وهؤلاء يستحقون هذا الوعيد؛ لأنهم كلهم ليسوا لهم دَواعٍ، فليس هناك داعٍ للشيخ يدعوه إلى الزنا، والمَلِك ليس له داعٍ يدعوه للكذب، والعائلُ المستكبر - أيضًا - ليس عنده داعٍ إلى الكبر؛ لأن الزنا من دواعيه الشبابُ، وما شابه ذلك، وهذا شيخٌ فانٍ ليس عنده ما عند الشباب، ولا دواعي الزنا، حتىٰ إنه ليس عنده دواعٍ إلى الحلال، فَلِمَ يزني؟! فهذا ليس معناه إلا أنه يريد معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يعني: خبيث الطبع، يتقصَّد معصية الله عَزَّوَجَلَّ، **والمَلِك الكذَّاب** أيضًا ليس هناك داعٍ للكذب؛ لأنه لا يخاف من الناس، ولا يحتاج إلى أن يتملق الناس؛ ليصل إلى منصب ولا شيء من هذا، فهذه

الأسباب التي تدعو غيره إلى الكذب، وإن كان الكذب محرَّمًا من كل شكل، وكذلك الزنا محرَّم مطلقًا، وحدُّ الزاني الرجم أو الجلد، **وعائل مستكبر**: يعني: ليس عنده مالٌ، وتجد فيه كبْرًا وتعاليًا - والعياذ بالله -، وليس عنده ما يدعوه إلى التكبر، سبحان الله! هذه الأمور تستوجب هذا الوعيد الذي توعَّد الله هؤلاء الثلاثة به، ولا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم، نفس وعيد الثلاثة الأُوَل.

وفي حديث أبي هريرة في حديث آخر: «**ثَلَاثٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَىٰ فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ**...». **ثلاث**: علىٰ معنىٰ أنفس أو نفوس، أي تؤوَّل، فتقول: ثلاثة وخمسة وسبعة في المذكَّر؛ ثلاثة رجال، أو أربعة رجال، أو خمسة رجال، أو ثلاث نساء، أو أربع نساء، أو خمس نساء، فالتاء تلحق المذكَّر، وتحذف في المؤنَّث، هنا حذف التاء في المذكَّرين؛ لأنه علىٰ تأويل أنفس؛ لأن النفس مؤنَّثة، والوعيد هنا نفس وعيد الستة الأُوَل، هنا رجلٌ عنده فضلُ ماء، عنده ماءٌ زائد لا يحتاجه، ويمرُّ ابنُ السبيل المنقطع وقد يموت من العطش، فيمنعه من الماء لا يجود عليه، وقد يكون مصيرُه الهلاك، فهذا مرتكبٌ كبيرةً عظيمة والعياذ بالله.

«**وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ**»، في الحديث السابق جاء الوعيد

في الذي يحلف علىٰ السلعة في أيِّ وقت، وهنا بعد العصر أغلظُ من الأولىٰ، وَخَصَّ مَا بَعْد الْعَصْر لِشَرَفِهِ بِسَبَبِ اجْتِمَاع مَلَائِكَة اللَّيْل وَالنَّهار وَغَيْر ذَلِكَ، «**فَحَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ**» يعني: ما عظَّم الله، ولا احترم هذا الوقت، ويتجرَّأ علىٰ الله ويحلف به، «**فَحَلَفَ لَهُ بِاللهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا. فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ**»، يعني: حلف له علىٰ أكثر من قيمتها، فيوقع المشتري المسكين في الغبن، فصدَّقه وهو علىٰ غير ذلك لأنه حلف له بالله، فاشترىٰ منه هذه السلعة بأكثر مما تستحق، بأكثر من قيمتها.

«**وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَىٰ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ**». المؤمن يبايع من أجل الله، وطاعةً لله، ولإقامة نظام الإسلام والمسلمين، ولمصالح عديدة يعلمها الله عَزَّوَجَلَّ، فالمؤمن يجب أن تكون نيَّته خيِّرةً، ونيَّتُه الإصلاح، وأن تكون نيَّته حقنَ دماء المسلمين، ومحاربة الفوضىٰ والفتن التي تترتب علىٰ عدم البيعة أو الإخلال بها، وهذا الذي يستحق هذا الوعيد الذي لا يبايعه إلا من أجل الدنيا، لا لوجه الله ولا لمصلحة الإسلام والمسلمين، ولا لشيء من المقاصد الطيبة، ثم إن أعطاه وفىٰ؛ لأنه حصل علىٰ ما يريد، وإن منعه خرج عليه ولم يَفِ، وقد يجنِّد أتباعًا، فيكثر فسادُه والعياذ بالله، فهذا مستحقٌّ لهذا الوعيد، وهذا من الغدر، وفي

الحديث: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ، يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ»(١).

وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "إِنِّي لاَ أَعْلَمُ غَدْرًا أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُبَايَعَ رَجُلٌ عَلَىٰ بَيْعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُنْصَبُ لَهُ الْقِتَالُ"(٢).

وفي حديث أبي هريرة الأخير يقول: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَىٰ مَالِ مُسْلِمٍ فَاقْتَطَعَهُ». يعني: ذاك الأول -والله أعلم- في البيع والشراء، وأما هذا فيغتصب ماله ويقتطعه ظلمًا، ثم يحلف عليه.

قال مسلم: "وَبَاقِي حَدِيثِهِ نَحْوُ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ".

عرفتم الفرق بين هذا وذاك، فالأول في البيع والشراء يخدع المشتري، والثاني يقتطع مال المسلم يقتطعه ظلمًا ويأخذه غصبًا عنه، ويحلف في هذا الوقت والعياذ بالله، ويأخذ مال المسلم ظلمًا بيمينه.

س: أحيانا يكون الشخص فقيرًا ويلبس الثوب الحسن، هل هذا يدخل في قوله: «**وعائل مستكبر**»؟

ج: لا، فالكِبْر: غمطُ الناس، وردُّ الحق، والتعالي علىٰ الناس وازدراؤهم، وهذا قد مرَّ، عن عبد الله بن مسعود، عن النبيِّ ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ

(١) رواه مسلم (١٧٣٦)، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (٧١١١).

كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»[(١)]، أما التعفف فهذا ممدوح، «وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[(٢)]، والله عز وجل يقول: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، هذه منقبة، وهذه منزلة عظيمة، الذي يتعفف كما قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلاَ اللُّقْمَةُ وَلاَ اللُّقْمَتَانِ، إِنَّمَا المِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ قَوْلَهُ: (لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا) [البقرة: ٢٧٣]»[(٣)].

س: في الحديث الأول: قال: «ثَلَاثَةٌ»، وفي الحديث الثاني: قال: «ثَلَاثٌ»؟

ج: سبق أن تكلَّمنا عن هذا، «ثَلَاثَةٌ» هو الأصل، و«ثَلَاثٌ» تُؤوَّل بمعنى: أَنْفُس.

---

(١) رواه مسلم (٩١).

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٣٩)، ومسلم (١٠٣٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س: قولُ النبيِّ لمَّا خرج ﷺ من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذَّبان في قبورهما، فقال: «**يعذبان، وما يعذبان في كبير، وإنه لكبير، كان أحدهما لا يستتر من البول، وكان الآخر يمشي بالنميمة**»[1] مرة قال: «**وما يعذبان في كبير**» ثم بعد ذلك قال: «**وإنه لكبير**»، فما المراد بالقولين؟

ج: أمَّا قولُه: «**وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**» أي: أنه سهلٌ عليه الامتناع عنه، وليس كبيرًا علىٰ النفس، وأمَّا قولُه: «**وَإِنَّهُ لَكَبِيرٌ**»، فهو عند الله تعالىٰ كبيرٌ وذنبٌ عظيم.

س: في قوله: "**أُرَاهُ مَرْفُوعًا**" في آخر حديث من حديث أبي هريرة، من قال هذا؟

ج: أُراه: أظنُّه، هذا الشكُّ يحتمل أن يكون من أبي صالح، أو من عمرو بن دينار، أو من سفيان، فيحتمل الكلَّ، ولا نستطيع أن نجزم إلا إذا قال: الشك من فلان. وهنا لم يعيِّنه، والشك قد يكون من سفيان، والله أعلم].

❊ ❊ ❊

(١) سبق تخريجه.

(٤٧) بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَإِنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٧٥) [١٠٩] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّىٰ مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّىٰ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا**».

(١٧٥) [٠٠٠] وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ح، وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْثَرٌ ح، وَحَدَّثَنِي يَحْيَىٰ بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ، قَالَ حَدَّثَنَا خَالِدٌ، يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ كُلُّهُمْ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ. وَفِي رِوَايَةِ شُعْبَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ ذَكْوَانَ.

(١٧٦)[١١٠] وَحَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ أَخْبَرَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ سَلَّامِ بْنِ أَبِي سَلَّامٍ الدِّمَشْقِيُّ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ: أَنَّ أَبَا قِلَابَةَ أَخْبَرَهُ: أَنَّ ثَابِتَ بْنَ الضَّحَّاكِ، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ بَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ عَلَىٰ رَجُلٍ نَذْرٌ فِي شَيْءٍ لَا يَمْلِكُهُ**».

(١٧٦) [•••] وَحَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذٌ وَهُوَ ابْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو قِلَابَةَ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ عَلَىٰ رَجُلٍ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ، وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ ادَّعَىٰ دَعْوَىٰ كَاذِبَةً؛ لِيَتَكَثَّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إِلَّا قِلَّةً، وَمَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينِ صَبْرٍ فَاجِرَةٍ**».

(١٧٧) [•••] وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَعَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ، كُلُّهُمْ عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ الْأَنْصَارِيِّ ح، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ**

بِمِلَّةٍ سِوَىٰ الْإِسْلَامِ، كَاذِبًا مُتَعَمِّدًا، فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ، عَذَّبَهُ اللهُ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» هَذَا حَدِيثُ سُفْيَانَ، وَأَمَّا شُعْبَةُ فَحَدِيثُهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ سِوَىٰ الْإِسْلَامِ، كَاذِبًا، فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ ذَبَحَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ، ذُبِحَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(١٧٨) [١١١] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رافعٍ، وعبْدُ بْنُ حُميْدٍ، جميعًا عَنْ عَبْدِالرَّزَّاقِ، قَالَ ابْنُ رافعٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُنَيْنًا، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يُدْعَىٰ بِالْإِسْلَامِ: «هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَلَمَّا حَضَرْنَا الْقِتَالَ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا، فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ الَّذِي قُلْتَ لَهُ آنِفًا: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» فَإِنَّهُ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا، وَقَدْ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِلَىٰ النَّارِ»، فَكَادَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرْتَابَ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ إِذْ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَىٰ الْجِرَاحِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»، ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَىٰ فِي النَّاسِ: «إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ».

(١٧٩) [١١٢] وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ وَهُوَ ابْنُ

عَبْدِالرَّحْمَنِ الْقَارِيُّ - حَيٌّ مِنَ الْعَرَبِ -، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْتَقَىٰ هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالُوا: مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ أَبَدًا. قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ، كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَىٰ سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ حَتَّىٰ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**».

(١٨٠) [١١٣] وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرِيُّ وَهُوَ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: «إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَتْ بِهِ قَرْحَةٌ، فَلَمَّا آذَتْهُ انْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَنَكَأَهَا، فَلَمْ يَرْقَأِ الدَّمُ حَتَّىٰ مَاتَ. قَالَ رَبُّكُمْ: «قَدْ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: إِي وَاللهِ، لَقَدْ حَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ جُنْدَبٌ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ.

(١٨١) [•••] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ، يَقُولُ: حَدَّثَنَا جُنْدَبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيُّ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، فَمَا نَسِينَا، وَمَا نَخْشَىٰ أَنْ يَكُونَ جُنْدَبٌ كَذَبَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَرَجَ بِرَجُلٍ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خُرَّاجٌ» فَذَكَرَ نَحْوَهُ.

التعليق:

[ساق المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب عددًا من الأحاديث عن أبي هريرة، وعن ثابت بن الضحاك، ، وعن أبي هريرة مرَّة أخرىٰ، وعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، وعن جندب بن عبد الله؛ كلُّها تلتقي في تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من يفعل ذلك مُعرَّضٌ للوعيد الشديد والعذاب الغليظ، وأنه يُقتلُ ويعذَّبُ بما قتل به نفسه في الدنيا، فيعذَّب في الآخرة وفي نار جهنَّم بما قتل به نفسه.

في **حديث أبي هريرة:** حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - فعلىٰ طريقة النووي التنبيهُ علىٰ لطائف الأسانيد، فهؤلاء كلهم كوفيون إلا أبا صالح وأبا هريرة، - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سَمًّا** [تقول: سَمٌّ، وَسُمٌّ، وَسِمٌّ فهذه كلها لغات] **فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّىٰ مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّىٰ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا**». فهذا دليلٌ علىٰ تحريم قتل النفس، فلا يقتل غيره، ولا يقتل نفسه، وهذا من الأدلة علىٰ تحريم الانتحار الذي يفعله كثيرٌ من السفهاء، ويتعلقون بشبهات وروايات ضعيفة لا تثبت، والمراد بالخلود بالنسبة لهؤلاء الثلاثة العذابُ الطويلُ إن لم يغفر الله لهم، أو المراد من استحلَّ قتل نفسه بحديدة أو تردَّىٰ من جبل أو شرب سمًّا، من استحلَّ ذلك فهو خالد فيها مخلَّد خلود الكافرين؛ لأنه استحلَّ شيئًا حرَّمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالكتاب والسنة والإجماع، ففيه تحريمُ قتل النفس بأيِّ وسيلة من الوسائل، والجزاء من جنس العمل، فهو قد قتل نفسه بحديدة في الدنيا، فيعذَّب بتلك الحديدة خالدًا في النار مخلدًا، إما الدوام الطويل إن كان مسلمًا، وإن كان مستحلًّا فهو خلود الكفار، وكذلك من شرب سمًّا فقتل

نفسه، فهو يتحسَّاه في نار جهنم خالدًا فيها مخلدًا أبدًا، وكذلك إذا تردَّىٰ من جبل فَهُوَ يَتَرَدَّىٰ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، والتردِّي: السقوط المخزي - والعياذ بالله - أن يسقط ويتحرك ويتقلب، والله أعلم.

والحديث الثاني: حديث ابن الضحاك، قَالَ: وَحَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ [وهو التميمي] قَالَ: أَخْبَرَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ سَلَّامِ بْنِ أَبِي سَلَّامٍ الدِّمَشْقِيُّ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ [اليمامي]: أَنَّ أَبَا قِلَابَةَ أَخْبَرَهُ [اسمُه: عبد الله بن زيد الجَرمي]: أَنَّ ثَابِتَ بْنَ الضَّحَّاكِ، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ بَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ عَلَىٰ رَجُلٍ نَذْرٌ فِي شَيْءٍ لَا يَمْلِكُهُ**»، فالذي يحلف يقول: أنا يهودي أو نصراني أو هندوكي، فمن حلف بملَّة غير ملَّة الإسلام فهو كما قال، يعني: ارتكب ذنبًا عظيمًا، والحلف يكون بالله عَزَّوَجَلَّ: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»[1]، أمَّا أن يحلف فيقول: أنا يهوديٌّ أو نصرانيٌّ، إن لم يكن كذا. فهذا قال: إن كان مستحلًّا لهذا فيكفر، وإن كان مخطئًا ومبالغًا في الانتقام من الآخر، فهذا أرىٰ أنه مثل الذي يقول لأخيه: يا كافر. فقد باء بها أحدهما أو حارت عليه، يستحق أن يطلق عليه الكفر، ولكنه كفر دون كفر، «**وَمَنْ**

(١) رواه البخاري (٢٦٧٩)، ومسلم (١٦٤٦)، عن ابن عمر رَضِّوَاللَّهُعَنْهُمَا.

قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فهذا يلتقي مع حديث أبي هريرة، فهذه صيغة عامة تشمل من قتل نفسه بحديدة أو بِسَمٍّ أو بأي شيء. «**وَلَيْسَ عَلَىٰ رَجُلٍ نَذْرٌ فِي شَيْءٍ لَا يَمْلِكُهُ**»، إذا نذر أن يتصدَّق بناقة فلان، أو يعتق عبد فلان، أو يتصدق بدراهم فلان، فهذا ليس عليه نذر، وهو خطأ، وقد ورد أن امرأة أُسِرت، ثم فرَّت من القوم، ومرَّت علىٰ ناقة فركبتها، فطلبوها فلم يلحقوا بها؛ لأنها كانت سريعة الجري، فنذرت إن هي وصلت المدينة أن تذبحها، فقال رسول الله ﷺ: «**سُبْحَانَ اللهِ، بِئْسَمَا جَزَتْهَا، نَذَرَتْ لِلَّهِ إِنْ نَجَّاهَا اللهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا، لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةٍ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ**»(١)، فأنكر عليها النبيُّ ﷺ.

وفي **الثاني**: قَالَ: وَحَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذٌ وَهُوَ ابْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو قِلَابَةَ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ عَلَىٰ رَجُلٍ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ، وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنِ ادَّعَىٰ دَعْوَىٰ كَاذِبَةً؛ لِيَتَكَثَّرَ بِهَا، لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إِلَّا قِلَّةً، وَمَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينِ صَبْرٍ فَاجِرَةٍ**» إلى آخره.

هذا فيه أمورٌ، منها: أنه «**لَيْسَ عَلَىٰ رَجُلٍ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ**»، إذا نذر ما لا

(١) قطعة من حديث رواه مسلم (١٦٤١)، عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يملك، فلا يلزمه النذر، ولا يصحُّ.

«وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ»: وفيه غلظ تحريم لعن المؤمنين، وأنه شديد جدًّا، وأن اللعن كالقتل، ولكن في أصل التحريم، وإن كان لعن المؤمن كبيرة، لكنه لا يماثل القتل نفسه، وإنما يشاركه في أنه حرام.

«وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فمعناه كما سبق.

«وَمَنِ ادَّعَىٰ دَعْوَىٰ كَاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إِلَّا قِلَّةً» يعني: من ادَّعىٰ العلم وهو ليس بعالم، أو ادَّعىٰ الغنىٰ وهو فقير، أو ادَّعىٰ أيَّ شيء وهو ليس كذلك، وليس كما ادَّعىٰ - لم يزده الله إلا قلَّة، فإن كان عنده مالٌ لا يزيده الله إلا فقرًا، وإن كان يدَّعي العلم فلا يزيده الله إلا جهلًا، والعياذ بالله، مهما ادَّعىٰ أيَّ شيء من الدعاوي الكاذبة، فهنا يعاقبه الله بنقيض قصده بعكس ما يريد، وينزع الله البركة من عمله.

«وَمَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينِ صَبْرٍ فَاجِرَةٍ» فهنا حذف الخبر - والله أعلم - ويُقدَّر أنه يعذَّب، والصَّبْر معناه: الحبس، يعني: يسجنه الحاكم في مال يدَّعيه عليه شخص، ويلزمه بالحلف، فيحلف بالله أن هذا المال ليس عنده، فيجحد هذا المال ويحلف كاذبًا: إن هذا المال مالي، وليس لفلان، أو ليس له عندي شيء، وهو عنده مال له قليل أو كثير.

قَالَ: وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَعَبْدُالْوَارِثِ بْنُ

عَبْدِ الصَّمَدِ، كُلُّهُمْ عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ الْأَنْصَارِيِّ ح، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ سِوَىٰ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا مُتَعَمِّدًا، فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ، عَذَّبَهُ اللهُ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**» هَذَا حَدِيثُ سُفْيَانَ، وَأَمَّا شُعْبَةُ فَحَدِيثُهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ سِوَىٰ الْإِسْلَامِ، كَاذِبًا، فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ ذَبَحَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ، ذُبِحَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». فهو ينبِّه علىٰ اختلاف الألفاظ، فهنا حصل اختلافٌ بين رواية سفيان ورواية شعبة، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ سِوَىٰ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ ذَبَحَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ ذُبِحَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». كما قال في السابق، فالمعنىٰ واحد، لكن الألفاظ اختلفت، وهذا الحالف بملَّة سوىٰ الإسلام لا يكون إلا كاذبًا؛ لأنه ينزل المحلوف به منزلة الله عَزَّوَجَلَّ الذي يُحلف به، فهو كاذبٌ علىٰ كل حال، لكن ليس المعنىٰ أنه لو حلف بِمِلَّةٍ غير الإسلام صادقًا لا إثم عليه، بل يكون إثمًا كبيرًا؛ لأن الحلف بغير الله من أنواع الشرك؛ فهذا من الألفاظ التي لا مفهوم لها، كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ [النساء: ٢٣]الربيبة حرام، سواء تربَّت في حجره أو في حجر غيره.

قَالَ: وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رافعٍ، وعبْدُ بْنُ حُميْدٍ، جميعًا عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ،

قَالَ ابْنُ رافعٍ: حَدَّثَنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُنَيْنًا [هنا قال: حنينًا، والصواب خيبر]، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يُدْعَىٰ بِالْإِسْلَامِ: «**هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ**». ["فقال لرجل": يعني في شأن رجل، ليس معناه: أنه قال له وخاطبه بهذا، وإنما قاله في حقه وفي شأنه]. فَلَمَّا حَضَرْنَا الْقِتَالَ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا، فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ الَّذِي قُلْتَ لَهُ آنِفًا: «**إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**» فَإِنَّهُ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا، وَقَدْ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِلَىٰ النَّارِ**»، فَكَادَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرْتَابَ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ إِذْ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَىٰ الْجِرَاحِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»، ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَىٰ فِي النَّاسِ: «**إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ**». فالصحابة استغربوا، هذا الرجل ظاهره أنه مسلم، ثم قاتل هذا القتال الشديد، فكيف يكون من أهل النار؟! والرسول ﷺ يتحدث بوحي، ما قال هذا الكلام من عند نفسه، وإنما أعلمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن فلانًا هذا من أهل النار، فهذا فيه حثٌّ علىٰ الإخلاص لله، وعلىٰ صدق الإيمان، وعلىٰ الإخلاص في الجهاد، أو في أيِّ عمل، وأن الإنسان قد يعمل فيما يبدو للناس بعمل أهل الجنة، وهو في

الواقع من أهل النار، إما لنفاقه، وإما لعمل آخر، يقتضي أنه يموت علىٰ سوء الخاتمة، والعياذ بالله، فالله جرت سنّتُه الكريمة ولطفه أن من يعمل لله صادقًا مخلصًا أن يتوفاه علىٰ الخير وعلىٰ الإسلام، ومن عنده أمور يُخفيها -والله أعلم- ويظهر خلافها، فهذا معرَّض لسوء الخاتمة، والعياذ بالله، فهذا الرجل قيل فيه: إنه منافق. والله أعلم.

وفيه معجزةٌ من معجزات الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ ولهذا قال: «**اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»، ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَىٰ فِي النَّاسِ: «**إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ**». ولو بذل من الأموال أمثال الجبال من الذهب، ولو قاتل مع المسلمين وأثخن في الأعداء، ما دام لم يكن مسلمًا فلن يدخل الجنة؛ لأنه كافر بالله أو منافق، والعياذ بالله.

«**وَإِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ**» فهذا رجل فاجر، وقد أيَّد الله به الدين، وأثخن في العدو، وفعل ما لم يفعله أحد من الصحابة، ولهذا قالوا في عبارة: "مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ". يعني: ما أحد يلحقه في هذا العمل من المجاهدين من الصحابة.

وحديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْتَقَىٰ هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا

يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالُوا: مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ أَبَدًا. يعني: أتبَّعه حتىٰ أقف علىٰ الحقيقة؛ لأن ظاهره أنه من أهل الجنة، فهذا مجاهد، فلابد من سبب، فتابعه ليعرف السبب والحقيقة، فعرف في النهاية وهو أنه قتل نفسه.

قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ، كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَىٰ سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ. فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ حَتَّىٰ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**». وهذا الحديث يلتقي مع حديث عبد الله بن مسعود، قال: حدَّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً**

مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا».(١)

فالأعمال بالخواتيم، لكن إذا كانت المقدِّمات سليمة وصحيحة، والأعمالُ يراد بها وجهُ الله، وعلىٰ وفق شرع الله، فعادة الله بعباده -وهو الرؤوف الرحيم- أن يتوفاهم علىٰ الإسلام، فهذا الذي تكون نهايته هكذا، فالله أعلم أن هناك أسبابًا تؤدي به إلى هذا، إلى أن يموت فيكون من أهل النار، والعياذ بالله، فهذا الرجل ظاهرُه الإسلام والجهاد، حتىٰ ذهل القوم وعمل أعمالًا يعجزون عنها، فالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: «**إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، لماذا؟ لأنه لم يكن رجلًا مخلصًا في عمله هذا، وما يريد به وجه الله، ويقول بعضُهم: إنه منافق، واسمُه قزمان(٢)، والظاهر أن القصة واحدة في حديث أبي هريرة، وحديث سهل بن سعد، فالله أعلم.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) «شرح مسلم» (٢/ ١٢٣).

وبعد هذا قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرِيُّ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: «**إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَتْ بِهِ قَرْحَةٌ، فَلَمَّا آذَتْهُ انْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ** [الكنانة هي الجعبة التي يوضع فيها السهام] **فَنَكَأَهَا**، [يعني طعنها وجرحها] **فَلَمْ يَرْقَأِ الدَّمُ حَتَّىٰ مَاتَ** [استمر الدم في النزيف يخرج ويفور ولم يتوقف حتىٰ مات الرجل]. **قَالَ رَبُّكُمْ: قَدْ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**»، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: إِي وَاللهِ، لَقَدْ حَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ جُنْدَبٌ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ. يعني: الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ ساق الحديث، ثم قال: لَقَدْ حَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ جُنْدَبٌ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ. هذا التأكيد للسامعين أنه تلقَّىٰ هذا الحديث عن جندب، وهذا الرجل الذي قتل نفسه كان فيمن قبلنا من الأمم السابقة، وهذا كغيره إما أن يكون مستحلًّا فحرَّم الله عليه الجنة؛ لأنه استحلَّ قتل نفسه - والعياذ بالله -، وإما كغيره من الأحاديث التي يُذكر فيها تحريمُ الجنة والخلود في النار، فيراد به أنه لا يدخلها مع الداخلين في أول مرة، فيعذبه الله علىٰ قدر ذنبه وما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ثم بعد ذلك بسبب توحيده وإيمانه يُدخلُه الجنة، كما في الأحاديث الدالَّة علىٰ هذا.

ثم بعد ذلك قَالَ: وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ، يَقُولُ: حَدَّثَنَا

جُنْدَبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيُّ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، فَمَا نَسِينَا، وَمَا نَخْشَىٰ أَنْ يَكُونَ جُنْدَبٌ كَذَبَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَرَجَ بِرَجُلٍ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خُرَّاجٌ**»، فَذَكَرَ نَحْوَهُ.

فالحسن يؤكِّد أنه حفظ هذا الحديث وما نسيه، وما يخاف أَنْ يَكُونَ جُنْدَبٌ كَذَبَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لأن هذا صحابي جليل، والصحابة كلهم عدول، ولم يحفظ عن أحد منهم كذبة، ولا بكلمة واحدة، علىٰ كثرتهم -رضوان الله عليهم-، فقد يقع الإنسان في خطأ، وقد يقع في ذنب ويغفر الله له، ولكن الكذب -والحمد لله- لم يثبت علىٰ أحد منهم رضوان الله عليهم، ولهذا أجمع السلف علىٰ عدالتهم[1] -رضوان الله عليهم- من واقِعهم، ومن تزكية الله لهم، ومن تزكية رسول الله لهم، رضوان الله عليهم، وقبَّح الله أعداءهم من الروافض والخوارج].

❁❁❁

(١) انظر: "مقدمة علوم الحديث" لابن الصلاح (ص٢٩٤-٢٩٥)، و"فتح المغيث" للسخاوي (٤/ ٩٤-١٠١).

(٤٨) بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ الْغُلُولِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١٨٢) [١١٤] حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سِمَاكٌ الْحَنَفِيُّ أَبُو زُمَيْلٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ، أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فُلَانٌ شَهِيدٌ. حَتَّىٰ مَرُّوا عَلَىٰ رَجُلٍ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا -أَوْ عَبَاءَةٍ-**» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا بْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ: أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ**»، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: «**أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ**».

(١٨٣) [١١٥] وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ الدُّؤَلِيِّ، عَنْ سَالِمٍ أَبِي الْغَيْثِ، مَوْلَىٰ ابْنِ مُطِيعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، ح وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَهَذَا حَدِيثُهُ: قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، يَعْنِي: ابْنَ مُحَمَّدٍ، عَنْ ثَوْرٍ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:

خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْنَا، فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلَا وَرِقًا، غَنِمْنَا الْمَتَاعَ وَالطَّعَامَ وَالثِّيَابَ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى الْوَادِي، وَمَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَبْدٌ لَهُ، وَهَبَهُ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جُذَامٍ يُدْعَىٰ رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ، فَلَمَّا نَزَلْنَا الْوَادِيَ، قَامَ عَبْدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحُلُّ رَحْلَهُ، فَرُمِيَ بِسَهْمٍ، فَكَانَ فِيهِ حَتْفُهُ، فَقُلْنَا: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَلَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نَارًا أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ**»، قَالَ: فَفَزِعَ النَّاسُ، فَجَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَصَبْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ -أَوْ: شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ-**».

التعليق:

[أورد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب حديث عمر وحديث أبي هريرة فيمن يغلُّ شيئًا من الغنيمة، وأنه حتىٰ لو قُتل في المعركة لا تطلق عليه الشهادة - والعياذ بالله -، وأن جزاءه النار، فهذا الأول غلَّ شملة بردة أو عباءة، لعلَّها لا تساوي دريهمات، يُقتل فلا يظفر بالشهادة؛ لأن الغلول من أموال المسلمين، ولا سيما غنائمهم، والغلول: هو الخيانة في الغنيمة، أكثر ما يطلق في الفيء أو في الغنائم، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا -أَوْ: عَبَاءَةٍ-**»، فما بالكم فيمن يخون المسلمين في المليارات!

والعياذ بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

الشاهد: أن هذا غلامُ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومعه في الجهاد، ويقتل بسهم، وظاهرُه أنه رماه عدوٌّ غير مسلم، فعدَّه الصحابة في الشهداء، بناءً علىٰ ظاهر الحال، ولكن الله أطلع رسوله علىٰ حقيقة الحال، أخبره الله أن هذا الرجل في النار، قد دخلها، وفي ماذا؟ في بُردة غلها أو عباءة - بردة: أي شملة، والعباءة معروفة من القماش أو من الكتان -شك الراوي- ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا بْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ: أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ**»، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ. فالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما قال: إن هذا كافر، ولا قال: إن هذا منافق. وعلَّل دخوله النار بأخذ العباءة أو البُردة، ونفىٰ عنه الإيمان -والله أعلم-؛ لأنه وإن كان عنده أصل الإيمان، والإيمان يُنفَىٰ عن صاحبه إذا ارتكب ما يُخلُّ به من الواجبات، أو ارتكب ما ينافي شيئًا منه من المحرَّمات، فنحن لا نستطيع أن نجزم أن هذا كافر؛ لأن الرسول ﷺ لم يقل: إن هذا كافر. ولا علَّل ذلك بكفره أو بنفاقه، وإنما علَّله بالخيانة، فبئست البطانة! فالخيانة عظيمة وخطيرة جدًّا، فأموال المسلمين من غنائم وغيرها في غاية الحرمة، فكيف بالأموال الخاصة؟! هذه الأموال عامَّة، فكيف بالأموال الخاصة عندما يظلم شخص بعينه؟! فكم يعاني من الألم! ولكن هذا المال العام لا

أحد يتألم له كثيرًا، ولا أحد يتحسَّر عليه، لكن لو كان خاصًّا بشخص كان يألم ويحزن، لما نزل به من الظلم والخيانة.

والحديث فيه: أن الجنة لا يدخلها إلا المؤمنون، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ: أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ**»، اللهمَّ إن كان في الحديث إشارة إلى أن هذا الرجل غير مؤمن، فالله أعلم، لكن لا نجزم.

فهذا الحديث فيه: أيضًا تحريمُ أموال المسلمين العامة وأموالهم الخاصة، وهذا واحد من الأدلة الكثيرة علىٰ تحريم أموال المسلمين وأعراضهم ودمائهم، وعلىٰ تحريم الغلول من الأموال العامة: ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ** ﴾ [آل عمران: ١٦١]، فلهذا لمَّا جَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَصَبْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ**». الشِّراك: هو سَيْر النعل، التي تمسك النعال في الأقدام، شيء ليس له قيمة، لكن ما جزاؤه ؟ النار؛ لأنه خيانة، فالله حرَّم الغلول وأنت تخون المسلمين ولو بأدنىٰ شيء، حتىٰ لو أن إنسانًا غلَّ سواكًا، فإنه يأتي به يوم القيامة، حتىٰ لو غلَّ إبرة فما دونها، فإنه يأتي بها يوم القيامة - والعياذ بالله - ويعذَّب بها.

فالغنائم وغيرُ ذلك من أموال المسلمين عمومًا، والزكاة كذلك لها حرمتها، فروىٰ البخاري -واللفظ له- ومسلم[١] من حديث أبي هريرة قال: قام فينا النبيُّ ﷺ، فَذَكَرَ الْغُلُولَ فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، قَالَ: « **لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، عَلَىٰ رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَىٰ رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَىٰ رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَوْ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ** » وقال أيوب: عن أبي حيان: «**فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ**».

قَالَ مُسلم: وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ الدُّؤَلِيِّ، عَنْ سَالِمٍ أَبِي الْغَيْثِ، مَوْلَىٰ ابْنِ مُطِيعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، ح وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَهَذَا حَدِيثُهُ: قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، يَعْنِي: ابْنَ مُحَمَّدٍ، عَنْ ثَوْرٍ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْنَا، فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلَا وَرِقًا، غَنِمْنَا الْمَتَاعَ وَالطَّعَامَ وَالثِّيَابَ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى الْوَادِي، وَمَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَبْدٌ لَهُ، وَهَبَهُ لَهُ

---

(١) البخاري (٣٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١).

رَجُلٌ مِنْ جُذَامٍ [جذام قبيلة من قبائل العرب] يُدْعَىٰ رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ، مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ، فَلَمَّا نَزَلْنَا الْوَادِيَ، قَامَ عَبْدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحُلُّ رَحْلَهُ، فَرُمِيَ بِسَهْمٍ، فَكَانَ فِيهِ حَتْفُهُ، فَقُلْنَا: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«كَلَّا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نَارًا أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ»**، قَالَ: فَفَزِعَ النَّاسُ، فَجَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَصَبْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ»**. والظاهر أن هذا إذا مات وهو غالٌّ لها، أما وقد أعادها فقد خرج من إثمها، فهذا -والله أعلم- معناه: **أنك لو أَخْفيتها ولم تُعدها لكان هذا جزاءك**، فالأول غلَّها ومات مُصرًّا عليها، قال: **«كَلَّا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نَارًا، أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ»**، **«كَلَّا»** هذه للردع، وهذا قَسَمٌ، فيقسم الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ويؤكد أن مصير هذا الرجل النار بسبب الشملة التي غلَّها من الغنائم يوم خيبر ولم تصبها المقاسم.

الشاهد: أن الغلول أمرٌ خطيرٌ في أموال المسلمين العامة، ومنها الغنائم، يعني قال: «**لم تصبها المقاسم**»، ما قُسِمت بعد ونال كل واحد حظَّه وقِسمَه، قَالَ: "فَفَزِعَ النَّاسُ". فزعوا خوفًا من الله عَزَّوَجَلَّ؛ فهم تربية الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لكن الآن لا تتحرك ضمائر الناس، ولو كان عند الإنسان

في هذا الزمان شيء من أموال الناس لا يعيده، إلا من رحم الله.

قال: فَجَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَصَبْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ**». الشك من الراوي، هل هو شراك أو شراكان؟ وسواء كان شراكًا واحدًا فهو من النار، أو كان شراكين فمن النار كذلك، والعياذ بالله.

والحديث فيه تحريم الغلول، وفيه معجزةٌ للرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أن الله كشف له عن نار جهنم فأراه إيَّاها، ورأىٰ فيها هذا الرجل، وهذا فيه تربيةٌ لهذه الأمة وتخويف وزجر لهم، يري الله نبيَّه النار ومصير هذا الإنسان فيها؛ حتىٰ يرتدع الناس عن الظلم والخيانة، فإذا خُنت شخصًا قد يكون أشدَّ، فالخيانة أمر خطير جدًّا، ومن علامات النفاق الخيانة؛ كما قال رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في علامات المنافق: «**إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، إِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[1]، فالخيانة أمر عظيم، والعياذ بالله.

الشاهد: أن هذا الغلام وقع في الغلول؛ فاستحق الدخول في النار، ونُفيت عنه الشهادةُ عنه، بقول الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما سئل عنه: «**كَلَّا**»، يعني: ليس شهيدًا، نفىٰ عنه الشهادة في الأول والثاني بقوله: «**كَلَّا**»

(١) رواه البخاري (٣٤) واللفظ له، ومسلم (٥٩)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

يعني: فإنه ليس بشهيد كما تذكرون، بل هو في النار.

س: هل هؤلاء الذين يجمعون الأموال باسم المساعدات، ثم يأخذونها وينفقونها علىٰ أنفسهم أو في أمور أخرىٰ، هل هذا من الغلول؟

ج: نعم، هذا من الغلول الشديد، قد يكونون أشد خيانة؛ لأنهم يجمعونها باسم الفقراء والمساكين ووجوه الخير، ويذهبون بها إلى أمور أخرىٰ، منها: الإغداق علىٰ أحزابهم، ومنها: ما يستميلون به ضعفاء النفوس؛ ليكونوا من أتباعهم، ومنها: ما يستخدم لشراء المتفجرات؛ لتدمير المسلمين، ومنهم تنظيم القاعدة وما تفرَّع عنها، ليت المسلمين صغارًا وكبارًا يتنبَّهون لهؤلاء].

❋❋❋

(٤٩) بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنْ قَاتِلَ نَفْسِهِ لَا يَكْفُرُ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١٨٤) [١١٦] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، جَمِيعًا عَنْ سُلَيْمَانَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ حَجَّاجٍ الصَّوَّافِ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ؟ - قَالَ: حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - فَأَبَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي ذَخَرَ اللهُ لِلْأَنْصَارِ، فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ، فَمَرِضَ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ، فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ، فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ، فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ، فَرَآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ، وَرَآهُ مُغَطِّيًا يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ. فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيًا يَدَيْكَ؟ قَالَ: قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا

أَفْسَدْتَ. فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ».

التعليق:

في هذا الحديث أن الكبائر لا تخرج المسلم - ولو عظُمت - من دائرة الإسلام، وقتلُ النفس من أعظم الذنوب وأكبرها، يتلو الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، ومع ذلك لم يخرجه من الإسلام، ويبقىٰ تحت مشيئة الله إن شاء عفا عنه كما عفا عن هذا، وإن شاء عاقبه؛ كما ورد في الأحاديث التي سلفت: أن من يقتل نفسه بحديدة فهو في نار جهنم يتوجأ بها خالدًا فيها مخلدًا أبدًا، ومن تردّىٰ من جبل، ومن شرب سمًّا...، فإنه يعذَّب بالنار بذلك الشيء الذي قتل به نفسه خالدًا فيها مخلدًا أبدًا، إن كان مستحلًّا فكافر، وإن كان غير مستحلٍّ فهذا جزاؤه.

في هذا الحديث: (عَنْ جَابِرٍ أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ) هذا أسلم والرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ في مكة، وقصته في التأريخ: أنه كانت قريش تحذر من رسول الله ﷺ أشد التحذير، ويُنفِّرون منه أشدَّ التنفير، كما يفعل أهلُ الضلال في كل زمان ومكان، فذهب ليطوف بالبيت، فحشا أذنيه بالقطن حتىٰ لا يسمع من رسول الله شيئًا، ثم قال: أنا رجل عاقل، لماذا لا أسمع؟ فإن كان حقًّا قبلتُه، وإن كان شرًّا صددته. فرمىٰ هذا القطن الذي في أذنيه

واستمع إلى الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، -وهو يقرأ القرآن أو نصحه بالأحاديث لا أدري- فآمن به، فأسلم [(١)] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم عرض علىٰ رسول الله ﷺ أن يذهب إلى دوس معه، فإن عندهم حصنًا حصينًا، فأبىٰ ذلك رسولُ الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما ادَّخر الله للأنصار وللمدينة النبوية؛ ليكون الأنصار أنصار رسول الله، ولتكون المدينة منطلقًا للفتوحات الإسلامية، فكان هذا بإرادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا من فضل الله علىٰ الأنصار، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الحشر: ٩] ، ثم إن الأنصار مُهيَّئون للإسلام أكثر من دوس؛ لأن طُفيلًا لما رجع إلى بلده ما أسلم إلا أبوه وأمه، فكثيرٌ من الناس لم يستجيبوا، وشكا الطفيل من دوس؛ لأنهم يكثر فيهم الفساد والزنا وما شابه ذلك[(٢)]، فطلب منه أن يدعو عليهم، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: « **اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ** »[(٣)].

- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ؟ -قَالَ: حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ- فَأَبَىٰ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي ذَخَرَ اللهُ لِلْأَنْصَارِ، فَلَمَّا

---

(١) انظر: «السيرة» لابن هشام (٢/ ٢٢-٢٣/ طه عبد الرؤوف).

(٢) انظر المصدر السابق (٢/ ٢٤).

(٣) رواه البخاري (٢٩٣٧)، ومسلم (٢٥٢٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ). أي: كَرِهُوا الْمَقَام بِهَا لِضَجَرٍ وَنَوْع مِنْ سَقَم. (فَمَرِضَ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ)؛ لأن المدينة كان فيها وباء، كان فيها حُمَّىٰ شديدة، ولما وصل رسول الله ﷺ هو والصحابة في أول هجرتهم، ومعه أبو بكر وبلال مرض أبو بكر وبلال، فكان بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ
وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ وَهَلْ تَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَىٰ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

المهم أنهم مرضوا لما جاءوا لأن المدينة كان فيها وباء وحمىٰ شديدة، فسأل رسول الله ﷺ ربّه عَزَّوَجَلَّ أن ينقل هذه الحمىٰ إلى الجحفة[١]، قال: (فَمَرِضَ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ). وَهِيَ: جَمْع مِشْقَص بِكَسْرِ الْمِيم وَفَتْح الْقَاف. قَالَ الْخَلِيل، وَابْن فَارِس، وَغَيْرهمَا: هُوَ سَهْم فِيهِ نَصْل عَرِيض. (فقطع بها براجمه) وهي مَفَاصِل الْأَصَابِع، وَاحِدتهَا: بُرْجُمَة. (فقص يديه، فشخبت يداه) يعني: نزل الدم، أَيْ: سَالَ دَمُهُمَا، وَقِيلَ: سَالَ بِقُوَّةٍ[٢]، وما

(١) انظر: "صحيح البخاري" (٥٦٧٧)، و"صحيح مسلم" (١٣٧٦).
(٢) "شرح مسلم" (٢/ ١٣١).

سدها حتىٰ مات، (فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّىٰ مَاتَ، فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ، فَرَآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ، وَرَآهُ مُغَطِّيًا يَدَيْهِ)، وهيئته حسنة؛ لأن الله غفر له وأدخله الجنة إلا في هذه النقطة.

(فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ)؛ لأن الهجرة تَجُبُّ ما قبلها، وهذا العمل جاء بعدها بعد الهجرة، فما كان من سيِّئات وغيرها غفرها الله له بهذه الهجرة.

وهذا العمل السيِّئ وهو خطير جدًّا كأنه قتل نفسه بهذا العمل، والله أعلم أنه ما قصد أن يقتل نفسه، فالله أعلم.

(فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيًا يَدَيْكَ؟ قَالَ: قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ). هذا جزاءٌ من الله عَزَّوَجَلَّ لهذا الإنسان وتأديبًا له وللمسلمين؛ فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ**».

الشاهد: أنه قتل نفسه وما كفر، وغفر الله له بهجرته، والذنب الذي ارتكبه بعد الهجرة عاقبه الله به في يديه فقط، وغفر الله له قتل نفسه - والله أعلم -، والرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يشفع لهذه الأمة في حياته ويدعو لهم، ويشفع لهذه الأمة يوم القيامة، ولكن لا ندري هل تمَّ هذا أم لا؛ لأن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لكل نبيٍّ منهم دعوة مستجابة، فهل

استجيبت دعوتُه في هذا الرجل أم لا؟ الله أعلم، لا نستبعد، لكن لا نجزم في نفس الوقت؛ لأن الرسول ﷺ سأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهذه الأمة أشياء، فيعطىٰ بعضها، ويمنع من بعضها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأخبر أن الله قد أعطىٰ لكل نبيٍّ دعوة مستجابة، فدعا كلُّ نبيٍّ دعوته التي أعطيها، والرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اختبأ دعوته هذه الدعوة المضمونة ادَّخرها شفاعة لأمته يوم القيامة[1]، وإذا دعا فبغير هذه، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الغالب يستجيب له، وقد لا يستجيب له، فالله أعلم استجيب له بإصلاح يديه أو لا، هذا يرجع إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فالرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم ييأس فدعا ﷺ: «**اللهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ**»، ولكن هذه ليست من الدعوات المضمونة، أما في الآخرة فيقال له: «**اِشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَ**»[2]، وفي الدنيا أُعطي إجابة دعوة واحدة، فادَّخرها للآخرة، ودعواتُه هذه ليست مضمونة، إن شاء الله أعطاه، وإن لم يشأ لم يعطه، أما الشفاعة فهذه مضمونة في الآخرة، ويؤكد هذا ما جاء عن النبيِّ ﷺ: أنه سأل ربَّه ثلاثًا، فأعطاه ثِنتين، ومنعه واحدةً.

فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**».

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٥)، ومسلم (١٩٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قطعة من حديث الشفاعة الطويل، رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ: ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾ [الأنعام: ٦٥] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَهْوَنُ - أَوْ هَذَا أَيْسَرُ -»[1].

وفي حديث آخر: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا»[2]. إلا بأسهم بينهم، فلم يستجب له فيها ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾، يعني: فرقًا وتكون فتنا فلم يعطها ﷺ].

❋ ❋ ❋

---

(١) رواه البخاري (٤٦٢٨).

(٢) رواه مسلم (٢٨٩٠)، عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٥٠) بَابٌ فِي الرِّيحِ الَّتِي تَكُونُ قُرْبَ الْقِيَامَةِ، تَقْبِضُ مَنْ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الإِيمَانِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٨٥) [١١٧] وحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَأَبُو عَلْقَمَةَ الْفَرْوِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ سُلَيْمٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنَ الْيَمَنِ أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ، فَلَا تَدَعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ**» - قَالَ أَبُو عَلْقَمَةَ: «**مِثْقَالُ حَبَّةٍ**»، وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: «**مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ**».

س: ما علامات الساعة الكبرىٰ والصغرىٰ؟

ج: أمَّا الكبرىٰ: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال، ونزول عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأظنُّ أن هذه الريح المذكورة في هذا الحديث، هي التي تأتي في زمن عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بعد أن يبعث الله يأجوج ومأجوج، ويُهلك الدجال علىٰ يد عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد أن ينصر عيسىٰ علىٰ الدجال، ويحكم بالإسلام، ويملؤها عدلًا، ويقتل الخنزير،

ويضع الجزية، يبعث الله يأجوج ومأجوج: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦﴾ [الأنبياء: ٩٦]، كما ذكر الله ذلك في القرآن، فيأمر الله عيسىٰ أن يقود عباده إلى الطور؛ لأنه يأتيه قومٌ لا يدان لعيسىٰ ومن معه بقتالهم، فيندفعون كالسيل وهم يأجوج ومأجوج، فيأتون إلى بحيرة طبرية فيشربونها؛ لكثرتهم، ثم يدعو اللهَ عليهم عيسىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيهلكهم اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وتأتي طيرٌ تحملهم وتلقيهم حيث يشاء الله عَزَّوَجَلَّ، ويرسل الله مطرًا يطهِّر الأرض منهم ومن آثارهم، ثم يعيش بعد ذلك عيسىٰ ومن معه سنين، ثم يرسل الله لهم هذه الريح، فالله أعلم أن هذه الريح هي تلك الريح التي وردت في حديث عيسىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثم يبقىٰ بعدهم شرار الناس يتهارجون كتهارج الحمر فتقوم عليهم الساعة[١]، والذين مع عيسىٰ -والله أعلم- هم امتداد للطائفة المنصورة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ بقوله: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»[٢]، فينزل عيسىٰ ولهذه الطائفة جهاد ولها إمارة ويصلي عيسىٰ خلف أميرهم[٣]، وهذه من البشائر لأهل الشام، نسأل الله تعالىٰ أن ينشأ بها دعاة صالحين صادقين، ينشأ علىٰ أيديهم نواة لهذه الطائفة إن شاء الله.

---

(١) انظر: "صحيح مسلم" حديث (٢٩٣٧).
(٢) رواه مسلم (١٩٢٠)، عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) انظر: "صحيح مسلم" حديث (١٥٦).

(٥٢) بَابُ مَخَافَةِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١٨٧) [١١٩] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ. وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: **«يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ أَشْتَكَىٰ؟»** قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَىٰ، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **«بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»**.

(١٨٨) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ نُسَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ:

حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ خَطِيبَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِنَحْوِ حَدِيثِ حَمَّادٍ، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِهِ ذِكْرُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ. وَحَدَّثَنِيهِ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ صَخْرٍ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا حَبَّانُ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحُجُرات: ٢]. وَلَمْ يَذْكُرْ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فِي الْحَدِيثِ.

(١٨٨) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا هُرَيْمُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَىٰ الْأَسَدِيُّ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، يَذْكُرُ عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ، وَلَمْ يَذْكُرْ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، وَزَادَ: فَكُنَّا نَرَاهُ يَمْشِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

التعليق:

[أورد المصنِّف في هذا الباب حديثَ أنس بن مالك من طرق، في قصة ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان كما ذكر في الحديث خطيبَ الأنصار، وسببُ نزول هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات:٢]، أن وفدًا من بني تميم قدموا إلى النبيِّ ﷺ وفيهم الأقرعُ بنُ حابس وآخرُ من أعيانهم، والأقرعُ بنُ حابس كان في السنة

الثامنة في غزوة حنين ممن أعطاه الرسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ العطاء الواسع يعني قبل الوفود، فإسلامُه متقدِّمٌ والذين معه.

وكأن الرسول استشار مَنْ يؤمِّر عليهم، فأشار أبو بكر بالقعقاع، وأشار عمر بالأقرع، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافك، وارتفعت أصواتهما، فأنزل الله هذه الآية تأديبًا للمؤمنين؛ ألَّا يقدِّموا بين يدي رسول الله ﷺ وأن يحترموه ويعرفوا منزلته، فلا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ(١)، فيخاطبونه بأدب؛ فإنه خاتم الأنبياء وسيد المرسلين عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ ولهذا يقال: إن الله يذكر الأنبياء بأسمائهم، وما يذكر محمدًا ﷺ إلا بالرسول أو بالنبيِّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾، فأمر المؤمنين ألَّا يجعلوا دعاء الرسول كدعاء بعضهم بعضًا، فلا يقال: يا محمد. بل يقال: يا نبيَّ الله، يا رسولَ الله؛ إكرامًا وإجلالًا له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ(٢)، لما نزلت هذه الآية خاف ثابتُ بنُ قيس بن شماس أن يكون من أهل النار، بل جزم من شدة الخوف أنه من أهل النار؛ لأنه كان يرفع صوته وكان أرفع الصحابة صوتًا، كان خطيبًا مفوَّهًا، وربما يخطب

---

(١) روىٰ القصة البخاري (٤٣٦٧) و(٤٨٤٧)، عن عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر: "دلائل النبوة" لأبي نعيم (١/ ٤٠-٤٤)، و"الصارم المسلول" لابن تيمية (ص٤٢٢-٤٢٣)، و"إمتاع الأسماع" للمقريزي (٣/ ٩٥ و١٠٥-١٠٧)، و"الخصائص الكبرىٰ" للسيوطي (٢/ ٣٢٤).

ويعلو صوته رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهذا دليلٌ علىٰ احترامه للرسول، وإيمانه بما نزل وجاء من الرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، فدفعه ذلك إلى أن حكم علىٰ نفسه بأنه من أهل النار، واحتبس في بيته، فسأل الرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ عنه؛ لأنه يعرف منزلة أصحابه، ويعرف قدر هذا الرجل، فسأل الرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ عنه سعد بن معاذ لعلَّه اشتكىٰ، أي مرض، قال سعدُ بنُ معاذ: «مَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَىٰ»، ثم ذهب سعدُ بنُ معاذ وأخبره بأن الرسول ﷺ سأل عنه، قال: "أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ". فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**». فهذه شهادة من رسول الله ﷺ لهذا الصحابي الجليل بأنه من أهل الجنة؛ لأنه صادق في إسلامه، وناصرَ الرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ بسيفه ولسانه، وكان خطيبًا ويردُّ علىٰ خطباء الوفود من الجاهليين ومن المشركين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فهذا ما جزاؤه - إن شاء الله - عند الله إلا الجنة؛ لصدقه وإخلاصه في الإسلام، ولنصرته للرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ في جملة الأنصار، وزيادة بأنه خطيب الأنصار ومُنافح عن رسول الله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وعلىٰ كل حال المؤمنُ يخاف أن يعمل بعض الأعمال فتؤدي إلى إحباط عمله والعياذ بالله ، فالمؤمن يخاف ويحذر ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩]، فينبغي للمؤمن ألا يأمن مكر الله،

وفي نفس الوقت لا ييأس من رَوْح الله، ويكون بين الخوف والرجاء، والبعضُ يرىٰ أنه يفضِّل الخوف علىٰ الرجاء في الحياة، وعند حضور الموت يفضِّل الرجاء علىٰ الخوف[١].

وفيه احترام النبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأصحابه وسؤاله عنهم وتفقُّده لهم، وينبغي لوُلاة الأمور وللعلماء أن يتأسَّوا به في ذلك، فيسأل الأمير والسلطان عن أنصاره وإخوانه ورعيته، ويسأل العالم عن أصدقائه وإخوانه وتلاميذه، فإن المؤمنين كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضًا، وكالجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالحمىٰ والسهر، هكذا شأن المؤمنين، فلا يليق بالمسلم أنْ يكون غافلًا بليد الطبع لا يفكر في أحوال المسلمين، ولا في أحوال إخوانه، والرسولُ أسوة لهذه الأمة كان يهتمُّ بالمسلمين ورعايتهم والسؤال عنهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فهو أسوتُنا في ذلك.

نبَّه النوويُّ هنا[٢] علىٰ لطائف في الأسانيد، الإسناد الأول: قَطَنُ بْنُ نُسَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ثَابِتٌ. وكلُّهم بصريون، ورجالُ الإسناد الثاني كلهم بصريون، إلا أَحْمَدَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ صَخْرٍ الدَّارِمِيَّ، وكذلك الثالث إسنادُه كلُّهم بصريُّون، هذه فائدة طيِّبة نستفيدها من النووي

---

(١) انظر: «شرح مسلم» للنووي (١٧/ ٢١٠)، و«شرح الطحاوية» لابن أبي العز (٢/ ٤٥٦-٤٥٨)، و«فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٣٠١).

(٢) «شرح مسلم» (٢/ ١٣٥).

رَحِمَهُٱللَّهُ، وفيه تنبيهُ مسلم علىٰ اختلاف الروايات، فإن في الطريق الأولىٰ ذكر فيها قصَّة سعد وذهابه إلى ثابت بن قيس وإخباره بسؤال النبي ﷺ عنه، ثم إخباره أنه من أهل الجنة. وفي روايات لم يذكر قصة سعد، ولكن زاد في الرواية الأخيرة عن أنس: «فَكُنَّا نَرَاهُ يَمْشِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، أخبرهم رسولُ الله أنه من أهل الجنة وشهد له بذلك، وكانوا يرونه رجلًا يمشي بين أظهرهم في الدنيا وهو من أهل الجنة -الله أكبر!- رُبَّ ضارَّةٍ نافعة، فتضرَّر بهذا الخوف واحتبس، وكانت النتيجة هذه البشرىٰ التي زُفَّت إليه، وهي أنه من أهل الجنة.

يقول النوويُّ في رواية: «كُنَّا نَرَاهُ يَمْشِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»: "هَكَذَا هُوَ فِي بَعْضِ الْأُصُولِ رَجُلًا وَفِي بَعْضِهَا رَجُلٌ وَهُوَ الْأَكْثَرُ"، وهنا عندنا في المتن "رجلٌ"، فرُويت: بالرفع والنصب، ويصح الوجهان، النصب علىٰ أنه بدل من مفعول رأىٰ في قوله: «كُنَّا نَرَاهُ»؛ لأن (رأىٰ) هذه بَصَرية تنصب مفعولًا واحدًا، بخلاف القلبية فإنها تنصب مفعولين، والرفع علىٰ أنه مستأنف[1]، يمشي بيننا وهو رجلٌ، يكون خبر لمبتدأ محذوف].

❋❋❋

(١) انظر المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٥٣) بَابٌ: هَلْ يُؤَاخَذُ بِأَعْمَالِ الْجَاهِلِيَّةِ؟

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٨٩) [١٢٠] حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: «**أَمَّا مَنْ أَحْسَنَ مِنْكُمْ فِي الْإِسْلَامِ، فَلَا يُؤَاخَذُ بِهَا، وَمَنْ أَسَاءَ، أُخِذَ بِعَمَلِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ**».

(١٩٠) [٠٠٠] وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، وَوَكِيعٌ، ح: وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَاللَّفْظُ لَهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: «**مَنْ أَحْسَنَ فِي الْإِسْلَامِ، لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الْإِسْلَامِ، أُخِذَ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ**».

(١٩١) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

التعليق:

سأل ناسٌ النبيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: «**أَمَّا مَنْ أَحْسَنَ مِنْكُمْ فِي الْإِسْلَامِ، فَلَا يُؤَاخَذُ بِهَا، وَمَنْ أَسَاءَ، أُخِذَ بِعَمَلِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ**»، وفي الرواية الأخرىٰ: «**أُخِذَ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ**». إذا أساء أخذ بالأول والآخر، المعنىٰ واحد، قالوا: ظاهرُ هذا الحديث يتعارض مع الأحاديث التي تدلُّ علىٰ أن الإسلام يهدم ما قبله. يعني: بدخوله في الإسلام يهدم كلَّ ما ارتكبه في الجاهلية، من كفر، وشرك، وآثام، وهذا الحديث يدلُّ علىٰ أن من أساء يؤاخذ بما كان منه في الجاهلية. يؤكِّد هذا الإجماع أنه من أسلم فإن إسلامه يهدم كل ما ارتكبه في الجاهلية من كفر وآثام، إذن يكون معناه - أساء في الإسلام -: أن هذا المسيء كافرٌ منافقٌ تظاهر بالإسلام وهو يبطن الكفر، فإسلامه الصوري هذا ما أزال شيئًا، ولا هدم شيئًا من أعماله في حال كفره الظاهر، الكفر الذي كان يظهره بقي عليه، يخفيه ويبطنه، فما نفعه إسلامُه، وبعضُهم تأوَّل الحديث علىٰ أنه يوبَّخ - كالخطَّابي -، علىٰ أنه يؤاخذ بإساءته في الإسلام إذا أساء، ويوبَّخ علىٰ عمله في الجاهلية، ويقال له: إنك أسلمت ولم يردعك إسلامك عن ارتكاب الذنوب والمعاصي، فيوبَّخ علىٰ ما كان عليه قبل الإسلام، ويعاقب علىٰ ما ارتكبه من الإساءات بعد

الإسلام[١].

ويرجح العلماء أن معنىٰ الحديث أنه لا ينطبق إلا علىٰ من ارتد عن الإسلام؛ فإنه أساء أقصىٰ الإساءات. أو علىٰ المنافق الذي يبطن الكفر ويظهر الإسلام، لا ينطبق إلا علىٰ هاتين الصورتين[٢]، وأنا خطر ببالي معنًىٰ وجدته في «الفتح»[٣]، نسبه إلى أحمد وهو: أن الذي يسلم وقد كان يرتكب الفواحش من الزنا وشرب الخمر، فلا يترك هذه الأشياء يبقىٰ عليها - فيؤاخذ بهذه الأشياء بما ارتكبه في الجاهلية وما ارتكبه في الإسلام؛ لأنه أصرَّ علىٰ هذا الذنب، ولم يتب منه، وإن كان تاب من غيره، فوجدت هذا القول منسوبًا لأحمد ولله الحمد، وبه استدرك الحافظ علىٰ الإجماع قال: دعوىٰ الإجماع لا تثبت؛ لأنه ثبت عن أحمد أنه قال هذا الكلام، وأنه ردَّ علىٰ أبي حنيفة قوله: "إن الذي يسلم لا يؤاخذ بما ارتكبه في الجاهلية". يعني: المسلم إذا أساء في إسلامه لا يؤاخذ بما ارتكبه في الجاهلية، فردَّ عليه بهذا الحديث: «**مَنْ أَحْسَنَ فِي الْإِسْلَامِ، لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الْإِسْلَامِ، أُخِذَ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ**». وفسَّر الحديث هذا التفسير أنه إذا

(١) انظر: "فتح الباري" (١٢/ ٢٦٦).

(٢) انظر: "شرح مسلم" للنووي (٢/ ١٣٦)، و"فتح الباري" لابن رجب (١/ ١٥٦-١٥٧)، و"الفتح" (١٢/ ٢٦٦).

(٣) (١٢/ ٢٦٦-٢٦٧)، وانظر: "فتح الباري" لابن رجب الحنبلي (/ ١٥٥-١٥٦).

ارتكب الفواحش في الجاهلية، وأصرَّ عليها في الإسلام وبقي عليها - فإن هذا المسيء يؤاخذ بإساءته في الجاهلية وفي الإسلام، ورجَّح الحافظ[(١)] القول الأول وهو رأي الجمهور - والله أعلم -، وأرىٰ أن رأي أحمد فيه وجاهة. والله أعلم].

❋❋❋

(١) في «الفتح» (١٢/ ٢٦٧).

(٥٤) بَابُ كَوْنِ الإِسْلَامِ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ وَكَذَا الْهِجْرَةِ وَالْحَجِّ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١٩٢) [١٢١] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ الْعَنَزِيُّ، وَأَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، كُلُّهُمْ عَنْ أَبِي عَاصِمٍ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّىٰ، قال: حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ. يَعْنِي: أَبَا عَاصِمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، عَنِ ابْنِ شُمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ، قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، فَبَكَىٰ طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَىٰ أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ، فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مُتُّ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، فَقَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي. قَالَ: «**مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟**»

قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «**تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟**» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟**»، وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَلَوْ مِتُّ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا، فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ، وَلَا نَارٌ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا؛ حَتَّىٰ أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي.

(١٩٣) [١٢٢] وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ مَيْمُونٍ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ دِينَارٍ، وَاللَّفْظُ لِإِبْرَاهِيمَ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يَعْلَىٰ بْنُ مُسْلِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا فَأَكْثَرُوا، ثُمَّ أَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ، فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو لَحَسَنٌ، وَلَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً، فَنَزَلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان: ٦٨] وَنَزَلَ ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزُّمَر: ٥٣].

التعليق:

[هذا الباب أورد فيه الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث عمرو بن العاص، وحديث عبد الله بن عباس، في أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وفي حديث عمرو: الحج والهجرة كذلك يهدمان ما قبلهما، وفي هذا الحديث صحَّة إسلام عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وشدَّة خوفه من الله عَزَّ وَجَلَّ، ونفهم من الحديث أنه كان من خُلَّص المؤمنين الذين يحبُّون الرسول ﷺ حق الحبِّ، ويجلُّونه ويعظمونه، وأنه في الفتنة ما كان يقصد شرًّا، وإنما كان مجتهدًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كاجتهاد غيره من أفاضل الصحابة، وله من المناقب رَحِمَهُ ٱللَّهُ الشيء الكثير؛ إذ أمَّره رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علىٰ جيش فيه كبارُ الصحابة أبو بكر وعمر وغيرهم[(١)]، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ لثقته به وبحسن قيادته ولحسن إسلامه وصحته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولو كان فيه شيء من النفاق ما ولَّاه، فقبَّح الله من يرميه بالنفاق والخيانة والكذب، وهو شارك في فتوح الشام وفتَح مِصر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان من أعدل الناس في سياسته في أيام عمر، وفي أيام عثمان، وفي أيام معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقد جاء في «مسلم»[(٢)]: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ. فَقَالَتْ:

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٤٣٥٨)، و«صحيح مسلم» (٢٣٨٤).
(٢) (١٨٢٨).

كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَّا الْبَعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَىٰ النَّفَقَةِ، فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: **«اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ»**.

فعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سألته عن سيرة عمرو بن العاص في القوم؛ فلما أخبرها حدثت بهذا الحديث؛ لأنها أدركت أن هذا الرجل كان رفيقًا برعيته، ويستحق هذه الدعوة العظيمة من رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فنزَّلتها عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وتحدَّث هنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن تأريخه أنه كان علىٰ أطباق ثلاث، كان شديد الخوف من الله عَزَّ وَجَلَّ، وتحدَّث في هذا الظرف العصيب الذي كما يقال: "يصدق فيه الكاذب"، وحاشاه من الكذب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: "إِنِّي كُنْتُ عَلَىٰ أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ"، يعني أحوال ثلاث:

الأولى منها: أنه كان كافرًا برسول الله، مكذِّبًا له، شديدَ البغض له، لا يجد أحدًا أشدَّ بغضًا منه لرسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولو تمكن منه لقتله،

الثانية: ثم لمَّا أدخل اللهُ الإسلام في قلبه هاجر إلى النبيِّ ﷺ، فأسلم

وهاجر، وجاء ليبايعه، فمدَّ يده ليبايعه ثم أخَّرها، فسأله رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟**». قال: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «**تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟**». فَقَالَ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟**». وأنت أسلمت وهاجرت فكيف لا يغفر لك ما أسلفت؟ ولو كنت من أشدِّ الناس عداوة لرسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأشدَّ بغضًا له، فإنك إسلامك يهدم ما قبله، وزيادة أخرىٰ وهي أن الهجرة تهدم ما قبلها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هذه **الحالة الثانية**.

الحالة الثالثة: أنه دخل في أمور الولاية والجهاد، يقول: "لَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا"؛ وهذا يدلُّ علىٰ براءته، وعلىٰ نزاهة قصده، وأنه كان لا يتقصد الفتن، ولا يتقصد الشر، ولا سفك دماء الناس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، هذا يدلُّ علىٰ براءته مما يتَّهمه به أعداءُ أصحاب رسول الله، بل أعداء الله ورسوله، فهم يتَّهمونه باتهامات غليظة، فهو قال هذا الكلام وهو في هذه الحال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو يطبِّق سنة رسول الله ﷺ، ويطبِّق القرآن في حياته بحكمه، وفي شؤون حياته، ويطبق سنَّة رسول الله علىٰ نفسه بعد موته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهنا أوصىٰ ابنه، فقال له: "أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا؟". هذه البشائر التي ذكرها ابنُه له بشائر عظيمة، وأذكر أنه قال فيه: «**أَسْلَمَ النَّاسُ**

وَآمَنَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ»(١) وقال: **«ابْنَا الْعَاصِ مُؤْمِنَانِ»**(٢) يعني عمرو بن العاص وأخاه هشامًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، هذه شهادةٌ من الرسول لهما بأنهما آمنا حقَّ الإيمان بالله، والبشائر هذه ليست بالأمور الدنيوية، وإنما بشَّره بأمور أخروية، فهذه شهادة من رسول الله علىٰ إيمانه وصدق إخلاصه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه من إجلاله لرسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وتعظيمه له أنه لو سُئل عن وصف الرسول لن يستطيع وصفه؛ لشدة حيائه ومهابته وإجلاله لرسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وما بعثه علىٰ ذلك إلا الإيمانُ الصادق، يقول: **"وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَلَوْ مِتُّ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ "**. يعني لا يجزم، لكن هذا ما يرجوه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم يقول: **"ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا"**. كما قلنا: إنه لم يتقصَّد شرًّا، ثم أوصاهم

---

(١) رواه أحمد (١٧٤١٣)، والترمذي (٣٨٤٤)، والروياني (٢١٩)، عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في "الصحيحة" (١٥٥).

(٢) رواه أحمد (٨٠٤٢) و(٨٣٣٨) و(٨٦٤٢)، والنسائي في "الكبرىٰ" (٨٢٤٢)، والحاكم (٣/ ٥١٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في "الصحيحة" (١٥٦).

وروىٰ أحمد (١٧٨١٠)، والنسائي في "الكبرىٰ" (٨٢٤٣)، وابن حبان (٧٠٩٢): عن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قال: فَزِعَ النَّاسُ بِالْمَدِينَةِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَتَفَرَّقُوا، فَرَأَيْتُ سَالِمًا مَوْلَىٰ أَبِي حُذَيْفَةَ احْتَبَىٰ بِسَيْفِهِ، وَجَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ، فَعَلْتُ مِثْلَ الَّذِي فَعَلَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَآنِي وَسَالِمًا، وَأَتَىٰ النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا كَانَ مَفْزَعُكُمْ إِلَىٰ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟ أَلَا فَعَلْتُمْ كَمَا فَعَلَ هَذَانِ الرَّجُلَانِ الْمُؤْمِنَانِ»**، وصححه الألباني في "التعليقات الحسان" (٧٠٥٠).

بهذه الوصية التي تدلُّ علىٰ احترامه لسنَّة رسول الله وتطبيقه لها: "فَإِذَا أَنَا مِتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ"؛ لأن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نهىٰ عن النياحة.

"وَلَا نَارٌ"؛ لأنها آلهة المجوس. "فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا"، أي: صبوه صبًّا، ولا يبعد أنه أخذ هذه السنة من الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

"ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّىٰ أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي".

وهذا أخذه من رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأن هناك محاسبة وسؤالًا في القبر، يُسأل عن ربِّه، وعن نبيِّه، وعن دينه، ولعلَّه يعلم من سنَّة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه يُستحبُّ الدعاء للميت، ولهذا طلب منهم أن يقيموا حول قبره قدر ما تنحر الجزور ويقسم لحمها؛ ليدعوا له، وليستأنس بهم، وفيه دليلٌ أن الميت في هذه الحال لديه إحساسٌ، ويسمع قرع النعال كما في أحاديث أخر(١)، ولكن ليس فيه أنه يسمع دائمًا؛ لأن هذه أمور جاءت في السنة ونقف عندها، نؤمن أن الميت يسمع قرع النعال، وأنه يأنس بالناس الذين يدعون له عند قبره، وما عدا ذلك فلا ندَّعيه أبدًا؛ لأن أهل الضلال يدَّعون أن الأموات يسمعون خطاب الأحياء وكلامهم، وقصص طويلة عريضة في هذه الأشياء وخرافات، كلها مبنية علىٰ اعتقاد أن الأموات

---

(١) انظر: "صحيح البخاري" (١٣٣٨)، و"صحيح مسلم" (٢٨٧٠).

يسمعون، فيستغيثون بهم مهما بعُدت المسافات بين الميت ومن يدعوه؛ وهذه كلُّها مردودة بقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: ٢٢]. الميِّت لا يسمع النداء، خاصَّةً النداءات الشركية، فإن الله لا يُسمعهم ذلك أبدًا.

الشاهد: أنَّ هذا الصحابيَّ الجليل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - كان من أفاضل الصحابة، وأصدقهم إسلامًا وإيمانًا، وقصَّته هذه تقطع دابر كلِّ ما يوجَّه له من الاتهامات رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولكن أعداء الصحابة لا يؤمنون بهذه الأحاديث، ونحن نؤمن بها -ولله الحمد-، ونوالي ونعادي عليها، إن شاء الله.

قَالَ مسلم: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ مَيْمُونٍ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ دِينَارٍ، وَاللَّفْظُ لِإِبْرَاهِيمَ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّد، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يَعْلَىٰ بْنُ مُسْلِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا فَأَكْثَرُوا، ثُمَّ أَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ، فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو لَحَسَنٌ، وَلَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً. [جواب لو محذوف تقديره: "لأسلمنا"، وهو شيء معروف في القرآن وغيره]، فَنَزَلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾

[الفرقان: ٦٨]، ثم ذكر بعد ذلك: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٧٠]، يعني: من يرتكب هذه الجرائم من الشرك والقتل والزنا يلقىٰ عذابًا شديدًا أليمًا، ومن تاب من ذلك تاب الله عليه، فإن الإسلام يهدم ما قبله، ونزل: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزُّمَر: ٥٣]، هذه التوبة، ابنُ عبَّاس يبيِّن سبب نزول هاتين الآيتين، أوَّل آية تبيِّن أخذ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للكافرين وسفاكي الدماء ومرتكبي الزنا، وقد وعدهم هذا الوعيد الشديد "يلق أثامًا"، قيل: وادٍ في جهنم، وقيل: بئر في جهنم وقيل: يجازىٰ بإثمه[1]، المهمُّ أنه يعاقب عقوبة شديدة علىٰ هذه الأعمال الشنيعة، ومن ارتكبها كلَّها وجمعها فآثامُه أشدُّ، ومن ارتكب واحدة منها أيضًا يلقىٰ الآثام، والعذاب.

والآية الثانية: في التوبة فيمن ارتكب هذه الجرائم وتاب منها، وهذه دلَّت أيضًا علىٰ أن الذين يسرفون علىٰ أنفسهم بالشرك والزنا والقتل، مهما أسرفوا لا تقنطوا من رحمة الله تعالىٰ، أي: إذا تابوا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ قبل توبتهم، فإن الله يغفر الذنوب جميعًا، إنه هو الغفور الرحيم: ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣]، وهذا دليلٌ علىٰ

(١) انظر: "شرح مسلم" للنووي (٢/ ١٤٠)، و"تفسير القرآن العظيم" لابن كثير (٦/ ١٢٦).

منزلة التوبة عند الله عَزَّوَجَلَّ، سواء من الكفر أو من كبائر الذنوب وصغائرها، فإنها -ولله الحمد- تهدم ما قبلها، الإسلام توبة من الكفر، والتوبة عمومًا يُكفِّر الله بها ما قبلها من الذنوب التي ارتكبها العبد، وصدق في التوبة منها، والتوبة لها شروطٌ؛ منها: أن يقلع عن الذنب الذي كان يرتكبه، وأن يندم علىٰ ما فعل، وأن يعزم عزمًا أكيدًا علىٰ ألَّا يعود إلى هذا الذنب الذي كان يرتكبه، هذا فيما بينه وبين الله عَزَّوَجَلَّ، أمَّا إذا كان بينه وبين العباد، فعليه أن يتخلَّص من حقوق الناس، سواء كانت أعراضًا، أم كانت أموالًا فهذا لا بد منه، فحقُّ المؤمن لا يضيع أبدًا، فمن الذنوب ذنب لا يُغفر: هو الشرك والكفر، وذنبٌ لا يترك: هو ما يتعلَّق بحقوق العباد من الخصومات والظلم وما غير ذلك، فهذا لا يترك، ولو كان حقًّا لكافر من أهل النار، إذا ظلمه مسلم لابد أن ينتقم الله له منه، ولو كان يهوديًّا أو نصرانيًّا في ذمة المسلمين وظلمه مسلم، لم يرح رائحة الجنة، بسبب ظلمه لهذا الكافر، فيعاقب ويعطي الله لهذا الكافر حقه؛ لأن الله كما قال عن نفسه سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠].

نسأل الله أن يرزقنا التوبة الصادقة النصوح، وأن يجنِّبنا الوقوع في هذه الكبائر؛ إن ربَّنا لسميع الدعاء، وصلىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

❁ ❁ ❁

(٥٥) بَابُ بَيَانِ حُكْمِ عَمَلِ الْكَافِرِ إِذَا أَسْلَمَ بَعْدَهُ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١٩٤) [١٢٣] حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ، أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ هَلْ لِي فِيهَا مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَسْلَمْتَ عَلَىٰ مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ**». وَالتَّحَنُّثُ: التَّعَبُّدُ.

(١٩٥) [•••] وَحَدَّثَنَا حَسَنٌ الْحُلْوَانِيُّ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ الْحُلْوَانِيُّ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ عَبْدٌ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ، أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَيْ رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، مِنْ صَدَقَةٍ، أَوْ عَتَاقَةٍ، أَوْ صِلَةِ رَحِمٍ، أَفِيهَا أَجْرٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَسْلَمْتَ عَلَىٰ مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ**».

(١٩٥) [•••] وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَا: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، ح: وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَشْيَاءَ كُنْتُ أَفْعَلُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ - قَالَ هِشَامٌ: يَعْنِي أَتَبَرَّرُ بِهَا - فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَسْلَمْتَ عَلَىٰ مَا أَسْلَفْتَ لَكَ مِنَ الْخَيْرِ**»، قُلْتُ: فَوَاللهِ، لَا أَدَعُ شَيْئًا صَنَعْتُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا فَعَلْتُ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلَهُ.

(١٩٦) [•••] وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ أَعْتَقَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِائَةَ رَقَبَةٍ، وَحَمَلَ عَلَىٰ مِائَةِ بَعِيرٍ، ثُمَّ أَعْتَقَ فِي الْإِسْلَامِ مِائَةَ رَقَبَةٍ وَحَمَلَ عَلَىٰ مِائَةِ بَعِيرٍ، ثُمَّ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ.

التعليق:

[ساق المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب حديث حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من طريقين، الأولىٰ: من طريق ابن شهاب، والثانية: من طريق هشام بن عروة، كلاهما عن عروة يرويه عن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، وفي حديث هشام بن عروة عن أبيه زيادة، وهي زيادة توضيح، وهي أنه: «**أَعْتَقَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِائَةَ رَقَبَةٍ، وَحَمَلَ عَلَىٰ مِائَةِ بَعِيرٍ، ثُمَّ أَعْتَقَ فِي الْإِسْلَامِ مِائَةَ رَقَبَةٍ وَحَمَلَ عَلَىٰ مِائَةِ**

بَعِيرٍ»، بعد التزامه أن يعمل في الإسلام مثل عمله في الجاهلية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي الحديث أورد إشكالًا بعضُ شرَّاح الحديث كالمازري وغيره، قالوا[1]: ظاهرُ الحديث يخالف الأصول، وإن الأصول دلَّت علىٰ أن عمل الكافر غيرُ مقبول، وهذا فيه أن الله يكتب له ما كان عَمِله في الجاهلية أيام كفره، فزعموا أن هذا يخالف الأصول، ثم تأوَّلوا الحديث، قالوا: معناه أنك اكتسبت طباعًا طيِّبة في الجاهلية، فهذه الطباع تمهيد لك لإحسان إسلامك في الإسلام، واستمرارك علىٰ هذا الخير، وقيل: المراد أنه اكتسب ثناءً جميلًا، فهو باق عليه في الإسلام. وذهب غيرُهم إلى أنه لا مانع أن يُكتب الله له هذه الحسنات بعد إسلامه، فهذا في الجاهلية إن أسلم كتبها الله له، فهذا أسلم، فكتب الله له هذه الحسنات، فهذا ظاهر الحديث، ويؤكِّده حديث مالك عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن طريق مالك رَحِمَهُ اللَّهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَىٰ لَهُ كُلَّ حَسَنَةٍ كَانَ أَزْلَفَهَا، وَمَحَا عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ أَزْلَفَهَا، وَكَانَ عَمَلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا**»[2].

---

(١) انظر: "شرح مسلم" (٢/ ١٤٠).

(٢) رواه البخاري (٤١) معلَّقًا عن مالك بصيغة الجزم، ليس فيه الشاهد. ووصله النسائي (٤٩٩٨)، وابن منده في "الإيمان" (٣٧٤)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٢٤). ووصله أبو ذر الهروي والحسن بن سفيان النسوي والبزار والإسماعيلي والدارقطني، وصححه الخطيب البغدادي، كما في "الفتح" (١/ ٩٩-١٠٠). قال النوويُّ في "شرح مسلم" (٢/ ١٤١): "ذَكَرَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي=

وقوله: «إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ كُلَّ حَسَنَةٍ كَانَ أَزْلَفَهَا، وَمُحِيَتْ عَنْهُ كُلُّ سَيِّئَةٍ كَانَ أَزْلَفَهَا». فالظاهر أن الكتابة تحصل له بعد إسلامه، فتؤجَّل الكتابة إلى أن يُسلم ويحسن إسلامه، فيتفضل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليه بتلك الأعمال الطيبة التي عملها في جاهليته، ورجَّح هذا النوويُّ وابن حجر وغيرهما من العلماء[1].

وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: "«إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ كُلَّ حَسَنَةٍ كَانَ أَزْلَفَهَا، وَمُحِيَتْ عَنْهُ كُلُّ سَيِّئَةٍ كَانَ أَزْلَفَهَا، ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقِصَاصُ؛ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْهَا».

قال: أخرجه النسائي (٢/ ٢٦٧-٢٦٨) من طريق صفوان بن صالح، قال: حدثنا الوليد، قال: حدثنا مالك، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ فذكره.

قال الشيخ الألبانيُّ: قلت: وهذا سندٌ صحيحٌ، وقد علَّقه البخاريُّ في "صحيحه" فقال: قال مالك: أخبرني زيد بنُ أسلم به دون كتب الحسنات، وقد وصله الحسن بن سفيان والبزار والإسماعيلي والدارقطني في "غرائب

= غَرِيبِ حَدِيثِ مَالِكٍ، وَرَوَاهُ عَنْهُ مِنْ تِسْعِ طُرُقٍ، وَثَبَتَ فِيهَا كُلِّهَا أَنَّ الْكَافِرَ إِذَا حَسُنَ إِسْلَامُهُ يُكْتَبُ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ كلَّ حَسَنَةٍ عَمِلَهَا فِي الشِّرْكِ". وصححه الألباني في "الصحيحة" (٢٤٧).

(١) انظر: "شرح مسلم" (٢/ ١٤١-١٤٢)، و"فتح الباري" (١/ ٩٩-١٠٠).

مالك»، والبيهقي في «الشعب»، من طرق أخرىٰ عن مالك، به.

قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٨٢): "وقد ثبت في جميع الروايات ما سقط من رواية البخاري، وهو كتابة الحسنات المتقدمة قبل الإسلام، وقوله: «كتب الله» أي: أمر أن يكتب، وللدارقطني من طريق زيد بن شعيب عن مالك، بلفظ: «يَقُولُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: اُكْتُبُوا». فقيل: إن المصنف أسقط ما رواه غيرُه عمدًا؛ لأنه مشكل علىٰ القواعد، وقال المازري: الكافر ليس كذلك، فلا يثاب علىٰ العمل الصالح الصادر منه في شركه؛ لأن من شرط المتقرِّب أن يكون عارفًا لمن يتقرَّب إليه، والكافر ليس كذلك".

[قلت: لأن عندهم أن الكافر لا يعرف الله، وهذا ليس صحيحًا، فالكفار يعرفون الله، كما ذكر الله عز وجل عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣]. فهم يعرفون الله، ويتعبَّدون ويتقرَّبون إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

وقال حكيم بن حزام: "أَعْمَالُ كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا": يعني أتقرَّب بها إلىٰ الله، فيعرفون أن الله هو ربُّ العالمين، وأنه خلق السموات، وخلق الأرض، وخلق البشر، إلى آخره، فكونه ينفي المعرفة عن الكافر فهذا خطأ، فهم يعرفون الله عَزَّوَجَلَّ؛ يعرفون أنه خالق هذا الكون سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، خالق البشر والجن والإنس...].

قال الألبانيُّ مواصلًا النقل عن الحافظ: "وتابعه القاضي عياض علىٰ تقرير هذا الإشكال، واستضعف ذلك النوويُّ فقال: الصواب الذي عليه المحقِّقون -بل نقل بعضهم فيه الإجماع- أن الكافر إذا فعل أفعالًا جميلة؛ كالصدقة، وصلة الرحم، ثم أسلم، ثم مات علىٰ الإسلام، أن ثواب ذلك يُكتب له، وأما دعوىٰ أنه مخالف للقواعد فغير مسلَّم؛ لأنه قد يُعتدُّ ببعض أفعال الكفار في الدنيا ككفَّارة الظهار، فإنه لا يلزمه إعادتُها إذا أسلم، وتُجزئه". انتهىٰ.

ثم قال الحافظ: والحقُّ أنه لا يلزم من كتابة الثواب للمسلم في حال إسلامه تفضُّلًا من الله وإحسانًا، أن يكون ذلك لكون عمله الصادر منه في الكفر مقبولًا، والحديث إنما تضمَّن كتابة الثواب، ولم يتعرَّض للقبول، ويحتمل أن يكون القبول يصير معلقًا علىٰ إسلامه، فيُقبل ويثاب إن أسلم، وإلا فلا، وهذا قويٌّ. وقد جزم بما جزم به النوويُّ، إبراهيمُ الحربيُّ وابنُ بطَّال وغيرُهما من القدماء، والقرطبيُّ وابنُ المُنيِّر من المتأخرين، قال ابنُ المنيِّر: المخالفُ للقواعد دعوىٰ أن يُكتب له ذلك في حال كفره، وأمَّا أن الله يضيف إلى حسناته في الإسلام ثوابَ ما كان صدر منه، ممَّا كان يظنُّه خيرًا - فلا مانع منه، كما لو تفضَّل عليه ابتداءً من غير عمل، وكما تفضَّل علىٰ العاجز بثواب ما كان يعمل وهو قادر، فإذا جاز أن يكتب له ثواب ما لم يعمل

البتَّة، جاز أن يكتب له ثواب ما عمله غير مُوفِ الشروط، واستدلَّ غيرُه بأن من آمن من أهل الكتاب يؤتىٰ أجرُه مرَّتين؛ كما دلَّ عليه القرآنُ والحديثُ الصحيح، [قلت: يعني: أهلَ الكتاب كانوا مسلمين، ولما جاء محمد ﷺ صدَّقوا به وآمنوا، وهم من كان علىٰ صحيح التوراة والإنجيل من أتباع موسىٰ وعيسىٰ والأنبياء، فأهل الكتاب المقصودون هنا هم المؤمنون حقًّا، كمن قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ١٩٩]. فالنجاشي أسلم، ويوجد ناس ما كانوا علىٰ شرك أبدًا. والله أعلم] وهو لو مات علىٰ إيمانه الأول لم ينفعه شيء من عمله الصالح ، بل يكون هباءً منثورًا، فدلَّ علىٰ أن ثواب عمله الأول يُكتب له مضافًا إلى عمله الثاني، وبقوله ﷺ لمَّا سألته عائشةُ عن ابن جُدعان: وما كان يصنعه من الخير: هل ينفعه؟ فقال: «إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»، فدلَّ علىٰ أنه لو قالها بعد أن أسلم، نفعه ما عمله في الكفر.

قلت -أي الألباني-: وهذا هو الصوابُ الذي لا يجوز القول بخلافه، لتضافر الأحاديث علىٰ ذلك، ولهذا قال السنديُّ في "حاشيته علىٰ النسائي":

«وهذا الحديث يدلُّ علىٰ أن حسنات الكافر موقوفة، إن أسلم تُقبل، وإلا تُردُّ، وعلىٰ هذا فنحوُ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ [النور: ٣٩]،

محمولٌ علىٰ من مات علىٰ الكفر، والظاهرُ أنه لا دليل علىٰ خلافه، وفضلُ الله أوسع من هذا وأكبر، فلا استبعاد فيه، وحديث: «**الْإِيمَانُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ**» من الخطايا في السيِّئات، لا في الحسنات.

قلت: ومثل الآية التي ذكرها السندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سائرُ الآيات الواردة في إحباط العمل بالشرك، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٥]، فإنها كلها محمولة علىٰ من مات مشركًا، ومن الدليل علىٰ ذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة: ٢١٧].

ويترتَّبُ علىٰ ذلك مسألةٌ فقهيَّةٌ، وهي أن المسلم إذا حجَّ، ثم ارتد، ثم عاد إلى الإسلام، لم يحبط حجُّه، ولم يجب عليه إعادتُه، وهو مذهبُ الإمام الشافعي، وأحدُ قولي الليث بن سعد، واختاره ابنُ حزم، وانتصر له بكلام جيِّد متين، أرىٰ أنه لابدَّ من ذكره؛

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "**مَسْأَلَةٌ**: مَنْ حَجَّ وَاعْتَمَرَ، ثُمَّ ارْتَدَّ، ثُمَّ هَدَاهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ وَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ النَّارِ فَأَسْلَمَ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يُعِيدَ الْحَجَّ، وَلَا الْعُمْرَةَ، وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ، وَأَحَدُ قَوْلَيِ اللَّيْثِ.

وقال أبو حنيفة، وَمَالِكٌ، وَأَبُو سُلَيْمَانَ: يُعِيدُ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِ الله تَعَالَىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٥]، مَا نَعْلَمُ لَهُمْ حُجَّةً غَيْرَهَا، وَلَا حُجَّةَ لَهُمْ فِيهَا؛ لأَنَّ الله تَعَالَىٰ لَمْ يَقُلْ فِيهَا: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ الَّذِي عَمِلْتَ قَبْلَ أَنْ تُشْرِكَ، وَهَذِهِ زِيَادَةٌ عَلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ لَا تَجُوزُ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَ تَعَالَىٰ أَنَّهُ يَحْبَطُ عَمَلُهُ بَعْدَ الشِّرْكِ إِذَا مَاتَ أَيْضًا عَلَىٰ شِرْكِهِ، لَا إِذَا أَسْلَمَ، وَهَذَا حَقٌّ بِلَا شَكٍّ. وَلَوْ حَجَّ مُشْرِكٌ أَوْ اعْتَمَرَ أَوْ صَلَّىٰ أَوْ صَامَ أَوْ زَكَّىٰ، لَمْ يُجْزِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، عَنِ الْوَاجِبِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ قوله تعالىٰ فِيهَا: ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ بَيَانٌ أَنَّ الْمُرْتَدَّ إِذَا رَجَعَ إِلَى الإِسْلَامِ لَمْ يَحْبَطْ مَا عَمِلَ قَبْلَ إِسْلَامِهِ أَصْلًا، بَلْ هُوَ مَكْتُوبٌ لَهُ، وَمُجَازًىٰ عَلَيْهِ بِالْجَنَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ الأُمَّةِ فِي أَنَّ الْمُرْتَدَّ إِذَا رَجَعَ إِلى الإِسْلَامَ لَيْسَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، بَلْ مِنَ المربحين الْمُفْلِحِينَ الْفَائِزِينَ، فَصَحَّ أَنَّ الَّذِي يَحْبَطُ عَمَلُهُ هُوَ الْمَيِّتُ عَلَىٰ كُفْرِهِ ،مُرْتَدًّا أَوْ غَيْرَ مُرْتَدٍّ، وَهَذَا هُوَ مِنَ الْخَاسِرِينَ بِلَا شَكٍّ، لَا مَنْ أَسْلَمَ بَعْدَ كُفْرِهِ أَوْ رَاجَعَ الإِسْلَامَ بَعْدَ رِدَّتِهِ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧]، فَصَحَّ نَصُّ قَوْلِنَا: مِنْ أَنَّهُ لَا يَحْبَطُ عَمَلُهُ إِنْ ارْتَدَّ إِلَا بِأَنْ يَمُوتَ وَهُوَ كَافِر.

وَوَجَدْنَا اللَّهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران:١٩٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة:٧]، وَهَذَا عُمُومٌ لَا يَجُوزُ تَخْصِيصُهُ، فَصَحَّ أَنَّ حَجَّهُ وَعُمْرَتَهُ إِذَا رَاجَعَ الإِسْلَامَ سَيَرَاهُمَا، وَلَا يَضِيعَانِ لَهُ.

ورُوينا من طرق كالشمس: عن الزهري، وعن هشام بن عروة؛ كلاهما عن عروة بن الزبير أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَيْ رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، مِنْ صَدَقَةٍ، أَوْ عَتَاقَةٍ، أَوْ صِلَةِ رَحِمٍ، أَفِيهَا أَجْرٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَسْلَمْتَ عَلَىٰ مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ**»". أخرجه الشيخان وغيرهما عن حكيم بن حزام، كما يأتي قريبًا.

قال ابنُ حزم: "فَصَحَّ أَنَّ الْمُرْتَدَّ إِذَا أَسْلَمَ، وَالْكَافِرَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ قَطُّ، إِذَا أَسْلَمَا فَقَدْ أَسْلَمَا عَلَىٰ مَا أَسْلَفَا مِنَ الْخَيْرِ، وَقَدْ كَانَ الْمُرْتَدُّ إِذَا حَجَّ وَهُوَ مُسْلِمٌ قَدْ أَدَّىٰ مَا أُمِرَ بِهِ، وَمَا كُلِّفَ كَمَا أُمِرَ بِهِ، فَقَدْ أَسْلَمَ الآنَ عَلَيْهِ، فَهُوَ لَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا الْكَافِرُ يَحُجُّ كَالصَّابِئِينَ الَّذِينَ يَرَوْنَ الْحَجَّ إِلَى مَكَّةَ دِينَهُمْ، فَإِنْ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يُجْزِهِ؛ لأَنَّهُ لَمْ يُؤَدِّهِ كَمَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ؛ لأَنَّ مِنْ فَرْضِ الْحَجِّ وَسَائِرِ الشَّرَائِعِ كُلِّهَا أَلَّا تُؤَدَّىٰ إِلَا كَمَا أَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الدِّينِ الَّذِي جَاءَ بِهِ، الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللهُ تَعَالَىٰ دِينًا غَيْرَهُ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»، وَالصَّابِئُ إِنَّمَا حَجَّ

كَمَا أَمَرَهُ يوراسف أَوْ هُرْمُسُ، فَلَا يُجْزِئُهُ. وَبِاللَّهِ تَعَالَىٰ التَّوْفِيقُ.

وَيَلْزَمُ مَنْ أَسْقَطَ حَجَّهُ بِرِدَّتِهِ أَنْ يُسْقِطَ إِحْصَانَهُ، وَطَلَاقَهُ الثَّلَاثَ، وَبَيْعَهُ، وَابْتِيَاعَهُ، وَعَطَايَاهُ الَّتِي كَانَتْ فِي الإِسْلَامِ، وَهُمْ لَا يَقُولُونَ بِهَذَا، فَظَهَرَ فَسَادُ قَوْلِهِمْ. وَبِاللَّهِ تَعَالَىٰ نَتَأَيَّدُ".

قال الشيخ الألباني: "وإذا تبين هذا، فلا منافاة بينه وبين الحديث المتقدم: «**أَنَّ الْكَافِرَ يُثَابُ عَلَىٰ حَسَنَاتِهِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا**»؛ لأن المراد به الكافر الذي سبق في علم الله أنه يموت كافرًا؛ بدليل قوله في آخره: «**حَتَّىٰ إِذَا أَفْضَىٰ إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَىٰ بِهَا**»، وأما الكافر الذي سبق في علم الله أنه يُسلم ويموت مؤمنًا، فهو يجازىٰ علىٰ حسناته التي عملها حال كفره في الآخرة، كما أفادت الأحاديث المتقدمة، ومنها حديثُ حكيم بن حزام الذي أورده ابنُ حزم في كلامه المتقدِّم، وصحَّحه، ولم يعزه لأحد من المؤلفين، وقد أخرجه البخاري في "صحيحه"، ومسلم، وأبو عوانة في "صحيحه" أيضًا، ومنها حديث عائشة في ابن جدعان الذي ذكره الحافظ غير مَعزُو لأحد".[1]

التعليق:

[كذلك الصحابة الذين ارتدُّوا ثم عادوا إلى الإسلام عدَّهم العلماء في الصحابة.

(١) "الصحيحة" (١/ ٤٩٢-٤٩٧) برقم (٢٤٧) و(٢٤٨).

وحديث حكيم بن حزام فيه ذكر التحنُّث، بمعنىٰ: التعبُّد، كما جاء في حديث الزهري، ويقال: إن أصل التحنُّث الخروج من الحنث، وهو الإثم، كما يقال: تأثَّم فلان، خرج من الإثم، وتحرَّج فلان، خرج من الحرج.(١)

وفيه: أن حكيم بن حزام عاش مائة وعشرين سنة، ستين منها في الإسلام، وستين في الجاهلية، وأنه وُلد في الكعبة (٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وله هذه المنقبة العظيمة أنه أعتق مائة رقبة في الجاهلية، وحمل علىٰ مائة بعير، وهذا الحمل يراد به الخيرُ، ليس للقتال، ولا للسلب، ولا للنهب، وإنما للحج وغيره - والله أعلم -، وكذلك فعل في الإسلام، حيث أعتق مائة رقبة، وحمل علىٰ مائة بعير في سبيل الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إذا كان هذا حالُه من الكرم والجود والسخاء في الجاهلية، فكيف في الإسلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

ومن فضائله أنه سأل النبيَّ ﷺ فأعطاه، ثم سأله فأعطاه، ثم سأله فأعطاه، ثم قال له: « **يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَىٰ** ». فأقسم حكيمٌ ألَّا يسأل أحدًا بعد رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فلمَّا توفي رسول الله واستخلف أبو

---

(١) "شرح مسلم" (٢/ ١٤٠).

(٢) "شرح مسلم" (٢/ ١٤٢).

بكر كان يعطيه حظه من المغانم فيأبىٰ أن يأخذها، فلمّا استخلف عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان يناديه ليعطيه حظه من المغانم فيأباها؛ لأنه أقسم ألّا يسأل أحدًا بعد رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقال عمر: "إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْبَىٰ أَنْ يَأْخُذَهُ".(١)

فأصرَّ علىٰ عدم الأخذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتىٰ ماله من حظ في بيت مال المسلمين من الفيء والمغانم وغير ذلك لا يأخذه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهذه منقبة له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].

❁❁❁

(١) رواه البخاري (١٤٧٢)، وروىٰ مسلم (١٠٣٥) المرفوع منه فقط.

(٥٦) بَابُ صِدْقِ الْإِيمَانِ وَإِخْلَاصِهِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٩٧) [١٢٤] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، وَوَكِيعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، شَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]».

(١٩٨) [•••] وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ، قَالَا: أَخْبَرَنَا عِيسَىٰ وَهُوَ ابْنُ يُونُسَ، ح: وَحَدَّثَنَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ مُسْهِرٍ، ح: وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، كُلُّهُمْ عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ. قَالَ أَبُو كُرَيْبٍ: قَالَ ابْنُ إِدْرِيسَ: حَدَّثَنِيهِ أَوَّلًا أَبِي، عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، ثُمَّ سَمِعْتُهُ مِنْهُ.

التعليق:

[هذا الإسناد فيه لطيفتان: **الأولى**: كما قال النوويُّ[(١)]: رجالُه كلهم كوفيون، **والثانية**: أن فيه ثلاثةً من التابعين، يروي بعضهم عن بعض، الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، هذا ما يتعلق بالإسناد. أمَّا الحديث: فإن هذه الآية لمَّا نزلت شقَّ ذلك علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ ، وقالوا لرسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: "أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ " أي لم يظلم نفسه، ففهموا من الآية عموم الظلم؛ لأن الظلم يتناول الشرك، ويتناول ظلم العبد لنفسه فيما بينه وبين الله، ويتناول ظلمه لغيره من الناس، فعظُم ذلك عليهم وشقَّ عليهم، وقالوا: " أيُّنا لا يظلم نفسه؟ "، ففهموا من الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾، فهموا أنهم لا ينالون الهداية، ولا ينالون الأمن، ماداموا يقعون في الظلم الذي تصوروه، وهو الظلم العام، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «**لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ**: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾»، فخفَّت المشكلة عليهم، وعلموا أن المراد بلبس الإيمان بالظلم لبسه بالشرك، فمن لبس إيمانه الشرك فإن هذا لا أمن له، ولا هداية، ولا يشهد له بالهداية. وأمَّا الذنوب والمعاصي فليست مرادة بهذه الآية، فإن هذه المعاصي، إما أن

---

(١) "شرح مسلم" (٢/ ١٤٤).

يتوب منها فاعلُها؛ فيكون من الذين يبدّل سيئاتهم حسنات، وإما أن يموت مُصرًّا عليها، فهذا يدخل تحت مشيئة الله، إنْ شاء عفا عنه، وإن شاء عذَّبه بقدر ذنوبه في النار، ثم يخرجه الله من النار بسبب توحيده وإيمانه، إما بشفاعة الشافعين، وإما برحمته تعالىٰ، وهو أرحم الراحمين، وهذا الأمن الذي وعده الله به بالإيمان والتوحيد، هذا وما نقوله في هذا الحديث، وفي إسناده.

الشاهد: أنهم فهموا أنَّ عموم الظلم يشمل الشرك، ويشمل المعاصي فيما بينهم وبين الله، وفيما بينهم وبين العباد، فالظلم لا شك أنه يشمل هذه الثلاثة، ولكن كما يقال: هذا عامٌّ أريد به الخصوص؛ فإن هناك عمومات يراد بها العمومُ فعلًا، وتتناول كلَّ أفرادها، وهناك عموماتٌ يراد بها الخصوصُ، يعني: بعض أفرادها، والآية التي هنا المرادُ بها: الشركُ الأكبر.

فالعبد يظلم نفسه إذا عبد غير الله؛ إذ قد وضع هذا الشيء في غير موضعه، فالله خلقه لعبادته وكلَّفه بها، ثم عبد غيره، هذا ظلم شديد، وهو أكبر الظلم، وهو أنه وضع هذا الحق في غير موضعه، والله أعلم، ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٥٧﴾ [البقرة: ٥٧]، فإن العبد لا يظلم ربَّه، ولكنه يظلم نفسه، أعاذنا الله وإيَّاكم من الظلم بكل أنواعه].

❋❋❋

(٥٧) بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يُكَلِّفُ إِلاَّ مَا يُطَاقُ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٩٩) [١٢٥] حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مِنْهَالٍ الضَّرِيرُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ بِسْطَامَ الْعَيْشِيُّ، وَاللَّفْظُ لِأُمَيَّةَ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَوْحٌ -وَهُوَ ابْنُ الْقَاسِمِ- عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة: ٢٨٤]، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَىٰ الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**»، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَٰلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَىٰ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾ «قَالَ: نَعَمْ» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ﴾ «قَالَ: نَعَمْ» ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ «قَالَ: نَعَمْ» ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦] «قَالَ: نَعَمْ».

(٢٠٠) [١٢٦] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ آدَمَ بْنِ سُلَيْمَانَ، مَوْلَىٰ خَالِدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ﴾، قَالَ: دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا**» قَالَ: فَأَلْقَىٰ اللهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن

نَسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ «قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ «قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ» ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا﴾ «قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ».

التعليق:

[في هذا الباب حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يفيدان أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لما أنزل قوله: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ﴾ أهمَّ ذلك أصحابَ النبيِّ ﷺ، وجاؤوا إليه وجثوا على ركبهم، فقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»**. قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾. فأثنى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليهم، والرسول الكريم شهد لهم بالإيمان والطاعة -

رضوان الله عليهم -، فهذه أصولُ الإيمان، لا يقوم الإيمان إلا بها، فشهد الله لهم بهذه الصفة العظيمة بالإيمان وبالطاعة، ثم بعد ذلك نسخ الله هذا التكليف الشاقَّ بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾ «قَالَ: نَعَمْ» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ﴾ «قَالَ: نَعَمْ» ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ﴾ «قَالَ: نَعَمْ» ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ «قَالَ: نَعَمْ». فرفع الله عنهم الآصار والأثقال التي كانت علىٰ مَن قبلهم، وعفا عمن يخطئ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾، فلم يؤاخذهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بما يفعلونه عن طريق الخطأ والنسيان، وقال في ذلك: «نعم». وهذا فيه فضلُ هذه الأمة وشرفُها، وأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يرحمها ويعاملها بما لم يعامل به أمَّة قبلها، من رفع الأصار والأثقال عنهم، وهذا دليلٌ علىٰ سماحة هذه الشريعة، وأنها شريعة سمحة، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال في مدح هذه الشريعة التي جاء بها الرسولُ الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

[الأعراف: ١٥٧]، هذا فيه بيانُ عظمة هذه الشريعة، وما فيها من السماحة، وما فيها من مراعاة المصالح، بإحلال الطيِّبات التي تنفع، وتحريم الخبائث التي تضر، ورفع الأثقال والآصار التي كانت علىٰ مَن قبل هذه الأمة.

الشاهد: أن هناك خلافًا: هل رفعُ هذه الآية أو مضمونُها هو نسخٌ أو تخصيصٌ؟ والصواب: أنه نسخٌ -كما صرَّح بذلك الصحابة[(١)]- هذا التكليف الشاق، أو الذي لا يطاق، نُسخ بما نزل بعدها وهو قول الله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ففي الآيات وفي هذا الحديث رفع الحرج عن هذه الأمة، ورفع المشاقِّ والأثقال عنها، وبيان سماحة هذه الشريعة.

أيضًا أتىٰ في بحث هذا الموضوع أن حديث النفس لا يؤاخذ به، وإذا كان عزمًا يؤاخذ به، إذا عزم العبد وصمَّم علىٰ فعل هذا الفعل، وما رده إلا العجز، لا الخوف من الله؛ فإنه يؤاخذ عليه، وسيأتي في الأحاديث الآتية من الأدلة علىٰ أن العبد يؤاخذ بما يعزم عليه، كقول الرسول ﷺ: «**إِذَا الْتَقَىٰ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**». قَالُوا: هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولُ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَىٰ قَتْلِ صَاحِبِهِ**»[(٢)]، فيؤخذ العبد بهذا

(١) منهم: عَلِيٌّ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وابن عباس، وابن عمر، ومن التابعين: كَعْبُ الْأَحْبَارِ، وَالشَّعْبِيُّ، والنخعيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيرٍ، وَقَتَادَةُ وغيرهم. كما في "مجموع فتاوىٰ ابن تيمية" (١٤/ ١٠٠)، و"تفسير ابن كثير" (١/ ٧٢٩-٧٣٠).

(٢) سبق تخريجه.

العزم، وقد جاء تحريمُ سوء الظن وتحريم الحسد والكبر، وكلُّها من الأمور القلبية التي يعزم صاحبُها عليها، ويقصدها ويؤاخذ عليها، بخلاف الخواطر التي تخطر بباله بغير قصد، فهذه لا يؤاخذ عليها].

❊ ❊ ❊

(٥٨) بَابُ تَجَاوُزِ اللهِ عَنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَالْخَوَاطِرِ بِالْقَلْبِ إِذَا لَمْ تَسْتَقِرَّ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٠١) [١٢٧] حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْغُبَرِيُّ، وَاللَّفْظُ لِسَعِيدٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَىٰ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا، أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ**».

(٢٠٢) [٠٠٠] وحَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، ح: وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، وَعَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ، ح: وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، كُلُّهُمْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ، أَوْ تَكَلَّمْ بِهِ**». قَالَ: وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ، وَهِشَامٌ، ح: وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ

شَيْبَانَ جَمِيعًا عَنْ قَتَادَةَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

التعليق:

[**الشاهد من هذا المعنى:** أن الله لا يؤاخذ بالخواطر، وإنما يؤاخذ بما استقر في النفس، وهنا يقول ﷺ: «**مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ بِهِ**»، فعندنا حالات، **حالةٌ:** يعزم صاحبُها على الفعل، ولا يمنعه إلا العجز، فهذا يؤاخذ به، بدليل النصوص الأُخَر التي جاءت أن العبد يؤاخذ بما في القلب من الشرِّ، والعزم على الشر الذي يُصرُّ عليه صاحبُه.

وحالة ثانية: أن هناك أمورًا في النفس، كحديث النفس، لا يؤاخذ الله به، وهذا غيرُ العزم -والله أعلم-، ما لم يتكلَّم أو يعمل به، كلها من الخواطر التي تأتي في خاطر الإنسان، وتغلب على النفس، ولا يستطيع الإنسان دفعها، ولكنه يكرهها، فإذا عزم عليها ولم يعملها أُخذ بها، وإذا عملها فعلًا يؤاخذ بها على العزم والفعل، تكلَّم بغيبة، بنميمة، بمعصية، سبَّ الله، أو سبَّ الرسول، أو سبَّ الصحابة...، زنى، قتل، فيؤاخذ بما يفعل].

❊❊❊

(٥٩) بَابُ إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٠٣) [١٢٨] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا سَيِّئَةً، وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْرًا**».

(٢٠٤) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، وَابْنُ حُجْرٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبْتُهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ أَكْتُبْهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا سَيِّئَةً وَاحِدَةً**».

(٢٠٥) [١٢٩] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ:

أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«قَالَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: **إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا»**. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً – وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ – قَالَ: ارْقُبُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ»**. «وَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَّىٰ يَلْقَىٰ اللهَ»**.

(٢٠٦) [١٣٠] وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ»**.

(٢٠٧) [١٣١] وحَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، عَنِ الْجَعْدِ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ قَالَ: **«إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ**

وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

(٢٠٨) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنِ الْجَعْدِ أَبِي عُثْمَانَ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ بِمَعْنَىٰ حَدِيثِ عَبْدِ الْوَارِثِ، وَزَادَ: «وَمَحَاهَا اللهُ، وَلَا يَهْلِكُ عَلَىٰ اللهِ إِلَّا هَالِكٌ».

التعليق:

[هذه الأحاديث معناها قد ألمحنا إليه سابقًا، وهو أنه هناك فرقٌ بين الهمِّ وبين العزم، والأحاديث كلُّها: من همَّ بحسنة ولم يعملها يكتبها الله له حسنة، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه، فإن عملها كُتبت عليه سيئة واحدةً، وجاء الوصف بالواحدة للتأكيد أنه لا يوجد زيادة، والحسنة بعشر أمثالها إذا عملها، وإذا حسبنا الضعف إلى أضعاف كثيرة، فهناك مضاعفات بعد السبعمائة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، وعلىٰ قدر النيَّات والإخلاص.

نظر في الأسانيد؛ الحديث الأول: الطريق الأولىٰ: عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قال: قال رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ

عَزَّوَجَلَّ -هذا حديث قدسي-: **إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا سَيِّئَةً، وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْرًا»**.

والثاني: عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: **«قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبْتُهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ أَكْتُبْهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا سَيِّئَةً وَاحِدَةً»**. واحدة: هذه صفة للتأكيد، كما نبَّهنا. والثالث: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ رَافِعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا»**. وهذه صحيفة همَّام المعروفة، ولمسلم أسلوبٌ فيها يقول: هذا ما حدَّثنا أبو هريرة عن محمَّدٍ رسول الله قال: قال رسول الله ﷺ. فهذه طريقة مسلم؛ لأن صحيفة همَّام بن مُنبِّه كلُّها فيها خمسون حديثًا أو أكثر، وكلُّها رُويت بإسناد واحد، ومسلم أو غيرُه ما يأتي بالإسناد عند كلِّ حديث، فالآن ساق عددًا من هذه الصحيفة

بالإسناد الأول: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: **إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي** [يعني حدَّث نفسه] **بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ** [ليس حديث اللسان، بل حديث النفس] **بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا**». ومن طريق آخر: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً - وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ - فَقَالَ: ارْقُبُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا** [يعني سيئة واحدة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]]، **وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ**» أي من أجلي. فإذا همَّ بسيئة وتركها من أجل الله يُثاب علىٰ هذا؛ لإنابته إلى الله، وخوفه منه، وتركه للمعصية خوفًا من الله وحياءً منه ومراقبة له، فهو يثاب علىٰ هذا، وإذا تركها لسبب آخر؛ خوفًا من الناس، أو عجزًا عنها، أو لشيء من هذا القبيل، فهذا - تُكتب عليه إذا كان مُصرًّا عليها. وذكر حديثًا آخر: وَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ** [وإلىٰ أضعاف كثيرة؛ كما جاء في إحدىٰ الطرق]، **وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا**

حَتَّىٰ يَلْقَىٰ اللهَ». وسيأتي أنه: «**لَا يَهْلِكُ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ**».

وهذا طريق آخر: عن ابن سيرين عن هشام بن حسان، وهو الذي يروي عن ابن سيرين، وهو غير هشام الدستوائي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ**». فهذه الحسنة -والله أعلم- لها أسبابٌ، قد تكون في أمور عادية، وفي غير الأزمات والجهاد، أو قد تكون في الأزمات في الجهاد؛ فهذه لها شأن آخر؛ قال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٦١﴾ [البقرة: ٢٦١]، سبيلُ الله هنا الجهاد، فميادين الإنفاق تختلف وأوقاتها، فالأوقات العادية ليست كالشدائد والجهاد، فهذه -والله أعلم- لها الأجر الكبير، أما السيِّئة إذا عُملت، فلا تكتب إلا سيئةً واحدةً، وهذا من رحمة الله ولطفه.

قَالَ: وَحَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، عَنِ الْجَعْدِ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ [يعني: هذا حديث قدسي] قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ**

عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً [وهذا مقيَّدٌ بأن يتركها لله؛ كما مرَّ في حديث أبي هريرة]، **وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**». وزاد في رواية يحيىٰ بن يحيىٰ، عن جعفر بن سليمان: «**وَمَحَاهَا اللهُ، وَلَا يَهْلِكُ عَلَىٰ اللهِ إِلَّا هَالِكٌ**».

س: مرَّ في الحديث قوله تعالىٰ: «**إِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ أَكْتُبْهَا سَيِّئَةً**». وفي حديث آخر يقول: «**أَكْتُبُهَا حَسَنَةً**»؟

ج: [هذا مقيَّدٌ بقوله تعالىٰ: «**إِذَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّائِي**». أي: خوفًا من الله عَزَّوَجَلَّ. والله أعلم].

❋ ❋ ❋

(٦٠) بَابُ بَيَانِ الْوَسْوَسَةِ فِي الإِيمَانِ وَمَا يَقُولُهُ مَنْ وَجَدَهَا

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٢٠٩) [١٣٢] حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «**وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ**».

(٢١٠) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، ح: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَبَلَةَ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو الْجَوَّابِ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ رُزَيْقٍ، كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ.

(٢١١) [١٣٣] وَحَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ الصَّفَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَثَّامٍ، عَنْ سُعَيْرِ بْنِ الْخِمْسِ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوَسْوَسَةِ، قَالَ: «**تِلْكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ**».

(٢١٢) [١٣٤] وَحَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ، وَاللَّفْظُ لِهَارُونَ، قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّىٰ يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ**».

(٢١٣) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْمُؤَدِّبُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ فَيَقُولُ: اللهُ**» ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِهِ وَزَادَ: «**وَرُسُلِهِ**».

(٢١٤) [٠٠٠] وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، جَمِيعًا عَنْ يَعْقُوبَ، قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولَ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّىٰ يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ**».

(٢١٤) [٠٠٠] وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَأْتِي الْعَبْدَ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟**» مِثْلَ حَدِيثِ ابْنِ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ.

(٢١٥) [١٣٥] وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الوَارِثِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ يَسْأَلُونَكُمْ عَنِ الْعِلْمِ حَتَّىٰ يَقُولُوا: هَذَا اللهُ خَلَقَنَا، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟**» قَالَ: وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ رَجُلٍ، فَقَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، قَدْ سَأَلَنِي اثْنَانِ وَهَذَا الثَّالِثُ، أَوْ قَالَ: سَأَلَنِي وَاحِدٌ وَهَذَا الثَّانِي.

وَحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَيَعْقُوبُ الدَّوْرَقِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ**»، بِمِثْلِ حَدِيثِ عَبْدِ الْوَارِثِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْإِسْنَادِ، وَلَكِنْ قَدْ قَالَ: فِي آخِرِ الْحَدِيثِ صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ.

(٢١٥) [•••] وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ الرُّومِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ وَهُوَ ابْنُ عَمَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَزَالُونَ يَسْأَلُونَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: هَذَا اللهُ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟**» قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ جَاءَنِي نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، هَذَا اللهُ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ قَالَ: فَأَخَذَ حَصًىٰ بِكَفِّهِ فَرَمَاهُمْ، ثُمَّ قَالَ: قُومُوا قُومُوا صَدَقَ خَلِيلِي.

(٢١٦) [•••] وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ:

حَدَّثَنَا جعفرُ بْنُ بُرْقَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيَسْأَلَنَّكُمُ النَّاسُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ يَقُولُوا: اللهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، فَمَنْ خَلَقَهُ؟**».

(٢١٧) [١٣٦] حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ زُرَارَةَ الْحَضْرَمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ مُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يَزَالُونَ يَقُولُونَ: مَا كَذَا؟ مَا كَذَا؟ حَتَّىٰ يَقُولُوا: هَذَا اللهُ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ**».

وَحَدَّثَنَاهُ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، ح: وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ زَائِدَةَ كِلَاهُمَا عَنِ الْمُخْتَارِ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ، غَيْرَ أَنَّ إِسْحَاقَ لَمْ يَذْكُرْ قَالَ: «**قَالَ اللهُ: إِنَّ أُمَّتَكَ**».

التعليق:

[تقدم لنا في الباب المتقدم أن الله لمَّا أنزل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، أنَّ الصحابة قلقوا من هذا قلقًا شديدًا؛ لأنه قد تأتي بمثل هذه الوساوس، وقد تأتي بمثل هذه الخواطر الرديئة التي يتعاظم الإنسان أن يتكلم بها، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ هذه

الآية، ثم ذكر أنه نسخ الله هذه الآية عندما استسلم الصحابة، وقالوا: سمعنا وأطعنا، أنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فالخواطر لو كلَّف الله بها العباد لهلكوا، والوسوسةُ لو كلَّف الله بها العباد لهلكوا، ولكفر أكثرهم -والعياذ بالله-، ولكن الله رفع هذا الحرج عنهم ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وأتبع الإمام مسلم ذلك الباب بهذا الباب: "بَابُ: بَيَانِ الْوَسْوَسَةِ فِي الْإِيمَانِ، وَمَا يَقُولُهُ مَنْ وَجَدَهَا"، أي: الوسوسة، وهذا مضمون هذا الباب، ساق فيه المؤلِّف حديث أبي هريرة من طرق كثيرة.

أولًا: من طريق أبي صالح، يرويه عنه ابنُه سهيل، ثم الأعمش.

ثم ساقه من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال فيه: «**تِلْكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ**»، وفي حديث أبي هريرة: «**ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ**».

وساقه أيضًا من حديث هشام بن عروة بن الزبير، عن أبيه، عن أبي هريرة مرتين، ثم ساقه أيضًا من حديث عروة من طريق ابن شهاب مرتين.

أيضًا هناك ملاحظات من حيث الترتيب نذكرها إن شاء الله.

ثم من طريق محمد بن سيرين مرَّتين، ومن طريق أيوب مرَّتين عن ابن سيرين، ومن طريق أبي سلمة؛ عن يَحْيَىٰ، عن أبي سلمة، وعن يَزِيد بْن

الْأَصَمِّ أيضًا عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. ومن حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، ساقه عَنْ مُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، وَمن طريقه مرَّة أخرىٰ، عَنِ الْمُخْتَارِ أيضًا، وكلُّها تدلُّ علىٰ فضل الله علىٰ هذه الأمة في رفع الحرج عنها، بل لا يكتفىٰ برفع الحرج، حتىٰ إن الرسول عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ قال: «**ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ**»، «**تِلْكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ**». فلا يقاوَم الشيطان الخبيث عندما يوسوس بشيء من الشر ومن الضلال يتصل بالإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ ، إلا بمثل هذا، فيقول المؤمن: إن الرسول شهد أن هذا محض الإيمان. فهذا سلاح يدمِّره لمن يعقل؛ لأن بعض الناس جهلةً، فبعضهم يصل بهم الأمر إلى الجنون، يكون عنده دين فيأتيه الشيطان يوسوس له بأشياء بغيضة جدًّا، فلا يزال به الوسواس حتىٰ يذهب عقلُه، ولو عرفوا هذا العلاج لسلم الكثير ممن يذهب ضحية هذه الوساوس. يأتي أحد الناس يقول: أنا كافر، تقول له: كيف؟ يقول لك: قلت: كذا وكذا. يقال له: بل أنت مؤمن، عندك محض الإيمان ما دمت تكره هذا، حارب الشيطان بهذا، إن الرسول يشهد أن هذا محض الإيمان وصريحه، فما هناك سلاح يحارَب الشيطان به مثل هذا أبدًا.

في الحديث في أوله: "جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ". ومنه هذا: من خلق السماء؟ من خلق الأرض؟ -يسأله الشيطان- ثم بعد ذلك يجرُّه إلى هذا البلاء: من

خلق الله؟ فإذا وصل إلى هذا الشيء، فليقل: «آمَنْتُ بِاللَّهِ» وفي الرواية الثانية: «آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ» إذا قال هذا وانصرف لا يضره هذا الوسواس أبدًا، ويؤكد عليه بأن هذا محض الإيمان وصريح الإيمان، حتىٰ يدحض الشيطان بهذه الحجة النيِّرة التي تفسد عليه مكيدته للمؤمن؛ لأن الخبيث لا يأتي الكفرة والمجرمين بهذه الوساوس، الوسوسة إنما يتسلط بها علىٰ من يئس منهم، يعني: لا ينقادون له؛ يجرُّه إلى الزنا، إلى السرقة، إلى الخيانة، إلى الغِيبة، إلى المعاصي، فلا يستجيب، فيأتيه من هذا الباب انتقامًا، فبهذا يردُّ عليه المؤمن: آمنت بالله ورسله، وأن الرسول شهد لي بأن هذا محض الإيمان، فينتهي. وكان الناس يأتوننا من المدينة وغيرها، فنعالجهم بهذا العلاج: آمنت بالله ورسله، وأن الرسول شهد بأن هذا محض الإيمان، وإذا ابتلي به المؤمن فلا يخاف أبدًا ولا يجزع؛ لأن هذا محض الإيمان؛ لأن كراهيته لهذه الوسوسة دليل علىٰ أنه مؤمن عنده خالص الإيمان ومحض الإيمان، المحض والصريح: هو الخالص والنقي، الذي لا يشوبه ضلال، ولا كفر، ولا بدع إن شاء الله. هذا ما يمكن أن يقال في معنىٰ الحديث.

والأسانيد بعض الناس يدَّعي أن مسلمًا يرتِّب أبواب كتابه علىٰ الأصح فالأصح، وبعضهم يقول: يورد في الباب حديثًا نظيفًا صحيحًا، ثم بعد ذلك يورد الأحاديث التي يُرىٰ فيها شيء من الكلام، وأخذ بعض أهل الأهواء

يُقعِّد أن مسلمًا يورد الأحاديث الضعيفة والمعلَّلة؛ بناءً علىٰ هذه الأقوال التي لا سند لها، لا من تطبيق مسلم، ولا من كلامه، وأخذوا الألفاظ التي يذكرها في كل باب تقريبًا -الألفاظ المختلفة- منهم المليباري، وتعلَّق بهذه الألفاظ المختلفة وسمَّاها عللًا، وأهلُ الحديث قد يسمُّون هذا الاختلاف في الألفاظ عِللًا، ولكن لا يريدون العلل القادحة، بل يريدون مجرد اختلاف الألفاظ فقط؛ ولهذا يبيِّن مسلم في كل باب اختلاف الرواة في الألفاظ، كما ترون في هذا الباب وفي غيره، قال فلان: كذا، وقال فلان: كذا...، مما يرد علىٰ قضية الترتيب أن مسلمًا ساق رواية الزهري أولًا من طريق ابن أخيه، وهو متكلَّمٌ فيه ضعف[1]، قَالَ: وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، جَمِيعًا عَنْ يَعْقُوبَ، قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَمِّهِ، ثم ساقه مرَّة أخرىٰ من أقوىٰ الطرق، قَالَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ...، عبد الملك بن شعيب وأبوه وجدُّه الليث الإمام المشهور، كلهم أئمة ثقات متقنون، فقدَّم إسناد الذي فيه ابن أخي ابن شهاب وفيه كلام، ثم عقَّبه بهذا الطريق الذي لا كلام في رجاله، فهم حفَّاظٌ وأئمَّة.

---

(١) انظر: «ميزان الاعتدال» (٣/ ٥٩٢-البجاوي)، و«التقريب» (ص٤٩٠-عوامة).

ثم بدأ بطريق عبد الوارث بن عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الوَارِثِ صدوقٌ، لكن يأتي في الطبقة الثانية.[١]

ثم جاء بعد ذلك بإسناد آخر: زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَيَعْقُوبُ الدَّوْرَقِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ -وَهُوَ ابْنُ عُلَيَّةَ- [وهو من أئمة الحفاظ]، عَنْ أَيُّوبَ [وهو جبل]، عَنْ مُحمَّدٍ [وهو ابن سيرين].

علىٰ كل حال هذا الإسناد أقوىٰ من الإسناد الأول، مما يدلُّ علىٰ بطلان قول من يدَّعي فيقول: إن مسلمًا يصدِّر الباب بحديث نظيف صحيح، ثم يتبعه بأسانيد فيها مقال، هذا الكلام قاله ابنُ الصلاح[٢] وهو غلط، وتعلَّق به أهل الأهواء، ونحن ذكرنا الأدلة من صنيع مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يبطل هذه الدعوىٰ، في "منهج مسلم في ترتيب صحيحه" وفي "التنكيل"، وفي هذا الحديث أورده من طرق: عن ابن مسعود، وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وساق مسلم حديث أبي هريرة من طرق كثيرة، وساق عن ابن مسعود طريقًا واحدة، وعن أنس طريقًا واحدة، وحديث أبي هريرة في صدر الباب: قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «**وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ**».

(١) انظر: «تهذيب التهذيب» (٦/ ٤٤٣-٤٤٤/ الهندية)، و«التقريب» (ص٣٦٧).

(٢) انظر: «صيانة صحيح مسلم» (ص٩٦)، و«شرح مقدمة مسلم» للنووي (ص٢٥).

الوسوسة التي يجدها الإنسان قد تكون في ذات الله، قد تكون في الرسول، قد تكون في الجنة، قد تكون في النار، قد تكون خواطر رديئة تمسُّ الإيمان، فما علاجها؟ يقول الإنسان: أعوذ بالله من الشيطان، يستعيذ بالله من الشيطان، أو يقول: آمنت بالله ورسله، وفي نفس الوقت يعتقد أن هذا لا يضرُّه، وأن هذا محضُ الإيمان، وأن هذا شهادةٌ من رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأن هذه الوسوسة لا تضرُّ، بل هذا هو محض الإيمان وصريحُ الإيمان، وهذا أشدُّ سلاح علىٰ الشيطان؛ لأن هذا من مكايده؛ لأنه يرىٰ المؤمن متَّجهًا للعبادة والإخلاص والصدق، فيمتحنه بالوسوسة في الصلاة، والوسوسة في العقيدة وكذا وكذا...، فلا يسترسل في هذه الخواطر، ويعالجها بمثل هذا الكلام، وعليه أن ينصرف عنها وينشغل بغير هذه الخواطر، ثم يستعين علىٰ إهانة الشيطان وطرده بقوله: إن الرسول قد شهد لي أن هذا من محض الإيمان، وأن هذا صريح الإيمان. وقلت لإخوانكم - ممن كنت أعالجهم - يقول لي: أنا كافر. فأقول له: كيف كافر؟ يقول: يأتي بخاطري كذا وكذا...، فقلت له: هذا لا يضرُّك، بل قل للشيطان: إن الرسول شهد لي أن هذا محضُ الإيمان، ولا تخفْ، ولا تُبالِ أبدًا، وانسَ مثل هذا. فهذا علاجٌ أعطاه رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لهذه الأمة، ولو كان يضرُّ لبيَّن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولكن هذا لا يضرُّ إن شاء الله، وهذا محضُ

الإيمان.

وجئنا نتكلَّم علىٰ طريقة مسلم؛ لأن هناك من يدَّعي أن مسلمًا رتَّب كتابه بتصدير الباب بحديث واحد صحيح، ثم يعقب ذلك بطرق فيها كلام تُكلِّم في رواتها -وقد رددنا هذا بما كتبناه أيضًا- وجاء ناس تعلَّقوا بهذا الكلام وبنوا عليه منهجًا خطيرًا، وهو أن مسلمًا يبيِّن العلل بهذا الترتيب، فيقول: عنده طريقة فذَّة رائعة لا نظير لها! كيف؟ يقول: يبيِّن العلل بالترتيب فقط، لا يقول مثل ما يقول أبو حاتم والدارقطني وأبو زرعة وغيرهم: إن هذا الحديث اختلف فيه فلان وفلان، يعني: في الإسناد أو في الألفاظ أو ما شابه ذلك. يقولون: لا يبيِّن بهذه الطريقة؛ إنما يبيِّن بالترتيب ! كيف ؟ قال: إذا أخَّر إسنادًا يستحق التقديم -يعني: من الطبقة الأولىٰ- أو قدَّم ما يستحق التأخير - فهناك شيء ! إذا أخَّر ما يستحق التقديم فمعناه أن فيه علَّة، وطبَّق هذا المنهج علىٰ باب كامل، منه أربع أو خمس طرق هي من الدرجة الأولىٰ، وجاء يعلِّل بهذا الترتيب، ثم جمع وحشد طرقًا من خارج مسلم وكذا وكذا وضعَّفها كلها، وقد صحَّحها أكثرُ من عشرين عالمًا من أئمة الحديث، فجاء هذا يضعفها، ثم أتىٰ علىٰ الباب كله، وقال: والحاصل أن هذا الباب كله لا يصلح لا في المتابعات ولا في الشواهد، فنصحناه نصيحة طيبة، لو كان يريد الحق انتهىٰ، ولكنه مهيَّأ للفتنة، فردَّ عليَّ بكلام فارغ وأكاذيب وتلبيسات...،

فرددت عليه بـ (منهج مسلم في ترتيب صحيحه)، وضربت أمثلة من عشرين بابًا تقريبًا، علىٰ أن الإمام مسلمًا لم يلتزم الترتيب أبدًا، وما أراد هذا الترتيب، ولو أراده فإنه لم يطبِّقه أبدًا في كتابه، مثله مثل غيره كالحاكم، وابن حبان، وغيرهما، يلتزم أحدهما الصحَّة في كتابه، وقد يورد أحاديث ضعيفة، وقد يورد أحاديث موضوعة مثل الحاكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولكن مسلمًا التزم الصحة، ولم يلتزم إيراد الأحاديث المعلَّلة إطلاقًا أبدًا، والدليل أنه لما جاء إليه ابنُ أخت أبي النضر وهو يكتب حديث التشهُّد المرويِّ عن أبي موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جاء وهو يكتب في طرقه، وأورد طريق سليمان التيمي، وهذا الرجل عنده معرفة، قال له: إن هذا الحديث قد تكلم فيه. - حديث سليمان في قوله: « **وَإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِذَا قَرَأَ فَأَنْصِتُوا** » - قال: هذا قد قال فيه العلماء. -أي: تكلموا- قال له مسلم: أتريد أحفظ من سليمان؟ -أي: سليمان التيمي- قال: وحديث أبي هريرة؟ قال: حديث أبي هريرة صحيح. قال: لماذا لم تورده هنا في كتابك هذا؟ قال: لَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدِي صَحِيحٍ وَضَعْتُهُ هَا هُنَا إِنَّمَا وَضَعْتُ هَا هُنَا مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ[1].

العبرة بالإجماع أنه لا يكتفي بمجرد الصحة، بل لا يورد من الأحاديث إلا ما اتفق الأئمة علىٰ صحته، ولم يطعنوا فيه، هذا منهج مسلم، كونه قد

---

(١) انظر: "صحيح مسلم بشرح النووي" (٤/ ١٢٢-١٢٣) عقب الحديث (٤٠٤) (٦٣).

يخطئ ويورد حديثًا معلًّلًا يستدرك عليه - هذا خطأ، أمَّا هو في نفسه فلا يورد في هذا الكتاب إلا ما اعتقد صحَّته، بل يرىٰ ما أجمعوا علىٰ صحَّته، ولم يتقصَّد أبدًا هذا الترتيب، ولا بيَّنَ الالتزام بالترتيب، ولا التزم بيان العلل القادحة في هذا الكتاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ. عندنا الآن قضية الترتيب، أورد الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديثًا من طريق ابن أخي الزهري، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن أبي هريرة، أورده من طريق ابن أخي الزهري، ثم أورده من طريق آخر من الدرجة الأولىٰ، ابن أخي الزهري من الدرجة الثانية، أي: ممَّن عندهم عدالة وصدق ودين، لكن في حفظهم شيء، هو من هذا النمط ؛ هذه الدرجة الثانية عند الإمام مسلم، ثم عقَّبه بإسناد من الدرجة الأولىٰ: وهي عبد الملك بن شعيب، عن أبيه، عن جده - الليث بن سعد الإمام- عن عُقيل، عن الزهري، عن عروة، عن أبي هريرة، فهذا يردُّ هذه الدعوىٰ التي لا تصحُّ، وبعده أتىٰ لحديث ابن سيرين عن أبي هريرة، فجاء به من طريق عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: حدثني أبي عن جدي - عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد -، عبد الوارث بن عبد الصمد فيه كلام، من الدرجة الثانية، ثم عقبه بطريق أخرىٰ عن ابن سيرين؛ وهي: زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَيَعْقُوبُ الدَّوْرَقِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ -وَهُوَ ابْنُ عُلَيَّةَ-، عَنْ أَيُّوبَ، من الدرجة الأولىٰ، فأورد حديث ابن سيرين أولًا من طريقٍ من

الدرجة الثانية، ثم أورده مرة أخرىٰ من طريقٍ من الدرجة الأولىٰ، والأبواب في صحيح مسلم مليئة بهذا النمط، وكثيرٌ من الأبواب لا يكون أسانيده كلها إلا من الدرجة الأولىٰ، وبعضُها يقدِّم فيها أصحاب الدرجة الثانية، وبعضُها يقدِّم أصحاب الدرجة الأولىٰ، ثم يتبعهم بأصحاب الدرجة الثانية، وإذا لم يجد من أصحاب الدرجة الأولىٰ حديثًا، ووجد للحديث طرقًا متعدِّدة أصحابُها من الدرجة الثانية - فقد يفعل ذلك، ولكن هذا نادرٌ منه.

الشاهد: أن مسلمًا ضمَّن الصحة في كتابه، فلا يورد حديثًا في كتابه إلا وهو يعتقد صحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحرص أشدَّ الحرص علىٰ الوفاء بهذا الالتزام، كما صرَّح بذلك، وكما أنكر علىٰ من يروي الأحاديث الضعيفة والمنكرة في مقدمته إنكارًا شديدًا، وتعدد منه هذا الإنكار رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المقدمة، وأكد ذلك بتطبيقه].

❋❋❋

(٦١) بَابُ وَعِيدِ مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ فَاجِرَةٍ بِالنَّارِ

قَالَ الإمامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢١٨) [١٣٧] حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْعَلَاءُ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَوْلَىٰ الْحُرَقَةِ، عَنْ مَعْبَدِ بْنِ كَعْبٍ السَّلَمِيِّ، عَنْ أَخِيهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**».

(٢١٩) [•••] وَحَدَّثَنَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، جَمِيعًا عَنْ أَبِي أُسَامَةَ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَخَاهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ كَعْبٍ، يُحَدِّثُ أَنَّ أَبَا أُمَامَةَ الْحَارِثِيَّ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمِثْلِهِ.

(٢٢٠) [١٣٨] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، ح: وَحَدَّثَنَا

ابْنُ نُمَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَوَكِيعٌ، ح: وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ -وَاللَّفْظُ لَهُ- قَالَ: أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**». قَالَ: فَدَخَلَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، فَقَالَ: مَا يُحَدِّثُكُمْ أَبُو عَبْدِالرَّحْمَنِ؟ قَالُوا: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: صَدَقَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فِيَّ نَزَلَتْ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ أَرْضٌ بِالْيَمَنِ، فَخَاصَمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**هَلْ لَكَ بَيِّنَةٌ؟**» فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: «**فَيَمِينُهُ**»، قُلْتُ: إِذَنْ يَحْلِفُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ - لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**». فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] إلى آخر الآية.

(**٢٢١**) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا مَالًا، هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ - لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**». ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ خُصُومَةٌ فِي بِئْرٍ، فَاخْتَصَمْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينُهُ**».

(**٢٢٢**) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ

جَامِعِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ، وَعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَعْيَنَ، سَمِعَا شَقِيقَ بْنَ سَلَمَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقِّهِ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**». قَالَ عَبْدُ اللهِ: ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

(٢٢٣) [١٣٩] وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَهَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، وَأَبُو عَاصِمٍ الْحَنَفِيُّ، وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ، قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ وَرَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ الْحَضْرَمِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا قَدْ غَلَبَنِي عَلَىٰ أَرْضٍ لِي كَانَتْ لِأَبِي، فَقَالَ الْكِنْدِيُّ: هِيَ أَرْضِي فِي يَدِي أَزْرَعُهَا لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَقٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْحَضْرَمِيِّ: «**أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟**» قَالَ: لَا، قَالَ: «**فَلَكَ يَمِينُهُ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الرَّجُلَ فَاجِرٌ لَا يُبَالِي عَلَىٰ مَا حَلَفَ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ يَتَوَرَّعُ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ: «**لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلَّا ذَلِكَ**» فَانْطَلَقَ لِيَحْلِفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَمَّا أَدْبَرَ: «**أَمَا لَئِنْ حَلَفَ عَلَىٰ مَالِهِ لِيَأْكُلَهُ ظُلْمًا، لَيَلْقَيَنَّ اللهَ وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ**».

(٢٢٤) [٠٠٠] وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، جَمِيعًا عَنْ أَبِي الْوَلِيدِ، قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ،

عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ، عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَاهُ رَجُلَانِ يَخْتَصِمَانِ فِي أَرْضٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: إِنَّ هَذَا انْتَزَىٰ عَلَىٰ أَرْضِي يَا رَسُولَ اللهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - وَهُوَ امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنُ عَابِسٍ الْكِنْدِيُّ، وَخَصْمُهُ رَبِيعَةُ بْنُ عِبْدَانَ - قَالَ: «**بَيِّنَتُكَ**» قَالَ: لَيْسَ لِي بَيِّنَةٌ، قَالَ: «**يَمِينُهُ**» قَالَ: إِذَنْ يَذْهَبُ بِهَا، قَالَ: «**لَيْسَ لَكَ إِلَّا ذَاكَ**»، قَالَ: فَلَمَّا قَامَ لِيَحْلِفَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ اقْتَطَعَ أَرْضًا ظَالِمًا، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»، قَالَ إِسْحَاقُ فِي رِوَايَتِهِ: رَبِيعَةُ بْنُ عَيْدَانَ.

التعليق:

[هذا الباب فيه تحريم الظلم، والوعيد الشديد علىٰ من يقتطع مال امرئ مسلم بيمين فاجرة، أورد فيه المؤلِّف حديث أبي أمامة الحارثي وهو غير أبي أمامة الباهلي؛ لأن هذا أنصاريٌّ وذاك باهليٌّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**». يعني حقُّ المسلم أعمُّ من المال، حقُّ المسلم قد يكون في عرض، قد يكون شيئًا غير متموَّل مثل جلد الميتة...، شيء هو أحقُّ به، فيدخل في هذا، «**بِيَمِينِهِ**»: يعني: بحلفه الكاذب، «**فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ**

الْجَنَّةَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**». أي: وإن كان المأخوذ منه قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ، و«**قضيبًا**»: منصوب بكان المحذوفة وهو خبرُها، أو لفعل محذوف يقدَّر، وهذا فيه وعيدٌ شديدٌ لمن يقتطع حقَّ امرئ مسلم مالًا أو غيره، ولو كان شيئًا يسيرًا ولو قضيبًا من أراك، قضيبٌ من أراك ليس له قيمة، فهذا جزاء من يغتصب حقَّ امرئ مسلم، وكذلك الذمِّي والكافر المؤمَّن - لا يجوز ظلمُه؛ لا في ماله، ولا في عرضه؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حرَّم الظلم علىٰ نفسه، وجعله بيننا محرَّمًا، والظلم: وضعُ الشيء في غير موضعه، أوجب الله له النار، وحرَّم عليه الجنة، وهذا وعيدٌ شديدٌ والعياذ بالله، وهذا في تحريم ظلم المسلم، ولاسيما إذا بلغت به الجرأة أن يقسم بالله ويحلف به أنه ما أخذ مال فلان، وأن هذا مالي، وهذا ليس لفلان فيه حقٌّ، والعياذ بالله. وساق مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحديث مرَّة أخرىٰ من طريق: مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، والأوَّلُ من طريق: مَعْبَدِ بْنِ كَعْبٍ السَّلَمِيِّ، وأظنُّ -والله أعلم- أنهما من أبناء كعب بن مالك[1] الشهير؛ من الثلاثة الذين تخلَّفوا وتاب الله عليهم، قصَّتُه معروفة، وهناك نكتة ذكرها النوويُّ؛ وهي أن بعض المؤرخين ذكروا أن أبا أمامة الحارثي ممَّن مات عقب أُحُد، فردَّ هذا برواية عبد الله بن كعب عنه، وعبد الله بن كعب صغير،

---

(١) انظر: "تهذيب التهذيب" (٩/ ٤٢٢) و(١٠/ ٢٢٤)، و"الإصابة في تمييز الصحابة" (٥/ ٤٥٧).

ما أدرك غزوة أُحد، وروىٰ عنه، قال: "فَإِنَّهُ صَحَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو أُمَامَةَ كَمَا ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ فِي الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ فَهَذَا تَصْرِيحٌ بِسَمَاعِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ التَّابِعِيِّ مِنْهُ فَبَطَلَ مَا قِيلَ فِي وَفَاتِهِ وَلَوْ كَانَ مَا قِيلَ فِي وَفَاتِهِ صَحِيحًا لَمْ يُخَرِّجْ مُسْلِمٌ حَدِيثَهُ"(١).

وهنا افتتح الباب بحديث فيه معبد بن كعب، وهو من الدرجة الثانية(٢)، علىٰ خلاف ما يقوله ابنُ الصلاح ومَن قلَّده، رحم الله الجميع، وأصلح الله الباقين.

قَالَ: وَحَدَّثَنَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، جَمِيعًا عَنْ أَبِي أُسَامَةَ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَخَاهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ كَعْبٍ، يُحَدِّثُ أَنَّ أَبَا أُمَامَةَ الْحَارِثِيَّ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمِثْلِهِ.

وَبَعْدَهُ قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، ح: وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَوَكِيعٌ، ح: وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ -وَاللَّفْظُ لَهُ- قَالَ: أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينِ صَبْرٍ**

---

(١) «شرح مسلم» (٢/ ١٦٠).

(٢) انظر: «التهذيب» (١٠/ ٢٢٤)، و«التقريب» (ص٥٣٩).

يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ - لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»، قَالَ: فَدَخَلَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، فَقَالَ: مَا يُحَدِّثُكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالُوا: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: صَدَقَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فِيَّ نَزَلَتْ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ أَرْضٌ بِالْيَمَنِ، فَخَاصَمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**هَلْ لَكَ بَيِّنَةٌ؟**» فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: «**فَيَمِينُهُ**»، قُلْتُ: إِذَنْ يَحْلِفُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**». فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى آخر الآية.

الشاهد: أنه استهلَّ الباب بمعبد، وهو كما قال فيه الحافظ: "مقبول" من الدرجة الثانية، وعقَّبه بإسناد آخر من طريق ابن مسعود وأسانيد أُخَر كلها من الدرجة الأولىٰ، وهذا يردُّ ما يقول هؤلاء، وما يتعلق به مَن تابع هذا الخطأ.

الشاهد: أن العقوبة الواردة في حديث أبي أمامة، وهي قوله: «**فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**». هذه العقوبة لمن يقتطع مال امرئ مسلم بيمينه، يعني: بحلِفه، أوجب الله له النار وحرَّم عليه الجنة، فهذا وعيد شديد، وهذا إن كان مستحلًّا فهو كافر، فتحريم النار عليه معناه أنه لا يدخل الجنة أبدًا، وإن كان غير مستحلٍّ فهو مستحقٌّ للعقاب؛ لأنه يستحق هذه العقوبة، ولكنه يبقىٰ تحت مشيئة الله، إن شاء عاقبه في ذلك، وإن شاء عفا عنه، والعقوبة في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينِ**

صَبْرٍ». الصبر: الحبس، يحبس نفسه علىٰ هذه اليمين أو يحبسه الحاكم. ومن في معناه «**يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ - لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**». والنوويُّ -كعادته وعلىٰ طريقة الأشاعرة- تأوَّل الغضب هنا بإرادة إبعاده عن رحمة الله، وهذا خطأ كبير، ويكثُر هذا من النوويُّ - غفر الله له -، فإنه تأثر بالمنهج الأشعري إلى حدٍّ بعيد، وينقل عن الرازي، وينقل عن القاضي عياض، وكلهم أشاعرة، وهذا مخالف لما عليه الصحابة والسلف الصالح، وحتىٰ هنا قال: "وقال العلماء" ! وهذا الكلام خطأ؛ لأن العلماء ما قالوا هذا الكلام، ما قاله إلا أهلُ البدع وأهلُ الكلام الفاسد، أما العلماء من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام، مثل مالك والأوزاعي والثوري وأحمد بن حنبل والشافعي ويحيىٰ بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وأبي زرعة وأبي حاتم والبخاري... وهلم جرًّا، هؤلاء لا يوجد عندهم إلا الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، أو وصفه رسوله ﷺ في سنَّته، الإيمان بذلك، والتصديق به، وإثباتُه علىٰ الوجه اللائق بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، سواء الصفات الذاتية: كالعلم والإرادة والقدرة وما شاكل ذلك، أو الفعلية ومنها: الرحمة والغضب والنزول والمجيء وما شاكل ذلك.

وممَّا يقطع ألسنة هؤلاء أن الأئمة نقلوا هذا، البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه:

"خلق أفعال العباد"، وعبد الله بن أحمد في "السنة"، والترمذي في "جامعه"، وأبو داود في "سننه"، وابن ماجه في "سننه"، والبخاري في آخر كتابه: التوحيد، كلهم أوردوا صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتب التوحيد وكتب السنة وهي كتب العقيدة، وينصُّون -أو كثيرٌ منهم- علىٰ أن هذه هي طريقة السلف، ومنهم الترمذيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "الجامع" في كتاب الزكاة - باب فضل الصدقة، عقب الحديث (٦٦٢)[١]: "وَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فِي هَذَا الحَدِيثِ وَمَا يُشْبِهُ هَذَا مِنَ الرِّوَايَاتِ مِنَ الصِّفَاتِ: وَنُزُولِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالُوا: قَدْ تَثْبُتُ الرِّوَايَاتُ فِي هَذَا وَيُؤْمَنُ بِهَا وَلَا يُتَوَهَّمُ وَلَا يُقَالُ: كَيْفَ هَكَذَا رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ المُبَارَكِ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي هَذِهِ الأَحَادِيثِ: أَمِرُّوهَا بِلَا كَيْفٍ"، وَهَكَذَا قَوْلُ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَأَمَّا الجَهْمِيَّةُ فَأَنْكَرَتْ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ وَقَالُوا: هَذَا تَشْبِيهٌ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ اليَدَ وَالسَّمْعَ وَالبَصَرَ، فَتَأَوَّلَتِ الجَهْمِيَّةُ هَذِهِ الآيَاتِ فَفَسَّرُوهَا عَلَىٰ غَيْرِ مَا فَسَّرَ أَهْلُ العِلْمِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ آدَمَ بِيَدِهِ، وَقَالُوا: إِنَّ مَعْنَىٰ اليَدِ هَاهُنَا القُوَّةُ"، وقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: "إِنَّمَا يَكُونُ التَّشْبِيهُ إِذَا قَالَ: يَدٌ كَيَدٍ، أَوْ مِثْلُ يَدٍ، أَوْ سَمْعٌ كَسَمْعٍ، أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ، فَإِذَا قَالَ:

---

(١) (٣/ ٤١-٤٢) طبعة الحلبي، الثانية.

سَمْعٌ كَسَمْعٍ، أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ، فَهَذَا التَّشْبِيهُ، وَأَمَّا إِذَا قَالَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ يَدٌ، وَسَمْعٌ، وَبَصَرٌ، وَلَا يَقُولُ كَيْفَ، وَلَا يَقُولُ مِثْلُ سَمْعٍ، وَلَا كَسَمْعٍ، فَهَذَا لَا يَكُونُ تَشْبِيهًا، وَهُوَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]".

وقال في (كتاب التفسير - تفسير سورة المائدة)، عقب الحديث (٣٠٤٥)[1]: "وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وَهَذَا حَدِيثٌ قَدْ رَوَتْهُ الأَئِمَّةُ، نُؤْمِنُ بِهِ كَمَا جَاءَ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُفَسَّرَ أَوْ يُتَوَهَّمَ، هَكَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ: الثَّوْرِيُّ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَابْنُ عُيَيْنَةَ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ تُرْوَىٰ هَذِهِ الأَشْيَاءُ، وَيُؤْمَنُ بِهَا، وَلَا يُقَالُ: كَيْفَ"، فهذا هو الحقُّ الذي يجب أن يلتزمه كلُّ مؤمن، والتزمه السلف الصالح.

الشاهد: أن هنا الوعيد في الحديث الأوَّل: «**أن الله أوجب عليه النار، وحرَّم عليه الجنة**»، وفي الحديث الثاني: «**لقي الله وهو عليه غضبان**»، وفيه إثبات صفة الغضب لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الوجه اللائق به، خلاف ما يقرِّره الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وهذا الوعيد أكَّده حديث الأشعث بن قيس أيضًا، وكرَّر فيه الوعيد من طريق ابن مسعود: «**لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**». قَالَ

(١) (٥/ ٢٥١).

عَبْدُ اللَّهِ: ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران:٧٧].

هذا رسولُ الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يذكر الوعيد، ثم يذكر مصداقه من كتاب الله، وكذلك الصحابة؛ فأبو هريرة يأتي بالحديث ويقول: مصداقه من كتاب الله، يقول: قال الله كذا وكذا[١]، والعلماء كذلك على هذه الطريقة؛ ليقتنع السامع بهذه الحجة، أما الرسول ﷺ فيكفي الكلام منه...، وأمَّا غيرُه فيحتاج إلى التأكيد؛ ولهذا ترى بعض الأئمة، وخاصة البخاري يسوق في الباب الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويسوق من آثار السلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليثبت حجَّته في هذه القضية وفي هذا الحكم، فتضافر الأدلة -يعني: في إثبات القضايا- هذا أمر مشروع.

وهذا الحديث حديثُ وائل بن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ وَرَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ الْحَضْرَمِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا قَدْ غَلَبَنِي عَلَىٰ أَرْضٍ لِي كَانَتْ لِأَبِي، فَقَالَ الْكِنْدِيُّ: هِيَ أَرْضِي فِي يَدِي أَزْرَعُهَا لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَقٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْحَضْرَمِيِّ: «أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟» قَالَ:

---

(١) روى البخاري (١٣٥٩)، ومسلم (٢٦٥٨)، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ) [الروم: ٣٠].

لَا، قَالَ: «**فَلَكَ يَمِينُهُ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الرَّجُلَ فَاجِرٌ لَا يُبَالِي عَلَىٰ مَا حَلَفَ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ يَتَوَرَّعُ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ: «**لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلَّا ذَلِكَ**». فَانْطَلَقَ لِيَحْلِفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَمَّا أَدْبَرَ: «**أَمَا لَئِنْ حَلَفَ عَلَىٰ مَالِهِ لِيَأْكُلَهُ ظُلْمًا، لَيَلْقَيَنَّ اللهَ وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ**».

فهذا فيه أن صاحب اليد مقدَّمٌ علىٰ خصمه، شخصٌ يسكن في بيت، وآخر يزرع في الأرض، وجاء شخص يدَّعي، فهو مقدَّم علىٰ المدَّعي، ولا يُنزع منه الذي بيده إلا بالحجة والبرهان، ولا يُنتزع منه إلا بالبينة، صاحبُ اليد هو الأصلُ، وهو المقدَّم علىٰ المدَّعي، فإن كان للمدَّعي بيِّنةٌ اُنتزع من صاحب اليد، والبيِّنة شاهدان عدلان -كما في بعض القضايا-، وقد تكون شهادة ويمينًا، فالرسول ﷺ علىٰ كل حال قال: «**الْبَيِّنَةُ عَلَىٰ الْمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَ**»[1]. وعلىٰ كل حال هذا الحديث من هذا الباب أيضًا، فقوله: «**أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟**»: في معنىٰ البيِّنة علىٰ المدَّعي، فالرسول طالب المدَّعي بالبينة، قال: لا. قال: «**فَلَكَ يَمِينُهُ**»: في معنىٰ اليمين علىٰ من أنكر، فقال النبيُّ ﷺ لهذا الرجل -يعني الذي يريد أن يحصل علىٰ ماله بدون بينة-: «**لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلَّا ذَلِكَ**» يعني: جزاؤه عند الله عَزَّوَجَلَّ إذا اقتطع مالك ظلمًا، فليست

(١) رواه البيهقي (١٠/ ٤٢٧)، والإسماعيلي في "صحيحه"، عن ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وحسنه ابن الصلاح والنوويُّ في "الأربعين"، واستدل به أحمد وأبو عبيد، كما في "جامع العلوم والحكم" (٢/ ٢٢٦-٢٢٧)، وصحح إسناده الألباني في "إرواء الغليل" (٨/ ٢٦٦).

الحكومة في الدنيا فقط، ولكن عند الله هناك الحكومة العادلة، التي لا يظلم فيها مثقال ذرة أبدًا، المظلوم -ولو كان كافرًا- لابدَّ أن يأخذ اللهُ حقَّهُ من الظالم، حتىٰ إن أهل الجنة يوقفون علىٰ قنطرة بعدما يجتازون الصراط؛ ليُؤخذ الحقُّ منهم، سواء لبعضهم من بعض وهم علىٰ أبواب الجنة، أو لأهل النار عليهم، حق لابدَّ أن يؤخذ منهم، فهناك ذنب لا يغفر؛ وهو الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وهناك ذنبٌ لا يترك أبدًا؛ وهو حقوق العباد فيما بينهم، ولو كان قضيبًا من أراك كما سلف، لابد أن يؤخذ من هذا الظالم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

فالسواك فيه مثاقيل الذر، وأعجبني كلامٌ لشيخ الإسلام ابن تيمية في التعليق علىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، قال: "دَلَّ هَذَا عَلَىٰ أَنَّ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ إِذَا زِيدَ فِي السَّيِّئَاتِ أَوْ نَقَصَ مِنَ الْحَسَنَاتِ كَانَ ظُلْمًا يُنَزِّهُ اللَّهُ عَنْهُ"[(١)]، فليحذر الإنسان من الظلم باليد أو باللسان أو بأيِّ شيء، فالله حَكَمٌ عدلٌ لا بد أن يأخذ بحق المظلوم، ولهذا قال: «**أَمَا لَئِنْ حَلَفَ عَلَىٰ مَالِهِ لِيَأْكُلَهُ ظُلْمًا، لَيَلْقَيَنَّ اللهَ، وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ**». وهناك قال: «**وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»، وهناك في الأول: «**فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**». وكلُّها حقٌّ، ولا تنافي بينها أبدًا، الإعراض مع الغضب مع إيجاب النار كلُّها

(١) "منهاج السنة النبوية" (٥/ ١١٠).

وعيدٌ، وكلُّها تحصل، يعني: إن كان مستحلًّا، فلو استحلَّ أقلَّ شيء حرَّمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فالوعيد وعيدُ الكفار، وإن كان يعتقد حرمة مال المسلم ودمه وعرضه، ولكنه غلبه هواه مع هذا الاعتقاد؛ فهذا معرَّض للوعيد الشديد، ولو عاقبه الله بهذا الوعيد لاستحق ذلك، ولكن الموحِّد وإن عوقب فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يخرجه بهذا التوحيد.

وساق مسلم طريقًا آخر لحديث وائل، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَتَاهُ رَجُلَانِ يَخْتَصِمَانِ فِي أَرْضٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: إِنَّ هَذَا انْتَزَىٰ عَلَىٰ أَرْضِي يَا رَسُولَ اللهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ [والجاهلية ما قبل الإسلام؛ ويطلق عليها الجاهلية لأن أهلها أهلُ جهل وضلال، يعني: هذا الأمر حصل قبل الإسلام، وطالبه هذا الرجل في الإسلام، وهذا من الأدلَّة علىٰ أن حق المسلم وصاحب الحق لا يسقط، ولو طال عليه العهد، وأن البيِّنة إذا كان شاهدان عدلان كفىٰ، يشهدان علىٰ صاحب الأرض أنه اغتصبها، ولو قدِّر المغصوب بالملايين، ولو طائرات، يكفي في هذا شاهدا عدل؛ فهذا حُكم الله عَزَّوَجَلَّ، وأكد وائلٌ القضية بتسمية الخصمين] وَهُوَ امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنُ عَابِسٍ الْكِنْدِيُّ، وَخَصْمُهُ رَبِيعَةُ بْنُ عِبْدَانَ - قَالَ: «**بَيِّنَتُكَ**». قَالَ: لَيْسَ لِي بَيِّنَةٌ، قَالَ: «**يَمِينُهُ**». قَالَ: إِذَنْ يَذْهَبُ بِهَا، قَالَ: «**لَيْسَ لَكَ إِلَّا ذَاكَ**»، قَالَ: فَلَمَّا قَامَ لِيَحْلِفَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ اقْتَطَعَ أَرْضًا ظَالِمًا، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»، قَالَ

إِسْحَاقُ فِي رِوَايَتِهِ: رَبِيعَةُ بْنُ عَيْدَانَ.

ففيه نفس الشيء؛ الوعيد لمن اقتطع حقَّ امرئ مسلم، وهناك قال: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ»، وهنا قال: «مَنِ اقْتَطَعَ أَرْضًا ظَالِمًا، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»، وفي حديث آخر: «مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طَوَّقَهُ اللهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»(١)، فهذه العقوبات تحصل لمن يغتصب، فيلقىٰ الله وهو عليه غضبان، وإذا كانت أرضًا يغضب الله عليه، ويطوقه إيَّاها من سبع أرضين، والعياذ بالله، وفي الحديث: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢)؛ وفي آخر: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣)، والعياذ بالله.

ومسلم بيَّن الاختلاف في "عِبدان"، فقال: قال إسحاق في روايته: "ربيعة بن عيدان"، وزهير بن حرب قال: "ربيعة بن عِيدان"، وهو واحدٌ؛ إما عبدان، أو عيدان، فنبَّه مسلم علىٰ ذلك، ولكن هذا لا يضر؛ لأن هذا ليس في الإسناد، وإنما هذا اختلاف في تسمية رجل؛ وهذا لا يضرُّ بالمتن، ولكن هذا يبيِّن دقَّة مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تبيين الاختلاف، سواء في بعض الأسماء، أو في بعض الألفاظ].

❁❁❁

---

(١) رواه البخاري (٣١٩٨)، ومسلم (١٦١٠)، عن سعيد بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩)، عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) رواه مسلم (٢٥٧٨)، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٦٢) بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَنْ قَصَدَ أَخْذَ مَالِ غَيْرِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، كَانَ الْقَاصِدُ مُهْدَرَ الدَّمِ فِي حَقِّهِ وَإِنْ قُتِلَ كَانَ فِي النَّارِ وَأَنَّ مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٢٥) [١٤٠] حَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدٌ -يَعْنِي ابْنَ مَخْلَدٍ-، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «**فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ**»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «**قَاتِلْهُ**»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «**فَأَنْتَ شَهِيدٌ**»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «**هُوَ فِي النَّارِ**».

(٢٢٦) [١٤١] وَحَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ - وَأَلْفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ - قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ الْأَحْوَلُ أَنَّ ثَابِتًا مَوْلَىٰ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ لَمَّا كَانَ بَيْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو وَبَيْنَ عَنْبَسَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ مَا كَانَ تَيَسَّرُوا لِلْقِتَالِ،

فَرَكِبَ خَالِدُ بْنُ الْعَاصِ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو فَوَعَظَهُ خَالِدٌ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**». وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ، ح: وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ النَّوْفَلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، كِلَاهُمَا عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

التعليق:

[هذا الباب في: الدليل على أن من قَصَدَ أَخْذَ مَالِ غَيْرِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ - كَانَ الْقَاصِدُ مُهْدَرَ الدَّمِ، وَإِنْ قُتِلَ كَانَ فِي النَّارِ، وَأَنَّ مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، أورد فيه حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من طريق العلاء بن عبدالرحمن، وأورد فيه أيضًا حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من طريق ابن جريج، عن سليمان الأحول، عن ثَابِت مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وحكي القصة كأنه شهدها، وشهد ما دار بين عبدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو وبين خالد بنِ العاص، فقال عبد اللهِ بن عَمْرٍو: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**». وساقه مرّة أخرى من طريق ابن جريج بنفس الإسناد، فالحديث فيه حُرمة مال المسلم، وأن حرمة ماله كحرمة نفسه ودمه، وأن للمسلم أن يدافع عن ماله، فإن قُتل فهو شهيد، وإن قُتل الصائل عليه الذي يريد أن يأخذ ماله فهو في النار، فهذا حقٌّ منحه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لصاحب

المال، أن يدافع عن ماله إلى الموت، فإن قُتل فهو شهيد، وإن قُتل الصائلُ عليه فهو في النار، فهذا دليلٌ علىٰ شدَّة حرمة المسلم؛ ودمه، وماله، وعرضه؛ كما أعلن ذلك رسولُ الله ﷺ في حجَّة الوداع[(١)].

الاشتراكيون يقولون: إن الأموال مشتركةٌ، فإن صاحب المال موظَّف فقط، والمال مشترك بينه وبين غيره، فهذا الحديث وأمثالُه في إسناد المال إلى صاحب المال في القرآن والسنَّة، دليلٌ علىٰ بطلان ما يدَّعيه هؤلاء الضالُّون، الذين أخذوا منهج ماركس الخبيث المدمر، ولبَّسوه لباس الإسلام، وسمَّوا هذه الشيوعية الحمراء: "الاشتراكية الإسلامية"، كعادتهم؛ تأتي المناهج والأفكار الخبيثة من الغرب، فتعجبهم ويُبهرون بها، ويلبِّسونها لباس الإسلام: "الاشتراكية الإسلامية"، و"الديمقراطية الإسلامية"، و"الديسكو الإسلامي"، إلى آخر الأساليب الشيطانية التي يُغوون بها السفهاء والجهلة، ويجرُّونهم إلى هذا الضلال باسم الإسلام.

يذكر بعضُ العلماء أن الصائل يُقتَل، ولو كان مطلبُه مالًا ضئيلًا، نقلَه النووي[(٢)] عن الجمهور والعلماء: أن من يعتدي علىٰ مال المسلم فللمسلم أن يدافع عن ماله، حتىٰ ولو قَتَل هذا الصائل، ولو كان مالًا قليلًا، قال:

---

(١) انظر "صحيح البخاري" (١٧٣٩) و(١٧٤١) و(١٧٤٢) و"صحيح مسلم" (١٢١٨) و(١٦٧٩).

(٢) "شرح مسلم" (٢/ ١٦٥).

وخالف في ذلك بعضُ المالكية، يقولون: إذا كان مالًا قليلًا مثل الثوب وما أشبه ذلك، فإنه لا يقتل فيه. وعموم الحديث يشمل هذا القليل والكثير، وتكلَّم النوويُّ عن معنىٰ الشهيد، وساق أقوالًا لبعض اللُّغويِّين في معنىٰ الشهيد، ولي عليها ملاحظات كلها].

قَالَ النَّوَوِيُّ: "**فِيهِ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُول اللَّه ﷺ فَقَالَ**: يَا رَسُول اللَّه، أَرَأَيْت إِنْ جَاءَ رَجُل يُرِيد أَخْذ مَالِي؟ قَالَ: «**فَلَا تُعْطِهِ مَالَك**». قَالَ: أَرَأَيْت إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «**قَاتِلْهُ**». قَالَ: أَرَأَيْت إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «**فَأَنْتَ شَهِيد**». قَالَ: أَرَأَيْت إِنْ قَتَلْته؟ قَالَ: «**هُوَ فِي النَّار**». أَمَّا أَلْفَاظ الْبَاب؛ فَالشَّهِيد، قَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ حَيّ؛ لِأَنَّ أَرْوَاحهمْ شَهِدَتْ دَار السَّلَام، وَأَرْوَاح غَيْرهمْ لَا تَشْهَدهَا إِلَّا يَوْم الْقِيَامَة ".

[هذا الكلام غيرُ صحيح؛ فإن أرواح المؤمنين أيضًا في الجنة، أرواحُ الشهداء معلَّقة في حواصل طير خضر في قناديل تحت العرش، وكذلك أرواحُ المؤمنين في الجنَّة، وتشهدها قبل يوم القيامة، وفي ذلك أحاديث صحيحة].

-"قَالَ ابْن الْأَنْبَارِيّ: لِأَنَّ اللَّه تَعَالَىٰ وَمَلَائِكَته -عَلَيْهِمُ السَّلَام- يَشْهَدُونَ لَهُ بِالْجَنَّةِ. فَمَعْنَىٰ شَهِيد: مَشْهُود لَهُ. وَقِيلَ: سُمِّيَ شَهِيدًا لِأَنَّهُ يَشْهَد عِنْد خُرُوج رُوحه مَا لَهُ مِنْ الثَّوَاب وَالْكَرَامَة". [هذا لكل مؤمن؛ قال الله

تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فُصِّلَت: ٣٠]، وهناك حديث لعبد الله بن عمر: أن الميت في حالة الاحتضار يرىٰ مقعده من الجنة ومقعده من النار[1]].

-"وَقِيلَ: لِأَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَةِ يَشْهَدُونَهُ فَيَأْخُذُونَ رُوحَهُ" [هذا في حديث البراء[2]: أن المؤمن إذا احتضر، فتأتي الملائكة وتأخذ روحه، ثم تسلِّمها لمَلك الموت فتشهده الملائكة، ملائكة الرحمة، والكافر تأتيه ملائكة العذاب في أخبث الصور، وتأخذها ملائكة العذاب].

-"وَقِيلَ: لِأَنَّهُ شُهِدَ لَهُ الْإِيمَان وَخَاتِمَة الْخَيْر بِظَاهِرِ حَاله". [هذه ليست خاصة بالشهيد].

-"وَقِيلَ: لِأَنَّ عَلَيْهِ شَاهِدًا يَشْهَد بِكَوْنِهِ شَهِيدًا وَهُوَ دَمُهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَث وَجُرْحه يَثْعَب دَمًا". [ممكنٌ هذا -والله أعلم-، ولكن لم يرد به نص].

---

(١) رواه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦). ولفظه: نْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّىٰ يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

(٢) رواه أحمد (١٨٥٣٤) و(١٨٦١٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، وابن منده في "الإيمان" (١٠٦٤)، والحاكم (١/ ٩٣-٩٨)، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" (٢٠-٢٨ و٤٨)، وغيرهم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وصححه ابن منده والبيهقي وابن القيم وغيرهم، كما في "أحكام الجنائز" للألباني (ص١٥٩).

-"وَحَكَىٰ الْأَزْهَرِيُّ وَغَيْرُهُ قَوْلًا آخر؛ أَنَّهُ سُمِّيَ شَهِيدًا لِكَوْنِهِ مِمَّنْ يَشْهَد يَوْم الْقِيَامَة عَلَىٰ الْأُمَم، وَعَلَىٰ هَذَا الْقَوْل لَا اخْتِصَاص لَهُ بِهَذَا السَّبَب". [لأن أفراد الأمَّة كلهم وأفاضلهم وعلماءهم يشهدون، يشهدون لنوح عندما ينكر قومُه، ويشهدون لغيره، فالأمم يوم القيامة تُسأل عن أنبيائها: هل بلَّغوكم؟ فيقولون: لا. فيُقال للأنبياء: من يشهد لكم؟ فيقولون: أمَّة محمَّدٍ].

-"قَالَ: وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّهِيد ثَلَاثَة أَقْسَام: **أَحَدهَا**: الْمَقْتُول فِي حَرْب الكفَّار بِسَبَبٍ مِنْ أَسْبَاب الْقِتَال، فَهَذَا لَهُ حُكْم الشُّهَدَاء فِي ثَوَاب الْآخِرَة وَفِي أَحْكَام الدُّنْيَا، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يُغَسَّل، وَلَا يُصَلَّىٰ عَلَيْهِ. **وَالثَّانِي**: شَهِيد فِي الثَّوَاب، دُون أَحْكَام الدُّنْيَا؛ وَهُوَ الْمَبْطُون، وَالْمَطْعُون، وَصَاحِب الْهَدْم". [والحريق، والغريق، والحامل التي تموت بسبب وضعها] " وَمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ، وَغَيْرهمْ مِمَّنْ جَاءَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَة بِتَسْمِيَتِهِ شَهِيدًا، فَهَذَا يُغَسَّل وَيُصَلَّىٰ عَلَيْهِ، وَلَهُ فِي الْآخِرَة ثَوَابُ الشُّهَدَاء". [الرسول ﷺ أطلق علىٰ هؤلاء أنهم شهداء، لكن هل لا يغسلون ولا يصلىٰ عليهم مثل شهيد المعركة؟ بل يُغسَّلون ويصلَّىٰ عليهم، المبطون والحريق والغريق والمهدوم عليه والحامل التي تموت بسبب وضعها، هؤلاء شهداء إن شاء الله، وهذا في الآخرة، أمَّا في الدنيا فيغسَّلون ويصلَّىٰ عليهم.]. قَالَ: "وَلَا يَلْزَم أَنْ يَكُون مِثْل ثَوَاب الْأَوَّل". [حتىٰ الشهداء يتفاوتون في الفضل؛ الذين يقتلون في

ساحة المعركة يتفاوتون في الفضل].

-"**وَالثَّالِثُ:** مَنْ غَلَّ فِي الْغَنِيمَة، وَشِبْهُه مِمَّنْ وَرَدَتْ الْآثَار بِنَفْيِ تَسْمِيَته شَهِيدًا إِذَا قُتِلَ فِي حَرْب الْكُفَّار "، [مثل الحديث الوارد في الذي غلَّ الشملة، قال رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الشِّمْلَةَ لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نَارًا أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ**»[1]]. " فَهَذَا لَهُ حُكْم الشُّهَدَاء فِي الدُّنْيَا فَلَا يُغَسَّل، وَلَا يُصَلَّىٰ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ لَهُ ثَوَابهمْ الْكَامِل فِي الْآخِرَة. وَاللهُ أَعْلَمُ"[2]. [بِمَنْ يُقْتلُ في سَبيلِه].

❁ ❁ ❁

(١) قطعة من حديث رواه البخاري (٤٢٣٤)، ومسلم (١١٥)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٢) "شرح مسلم" (٢/ ١٦٣-١٦٤).

(٦٣) بَابُ اسْتِحْقَاقِ الْوَالِي الْغَاشِّ لِرَعِيَّتِهِ النَّارَ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٢٧) [١٤٢] حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَشْهَبِ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: عَادَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، قَالَ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ - إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**».

(٢٢٨) [•••] وَحَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: دَخَلَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ، عَلَىٰ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، وَهُوَ وَجِعٌ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا لَمْ أَكُنْ حَدَّثْتُكَهُ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَسْتَرْعِي اللهُ عَبْدًا رَعِيَّةً، يَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهَا - إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**»، قَالَ: أَلَا كُنْتَ حَدَّثْتَنِي هَذَا قَبْلَ الْيَوْمِ؟ قَالَ: «**مَا حَدَّثْتُكَ**»، أَوْ «**لَمْ أَكُنْ لِأُحَدِّثَكَ**».

(٢٢٩) [٠٠٠] وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ، يَعْنِي: الْجُعْفِيَّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ هِشَامٍ، قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ: كُنَّا عِنْدَ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ نَعُودُهُ، فَجَاءَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: إِنِّي سَأُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ ذَكَرَ بِمَعْنَىٰ حَدِيثِهِمَا.

(٢٢٩) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ أَنَّ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ زِيَادٍ عَادَ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ فِي مَرَضِهِ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ لَوْلَا أَنِّي فِي الْمَوْتِ لَمْ أُحَدِّثْكَ بِهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ، وَيَنْصَحُ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ**».

التعليق:

[هذا الحديث فيه وجوب النصيحة للمسلمين من الوالي وغيره، وجاءت أدلَّة في هذا: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»[(١)]، وبايع جرير بن عبد الله البجلي رسولَ الله ﷺ علىٰ إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم[(٢)]،

(١) رواه مسلم (٥٥)، عن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) رواه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).

والرسول ﷺ يقول: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»(١)، من غشَّ في أيٍّ من الأمور، في أمور الدين والدنيا فليس منَّا، وتبعاتُ الإمام ومسؤولياته أعظم وأعظم؛ لأنه راعي الأمة؛ «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(٢)، وكلُّ واحد يتحمَّل المسؤولية من النصيحة في أهله وأسرته وعشيرته وفي حق المجتمع، ينصح لهم، ويبيِّن لهم دين الله عَزَّوَجَلَّ، ويحذِّرهم من الشرِّ وألوان الفساد، وأعظم مسؤولية هي مسؤولية الإمام؛ لأنه مسؤول عن الرعية كلها، فيجب عليه أن ينصح لهم في دينهم، وفي دنياهم، فلا يغشّهم في دينهم، ولا يغشّهم في دنياهم، وعليه أن يذُبَّ عن دينهم، وأن يحمي بيضتهم من أعداء الله، لا يتوانىٰ في ذلك، يبذل كل ما يستطيع، إلا أن يعجز، فلا يكلِّف الله نفسًا إلا وسعها، ويجهد لهم في تعليمهم دينَهم، أي: يكلِّف أمراءه وقضاته ومن يتولَّىٰ أمر المسلمين عن طريقه أن يعلِّموا الناس دينهم، وكان كذلك رسولُ الله؛ يرسل الرسل ويبعث البعوث والأمراء والقضاة في الدرجة الأولىٰ، ليعلِّموا الناس دينهم، وكان عمرُ بنُ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كذلك، يقول: « **أَلا إِنِّي وَاللَّهِ مَا أُرْسِلُ عُمَّالِي إِلَيْكُمْ لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَكُمْ، وَلا لِيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ، وَلَكِنْ أُرْسِلُهُمْ إِلَيْكُمْ لِيُعَلِّمُوكُمْ دِينَكُمْ وَسُنَّتَكُمْ، فَمَنْ فُعِلَ بِهِ شَيْءٌ**

---

(١) قطعة من حديث رواه مسلم (١٠١)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قطعة من حديث رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

سِوَىٰ ذَلِكَ فَلْيَرْفَعْهُ إِلَيَّ»(١)، فالإمام عليه مسؤولية عظيمة كبيرة، يجب عليه أن يؤدِّيَها للمسلمين في دينهم ودنياهم، فإذا قصَّر في ذلك وهو قادر علىٰ إيصال الخير ودفع الشر عنهم - فإنه غاشٌّ، ويستحق هذه العقوبة التي ذكرها رسول الله ﷺ في هذا الحديث؛ أنه لن يدخل الْجَنَّةَ، والحديث الآخر: أنه لن يدخل الجنة معهم، وهذا إن كان مستحلًّا لهذا الغش فهو كافر، وإن كان غير مستحلٍّ، فهذا يستحق هذه العقوبة والحرمان من دخول الجنة مع الفائزين كغيره، هذا النصُّ من النصوص الأخرىٰ التي جاءت بالوعيد بالنار أو عدم دخول الجنة ودخول النار، فإنها تفسَّر بهذا التفسير، فإن كان مستحلًّا العمل المخالف لشرع الله عَزَّوَجَلَّ المخالف للنصوص؛ فهو كافر، ويستحق خلود الكافرين وحرمان الكافرين، وإن كان يرىٰ التحريم، ولم يستحلَّ مخالفة النصوص، ويرىٰ أنها حرام عليه، فهذا عنده كفر أصغر، لا يخرجه من دائرة الإسلام، ويستحق هذه العقوبة إن عاقبه الله بها، وإلا فهو داخل تحت المشيئة؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، كغيره من مرتكبي الكبائر من هذه الأمة].

❋ ❋ ❋

---

(١) قطعة من أثر طويل، أخرجه أحمد (٢٨٦)، وأبو يعلىٰ (١٩٦)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٥٢٨)، والحاكم (٤/ ٤٨٥)، والبيهقي (٩/ ٧٢). قال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط مسلم». ووافقه الذهبي. وذكره الحافظ ابن كثير في «مسند الفاروق» (٢/ ٥٤٤) من رواية ابن المديني ﵀، ونقل قوله فيه: "إسناده بصريٌّ حسن"، وقال موضع آخر: "لا نعلم في إسناده شيئًا يطعن فيه".

(٦٤) بَابُ رَفْعِ الأَمَانَةِ وَالإِيمَانِ مِنْ بَعْضِ الْقُلُوبِ وَعَرْضِ الْفِتَنِ عَلَى الْقُلُوبِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٢٣٠) [١٤٣] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَوَكِيعٌ، ح، وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ، حَدَّثَنَا: «**أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**». ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ، قَالَ: «**يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ -ثُمَّ أَخَذَ حَصًى فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ-، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**، وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ،

وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا».

وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، وَوَكِيعٌ، ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَىٰ بْنُ يُونُسَ، جَمِيعًا عَنِ الْأَعْمَشِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

التعليق:

[أورد الإمام مسلمٌ في هذا الباب حديثَيْ حذيفة في نزول الأمانة في جذر قلوب الرجال، وفي رفع الأمانة كما في الحديث الثاني، أي: ومعنىٰ "جذر قلوب الرجال": أي في أصول قلوب الرجال، أي: آمنوا ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة، الإيمان قاعدة، وبعد ذلك العلم والتعلُّم من الكتاب والسنَّة، ومعناه أن الإيمان زاد بهذا العمل وبهذا العلم وبهذا التعلُّم، زاد إيمانهم، وهذا ما حصل للصحابة رضوان الله عليهم، فإنهم كانوا أقوىٰ الناس إيمانًا، وأقوىٰ الناس تمسُّكًا بالكتاب والسنة، وعملاً بهما، وشاهد هذا حذيفةُ في أصحاب محمد ﷺ، قَالَ: ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: «**يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ**». يعني يزول شيء من الإيمان ويخلِّف أثرًا مثل الوكت، الأثر اليسير في الشيء مثل النقطة فيه «**ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ**» وهو أثر أكبرُ، وينشأ عن العمل باليد بالآلات، مثل المعول

والقدوم والفأس... ، والذي يعمل يرىٰ هذه الأشياء، يظهر لها آثار في الكف تراها منتفخة، هذا هو المقصود، «كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَىٰ رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا» يعني: يسقط الجمر علىٰ الرِّجل، فيكون له أثر، فينتفخ ليس فيه ماء ولا دم.

الشاهد: أنَّ الأمانة تُرفع من قلب الإنسان -والعياذ بالله- بالتدريج، أوَّل مرَّة بمعنىٰ: يزول جزء من الإيمان، فيخلف أثرًا مثل الوكت، وهي لون يختلف عن اللون الذي كان قبله، يكون في القلب نور الإيمان يخلفه ظلمة، ثم يرتفع شيء آخر فتخلفه ظلمة أشد، حتىٰ لا يبقىٰ شيء من النور، ويبقىٰ القلب منتفخًا لا شيء فيه، قلب فارغ، والمثال في رفع الأمانة، ومن علامات رفعها: « فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ حَتَّىٰ يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا. حَتَّىٰ يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ! مَا أَظْرَفَهُ! مَا أَعْقَلَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ». يعني هذا الصنف يكون شيءٌ من الإيمان ارتفع من قلبه، فبعضهم يزول مِنْ قلبه شيء من الأمانة، وبعضُهم -والعياذ بالله- يفتقد الإيمان في قلبه من كثرة الظلم ومن كثرة المعاصي والغش والخيانة، فقد يزول ويبقىٰ -والله أعلم- منافقًا من المنافقين يتحدث الناس عنه، «وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ» يعني: الإيمان الذي ينقذ الله به صاحبه من النار مفقود، بمعنىٰ أنه أصبح لا

دين له، ولا أمانة له، ثم يتحدَّث حذيفة أنه أدرك من هذا شيئًا، من رفع الأمانة، قال: « وَلَقَدْ أَتَىٰ عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ ».

في الزمن السابق كان لا يبالي أن يشتري من أي شخص؛ ثقةً منه في المجتمع، ثم الاحتكام إلى أن هذا مسلمٌ، ردعه دينُه عن الخيانة والغش وغير ذلك، وإذا باع إلى أجل أو شيء من هذا أدَّىٰ أمانته، وإن كان يهوديًّا أو نصرانيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، يعني: يرفع أمره إلىٰ الأمير، والأمير يكون عنده ديانة ونصح وعدل، فيردع هذا اليهودي والنصراني، قال: « وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا»، يعني: مخاطبيه وأنتم أيها النفر، والله أعلم، أصبحت لا أبايع منكم إلا فلانًا وفلانًا، المفهوم من كلامه أنه لا يخاطب كل المجتمع، وإنما يخاطب أناسًا وفيهم من يبيع ويشتري، والله أعلم، وقال: كلكم كنت أشتري منكم وأبيع، والآن أصبحت أخاف، فلا أبيع وأشتري وأتعامل إلا مع فلان وفلان، وهذا يدلُّ علىٰ شيء حصل في عهده -والله أعلم-، وقد يكون في العراق، يعني أشد من غيرها؛ لأنهم أسرع الناس إلى الفساد -والعياذ بالله-، والفتن تنشأ من عندهم؛ كما في حديث ابن عمر وغيره: «**هَا إِنَّ الفِتْنَةَ هَا هُنَا، إِنَّ الفِتْنَةَ هَا هُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ**

الشَّيْطَانِ»[١]. والمبايعة هذه حملها بعضُهم علىٰ البيع والشراء، وهو الذي يدلُّ عليه السياق، وبعضُهم حملها علىٰ مبايعة الخليفة[٢]، ولكن السياق يأبىٰ هذا، وهذا بعيدٌ جدًّا، والمراد التعاملُ بالبيع والشراء، لا المبايعة علىٰ الخلافة، ونبَّه الإمام النوويُّ علىٰ هذين الإسنادين: أَبُو بَكْر بْن أَبِي شَيْبَة، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَة وَوَكِيع. قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَة، عَنِ الْأَعْمَش، عَنْ زَيْد بْن وَهْب، عَنْ حُذَيْفَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هَذَا الْإِسْنَاد كُلّه كُوفِيُّونَ، وَحُذَيْفَة مدائنيٌّ كُوفِيّ].

❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري (٣٢٧٩)، ومسلم (٢٩٠٥)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ورواه البخاري (٤٣٨٩)، بنحوه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: «شرح مسلم» (٢/ ١٧٠).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٣١) [١٤٤] وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ، - يَعْنِي سُلَيْمَانَ بْنَ حَيَّانَ- عَنْ سَعْدِ بْنِ طَارِقٍ، عَنْ رِبْعِيٍّ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ. فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ. قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا. قَالَ: أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ. قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»**. قَالَ حُذَيْفَةُ: وَحَدَّثْتُهُ، «أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ». قَالَ عُمَرُ: أَكَسْرًا لَا أَبَا لَكَ؟ فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ. قُلْتُ: «لَا بَلْ يُكْسَرُ»، وَحَدَّثْتُهُ: «أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ». قَالَ أَبُو خَالِدٍ: فَقُلْتُ لِسَعْدٍ: يَا أَبَا مَالِكٍ، مَا أَسْوَدُ مُرْبَادٌّ؟ قَالَ: «شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ». قَالَ: قُلْتُ: فَمَا

الْكُوزُ مُجَخِّيًا؟ قَالَ: «مَنْكُوسًا».

(٢٣١) [...] وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ الْفَزَارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ، عَنْ رِبْعِيٍّ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ حُذَيْفَةُ مِنْ عِنْدِ عُمَرَ جَلَسَ، فَحَدَّثَنَا، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْسِ، لَمَّا جَلَسْتُ إِلَيْهِ سَأَلَ أَصْحَابَهُ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْفِتَنِ؟ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي خَالِدٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ تَفْسِيرَ أَبِي مَالِكٍ لِقَوْلِهِ: «مُرْبَادًّا مُجَخِّيًا».

(٢٣١) [...] وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَعَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، وَعُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ الْعَمِّيُّ، قَالُوا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ أَبِي هِنْدَ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّ عُمَرَ قَالَ: مَنْ يُحَدِّثُنَا أَوْ قَالَ: أَيُّكُمْ يُحَدِّثُنَا -وَفِيهِمْ حُذَيْفَةُ- مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا. وَسَاقَ الْحَدِيثَ كَنَحْوِ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ رِبْعِيٍّ، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: قَالَ حُذَيْفَةُ: حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ، وَقَالَ: يَعْنِي أَنَّهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

التعليق:

[هذا حديثٌ عظيمٌ، وفيه معجزةٌ من معجزات الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ودليلٌ علىٰ صدق نبوَّته، وأنه رسولٌ من عند الله، ولا طريق

له إلى معرفة شيء من الغيب، إلا عن طريق الوحي من عند الله عَزَّوَجَلَّ، هنا عمرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سأل الصحابة عن الحديث حديث الفتن: أيُّكم يحفظه؟ وهذا شأن العظماء، أن يسأل حتىٰ مَن دونه عن العلم، فسأل مَن حوله عن حديث الفتن، فَقَالَ: « أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ. فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ. قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ ». يعني أسألكم عن فتن أعظم من هذه، فمثل أن يقصِّر الرجل في حق أولاده أو أهله أو جاره، تكفِّرها الصلاة والصوم والصدقة، «وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ» يعني: الفتن من شدَّتها وتتابعها وقوَّتها، يدفع بعضُها بعضًا، كما تتدافع أمواج البحر، فهذا الذي يسأل عنه عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، فتنٌ تعصف بالقلوب، وفتنٌ تعصف بالمجتمعات وتفرِّق الناس، ويقتل بعضُهم بعضًا، وهذه الفتن هي التي بدأت بقتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، واستمرَّت في عهد عليٍّ، واستمرَّت في الأمَّة الإسلامية، ولا يأتي زمانٌ إلا والذي بعده شرٌّ منه، كما في حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[(١)]، قَالَ حُذَيْفَةُ: «فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ». أسكت بمعنىٰ سكت، ويقال: أسكت إذا صمت وطأطأ رأسه، وسكت إذا صمت. «فَقُلْتُ: أَنَا». يعني أنا أحفظ هذه الأحاديث، قَالَ عمر: «أَنْتَ، لِلَّهِ أَبُوكَ»، كلمةُ مدح،

(١) رواه البخاري (٧٠٦٨).

يقولها العرب إذا وجدوا في الولد نجابة، يُثنون علىٰ أبيه، فهذا فيه تشريفٌ، قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا**». الحصير معروف، عندما ينسج يأخذ الناسج عودًا ويفرغ منه، ثم العود الثاني والثالث والرابع والخامس... وهكذا، فالفتن تُعرض علىٰ القلوب كعرض الحصير عُودًا عُودًا، فهناك قلوبٌ ترفض، وقلوبٌ تقبل، «**فَأَيُّ قَلْبٍ قَبِلَها**» أي قَبِل الفتنة؛ «**نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ**»، بسبب هذه الفتنة الخبيثة، «**وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ**»، قلبٌ لا يقبلها ويرفضها؛ حماية لدينه، وإيمانًا بما جاء به محمد ﷺ، فيتمسك بكتاب ربِّه وسنَّة نبيِّه ﷺ، يرفض الباطل، يرفض البدع، يرفض الفتن - والعياذ بالله -، وهناك نفوسٌ مَهيئة تقبل أيَّ شرّ وأيَّ فتنة وأيَّ بلاء؛ لأنها إما لجهلها، وإما لضلالها واتباعها لهواها، فانقسم الناس؛ ناسٌ تمسكوا بكتاب ربِّهم وسنَّة نبيِّهم، ورفضوا الفتن والبدع، وناسٌ - والعياذ بالله - اتبعوا أهواءهم، وسلكوا الطرق المنحرفة عن منهج الله الحق، وتابعوا أهل الأهواء، والفتنُ تأكل قلوبَهم وتأخذها حتىٰ تصل إلى الحالة التي وصفها رسولُ الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والذي امتنع عن الفتنة ورفضها وتمسَّك بكتاب ربِّه وسنَّة نبيِّه، لا يزداد قلبُه إلا صلابة وثباتًا وقوَّة؛ فلا يقبل شيئًا من الباطل، وشبَّهه بالصفا، يعني: بالحجر الأملس يمرُّ الماء من فوقه فلا يقبل منه شيئًا، فلا

تضرُّه الفتنة، «**وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا**»، يتشرَّب الفتن حتىٰ ينتكس، يسودُّ قلبُه، وينتكس يعني: يتقبَّل، ثم أثر ذلك التقبُّل السواد، ثم لما تستوي الفتنة ينتكس تمامًا؛ فيصير كالكوز مجخِّيًا مقلوبًا، استُه إلىٰ أعلىٰ وفمُه إلىٰ أسفل، إذا بقي فيه شيء خرج منه، ولا يقبل شيئًا أن يدخله، لو صبَبت عليه ما صببت من الخير لا يدخل فيه شيء، كالكوز المنكوس الذي تصب عليه الماء لا يدخل فيه شيء لأنه منكوس - والعياذ بالله -، فهذا لا يقبل حديثًا، ولا يستفيد من آية، ولا يقبل حجَّة، ولا يقبل حكمة، قلبُه انتكس -والعياذ بالله- «**كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**»، هذا المشروب أضيف إلى الهوىٰ، فمعناه أنه لا يقبل إلا الشرَّ -والعياذ بالله- ويرفض الخير، فهذه الفتنة التي يتحدَّث عنها رسولُ الله حصلت؛ حصلت أولًا بانحراف عقائدي ومنهجي وأخلاقي...، وكان من آثارها تفرُّقُ الأمة، وهذا الضياعُ، وهذا الذلُّ الذي نحن فيه.

قال حذيفة لمَّا حدَّث بهذا الحديث الذي هو مصداق قوله: "تموج كموج البحر"؛ لأن هذه الفتن كذلك تموج كموج البحر، ويدفع بعضُها بعضًا -والعياذ بالله- فتنةُ قتل أمير المؤمنين عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وفتنةُ الخوارج الذين خرجوا علىٰ أمير المؤمنين عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ثم فتنةُ المختار بن أبي عبيد، كلُّ واحدة تأتي أسوأ من الأولىٰ -والعياذ -بالله- واستمرَّت الفتن في

الأمة بين بني أُميَّة، وبين بني العبَّاس، وفي العهود الإسلامية إلىٰ يومك هذا -مع الأسف الشديد-، وجاءت فتنة الشيوعية والبعثية والعلمانية، وازداد الشرُّ والعياذ بالله...، فبعدما حدَّث حذيفةُ حديثَه عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، بهذه الفتن التي هذه آثارها وهذا حال أهلها ومصيرهم، قَالَ حُذَيْفَةُ: «وَحَدَّثْتُهُ: أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ». قَالَ عُمَرُ: أَكَسْرًا لَا أَبَا لَكَ؟ هذه كلمة تقولها العرب للرجل إذا نزلت به نازلة وهو وحيد ليس له أب ولا معاون، فإنه يضاعِفُ جِدَّه في دفع ما ينزل به، ثم تُوسِّع فيها، فيقال: لا أبا لك. قال: فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ. قُلْتُ: لَا بَلْ يُكْسَرُ. يعني: أكسرًا لا فتحًا لا أبا لك؟ يعني: إذا ذهب عمر قد يأتي غيرُه، قلت: لَا، بَلْ يُكْسَرُ. أي: فلا يعاد، وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مضرب المثل في العدالة والقوة؛ ولهذا كان الأمراء يخافونه وينقادون له، وكانت المجتمعات تهابُه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، حتىٰ كبار الصحابة يهابونه ويتأدَّبون معه، وجاء عثمانُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بعده ولم يصل لهذه المرتبة، مع فضله ورشده ومنزلته المعروفة، ولكنه لا يلحق بعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين، وتجرَّأ عليه الناس حتىٰ قتلوه شهيدًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصدق قولُ الرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ «**إذا وقع عليهم السيف لا يرفع عنهم إلىٰ يوم القيامة**»(١)، ووقع السيف علىٰ الخليفة الراشد عثمان، واستمرَّت السيوف إلى يومنا هذا.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣٩٥) و(٢٢٤٥٢)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢٠٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، عن ثوبان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقال الترمذي: "حسن صحيح".

قال: "وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ". يعني: فسَّر الباب بأنه رجلٌ، وليس بابًا من خشب، وعمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهم أنه هو الرجل، قال: "حدَّثته حديثًا ليس بالأغاليط". أي: حديث صدق، أخذته من الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ما أخذته من كُتب بني إسرائيل، ولا باجتهاد منِّي ولا من غيري، وإنما حديثٌ سمعتُه من رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فبلَّغته كما سمعته.

قَالَ أَبُو خَالِدٍ: فَقُلْتُ لِسَعْدٍ: يَا أَبَا مَالِكٍ، مَا أَسْوَدُ مُرْبَادٌّ؟ قَالَ: "شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ". يقول النوويُّ: قَالَ الْقَاضِي عِيَاض رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ بَعْض شُيُوخنَا يَقُول: إِنَّهُ تَصْحِيف. وَهُوَ قَوْل الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيد الْكِنَانِيّ، قَالَ: أَرَىٰ أَنَّ صَوَابه: شَبَّهَ الْبَيَاض فِي سَوَاد. قَالَ أَبُو عُبَيْد عَنْ أَبِي عَمْرو وَغَيْره: الرُّبْدَة لَوْن بَيْن السَّوَاد وَالْغبرَة. وَقَالَ ابْن دُرَيْدٍ: الرُّبْدَة لَوْن أَكْدَر. وَقَالَ غَيْره: هِيَ أَنْ يَخْتَلِط السَّوَاد بِكَدِرَةٍ"[1].

قَالَ: قُلْتُ: فَمَا الْكُوزُ مُجَخِّيًا؟ قَالَ: مَنْكُوسًا. أي: مقلوبًا، فمُه إلىٰ أسفل واستُه إلىٰ أعلىٰ، فهذا الحديث حديثٌ عظيم، وفيه معجزاتٌ أخبر عنها الرسولُ ﷺ، وحصلت كما أخبر، وفيه فضيلةُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنه سدٌّ في وجه هذه الفتن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومَعْنَاهُ أَنَّ تِلْكَ الْفِتَن لَا يَخْرُج شَيْء مِنْهَا فِي

---

(١) "شرح مسلم" (٢/ ١٧٣).

حَيَاته، وفيه بلاغة عظيمة، هذه التشبيهات فيها قمَّة البلاغة، التي هي من جوامع كلم الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أفصح الناس، فأفصح كلام بعد القرآن كلامُه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وما أكثر التشبيهات فيه والأمثلة! كما يوجد في القرآن.

وذكر مسلم بعده: **قَالَ**: وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ الْفَزَارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ، عَنْ رِبْعِيٍّ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ حُذَيْفَةُ مِنْ عِنْدِ عُمَرَ جَلَسَ، فَحَدَّثَنَا، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْسِ لَمَّا جَلَسْتُ إِلَيْهِ سَأَلَ أَصْحَابَهُ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْفِتَنِ؟ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي خَالِدٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ تَفْسِيرَ أَبِي مَالِكٍ لِقَوْلِهِ: «**مُرْبَادًّا مُجَخِّيًا**».

قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَعَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، وَعُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ الْعَمِّيُّ، قَالُوا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ أَبِي هِنْدَ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّ عُمَرَ قَالَ: مَنْ يُحَدِّثُنَا أَوْ قَالَ: أَيُّكُمْ يُحَدِّثُنَا - وَفِيهِمْ حُذَيْفَةُ - مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا. وَسَاقَ الْحَدِيثَ كَنَحْوِ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ رِبْعِيٍّ، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: قَالَ حُذَيْفَةُ: حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ. وَقَالَ: يَعْنِي أَنَّهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

ومسلمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينبِّه علىٰ اختلاف الألفاظ، وهذا وفاءٌ من مسلم بالوعد].

❋❋❋

(٦٥) بَابُ بَيَانِ أَنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٢٣٢) [١٤٥] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ، جَمِيعًا عَنْ مَرْوَانَ الْفَزَارِيِّ، قَالَ ابْنُ عَبَّادٍ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ، عَنْ يَزِيدَ - يَعْنِي ابْنَ كَيْسَانَ -، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ**».

(٢٣٢) [١٤٦] وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَالْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ الْأَعْرَجُ، قَالَا: حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَاصِمٌ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ الْعُمَرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**».

(٢٣٣) [١٤٧] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ، وَأَبُو أُسَامَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ، عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**».

التعليق:

[أحاديث الباب هنا مدارُها على أبي هريرة وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، في غربة الإسلام، وأنه بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، يعني أهله قلَّةٌ في البداية، وسيصير أهله قلَّةً في النهاية، والرسول ﷺ قال: « **فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ**». الذين يعانون من هذه الغربة؛ لأنهم يجدون من الاضطهاد والأذىٰ والمشاكل ما لا يلاقيه غيرُهم في أيام عزَّة الإسلام وكثرة أهله وسيادتهم، فالإسلام حين بدأ من مكَّة كان أهلُه قليلين، ولاقوا من الأذىٰ والامتحان من المشركين ما لا يعلم قدره إلا الله عَزَّوَجَلَّ؛ منهم من قُتل، ومنهم من عُذِّب، ومنهم من شُرِّد، وهاجر بعضُ الصحابة إلى الحبشة، ثم قرَّر الرسول ﷺ أن يهاجر وبقيَّةُ أصحابه إلى المدينة.

الشاهد: أنهم في العهد المكيِّ لاقوا من الغربة والعناء والمشاقِّ والصعوبات ما لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ ؛ لقوَّة أهل الشرك وشدَّة عداوتهم وضعف المسلمين وقلَّتهم، رضوان الله عليهم، ولهذا قال: «**فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ**».

ومن هنا هؤلاء الصحابة الأوائل لهم ميزةٌ فضَّلهم الله بها علىٰ من جاء بعدهم، صبروا وصابروا، ثم هاجروا، جاهدوا وقاتلوا، رضوان الله عليهم.

وفي آخر الزمان يلقىٰ المتمسِّكون بالإسلام في غربتهم هذه ما عبَّر عنه الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بقوله: «**يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَىٰ دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَىٰ الجَمْرِ**»(١)؛ من شدَّة الحال؛ من شدة ما يلاقونه من أهل الضلال؛ من الكفار، ومن أهل البدع الغليظة وغيرها، آذوهم إذاية شديدة، ولهذا ورد في بعض الأحاديث أن أجر الواحد منهم كأجر خمسين، قالوا: مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ، قال: «مِنْكُمْ»(٢).

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٦٠)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني لشواهده في "الصحيحة" (٩٥٧).

(٢) رواه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨) وقال: "حسن غريب"، عن أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ورواه محمد بن نصر المروزي في "السنة" (٣٢)، والطبراني (١٧/ ١١٧)، وفي "الأوسط" (٣١٢١)، و"الشاميين" (١٧)، عن عتبة بن غزوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي سنده انقطاع.

ورواه البزار (١٧٧٦)، والطبراني (١٠٣٩٤)، كلاهما من طريق أحمد بن عُثْمَانَ بْنِ حَكِيمٍ الْأَوْدِيُّ، ثنا سَهْلُ بْنُ عامر -وعند الطبراني: عُثْمَانَ- الْبَجَلِيُّ عن ابن نمير بإسناده إلى ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا نحوه.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ٢٨٢): "رِجَالُ الْبَزَّارِ رِجَالُ الصَّحِيحِ، غَيْرُ سَهْلِ بْنِ عَامِرٍ الْبَجَلِيِّ وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ".

قلت: بل سهل بن عامر البجلي متهم، قال فيه البخاري كما في "التاريخ الأوسط" (٢/ ٣٣٩): "منكر الحديث"، وقال فيه أبو حاتم كما في "الجرح والتعديل" (٤/ ٢٠٢): "هو ضعيف الحديث، روىٰ أحاديث بواطيل، أدركته بالكوفة وكان يفتعل الحديث".

وما وقع في سند الطبراني: "سهل بن عثمان البجلي" خطأ أو تصحيف؛ إذ لم أجد لسهل بن عثمان البجلي هذا ترجمة في كتب الرجال، والصواب: سهل بن عامر البجلي كما عند البزار؛ إذ الراوي عنه عندهما واحد، وشيخه عندهما واحد، وهو عبد الله بن نمير، وابن عامر هو المعروف بالرواية عنه، كما في "تلخيص متشابه الرسم" للخطيب البغدادي (ص٦٢٠)، ويؤيد ذلك تصريح الدارقطني بأن هذا الحديث تفرد به سهل بن عامر البجلي، كما في "أطراف الأفراد" لابن طاهر المقدسي (٤/ ٦٩-٧٠/ ٣٦٣٥-الكتب العلمية).

والحديث صححه الألباني[(١)] لكن فيه نظر[(٢)]، ولكن تفسير هذا: «**طُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ**». وطُوبىٰ: يعني حُسنىٰ أو الجنَّة أو الحالُ الحسنة، كما فسَّرها فقهاءُ الحديث[(٣)]، فالرسول أخبر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بواقع المسلمين في بداية أمرهم، وبواقع الملتزمين بالإسلام حقًّا في آخر الزمان، وأنهم يتميَّزون عن غيرهم في الفضيلة والثواب من الله عَزَّوَجَلَّ، هذا إخبارٌ عن الأولين والآخرين، هذا حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم حديث ابن عمر، قَالَ: «**إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**». وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرَّةً ثَانِيَةً أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**».

وهذا فيه فضلُ المدينة، وأن المؤمنين في آخر الزمان يأوون إليها؛ لأنها مهجر الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومهبط الوحي، ومنها انطلق الإسلام، فيأرز إليها الإسلام، يعني أهله يأتون، البقية الباقية من أهل الإسلام تأتي إلى هذه المدينة، وشبَّه ذلك بِأُرُوز الحيَّة إلى جحرها، يعني انضمامها، يقال: الأُرْز معناه: الانضمام والانكماش، -والله أعلم- المعنىٰ ينكمش الإسلام

---

(١) "الصحيحة" برقم (٤٩٤).

(٢) انظر كلام الشيخ -حفظه الله- في "شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث" (٥٢٨-٥٢٩)، دار الميراث النبوي، الطبعة الثانية.

(٣) "شرح مسلم" (٢/ ١٧٦).

ويبقىٰ ما بين المسجدين مكة والمدينة أو في المدينة، والظاهر أنه يبقىٰ ما بين مكة والمدينة؛ لأنهما مهبط الوحي ومنطلق الإسلام.

وهنا كلام ذكره النوويُّ للقاضي عياض، وهو قد لا ينسجم مع الحديث، لكن منه ما يُلفت النظر، قال[1]: "قَالَ الْقَاضِي: وَقَوْله ﷺ: «**وَهُوَ يَأْرِز إِلَى الْمَدِينَة**» مَعْنَاهُ: أَنَّ الْإِيمَان أَوَّلًا وَآخِرًا بِهَذِهِ الصِّفَة؛ لِأَنَّهُ فِي أَوَّل الْإِسْلَام كَانَ كُلّ مَنْ خَلَصَ إِيمَانه وَصَحَّ إِسْلَامه أَتَىٰ الْمَدِينَة، إِمَّا مُهَاجِرًا مُسْتَوْطِنًا، وَإِمَّا مُتَشَوِّقًا إِلَى رُؤْيَة رَسُول اللَّه ﷺ وَمُتَعَلِّمًا مِنْهُ وَمُتَقَرِّبًا، ثُمَّ بَعْدَهُ هَكَذَا فِي زَمَن الْخُلَفَاء كَذَلِكَ، وَلِأَخْذِ سِيرَة الْعَدْل مِنْهُمْ وَالِاقْتِدَاء بِجُمْهُورِ الصَّحَابَة رِضْوَان اللَّه عَلَيْهِمْ فِيهَا، ثُمَّ مَنْ بَعْدهمْ مِنَ الْعُلَمَاء الَّذِينَ كَانُوا سُرُج الْوَقْت وَأَئِمَّة الْهُدَىٰ لِأَخْذِ السُّنَن الْمُنْتَشِرَة بِهَا عَنْهُمْ، فَكَانَ كُلّ ثَابِت الْإِيمَان مُنْشَرِح الصَّدْر بِهِ - يَرْحَل إِلَيْهَا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ فِي كُلّ وَقْت إِلَى زَمَانِنَا لِزِيَارَةِ قَبْر النَّبِيّ ﷺ وَالتَّبَرُّك بِمَشَاهِدِهِ وَآثَاره وَآثَار أَصْحَابه الْكِرَام، فَلَا يَأْتِيهَا إِلَّا مُؤْمِن. هَذَا كَلَام الْقَاضِي، وَالله أَعْلَم بِالصَّوَابِ".

أقول: لم يُشرع شدُّ الرحال إلى قبر النبيِّ ﷺ والتبرُّك بآثاره وآثار أصحابه، ولا إلى قبور الأنبياء والصالحين، لم يدلَّ علىٰ ذلك قرآنٌ ولا سنَّة، وإنما شُرعت الهجرة إلى المدينة لنصرة النبيِّ ﷺ ، وأخذ الدين عنه، ولقد حثَّ

(١) "شرح مسلم" (٢/ ١٧٧).

الرسول الكريم ﷺ المسلمين أن يشدُّوا الرحال إلى المساجد الثلاثة[١]، منها مسجده ﷺ؛ لأن الصلاة فيه بألف صلاة[٢]، ولم يندب الناس إلى شدِّ الرحال إلى قبره، ولا قبور غيره من الأنبياء والصحابة، ولم ينصَّ علىٰ فضل الزيارة إلى قبره، ولا إلى قبر غيره من الأنبياء، فضلًا عن غيرهم، وقد شُرعت زيارة القبور للتذكُّر، ونفع الأموات بالدعاء لهم، ولقد نهىٰ النبيُّ ﷺ أن يُتَّخذ قبرُه عيدًا[٣]، من أجل كلِّ هذا لم يكن الصحابة ولا السلف يشدُّون الرحال إلى قبر النبيِّ ﷺ، ولا إلى قبر غيره.

وَكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعِ مَنْ سَلَفْ   وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعِ مَنْ خَلَفْ].

❋❋❋

---

(١) رواه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
ورواه البخاري (١١٨٨)، ومسلم (٨٢٧)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه أحمد (٨٨٠٤)، وأبو داود (٢٠٤٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الحافظ ابنُ عبد الهادي في "الصارم المُنكي" (ص٣٠٨-المقطري): "حديث حسن جيد الإسناد، وله شواهد كثيرة يرتقي بها إلىٰ درجة الصحة".

(٦٦) بَابُ ذَهَابِ الإِيمَانِ آخِرَ الزَّمَانِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٢٣٤) [١٤٨] حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ، اللهُ**».

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَىٰ أَحَدٍ يَقُولُ: اللهُ، اللهُ**».

التعليق:

[هذا الحديث رواه مسلم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من طريق حمَّاد، عن ثابت، ومرَّة أخرىٰ من طريق معمر عن ثابت: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَىٰ أَحَدٍ يَقُولُ: اللهُ، اللهُ**». معناه أن الساعة لا تقوم إلا بعد ألَّا يبقىٰ من الإسلام شيء، لا قرآن، ولا غيره، ولا حتىٰ ذكرُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ ذلك لأن الساعة تقوم علىٰ شرار الخلق، كما ورد في الأحاديث الأخر، منها حديث رسول الله ﷺ في

نزول عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأنه يقتل الدجال ويأتي يأجوج ومأجوج، فينحاز عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بمن معه من المؤمنين إلى جبل الطور، ثم يهلك الله يأجوج ومأجوج، ويعودون ويعيشون سبع سنوات أو أكثر، ثم بعد ذلك تقبض أرواحهم، فلا يبقىٰ إلا شرار الخلق يتهارجون كتهارج الحمر، عليهم تقوم الساعة(١).

الشاهد: أن الساعة لا تقوم علىٰ المسلمين، وإنما تقوم علىٰ أُناس كفَّار، قد مُحي ذكر الله، حتىٰ لم يبق له ذكرٌ، فهي جاهلية لم يسبق لها مثيلٌ في التأريخ أبدًا، فإنه في عهود الأنبياء وأممهم يبقىٰ ذكرُ الله، ويبقىٰ ناس يشركون مع الله غيره، ويتقرَّبون إليه -علىٰ زعمهم- بعبادة الأصنام والأوثان، كما أخبر الله عنهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزمر:٣]، ولكن هؤلاء لا يبقىٰ عندهم شيءٌ، حتىٰ كلمة «الله الله» لا يقولونها، فضلًا عن شهادة لا إله إلا الله، فذكر الإمام مسلم غربة الإسلام، وبعد ذلك ذكر نهاية الإسلام، ذكر غربته في النهاية، ثم ذكر أنه لا يبقىٰ منه شيء ؛ فهذا مَلحظ مسلمٌ، والله أعلم].

❁ ❁ ❁

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧)، عن النواس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حديث طويل.

(٦٧) بَابُ الاسْتِسْرَارِ بِالإِيمَانِ لِلْخَائِفِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٢٣٥) [١٤٩] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَحْصُوا لِي كَمْ يَلْفِظُ الْإِسْلَامَ**». قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَخَافُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ مَا بَيْنَ السِّتِّمِائَةِ إِلَى السَّبْعِمائَةِ؟ قَالَ: «**إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ لَعَلَّكُمْ أَنْ تُبْتَلَوْا**». قَالَ: «فَابْتُلِينَا حَتَّىٰ جَعَلَ الرَّجُلُ مِنَّا لَا يُصَلِّي إِلَّا سِرًّا».

التعليق:

[هذا الحديث إسنادُه كوفيُّون كلهم، قال مسلم: حدثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو مدائني كوفي، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَحْصُوا لِي كَمْ يَلْفِظُ الْإِسْلَامَ**». [يعني: يعدُّونهم ويكتبون أسماءهم] قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ،

أَتَخَافُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ مَا بَيْنَ السِّتِّمِائَةِ إِلَى السَّبْعِمِائَةِ؟ [فهموا منه أنه يخاف عليهم؛ لأنهم لا يزالون قلَّة، وورد في بعض الروايات[١]: ألفٌ وخمسمائة، قالوا: هذا بالنظر إلى مجموعهم من الرجال والنساء والأطفال، وقالوا أقوالًا أخر[٢]] قَالَ: «**إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ لَعَلَّكُمْ أَنْ تُبْتَلَوْا**». قَالَ: «**فَابْتُلِينَا، حَتَّىٰ جَعَلَ الرَّجُلُ مِنَّا لَا يُصَلِّي إِلَّا سِرًّا**».

فحذيفةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يذكر أن هذا حصل في وقته، وأن بعضهم كان يستتر ويصلِّي سرًّا خوفًا من الفتنة؛ لأنه بدأت حركات السبئية في العراق وفي مصر وغيرها، وكانوا يؤذون بعض الناس، ويجرُّونهم إلىٰ الفتنة، فكان بعضُهم يختفي حتىٰ لا يقع في الفتنة، حتىٰ لا يكثر سفك الدماء وما شاكل ذلك، فالإنسان إذا شعر بالفتنة يختفي خوفًا من الدخول في الفتن والمشاركة في سفك الدماء وتفريق كلمة المسلمين، هذا ما يظهر من واقع المسلمين في ذلك الوقت، كانوا علىٰ خير، ولكن المؤمن التقيَّ عندما يرىٰ بوادر الفتنة وشبح الفتنة يحاول أن يجتنبها، وربما يعتزل الناس، كما اعتزل أيضًا حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، وقد مات في أول خلافة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بعد مقتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بقليل، وربَّما أدرك قضية الجمل، وأن أنصار عليٍّ يريدون منهم أن

---

(١) كما عند البخاري (٣٠٦٠).

(٢) انظر: «شرح مسلم» (٢/ ١٧٩)، و«فتح الباري» (٦/ ١٧٨-١٧٩).

يشاركوهم، وأنصار معاوية يريدون منهم المشاركة، فهو ابتعد عن الفتنة، كما فعل ذلك عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وأبو موسىٰ، فهؤلاء لم يكونوا يرون المشاركة في القتال[١]، وكانت عندهم أدلَّةٌ، يستدلُّون بها، منها الحديث الذي رواه أبو بكرة: «**إِذَا الْتَقَىٰ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**»[٢].

والظاهر أن حذيفة أدرك شيئًا من هذا هو وبعضُ الصحابة الذين كفُّوا عن الفتن والمشاركة فيها، وكانوا يستترون بصلاتهم، يعني يُخفون أنفسهم؛ للابتعاد عن الفتن، ولئلَّا يقعوا في الشرِّ.

الشاهد: أنه قد يفهم بعضُ الناس من الحديث أنه ضعُف المسلمون وغاب الإسلام، حتىٰ وصل حذيفة ومن معه إلى درجة مثل العهد المكِّي، لا، وإنما حذيفة ومن معه من كبار الصحابة وأفاضلهم رأوا بوادر الفتنة، فأرادوا أن يتجنَّبوها، فكانوا يختفون؛ حتىٰ لا يراهم الناس، والله أعلم].

❊❊❊

---

(١) انظر: "شرح البخاري" لابن بطال (١٠/ ٣١)، و"مجموع الفتاوى" (٢٨/ ٥٤٩)، و"منهاج السنة النبوية" (٧/ ٤٧٣) و(٨/ ١٤٦)، كلاهما لابن تيمية، و"فتح الباري" لابن حجر (١٣/ ٣٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٦٨) بَابُ تَأَلُّفِ قَلْبِ مَنْ يُخَافُ عَلَى إِيمَانِهِ لِضَعْفِهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْقَطْعِ بِالإِيمَانِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ قَاطِعٍ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٣٦) [١٥٠] حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَسْمًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطِ فُلَانًا فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَوْ مُسْلِمٌ**». أَقُولُهَا ثَلَاثًا، وَيُرَدِّدُهَا عَلَيَّ ثَلَاثًا: «**أَوْ مُسْلِمٌ**». ثُمَّ قَالَ: «**إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ**».

(٢٣٧) [٠٠٠] وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ سَعْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ فِيهِمْ، قَالَ سَعْدٌ: فَتَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُعْطِهِ، وَهُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوْ مُسْلِمًا**». قَالَ: فَسَكَتُّ قَلِيلًا ثُمَّ غَلَبَنِي مَا

أَعْلَمُ مِنْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوْ مُسْلِمًا**». قَالَ: فَسَكَتُّ قَلِيلًا ثُمَّ غَلَبَنِي مَا عَلِمْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوْ مُسْلِمًا، إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ؛ خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجْهِهِ**».

(٢٣٧) [•••] وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ سَعْدٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَعْطَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَهْطًا وَأَنَا جَالِسٌ فِيهِمْ، بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَمِّهِ، وَزَادَ: فَقُمْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟

(٢٣٧) [•••] وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ الْحُلْوَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، قَال: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سَعْدٍ يُحَدِّثُ هَذَا، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ بَيْنَ عُنُقِي وَكَتِفِي، ثُمَّ قَالَ: «**أَقِتَالًا؟ -أَيْ سَعْدُ- إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ**».

التعليق:

[الحديث الأول في هذا الباب من طريق ابْنِ أَبِي عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا

سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ... إلى آخره، هذا الإسناد من الأسانيد التي تكلَّم عليها أبو مسعود الدمشقي والدارقطني رحمهما الله، فقالوا[1]: إن هذا الإسناد سقط فيه واسطةٌ بين سفيان وبين الزهري، ألا وهو معمر، فإن عددًا من تلاميذ سفيان بن عيينة يخالفون ابن أبي عمر في هذا الإسناد، فيروونه عن سفيان، عن الزهري، عن معمر، عن الزهري، وقد صدَّر مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب بابن أبي عمر، وهو ليس من الدرجة الأولىٰ، وتلاه ابن أخي الزهري وليس من الدرجة الأولىٰ أيضًا، وتلاه بعده بإسناد من الدرجة الأولىٰ، فالإسناد الثالث من الدرجة الأولىٰ، فهذا مما يُردُّ به علىٰ من يقول: إن الإمام مسلمًا التزم الترتيب. أو يقول: إنه يبدأ الباب بأسانيد نظيفة صحيحة، ثم يُتبعها بأسانيد فيها كلام. وهذا كلامٌ لا يصلح، ولا يصحُّ، والدلائل علىٰ بطلانه تصرُّفاتٌ كثيرةٌ من الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنه لم يلتزم هذا الترتيب الذي يدَّعُونَهُ عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد يكون الباب كلُّه من الدرجة الأولىٰ، وقد يكون كلُّه من الدرجة الثانية إذا توفرت فيه الصحة، وتوفر فيه شرطُه؛ وهو شرط الصحة، وقد يبدأ برجال الدرجة الثانية، وقد يبدأ برجال الدرجة الأولىٰ.

---

(١) انظر: «الإلزامات والتتبع» للدارقطني (ص١٩٠-الوادعي)، و«شرح مسلم» للنووي (٢/ ١٨٢)، و«الديباج علىٰ صحيح مسلم بن الحجاج» للسيوطي (١/ ١٧١-)، و«بين الإمامين مسلم والدارقطني» للشيخ ربيع المدخلي (ص٤٤ و٤٥).

الشيء الثاني: محبَّة سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للخير، وحرصه عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لهذا ألحَّ في الشفاعة عند رسول الله ﷺ، وفيه أن الشفاعة لا يلزم قبولُها، حتىٰ لو كانت من النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فالرسول عرض علىٰ بريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن تعود لزوجها مُغيث، فقال النبيُّ ﷺ: «لَوْ رَاجَعْتِهِ». قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ». قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ[1]. فلم يلُمها رسول الله، ولم يلُمْها أحد، والشفاعة مطلوبة، لكن قد يكون المشفوع إليه لا يرىٰ المصلحة في قَبُول هذه الشفاعة، فلا يلزمه قَبُولها؛ فإن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ردَّ شفاعة سعد، وأنكر عليه قوله: "إني لأراه مؤمنًا". قال: «أَوْ مُسْلِمًا»؛ لأن الإسلام ظاهر، وإن حكمت علىٰ المسلم بأنه مسلم فإن ظاهره الإسلام، أما الأمر الباطن فلا تجزم به، قد تحسن به الظن وترىٰ أنه مؤمن لكن لا تجزم، يعني: كلما قال: "إني أراه مؤمنًا". قال رسول الله: «أَوْ مُسْلِمًا». فنحن لا نجزم، فأنت لا تقطع لفلان أنه مؤمن باطنًا وظاهرًا، إلا من شهد لهم رسول الله ﷺ، أو من بعض الأفراد الذين تبيَّن من واقعهم، ومن تأريخهم، ومن جهادهم، ومن فضلهم، ومن باطنهم وظاهرهم؛ كما ذكر ذلك شيخُ الإسلام ابنُ تيمية[2]، مثل الصحابة جميعًا؛ فإنَّ اللهَ قَدْ زَكَّاهُمْ، وشهد بذلك الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومثل أعيان التابعين؛ كسعيد بن

---

(١) رواه البخاري (٥٢٨٣)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر: «منهاج السنة النبوية» (٣/ ٤٩٧-٤٩٨).

المسيب، وعروة بن الزبير، وأمثال هؤلاء، قد يقطع الرجل لهم بأنهم مؤمنون باطنًا وظاهرًا، وأما سواد الناس وعامة الناس، فإنه يحسِّن الظن بالمسلم، ولكن لا تجزم بإيمانه باطنًا وظاهرًا، فترجو هذا وتظنه، ولكن الجزم شيء آخر، وفيه الفرق بين الإسلام والإيمان، فهذا من الأدلة علىٰ التفرقة بين الإيمان والإسلام، فالإسلام هو ما حدَّده رسولُ الله ﷺ في حديث جبريل، فالسائل جبريل والمجيب محمد ﷺ، فهذا من أقوىٰ الأدلَّة، فقد غاير بين الإسلام والإيمان، فالإسلام ما يتعلَّق بالظاهر، والإيمان ما يتعلَّق بالباطن؛ الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، هذا يتعلَّق بالقلب، والإسلام من أعمال اللسان والجوارح، في أمور ظاهرة.

وفيه أن المفضول قد يعرض علىٰ الفاضل ما يرىٰ أن فيه مصلحة وفيه خير، ولا حرج في ذلك، وفيه أن الفاضل إذا ما رأىٰ المصلحة فيما يعرضه عليه المفضول أن له الحق ألّا يقبل ما يقوله.

قال النووي[1]: "وَقَوْله ﷺ: «**مَخَافَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّه فِي النَّار**». «**يَكُبَّهُ**» بِفَتْحِ الْيَاء، يُقَال: أَكَبَّ الرَّجُل وَكَبَّهُ اللَّه، وَهَذَا بِنَاءٌ غَرِيب؛ فَإِنَّ الْعَادَة أَنْ يَكُون الْفِعْل اللَّازِم بِغَيْرِ هَمْزَة، فَيُعَدَّىٰ بِالْهَمْزَةِ، وَهُنَا عَكْسُهُ "، فالفعل اللازم بهمزة، والمتعدِّي بغير همزة، خلافًا للمعهود في الصرف، "وَالضَّمِير فِي

---

(١) "شرح مسلم" (٢/ ١٨٠ و١٨١).

«يَكُبَّهُ» يَعُود عَلَىٰ الْمُعطَىٰ، أَيْ أَتَأَلَّف قَلْبه بِالْإِعْطَاءِ مَخَافَة مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي الفِتْنَةِ أَوِ الْكُفْرِ إِذَا لَمْ يُعْطَ، وقوله: «أَعْطَىٰ رَهْطًا» أَيْ: جَمَاعَة، وَأَصْلُه الْجَمَاعَة دُون الْعَشَرَة. وَقَوْله: "عَنْ صَالِح، عَنِ ابْن شِهَاب، قَالَ: حَدَّثَنِي عَامِر بْن سَعْد" هَؤُلَاءِ ثَلَاثَة تَابِعِيُّونَ يَرْوِي بَعْضهمْ عَنْ بَعْض، وَهُوَ مِنْ رِوَايَة الْأَكَابِر عَنِ الْأَصَاغِر؛ فَإِنَّ صَالِحًا أَكْبَر مِنَ الزُّهْرِيّ "، وهذه من لطائف الإسناد التي نبَّه عليها النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ].

❋❋❋

(٦٩) بَابُ زِيَادَةِ طُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ بِتَظَاهُرِ الأَدِلَّةِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٣٨) [١٥١] وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ إِذْ قَالَ:** ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]» قَالَ: «**وَيَرْحَمُ اللهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ لَبْثِ يُوسُفَ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ**».

(٢٣٨) [٠٠٠] وَحَدَّثَنِي بِهِ -إِنْ شَاءَ اللهُ- عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ الضُّبَعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ، عَنْ مَالِكٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، وَأَبَا عُبَيْدٍ، أَخْبَرَاهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَفِي حَدِيثِ مَالِكٍ: «﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾» [البقرة: ٢٦٠]. قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّىٰ جَازَهَا.

وَحَدَّثَنَاهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ يَعْنِي ابْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُوَيْسٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، كَرِوَايَةِ مَالِكٍ بِإِسْنَادِهِ، وَقَالَ: ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّىٰ أَنْجَزَهَا.

التعليق:

[هذا الحديث مدارُه علىٰ الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في الأوَّل عنه: عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، وفي الثاني: عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، وَأَبِي عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، ففيه ثلاثة شيوخ للزهري، يروي عنهم عن أبي هريرة: أبو سلمة، وسعيد بن المسيب، وأبو عبيد رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، هذا ما يتعلَّق بالإسناد. قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ** ﷺ **إِذْ قَالَ: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ، قَالَ: أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ؟ قَالَ: بَلَىٰ، وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**». قَالَ: «**وَيَرْحَمُ اللهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ لَبْثِ يُوسُفَ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ**». فيما يتعلَّق بإبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ النبيِّ ﷺ لم يشكَّ، ولكن هذا ردٌّ علىٰ من يخطر بباله أنه حصل شكٌّ من إبراهيم، فيقول الرسول ﷺ إذا لم أشكَّ أنا، فإن إبراهيم أولىٰ.

وهذا تواضعٌ منه ﷺ، وليس فيه إثباتُ الشكِّ لإبراهيم أو لنفسه، وإنما فيه نفيُ الشك، وإبراهيم نفسُه نفىٰ عنه الشك، بقوله: بلىٰ؛ «**رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ، قَالَ: أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ؟ قَالَ: بَلَىٰ، وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**»، فالإيمان

حاصلٌ ليس عنده شكٌّ أبدًا، والشكُّ يُنزَّه عنه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد يخطر في بال إنسان أنه كيف شكَّ إبراهيم؟! فالنبيُّ ينفي الشكَّ عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وعن نفسه.

وفيه أن الإيمان يزداد والطمأنينة بتضافر الأدلَّة، يعني بكثرتها؛ فإن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عنده علمُ اليقين، ولكنه - كما يقال - طلب الترقِّي إلى عين اليقين، فعِلمُ اليقين علمٌ وإيمانٌ ويقينٌ فعلًا، ولكن أعلىٰ درجة منه عينُ اليقين، وعينُ اليقين يحصل بها المشاهدة، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في سورة التكاثر: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝﴾ [التكاثر: ٥-٧]. فعينُ اليقين يحصل بأدلَّة قوية؛ ومنها الرؤية، وهو فوق علم اليقين، فإبراهيم عنده علمُ اليقين، وطلب الزيادة، وهو الوصول إلى درجة عين اليقين، بأن يشاهد إحياء الله الموتىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقالوا: سببُ هذا أنه لمَّا قال للمَلِك حينما تناظرا: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. قال المَلِك: أنا أُحيي وأُميت. لمَّا حصلت المناظرة في قضية الإحياء والإماتة، تطلَّعت نفسُ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى أن يشاهد إحياء الموتىٰ، قالوا هذا الكلام؛ تفهُّمًا وتفقُّهًا في النصوص القرآنية، ولكن ليس فيه إسناد، والله

أعلم، وإنما من استنباط بعض الفقهاء(١).

الشاهد: أن إبراهيم لم يشك، وأن رسول الله ﷺ نفىٰ عن نفسه وعن إبراهيم الشك، ومن تواضعه قال: «نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ»، تواضُعًا منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإلا في الحقيقة هو أفضلُ من إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والأنبياءُ يتفاضلون؛ كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وأهلُ السنَّة يعتقدون أن أفضل الرسل محمدٌ ﷺ، ثم يليه إبراهيمُ، ثم موسىٰ، ثم عيسىٰ، ثم نوحٌ، عليهم الصلاة والسلام، وهم أولو العزم الذين قال الله فيهم: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. وكما قال فيهم: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ [الشورىٰ: ١٣]. فسمَّىٰ هؤلاء الخمسة الذين هم أولو العزم، وعليهم مدار الرسالات عليهم الصلاة والسلام، ومحمدٌ أفضلُهم ﷺ، وهذا الذي قاله في حقِّ إبراهيم تواضعٌ منه ﷺ.

ومن الأقوال في ذلك أنه ربَّما قاله قبل أن يعلم أنه أفضلُ من الأنبياء جميعًا ومنهم إبراهيم(٢)، علىٰ كل حال إبراهيم يأتي في الدرجة الثانية بعد

---

(١) "تفسير ابن كثير" (١/ ٦٨٩)، و"فتح الباري" (٦/ ٤١٢).
(٢) "فتح الباري" (٦/ ٤١٢).

محمد ﷺ، يتلوه موسىٰ، يتلوه عيسىٰ، يتلوه نوح وسائر النبيين عليهم الصلاة والسلام. قَالَ: «**وَيَرْحَمُ اللهُ لُوطًا؛ لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**». في الآية لمَّا جاءه الملائكة، وأتىٰ قومُه قبَّحهم الله، كانوا يأتون الفاحشة، أرادوا الفاحشة لعنة الله عليهم، فدافعهم وقال: ﴿يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ﴾ [هود: ٧٨]. ودافعهم بقدر ما استطاع، فأبوا إلا ارتكاب الجريمة، فطمأنه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وقالت الملائكة: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾ [هود: ٨١]. ثم أمروه أن يخرج ليلًا هو وأهلُه؛ ليُنزل الله بهم العذاب، وقد أنزل الله بهم العذاب، وأنجاه الله وأهله ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ۝٥٧﴾ [النمل: ٥٧]، وهي زوجتُه، وكانت كافرة به، وكانت منافقة -والعياذ بالله-، فأهلكها الله مع قومه، قال الله عز وجل: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠﴾ [التحريم: ١٠].

الشاهد: أنه لما ضاق بهم ذرعًا، قال: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً﴾ [هود: ٨٠]. فأدفعكم عن ضيفي، ﴿أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ۝٨٠﴾ [هود: ٨٠]. أي عشيرة تدفعكم عنِّي، قال رسولُ الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**يَرْحَمُ اللهُ لُوطًا؛ لَقَدْ كَانَ**

يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ». يعني ربَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قالوا[1] في الاعتذار عن لوط عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: إنه ربَّما غفل في هذه اللحظة؛ لشدَّة الموقف أو لهوله، ولكن هذا يبعد -والله أعلم، والظاهر أنه دعا ربَّه، ولكن هو يعلم أنه ليست كلُّ دعوة مستجابة؛ فإن الأنبياء لم يُعْط كلُّ أحد منهم إلا دعوة مضمونة، فربَّما رأىٰ أن هذه ليست الدعوة المضمونة -والله أعلم-، فقال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ ۝٨٠﴾.

الشاهد: أن الرسول ﷺ قال: «**كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**». ولا نستطيع أن نجزم أن لوطًا ما لجأ إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فالله أعلم، لكن ربَّما ظن أن هذه ليست من الدعوات المستجابة.

قال ﷺ: «وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ لَبْثِ يُوسُفَ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ».

يقصد الداعي الذي أرسله المَلِك ليأتوا به من السجن، فلمَّا جاءه قال: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ۝٥٠﴾ [يوسف: ٥٠]، فاستدعىٰ الملك النساء اللاتي كدن ليوسف، ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١﴾ [يوسف:٥١]. فنزَّه الله يوسف، وأظهر براءته.

---

(١) «شرح مسلم» (٢/ ١٨٥).

الشاهد: أنه أبىٰ أن يخرج من السجن حتىٰ تثبت براءتُه، وكان قد لبث في السجن بضع سنين، ويقال: سبع سنوات. والله أعلم، ومع طول السجن ومع طول ما ذاق من المتاعب، فإنه لم يستعجل حينما دعاه الملك، وإنما تثبَّت وتريَّث حتىٰ تظهر براءتُه، وفيه أن المؤمن يجب أن ينزِّه عِرضه عن التهم والشبهات، وأن يبتعد عنها، فهذا يوسف وقف هذا الموقف؛ لتظهر براءةُ ساحته وطهارة عرضه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان ذات ليلة في المسجد، فجاءته صفيَّة تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدَّثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب، فقام النبيُّ ﷺ معها يقلبها يعني: يصحبها إلىٰ بيتها، حتىٰ إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة، مرَّ رجلان من الأنصار، فسلَّما علىٰ رسول الله ﷺ، فقال لهما النبيُّ ﷺ: «**عَلَىٰ رِسْلِكُمَا، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**». فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ. وكَبُر عليهما، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَىٰ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا**»(١).

الشاهد: أنه استبرأ لعرضه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ودفع ما قد يوسوس به الشيطان في نفس مَن رآه في هذه الحالة مع المرأة هذه، أن يقذف في نفسه أن هذه امرأة أخرىٰ غير زوجته، فدفع هذا التوهُّم الذي يحتمل، فلنا فيه أسوة

---

(١) رواه البخاري (٢٠٣٥)، ومسلم (٢١٧٥)، عن أم المؤمنين صفية بنت حُيَيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وتربية، ويجب على المسلم أن يبتعد عن مواضع التهم، وأن ينفيها عن نفسه، «**فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشّبُهَاتِ فَقَدْ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ**»(١). والذي يُعرِّض نفسه للتهم لا يلومنَّ إلا نفسه كما قيل.

الشاهد: أن الرسول يشيد بمكانة يوسف بتثبُّته وصبره وتأنِّيه، وقال هذا تواضُعًا منه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما يقال، وبيانًا لفضيلة أخيه يوسف، وفي نفس الوقت من تواضعه، وإلا فهو أفضلُ من يوسف عليهما الصلاة والسلام، وأشدُّ صبرًا منه، فقد لاقىٰ من الأهوال ما لا تطيقه الجبال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فكان في مواجهة هذه الأهوال أشدَّ الناس ثباتًا وصبرًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

❋ ❋ ❋

(١) قطعة من حديث رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٧٠) بَابُ وُجُوبِ الإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِه

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٢٣٩) [١٥٢] حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(٢٤٠) [١٥٣] وَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَىٰ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: وَأَخْبَرَنِي عَمْرٌو، أَنَّ أَبَا يُونُسَ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

(٢٤١) [١٥٤] وَحَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ صَالِحِ بْنِ

صَالِحٍ الْهَمْدَانِيِّ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ سَأَلَ الشَّعْبِيَّ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَمْرٍو، إِنَّ مَنْ قِبَلَنَا مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ يَقُولُونَ فِي الرَّجُلِ إِذَا أَعْتَقَ أَمَتَهُ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا: فَهُوَ كَالرَّاكِبِ بَدَنَتَهُ. فَقَالَ الشَّعْبِيُّ: حَدَّثَنِي أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَىٰ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّىٰ حَقَّ اللهِ تَعَالَىٰ وَحَقَّ سَيِّدِهِ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَغَذَاهَا، فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا، ثُمَّ أَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا؛ فَلَهُ أَجْرَانِ**». ثُمَّ قَالَ الشَّعْبِيُّ لِلْخُرَاسَانِيِّ: خُذْ هَذَا الْحَدِيثَ بِغَيْرِ شَيْءٍ، فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَرْحَلُ فِيمَا دُونَ هَذَا إِلَى الْمَدِينَةِ.

(٢٤١) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ، ح، وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، ح، وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، كُلُّهُمْ عَنْ صَالِحِ بْنِ صَالِحٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

التعليق:

[ساق الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ...**»

الحديث. والحديث الثاني عن أبي هريرة أيضًا: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**». والثالث: حديث أبي موسىٰ الأشعري الذي رواه الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ...**» الحديث.

الحديث الأول: فيه بيانُ فضيلة النبيِّ ﷺ، وفضيلةِ هذا الكتاب العظيم، وفضلِه علىٰ سائر الكتب، وعلىٰ سائر المعجزات التي أعطاها الله لأنبيائه، فالأنبياءُ نزلت عليهم الكتب، وآتاهم من الآيات ما آمن علىٰ مثله البشر، والآية أي: العلامة؛ لأنها علامةٌ علىٰ خالقها سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ لأنها تخرق العادة، وآيةٌ علىٰ صدق هذا النبيِّ الكريم، الذي ابتعثه الله إلى أمَّته، فالآيات الكونية والشرعية يمدُّ الله بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ للبرهنة علىٰ أنهم رسل الله، وأنهم صادقون فيما يدَّعونه من أن الله أرسلهم، فتأتي هذه الأمور يتحدَّىٰ الله بها الأمم؛ فيعجزون علىٰ الإتيان بمثلها، مثل آية إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ألقي في النار العظيمة، ونجَّاه الله منها، وكانت نصرًا له علىٰ أعدائه، وخزيًا لهم، وآية صالح الناقة التي أخرجها الله من صخرة، فكانت لهم آيةً، وبُرهانًا علىٰ صدق صالح عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، للبرهنة علىٰ صدق رسالته، وآية موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهي آياتٌ كثيرةٌ؛ ومنها العصا التي

ابتلعت ما ألقاه السحرة من الحبال والعِصيّ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [طه: ٢٠]، وضرب بها البحر فانفلق، فكان كلُّ فرق كالطود العظيم. وآيات عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ**»؛ لأن البشر يرون أن هذا لا قِبَلَ للبشر به، وإنما هو من عند الله عَزَّوَجَلَّ فيؤمن بهذه الآيات وبمن جاء بها مَن أراد الله له الهداية، هذا آتاه الله لجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لكن الله خصَّ محمدًا بهذا الكتاب المعجز الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلَت: ٤٢]، والذي قال الله تعالىٰ في شأنه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]، فقد تحدَّاهم الله أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله؛ فعجزوا، وهم حريصون أشدَّ الحرص علىٰ تكذيبه، واستخدموا كل الأساليب للتنفير منه، وسمّوه مجنونًا، وساحرًا وكذابًا... إلخ.

ولكن عجزوا أن يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن، فكان هذا بُرهانًا علىٰ أن محمدًا عبدُ الله ورسوله ﷺ، وعلىٰ جهل وسفاهة من يكذِّب بهذا القرآن،

والرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أُعطي معجزاتٍ أخر، ولكن أبرزها هو هذا الوحي الذي أوحاه الله إليه، كما وصفه الله: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فُصِّلَت: ٤٢]. وكما وصفه الله بأنه لا يستطيع الجنُّ والإنسُ أن يأتوا بمثله، هذا مما ميَّز به الله محمَّدًا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقد أوتي جوامع الكلم، وقد خصَّه الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بآيات؛ منها: إيتاؤه جوامع الكلم، منها القرآن والحديث أيضًا فيه جوامع كلمه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

تكلَّم الناس حول هذه المعجزة: كيف فاقت المعجزات كلها؟ قالوا(١): لأن المعجزات السابقة لم يشاهدها إلا مَن حضرها وعاصرها ثم تنتهي، أمَّا هذا القرآن فمعجزتُه خالدةٌ إلى يوم القيامة، إلى أن يرفع الله هذا القرآن بين يدي الساعة، هذا القرآن من عهد الرسول إلى أن يرفعه الله لا يستطيع البشر ولا الجن، البشر عربُهم وعجمُهم، قديمُهم وحديثُهم، لو اجتمعوا كلهم مع الجن، ليأتوا بسورة مثله لعجزوا، فهذا الوحي الذي اختصَّ الله به محمدًا بهذه المنزلة، والذي قدَّم الله به محمدًا علىٰ الرسل، وفضَّله عليهم، ولتأثيره وبيان إعجازه، وفصاحته، وبلاغته، وتأثيره في النفوس؛ كان أكثر الناس تابعًا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فانتشر هذا الإسلام، الذي أساسه القرآن، في مشارق

---

(١) "شرح مسلم" (٢/ ١٨٨).

الأرض ومغاربها، ودخلت فيه شعوبٌ وأممٌ، حتىٰ إن أكثر اليهود والنصارىٰ دخلوا في الإسلام، ودولة المجوس سقطت ودخلوا في الإسلام، ولم يبق إلا المنافقون يتستَّرون بالإسلام، ومن مميِّزاته أن الله أرسله إلى الأسود والأبيض عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأن الله أعطاه الشفاعة كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَكَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَأُرْسِلْتُ لِلنَّاسِ عَامَّةً، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا**»[(١)]، ولكن أبرزها هذه المعجزة، وهي معجزةُ القرآن التي تحدَّىٰ بها الجنَّ والإنس، وكما يقال: معجزاتُ الأنبياء انتهت في عصورهم وعصور من شاهدها، وهذه الآية مستمرَّةٌ إلى قيام الساعة، «**فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». وهذا من معجزاته ودلائل صدقه، فما توقَّعه كان حقًّا، ويؤكِّد هذا الواقع قولُه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: « **إِنَّ اللهَ زَوَىٰ لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا** »[(٢)].

الحديث الثاني: وهو من أدلَّة عموم رسالته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي**

(١) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) قطعة من حديث رواه مسلم (٢٨٨٩)، عن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»، فهذا من أدلَّة عموم رسالة النبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومنها قولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]. وحديثُه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه بُعث إلى الأحمر والأبيض والعرب والعجم، هذا من جملة الأدلَّة علىٰ عموم رسالة النبيِّ ﷺ، وإنْ عارضها بعضُ الناس، وإن ادَّعىٰ بعضُ اليهود والنصارىٰ أن رسالته خاصَّة بالعرب، فبعضُ الناس كاليهود خاصة، وكثيرٌ من النصارىٰ يؤمنون بأن محمدًا رسول الله، وأن هذا القرآن لا يمكن أن يأتيَ به بشر، وكتبُهم تشهد لمحمد ﷺ بأنه رسول الله، وقد اشتملت علىٰ وصفه، ووصف أمَّته، كما ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذلك في القرآن، وكما عرف ذلك العلماء من مراجعتهم ودراستهم للأناجيل والتوراة؛ فإن فيها أدلة واضحة علىٰ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أشاد بمكانة محمدٍ وأمته، في هذه الكتب، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ

بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]. فهذا وصفُه ﷺ، ووصف أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في التوراة وفي الإنجيل، وفي سورة الأعراف: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فهذا وصفٌ له ولرسالته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وفي الحديث أن من سمع بهذا الرسول ولم يؤمن به من اليهود والنصارىٰ وغيرهم؛ كان من أصحاب النار، يعني: إذا كان اليهود والنصارىٰ أهل كتاب، ويجب عليهم أن يؤمنوا بمحمد ويتَّبعوه، فغيرُهم ممَّن لا دين له من باب أولىٰ، وليس هذا خاصًّا باليهود والنصارىٰ، وفيه أن الحجَّة لا تلزم إلا مَن بلغتْه، وأن من لم تبلغه الحجة معذور، يُفهم من قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ؛ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**». يبلغُه ذكرُ محمد، وتأتيه رسالة محمد ﷺ المشتملة علىٰ الحجة والبراهين، ثم لا يتبع محمدًا، ولا يؤمن به؛ لابد أن يكون من أهل النار؛ لأنه كفر بمحمد وكذَّبه، والحجَّة قائمة عليه، ويؤخذ منه أن من لم تبلغه الحجة لا يتحقق فيه هذا الوعيد، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا

﴿١٥﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ [محمد: ٢٥]. يعني: الوعيد لمن يتبيَّن له الهدىٰ، ثم لا يهتدي به، ويعانده، يعني اليهود والنصارىٰ الذين سمعوا بالرسول ﷺ فلم يؤمنوا به، عالمُهم وجاهلهُم كفار، وأحكامُهم أحكامُ الكفار في هذه الدنيا، أمَّا من لم يبلغه محمد ولا بلغتْهُ رسالتُه، سواء من اليهود أو من النصارىٰ أو من غيرهم، فهذا يُعذر؛ لأنه ما قامت عليه الحجة، وإن كان كافرًا، إذا قاتل يؤسر وتسبىٰ ذريَّتُه ويُغنم مالُه، ولكن إذا ما قامت عليه الحجة فهذا ممن يُختبر يوم القيامة، من الأصناف الذين يُختبرون، يقولون: ما جاءنا من نذير. فالذين يُختبرون أربعة أو خمسة، منهم: الصبيُّ، ومنهم المعتوهُ، ومنهم الشيخ الهرِمُ، ومنهم من لم تبلغه الدعوة، فيقول: ما جاءني من نذير(١).

الحديث الثالث: وهو حديث الشعبيِّ: عَنْ صَالِحِ بْنِ صَالِحٍ الْهَمْدَانِيِّ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ فيه: " رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ سَأَلَ الشَّعْبِيَّ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَمْرٍو، إِنَّ مَنْ قِبَلَنَا مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ يَقُولُونَ فِي الرَّجُلِ إِذَا أَعْتَقَ أَمَتَهُ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا: فَهُوَ كَالرَّاكِبِ بَدَنَتَهُ ". يعني ركوب البدنة المُهداة في حج أو عمرة

---

(١) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (٨/ ٣٩٩-٤٠١)، و«أحكام أهل الذمة» لابن القيم (٢/ ١١٣٩-١١٥٨).

للمحتاج والمضطر، أما إذا كان غير محتاج وليس مضطرًا فلا يجوز له أن يركب بدنته، والرسول ﷺ رَأَىٰ رَجُلاً يَسُوقُ بَدَنَةً، فَقَالَ: «ارْكَبْهَا». قَالَ: إِنَّهَا بَدَنَةٌ. قَالَ: «ارْكَبْهَا». قال الراوي: "فَرَأَيْتُهُ رَاكِبَهَا، يُسَايِرُ النَّبِيَّ ﷺ"[(١)].

يعني عند الحاجة، أما المستغني فليس له أن يركب، فهم يشبِّهون مَنْ يعتق أَمَته ثم يتزوجُّها براكب البدنة، فأجابه الشعبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ما أجابه بمسألة فقهية من كيسه، وإنما ساق الدليل، وهذه هي طريقة السلف، إذا سئل عن مسألة وعنده فيها دليل، لا يعدل عنه، ولكن يسوق الدليل من القرآن أو من السنة، فأجاب هذا السائل علىٰ مسألته وزاده، يعني الحديث يتضمَّن الإجابة علىٰ هذه المشكلة، ويتضمَّن أمورًا أُخر، فَقَالَ الشَّعْبِيُّ: حَدَّثَنِي أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَىٰ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ؛ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّىٰ حَقَّ اللهِ تَعَالَىٰ وَحَقَّ سَيِّدِهِ؛ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَغَذَاهَا، فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا، ثُمَّ أَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا؛ فَلَهُ أَجْرَانِ»**.

ثُمَّ قَالَ الشَّعْبِيُّ لِلْخُرَاسَانِيِّ: "خُذْ هَذَا الْحَدِيثَ بِغَيْرِ شَيْءٍ، فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَرْحَلُ فِيمَا دُونَ هَذَا إِلَى الْمَدِينَةِ".

---

(١) رواه البخاري (١٧٠٦) واللفظ له، ومسلم (١٣٢٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الشاهد: في هذا الحديث: أوَّلُ هؤلاء الثلاثة، رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيِّه، وأدرك النبيَّ ﷺ، فآمن به واتَّبعه وصدَّقه؛ فله أجران، وهذا مصداقُه من كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [القصص: ٥١-٥٤].

الشاهد: في قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾. فأثنىٰ الله عليهم هذا الثناء الطيب، وأثبت لهم أجرين، الأجر الأول علىٰ إيمانه بنبيِّه الأول الذي كان علىٰ دينه قبل مجيء محمد ﷺ، ولمَّا جاء هذا الرسول آمن به، فله أجر جديد يضاف إلى الأجر الأول، وقد دخل في الإسلام كثير، فمنهم عبدُ الله بن سلام، وغيرُه، ومنهم النجاشيُّ، ووفدُ الحبشة الذين أرسلهم النبيُّ ﷺ وأسلموا وغيرهم ممَّن أسلم من أهل الكتاب، في الجزيرة والشام وفي أوربا، وفي الحبشة، وفي غيرها ينالون هذا الوعد العظيم.

والثاني: «**وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّىٰ حَقَّ اللهِ تَعَالَىٰ وَحَقَّ سَيِّدِهِ**»؛ لأن عليه حقَّين: حقٌّ للَّه الذي كلَّف الله به عمومَ العباد، وحقٌّ خاص؛ وهو حق سيده، فإذا قام بالحقَّين حق الله وحق سيده، فله أجران، حتىٰ قال أبو هريرة: " وَالَّذِي

نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْحَجُّ، وَبِرُّ أُمِّي، لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَمُوتَ وَأَنَا مَمْلُوكٌ"[١]. يعني: لِمَا أعطىٰ الله عَزَّوَجَلَّ للملوك من الأجر.

ومع الأسف؛ هذه الحضارة الغربية جاءت بإلغاء الرقيق، وهو يدخل في أبواب كثيرة من أبواب الدين، مع الأسف الشديد، الكفَّارات مثلًا، الرجل الذي يحلف اليمين ثم يرجع فيه، فيطعم عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، فإن عجز فصيام ثلاثة أيام، فالرِّقُّ في الإسلام ويبيحه الإسلام، ولكنه يشجِّع علىٰ تحرير الرقيق، ليس مثل أوربا وأمريكا والديانات الأخرىٰ الفاسدة، ويوصي بالرقيق ألا يكلَّف إلا بما يطيق، وأن يساعد سيِّدُه، ويوصي سيِّدَه أن يأكل معه، ويوصي به أن يتلمَّس الأسباب لتحريره من كفارة اليمين وكفارة الظهار، والترغيب المطلق في العتق، بأن من أعتق مملوكًا ذكرًا كان أو أنثىٰ، أعتق الله عَزَّوَجَلَّ كلَّ عضو من أعضائه بهذا العتيق، حتىٰ الفرج بالفرج[٢]، فالإسلام دعا إلى العتق، وفتح السبل لإخراجه من هذا الرقِّ من أبواب كثيرة وردت في الإسلام، وإذا قارنت بين الرقِّ في الإسلام وبين الرقِّ عند غيره من الأمم، تجد الفروق الشديدة، لقد كان الأوربيون يمتهنون الرقيق إلى درجة لا يتصورها العقل البشري، وفي

(١) رواه البخاري (٢٥٤٨)، ومسلم (١٦٦٥).

(٢) رواه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اجتماعات واحتفالات يجمعون أطرافًا من هنا ومن هنا من الرقيق، رقيق فلان، ورقيق فلان، ثم يتسلَّون بهم بالألعاب التي تُمتعهم، فيأتون بهم في الساحات ليضرب بعضهم بعضًا، ويتصارعون حتىٰ الموت، وهم يضحكون ويقهقهون، والإسلام حرَّم نفس هذا المسلم الرقيق، وحرم عرضه ودمه، وحرَّم ظلمه بأي وسيلة، وحرَّم استرقاقه بدون سبب شرعي؛ لأن الرق يأتي في الإسلام عن طريق القتال، عن طريق الجهاد، متىٰ يرفض هذا الإنسان الدخول في الإسلام بعد دعوته وبيان الحجة له؛ فيأبىٰ إلا القتال، فإذا قُتل فإلىٰ النار؛ لجريمته وكفره الذي عليه ولقتاله يستحق الرق، وأن يُملك، ثم بعد ذلك يفتح الأبواب لتحريره.

والثالث: «**وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَغَذَاهَا، فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا**». يعني: يعتني بها في الطعام، واللباس وما شابه ذلك، مثل أبنائه مثلًا، **ثُمَّ أَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا**، فعلمها دينها وعلَّمها الأخلاق، والآداب التي تلزم المسلم، «**ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا؛ فَلَهُ أَجْرَانِ**» أجر علىٰ أدبها وتربيتها ثم عتقها، وأجرٌ علىٰ أنه تزوجها، فله أجران، بخلاف ما يقول أهل الرأي: إن هذا حرام، وإنه مثل ركوب البدنة. وهي الهدي يهديه إلى البيت الحرام، وقد ورد النهي عن ركوبها، ولكن وردت الرخصة في ركوبها عند الحاجة، فبيَّن أن هذه من الفضائل، وأن من يفعل هذا مأجورٌ، وأن له أجرين، الأول علىٰ تربيتها

وعتقها، والثاني علىٰ إكرامها بالزواج.

ثُمَّ قَالَ الشَّعْبِيُّ لِلْخُرَاسَانِيِّ: "خُذْ هَذَا الْحَدِيثَ بِغَيْرِ شَيْءٍ، فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَرْحَلُ فِيمَا دُونَ هَذَا إِلَى الْمَدِينَةِ". فهذا يدلُّ علىٰ قيمة العلم ومنزلته في ذلك العصر؛ حيث إن الرجل كان يرحل من أجل الحديث الواحد من العراق -الشعبي كان في الكوفة- إلى المدينة، ومن أجل مسألة واحدة، واستمرَّت هذه السنة في الأمَّة إلى عصور، فقد كان الرجل من أهل الحديث يرحل ويقطع البلاد للعلم، بل فيما أذكر أن جابرًا رحل إلى الشام من أجل حديث واحد[(١)]، وأبو أيوب رحل إلى مصر من أجل حديث واحد[(٢)]، فهذا يؤكد ما يقوله الشعبيُّ.

وكان من العراق من يرحلون إلى المدينة من أجل حديث واحد، واستمرَّت هذه السنَّة في الأمَّة، وفي أهل الحديث خاصة إلى قرون، يرحل الرجل إلى خراسان، إلى مصر والشام، إلى العراق، إلى الحجاز، إلى مكة والمدينة، إلى المغرب، في طلب الحديث.

وشعبةُ قد رحل من العراق إلى مكة، ثم إلىٰ المدينة، ثم إلىٰ البصرة؛ من أجل حديث واحد[(٣)]، وهذا يدلُّ علىٰ احترامهم لسنَّة رسول الله ﷺ، وحُبِّها،

(١) "الرحلة في طلب الحديث" للخطيب البغدادي (٣١-العتر).

(٢) "الرحلة" (٣٤)، وانظر ما بعده.

(٣) "المحدث الفاصل" للرامهرمزي (٣١٣-٣١٥)، و"الرحلة" (٥٩)، و"الكفاية في علم الرواية"=

والتقرُّب إلى الله بها، وبناء دينهم عليها، فكيف لا يرحلون من أجلها؟ بل في درس سفيان بن عيينة، قال: " هُوَ أَحْسَنُ مِنَ الْجَوْهَرِ، أَحْسَنُ مِنَ الدُّرِّ، أَحْسَنُ مِنَ الْيَاقُوتِ، أَحْسَنُ مِنَ الدُّنْيَا كُلِّهَا "(١)، حديث واحد!.

الآن ترىٰ إعراض كثير من الناس عن سنَّة رسول الله ﷺ، واشتغالهم بالدنيا وبالعلوم الدنيوية، والتنافس والتكالب علىٰ الدنيا، وقد تجد إنسانًا عنده مكتبة في منزله فيها الحديث، وقلَّما يهتمُّ بالحديث مع الأسف الشديد، ونسأل الله أن يصلح هذه الأمة، وأن يأخذ بنواصيها؛ لتعود إلى ما كان عليه سلفُها، فإنه لا يصلح حال آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها.

س: ما هي أحكام العتق، وهل هو للمؤمنين خاصة؟

ج: العتقُ في هذه القضايا للمؤمنين، في القتل الخطأ؛ ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، وإن أطلقها فتحمل علىٰ المقيَّد «مؤمنة»، فلابدَّ من الإيمان في العتق، بدليل حديث الجارية التي صفعها الصحابيُّ بكفِّه، ورفع أمرها إلى النبيِّ ﷺ، فقال الصحابيُّ: إنها جارية كانت ترعىٰ لي غنمًا، وإن الذئب أكل شاة منها، فغضبت كما يغضب البشر فصككتها، فهل أعتقها؟

= للخطيب (ص٤٠١).

(١) "المحدث الفاصل" (ص٥٧٨)، و"الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" للخطيب البغدادي (٢/ ١٢٥-١٢٦).

فقال النبيُّ ﷺ: «**ائْتِنِي بِهَا**». فجاء بها، فسألها: «**أَيْنَ اللَّهُ؟**» قالت: في السَّمَاءِ. قال: «**مَنْ أَنَا؟**». قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: «**أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»(١). فهذا من الأدلَّة على أن العتق للمؤمنين، ولا يصحُّ في هذه الأبواب إلا عتقُ الرقبة المؤمنة في هذه القضايا، كما في الكفارات وغيرها].

❊ ❊ ❊

(١) رواه مسلم (٥٣٧)، عن معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في حديث طويل.

(٧١) بَابُ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٢٤٢) [١٥٥] حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا لَيْثٌ، ح: وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ، قَالَ أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّىٰ لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**».

(٢٤٢) [•••] وَحَدَّثَنَاهُ عَبْدُ الْأَعْلَىٰ بْنُ حَمَّادٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، ح: وَحَدَّثَنِيهِ حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، ح: وَحَدَّثَنَا حَسَنٌ الْحُلْوَانِيُّ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، كُلُّهُمْ عَنِ الزُّهْرِيِّ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عُيَيْنَةَ: «**إِمَامًا مُقْسِطًا، وَحَكَمًا عَدْلًا**». وَفِي رِوَايَةِ يُونُسَ: «**حَكَمًا عَادِلًا**». وَلَمْ يَذْكُرْ: «**إِمَامًا مُقْسِطًا**». وَفِي حَدِيثِ صَالِحٍ: «**حَكَمًا مُقْسِطًا**». كَمَا قَالَ

اللَّيْثُ: وَفِي حَدِيثِهِ مِنَ الزِّيَادَةِ: «وَحَتَّىٰ تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] الْآيَةَ.

(٢٤٣) [•••] وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ مِينَاءَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَاللهِ، لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ، وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَىٰ عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ».

(٢٤٤) [•••] وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي نَافِعٌ، مَوْلَىٰ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟».

(٢٤٥) [•••] وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي نَافِعٌ، مَوْلَىٰ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَأَمَّكُمْ؟».

(٢٤٦) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ نَافِعٍ، مَوْلَىٰ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟**». فَقُلْتُ لِابْنِ أَبِي ذِئْبٍ: إِنَّ الْأَوْزَاعِيَّ، حَدَّثَنَا عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. «**وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**». قَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ: تَدْرِي مَا: «**أَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟**». قُلْتُ: تُخْبِرُنِي. قَالَ: «فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ».

(٢٤٧) [١٥٦] وَحَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ شُجَاعٍ، وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، قَالُوا: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**». قَالَ: «**فَيَنْزِلُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا. فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**».

التعليق:

[أورد الإمام مسلم في هذا الباب حديث أبي هريرة وحديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في نزول عيسىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأبو هريرة روىٰ هذا الحديث عنه من طريق ابن المسيب، ومن طريق عطاء بن ميناء، ومن طريق نافع مولىٰ

أبي قتادة، كل هذه الطرق إلى أبي هريرة، ثم رواه مسلم من طريق أبي الزبير عن جابر، فأحاديثُ نزول عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ متواترةٌ، وأنه ينزل حَكمًا مقسطًا عدلًا يكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، يكسر الصليب إبطالًا للنصرانية، والنصارىٰ أيضًا يأكلون لحم الخنزير، فيقتله، ويأمر بقتل الخنازير؛ إبطالًا أيضًا لهذه الديانة الفاسدة، التي أُلصقت بعيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وينشر التوحيد؛ إبطالًا لهذه النِّحلة، ولا يقبل الجزية من أهل الكتاب، بل لابد من الإسلام أو القتل، وقد يستشكل بعضُ الناس، هل عيسىٰ ينسخ هذا الحكم، حكم ضرب الجزية علىٰ أهل الكتاب وقبولها منهم إذا أدَّوها؟ فالجواب: أن النصَّ جاء من النبيِّ ﷺ، فالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أخبر أن عيسىٰ يأتي ويفعل كذا وكذا، فهذا إشارةٌ إلى النسخ منه ﷺ، فالناسخُ هو رسول الله، وليس عيسىٰ عليهما الصلاة والسلام، فضَرب الجزية مقيَّدٌ بما قبل عيسىٰ، وما بعد نزول عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأيَّام حُكمه في هذه الأرض بشريعة محمد ﷺ، كما قال ابن أبي ذئب في شرح روايته: «**تَدْرِي: مَا أَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟**»، قَالَ: «**فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ**»، فالحكمُ حكمُ عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بهذه الشريعة شريعة محمد ﷺ، لا بالتوراة ولا بالإنجيل، وإنما بشريعة محمد ﷺ، وقضيَّة وضع الجزية أخذها من النبيِّ ﷺ، فهو سيعرف هذه الشريعة

وسيدرسها أو يعلِّمه الله إياها، ومن ضمنها وضعُ الجزية في خلال حكمه بشريعة محمد ﷺ، وقد بلغه عن محمد نسخُها.

فهنا في اختلاف الروايات قضية في آخر رواية أبي هريرة: «**وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ**». «**الْقِلَاصُ**»: يعني الشَّوَابُّ من الإبل، يعني: الإبل الشابَّة الفتيَّة، فتُتْرك لزهد الناس في الدنيا وفي المال؛ لأن خير المال الإبل، وخير الإبل القلاص، فلزهدهم في الدنيا يزهدون في المال، وإن فاض وكثر، ومن خيار المال الإبل، ومن خياره القِلاص، فيتركونها فلا يهتمون بها، وكنَّا نفهم والعلماء أيضًا، أنه -والله أعلم- أن هذه الوسائل غير موجودة الآن، إذ كانت الإبل هي الوسائل؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ [النحل: ٧]، فتركها الناس الآن، فلا يحملون عليها الأثقال، فالله أعلم، هل يدخل هذا الوضع في ترك القلاص؟ ليس ببعيد - والله أعلم -، وقد يكون ما ذكره المفسِّرون الأوائل من أن الناس يزهدون في المال؛ لأن المال يعرض من كثرة ما يفيض، فتقلُّ الآمال والرغبة في الدنيا، حتىٰ بعض الناس ما يقبل المال(١).

قال: «**فَلَا يُسْعَىٰ عَلَيْهَا**». يعني: لا يهتمُّ بها أهلُها، وقيل(٢): لا تطلب

---

(١) «شرح مسلم» (٢/ ١٩٢).

(٢) «شرح مسلم» (٢/ ١٩٢).

زكاتُها؛ لأن الناس لا يريدون المال. «**وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ**» فالناس عندهم إقبال علىٰ الآخرة، وصلاحٌ متناهٍ، وزهدٌ في هذه الدنيا، مع فيضان المال أيضًا في نفس الوقت، إلى درجة الملل منه، وسقوطه وهوانه عليهم؛ فيصبح ممتهنًا عند الناس؛ لوجود العدل، ورفع الظلم، وصلاح أحوال الناس، فيصل الأمر إلى هذه الدرجة.

كذلك جاء في حديث أبي هريرة: «**وَحَتَّىٰ تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**». قالوا[١]: هذه من شدة صلاح الناس، وشدة إيمانهم، وإقبالهم علىٰ الآخرة، وزهدهم في الدنيا، فتكون الدنيا لا قيمة لها عندهم، فالسجدة الواحدة عند الواحد منهم خير من الدنيا وما فيها؛ لصلاحهم وشدة رغبتهم في الخير وزهدهم في الدنيا، وليس هذا بغريب؛ فالرسول ﷺ يقول: «**لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**»[٢]. ويقول: «**رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»[٣]. هذا في نظر الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ونحن نؤمن بهذا، وهؤلاء في ذلك الوقت الإنسانُ منهم يجد في نفسه هذا الإحساس فِعْلًا، إحساسٌ صادقٌ

---

(١) «شرح مسلم» (٢/ ١٩١).

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٥)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) رواه مسلم (٧٢٥)، عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

بأن الركعتين أو السجدة عنده أحبُّ إليه من الدنيا وما فيها، فالدنيا لا قيمة لها عنده، وذِكرُ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بالصلاة وغيرها خيرٌ من الدنيا وما عليها.

ومسلمٌ رَحِمَهُٱللَّهُ -كعادته في التنبيه علىٰ اختلاف الروايات- ساق الحديث من طريق سفيان بن عيينة، ومن طريق يونس، ومن طريق صالح، جميعًا عن الزهري بهذا الإسناد، يعني: عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، ربَّما نبَّه علىٰ اختلاف الروايات: في رواية ابن عيينة: «**إِمَامًا مُقْسِطًا، وَحَكَمًا عَدْلًا**»؛ أربع صفات، وَفِي رِوَايَةِ يُونُسَ: «**حَكَمًا عَادِلًا**»، بمعنىٰ واحد، وَلَمْ يَذْكُرْ: «**إِمَامًا مُقْسِطًا**». وَفِي حَدِيثِ صَالِحٍ: «**حَكَمًا مُقْسِطًا**»، ولم يأت باللفظين الآخرين: «**حكمًا عدلًا**». فهذا من تنبيهه علىٰ الروايات؛ وفاءً بوعده رَحِمَهُٱللَّهُ، أنه ينبِّه عند الحاجة إلى ذلك، وسمَّاها عللًا؛ لأن أهل مصطلح الحديث يسمُّون الاختلافات في الألفاظ عللًا، ولكنها ليست بالقادحة عندهم، وهذا يمشي عليه في أكثر الأبواب أو في كلِّ باب رَحِمَهُٱللَّهُ، وهذا من ميزته رَحِمَهُٱللَّهُ، سَوْق الروايات كلها في باب واحد، وتنبيهه علىٰ الاختلافات في الروايات.

في آخر حديث أبي هريرة: «**وَحَتَّىٰ تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ

﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] الْآيَةَ. ذكر ابنُ عبَّاس وغيرُه(١)، وابنُ جرير والأئمَّةُ(٢)، أن الضميرين في قوله: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ لعيسىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ما من أحد من أهل الكتاب يدرك عيسىٰ إلا يؤمن به، يعني: قبل موت عيسىٰ، وهذا من الأدلَّة علىٰ أن عيسىٰ لم يمت، وأنه رُفع إلى السماء حيًّا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وتمتدُّ حياته إلى أن ينزل في الأرض، ويحكم فيها؛ في بعض الروايات أربعين سنة(٣)، وفي بعضها تسع عشرة سنة(٤) أو سبع عشرة سنة، وفي بعضها سبع سنين(٥)، وهي أصحها.

فيؤمن به أهلُ الكتاب، ومن أسباب هذا الإيمان -والله أعلم- وضعه الجزية، فلا يقبل من أحد منهم إلا الإيمان، حتىٰ إنه ما من أحد يدركه إلا

---

(١) رواه ابنُ جرير الطبري في «التفسير» (٧/ ٦٦٤-هجر)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٦٢٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٣٨)، وقال: "صحيح علىٰ شرط الشيخين"، ووافقه الذهبي. وصححه الحافظ في «الفتح» (٦/ ٤٩٢). قال ابن أبي حاتم: "وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَمُجَاهِدٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ نَحْوُ ذَلِكَ". وهو قول أبي مالك وابن زيد، رواهما ابن جرير (٧/ ٦٦٤-٦٦٥ و٦٦٦).

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير الطبري» (٧/ ٦٧٢)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٥٣ و٤٥٤)، و«شرح مسلم» (٢/ ١٩١)، و«فتح الباري» (٦/ ٤٩٢).

(٣) رواه أحمد (٩٢٧٠)، وأبو داود (٤٣٢٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصحح إسناده الحافظ في «الفتح» (٦/ ٤٩٣)، والألباني في «الصحيحة» (٢١٨٢).

(٤) عزاه في «الفتح» (٦/ ٤٩٣) لنعيم بن حماد في «الفتن»، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) رواه مسلم (٢٩٤٠)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ويدخل في دينه، دين الإسلام وشريعة محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. وبعضهم[(١)] يقول: الضمير في: ﴿بِهِۦ﴾ يرجع إلى الله. أي: يؤمن بالله، وبعضهم[(٢)] يقول: يؤمن بمحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. ومن المفسِّرين[(٣)] من يرجع الضمير في (يؤمننَّ) إلىٰ أهل الكتاب، أي: إن كل واحد من أهل الكتاب عند موته لابدَّ أن يؤمن بعيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والراجح هو التفسير الأول، أن الضميرين يرجعان إلى عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأنه ما من أحد من أهل الكتاب بعد نزوله حكمًا مقسطًا في الأرض إلا ليؤمننَّ به، ومن الأدلَّة علىٰ نزول عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [الزُّخرُف: ٦١].

فنزولُ عيسىٰ من علامات الساعة، ينزل في آخر الزمان بين يدي الساعة، ويكون علىٰ مقرُبة من قيامها، فيُهلك الله في عهده يأجوج ومأجوج، ثم يبسط الله له الحكم في الأرض عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وتمتلئ الدنيا عدلًا، ويكون علىٰ عهده الصلاح، كما وصفه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ**...» إلخ، وتكون السجدة الواحدة خير من

---

(١) حكاه البغوي في "معالم التنزيل" (٢/ ٣٠٨-طيبة) ولم ينسبه لقائل.

(٢) رواه ابن جرير (٧/ ٦٧٢) عن عكرمة.

(٣) قد صح هذا عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وابن سيرين، وبه يقول الضحاك والسدي. قاله ابن كثير في "تفسيره" (٢/ ٤٥٤). ورجحه النووي (٢/ ١٩٢).

الدنيا وما فيها، ثم يرسل الله لهم ريحا تأتيهم من اليمن فتقبض أرواحهم، ويبقىٰ شرار الناس، وعليهم تقوم الساعة].

س: ما معنىٰ ما ذكر في حديث جابر: «**فَيَنْزِلُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا. فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**»؟

ج: عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما طُلب منه أن يصلِّي بهم، اعتذر وقدَّمهم، أي: أبقىٰ الإمام في إمامته في الصلاة، وهذه المسألة أيضًا فيها بعضُ الغموض؛ لأنه كما ورد في رواية: «**وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**». وفي الرواية الثانية: «**أَمَّكُمْ مِنْكُمْ**». وفسَّرها ابن أبي ذئب: تَدْرِي مَا: «**أَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟**». قُلْتُ: تُخْبِرُنِي. قَالَ: «**فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، **وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ**». أي: أنه يحكم بها لأنه يكون واليًا، وفي رواية جابر أنه يعتذر عن الصلاة ويقول: «**إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**». فهذه تحتاج إلىٰ بحث، بعضهم يحكي الإجماع أن عيسىٰ يصلِّي خلف المهدي، والمسألة تحتاج إلى دراسة.

❁ ❁ ❁

(٧٢) بَابُ بَيَانِ الزَّمَنِ الَّذِي لَا يُقْبَلُ فِيهِ الإِيمَانُ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٤٨) [١٥٧] حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ** فَيَوْمَئِذٍ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

(٢٤٨) [١٥٨] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ نُمَيْرٍ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، ح: وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، كِلَاهُمَا عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ح: وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ ذَكْوَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ح: وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

(٢٤٩) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، ح: وَحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يُوسُفَ الْأَزْرَقُ، جَمِيعًا عَنْ فُضَيْلِ بْنِ غَزْوَانَ، ح: وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ -وَاللَّفْظُ لَهُ-، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ»**.

(٢٥٠) [١٥٩] حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ أَيُّوبَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، جَمِيعًا عَنِ ابْنِ عُلَيَّةَ، قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ التَّيْمِيِّ، - سَمِعَهُ فِيمَا أَعْلَمُ - عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا: **«أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟»**. قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **«إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ**

الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي، لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا، حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْتَفِعِي، أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ. فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا». فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَتَىٰ ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

(٢٥٠) [•••] وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَيَانٍ الْوَاسِطِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا خَالِدٌ - يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ اللهِ -، عَنْ يُونُسَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟»... بِمِثْلِ مَعْنَىٰ حَدِيثِ ابْنِ عُلَيَّةَ.

(٢٥٠) [•••] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ، فَلَمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ؟». قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ فَتَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ، فَيُؤْذَنُ لَهَا وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَطْلُعُ

مِنْ مَغْرِبِهَا». قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ: وَذَلِكَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا.

(٢٥١) [٠٠٠] قال: وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْأَشَجُّ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨]. قَالَ: «**مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ**».

التعليق:

[أورد الإمام مسلم في هذا الباب حديث أبي هريرة من طرق، وحديث أبي ذر كذلك في طلوع الشمس من مغربها، وحديث أبي ذر في سجود الشمس تحت العرش، وطلوع الشمس من مغربها، ورد في هذه الأحاديث، وهذا من آيات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومن الأمور التي تحدث عنها رسول الله ﷺ، من أشراط الساعة الكبرىٰ والصغرىٰ، منها ما قد وقع كما أخبر ﷺ، ومنها ما سيقع، ونحن نؤمن بذلك، كما نؤمن بالبعث والجزاء والجنة والنار، نؤمن بهذه الأخبار من الصادق المصدوق ﷺ، وعلىٰ هذا أهلُ السنة، ويخالفهم العقلانيون في هذا الأصل، ويردُّون أحاديث طلوع الشمس من مغربها، وسجودها تحت العرش، ويزعمون بأن هذه أخبار آحاد، قاتلهم الله! وبعضُهم ردَّ السنَّة مطلقًا.

وذكر مع حديث أبي هريرة أنه إذا طلعت الشمس من مغربها: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]. فالنفس الكافرة إن تابت لا تُقبل منها هذه التوبةُ، والفاسقُ ينفعه إيمانُه فقط، وأمَّا توبتُه فلا تقبل بعد طلوع الشمس من مغربها، ذكر مسلم في حديث أبي هريرة من طريق أبي حازم ثلاث آيات: «**ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ**». أمَّا طلوع الشمس ودابَّة الأرض فبالنسبة لي لا إشكال فيهما، في أن الله لا يقبل توبة من يتوب من الكافرين والفاسقين؛ لأن الدابَّة وطلوع الشمس في يوم واحد، فالدابَّة تأتي صبيحة طلوع الشمس من مغربها[1]، فلا إشكال، ولكن الدجَّال كما ورد في الأحاديث أنه حينما يخرج ينزل عيسىٰ فيقتله، وبعد ذلك ينتشر الإسلام في الأرض والعدل، والظاهر من هذه الأحاديث أن التوبة تُقبل بعد خروج الدجَّال، فهذا الإشكال يحتاج إلى بحث[2]، وأنا ليس عندي الآن

(١) انظر: «صحيح مسلم» (٢٩٤١).

(٢) انظر: «فتح الباري» (١١/ ٣٥٣-٣٥٥).

شيء يحلُّ به هذا الإشكال؛ لأنه يعارضه أحاديثُ كثيرةٌ متواترة في عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأنه يحكم الأرض حكمًا عدلًا مقسطًا، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، والأحاديث في هذا كثيرة، ومعناه أنه ينتشر الإسلام، وعلىٰ هذا ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] فأهل الكتاب يؤمنون بعيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قبل موته بعد نزوله في هذه الأرض، وحكمه وعبادته بشريعة محمد ﷺ، فهذا يحتاج إلىٰ نظر وبحث، وما جاء في حديث أبي ذر من أن الشمس تذهب حتىٰ تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد، فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: «اِرْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ». فتطلع من مغربها، فذلك قولُه تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٨].

فيورد إشكالًا بعضُ السفهاء علىٰ سجودها تحت العرش، يقولون: نحن نراها هنا تحت السماء الدنيا، فكيف تسجد تحت العرش؟

فيجاب على هذا الإشكال: أن السموات والأرض كلها تحت العرش، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. والكرسيُّ حجمه دون حجم العرش، فالسموات والشمس والكواكب كلها تحت العرش، فلا إشكال، فنحن نسجد تحت العرش، وكل من في السموات

والأرض تحت العرش، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فكل ذلك ليس بغريب ولا يستغرب إلا عند السفهاء. وما المراد بقوله: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨] ؟ أي: أنها تأتي في كل يوم، كما هو ظاهرٌ في الأحاديث، أنها تأتي كل يوم وتسجد تحت العرش، ثم يأذن الله لها، فتعود وتطلع من مشرقها، وبعضهم يرىٰ مثل قتادة، قال: معناها أنها تجري إلى وقت لها وأجل لا تتعداه، ويكون مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا[1]، فهي تجري وتستمر في أداء العمل الذي سخَّرها الله فيه، تجري إلى انتهاء سيرها عند قيام الساعة، حينها تتغير معالم الكون، كما قال تعالىٰ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ [التكوير:١-٣] ، فتنتهي كما ينتهي غيرها، والظاهر هو القول الأول، أنها كلَّ يوم تستأذن، فيأذن الله لها، فتخرُّ ساجدة تحت العرش، وتستأذن ربَّها، فيأذن لها فتعود إلى مشرقها، سنَّة الله التي أجراها وسخرها لها.

بالنسبة للأسانيد التي ساقها مسلم، فمسلمٌ ساق حديث أبي هريرة أولًا من طريقِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، صدَّر الباب بهذا الإسناد الذي

(١) "شرح مسلم" (٢/ ١٩٦).

فيه العلاء بن عبد الرحمن وهو صدوق وقد يهم قليلًا[(١)]، مما يدلُّ علىٰ أن مسلمًا لم يلتزم بما يقوله ابنُ الصلاح وغيرُه، وثنَّاه بأسانيد مدارُها علىٰ أبي زرعة عن أبي هريرة، وكلّ هذه الأسانيد من الدرجة الأولىٰ، وكذلك من طريق عَبْدِ اللهِ بْنِ ذَكْوَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ من الدرجة الأولىٰ، يعني الثالث من طريق الأعرج، **الأول**: من طريق العلاء بن عبد الرحمن، **والثاني**: من طريق أبي زرعة، **والثالث**: من طريق الأعرج، **والرابع**: من طريق همام بن منبِّه، وكلهم قال بمثل حديث العلاء، يعني حرفًا بحرف إن شاء الله.

وابنُ الصلاح يقول: إن مسلمًا يفتتح الباب بإسناد نظيف، ثم يُتبع ذلك بأسانيد فيها رجالٌ متكلَّم فيهم. فكثيرٌ من الناس قلَّد ابنَ الصلاح، وساروا علىٰ هذا، وليس عندهم فتن، وجاء المليباريُّ وركزَّ علىٰ هذا الكلام وهوَّش، وجاء بشُبه من هنا ومن هنا، ولم يفهم كلام ابن الصلاح، وضربنا الأمثلة علىٰ أن مسلمًا لم يلتزم بهذا الترتيب، وقد يصدِّر الباب بإسناد من الدرجة الأولىٰ، بل الباب كلَّه بأسانيد من الدرجة الأولىٰ، والأسانيد النظيفة كلها من الدرجة الأولىٰ، وقد يكون الباب كله من الدرجة الثانية، وقد يفتتح الباب بإسناد من الدرجة الأولىٰ، ويُتبعه بما يكون من الدرجة الأولىٰ والدرجة الثانية وهكذا،

---

(١) "التقريب" (ص٤٣٥).

وقد يفتتح الباب بأحاديث فيها رجال ممن تُكلِّم فيهم من الدرجة الثانية، ويُتبعها بأحاديث رجالُها من الدرجة الأولىٰ].

* * *

(٧٣) بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٥٢) [١٦٠] حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ: التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ أُولَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّىٰ فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: «اقْرَأْ». قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي. فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ

ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١ - ٥]»، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَىٰ خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**». فَزَمَّلُوهُ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: «**أَيْ خَدِيجَةُ، مَا لِي**» وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَ: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي**»، قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَاللهِ، لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، وَاللهِ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّىٰ أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّىٰ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيْ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا بْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَىٰ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَآهُ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَٰذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟**» قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا.

(٢٥٣) [•••] وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ:

أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، قَالَ: قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: فَوَاللهِ، لَا يُحْزِنُكَ اللهُ أَبَدًا. وَقَالَ: قَالَتْ خَدِيجَةُ: أَيِ ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ.

(٢٥٤) [٠٠٠] وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: سَمِعْتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ، يَقُولُ: قَالَتْ عَائِشَةُ، زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: فَرَجَعَ إِلَى خَدِيجَةَ، يَرْجُفُ فُؤَادُهُ. وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ، وَمَعْمَرٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَوَّلَ حَدِيثِهِمَا مِنْ قَوْلِهِ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ. وَتَابَعَ يُونُسَ عَلَىٰ قَوْلِهِ: فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا. وَذَكَرَ قَوْلَ خَدِيجَةَ: أَيِ ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ.

(٢٥٥) [١٦١] وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيَّ -وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ- كَانَ يُحَدِّثُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ -قَالَ فِي حَدِيثِهِ-: **«فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسًا عَلَىٰ كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»**، قَالَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقًا، فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [المدثر: ١-٥]» - وَهِيَ الْأَوْثَانُ - قَالَ: «ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ».

(٢٥٦) [٠٠٠] وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، يَقُولُ: أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ عَنِّي فَتْرَةً، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي»، ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَ حَدِيثِ يُونُسَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «فَجُثِثْتُ مِنْهُ فَرَقًا حَتَّىٰ هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ»، قَالَ: وَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَالرُّجْزُ: الْأَوْثَانُ، «قَالَ: ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ بَعْدُ وَتَتَابَعَ».

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ يُونُسَ، وَقَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾﴾ [المدثر: ١]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [المدثر: ٥]، قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَاةُ - وَهِيَ الْأَوْثَانُ - وَقَالَ: «فَجُئِثْتُ مِنْهُ» كَمَا قَالَ عُقَيْلٌ.

(٢٥٧) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَىٰ، يَقُولُ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ: أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ؟ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾. فَقُلْتُ: أَوِ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾؟ فَقَالَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ: أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ؟ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾. فَقُلْتُ: أَوِ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾؟

قَالَ جَابِرٌ: أُحَدِّثُكُمْ مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي، فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا هُوَ عَلَىٰ الْعَرْشِ فِي الْهَوَاءِ** - يَعْنِي: جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - **فَأَخَذَتْنِي رَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي. فَدَثَّرُونِي، فَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً، فَأَنْزَلَ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤﴾ [المدثر: ١-٤]».

(٢٥٨) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَقَالَ: «**فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَىٰ عَرْشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**».

التعليق:

[هذا حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا وحديث جابر، يتحدَّثان فيه عن بدء نزول الوحي على النبيِّ الكريم ﷺ، فذكرت عائشة في هذا الحديث أن النبيَّ ﷺ حُبِّب إليه الخلاء، وأنه كان يذهب إلى غار حراء فيتحنَّث فيه، يعني: يتعبَّد، كما فسَّر ذلك الزهريُّ، فهذا التفسير من كلام الزهري رَحِمَهُٱللَّهُ، وليس من كلام عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا.

وأصلُ التحنُّث مأخوذ من الحنث وهو الإثم، فالمتعبِّد يتجنَّب الإثم، أو يخرج منه بتعبُّده. ذكرت عائشة أنه كان يذهب إلى غار حراء، ويتعبَّد الليالي ذوات العدد، ثم يعود إلى خديجة، فيتزوَّد لمثلها عَلَيهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ؛ ليتقرَّب إلى الله. والظاهر أن هذا تكرَّر منه حتى فجئه الوحي، وقبل هذا ذكرت عائشة: (**أَنَّ أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِهِ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ**) يعني: كالضوء الواضح، يعني: في غاية الصدق، ثم بعد ذلك في المرحلة الثانية: كان يتعبَّد عَلَيهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، فجاءه جبريل عَلَيهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، ففجئه بالوحي **فَغَطَّهُ**؛ يعني: ضمَّه ضمًّا شديدًا، أي: ضغطه لكي يتنبَّه لما سيوحى إليه، وقال: «**اِقْرَأْ**»، قَالَ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**» ثم غطَّه مرَّة ثانية، ثم ثالثة، وفي كل ذلك يقول: «**اِقْرَأْ**»، فيقول: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**» يعني: أنا أُمِّيٌّ لا أقرأ، و(ما) هنا نافية، والقرينةُ أنها نافية، مجيءُ الباء في

خبرها، وبعضُهم يقول: إنها استفهامية. والصواب أنها نافية[١]، يعني: أنه ليس من القرَّاء عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ثم بعد الثالثة قرأ عليه صدر سورة **"اقرأ"**، «**فَرَجَعَ بِهَا إِلَى خَدِيجَةَ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ**» وهي اللحمة بين المنكب والعُنق، «فقال: «**زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي**»» عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (**فَزَمَّلُوهُ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ**)، ثم قص القصة علىٰ خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، وأنه جاءه المَلَك وحصل له كذا وكذا، يعني: أمسك به ثلاث مرَّات، ويضمُّه بشدة، ثم قال له: «**اِقْرَأْ**»، وقرأ عليه سورة (اقرأ)، ثم قال لخديجة: «**إِنِّي خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي**»، يبدو -والله أعلم- أنه خشي علىٰ نفسه أنه لا يستطيع أن يقوم بأعباء الوحي، وبعضُهم يقول: خشي أن يكون هذا من الشيطان[٢]، ولكن هذا -والله أعلم- بعيدٌ عنه، ويستبعد عن الرسول أن يظن أن هذا شيطان؛ فثبَّتته خديجةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا ، قَالَتْ لَهُ: "**كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَاللهِ، لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، وَاللهِ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ**". سبحان الله! وكأن هذه الأعمال العظيمة كانت موجودة في الجاهلية قبل البعثة، والله أعلم أنها كانت من بقايا دين إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فإنه بقيت بقايا في العرب من دين إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومنها هذه الأخلاق: الكرم، وصلة الرحم، وإكرام

---

(١) "شرح مسلم" (٢/ ١٩٩).

(٢) "شرح مسلم" (٢/ ٢٠٠).

الضيف، وما شاكل ذلك، وبقيت لهم أمورٌ من العبادة: في الحج، والطواف، والاعتكاف، والنذر، وبعضُ العبادات بقيت فيهم يتقرَّبون بها إلى الله، ومن هنا سُمُّوا مشركين؛ لأنهم يعبدون الله، ويجعلون معه شركاء في هذه العبادة، وهذا يدلُّ علىٰ جزالة عقل خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، فآنست رسولَ الله، وسكَّنته، وكشفت له أن مثلك الذي يتَّصف بمثل هذه الأخلاق العالية، لا يخزيه الله عَزَّوَجَلَّ أبدًا، فمن سنَّة الله عَزَّوَجَلَّ فيمن يفعل هذه الأفعال الجميلة أن الله لا يخزيه، ثم ذهبت رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا به إلى **"وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّىٰ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ"**، وفي رواية في البخاري[1]: "بالعبرانية".

الشاهد: أنها طلبت من الرسول ﷺ أن يذكر لورقة ما حصل له عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، فذكر له ما حصل له في غار حراء، وما فعل معه جبريل عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، فقال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (**هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ مُوسَىٰ** عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ)، المراد بالناموس: جبريل عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، يقال لصاحب السرِّ الطيِّب: ناموس. ويقال لصاحب السرِّ السوء: جاسوس. والنَّاموس هنا هو جبريلُ الذي يأتي بالوحي بأمر الغيب إلى الأنبياء، فإن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ

(١) حديث (٣).

وصفه بأنه أمينٌ، فهو أمينُ الله علىٰ وحيه إلى رسله عليهم الصلاة والسلام، ومن هنا سُمِّي النَّاموس صاحب سرِّ الخير، سر الوحي. وقال له ورقة: (يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا) النصب علىٰ الحال، أو أنه خبر كان المحذوفة بتقدير: يا ليتني أكون فيها جذعًا، ورجح النووي أنها حال[(١)].

ولمَّا قال ورقة: (يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ). قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟» قَالَ وَرَقَةُ: (نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ). فهذه سنَّةُ الله في الأنبياء أنهم يؤذون ويقتلون ويخرجون من ديارهم، كما قال قومُ شعيب له: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف: ٨٨]. ثم قال: (وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا). أي: قويًّا، فعَرف أنه نبيٌّ وآمن به، وتمنَّىٰ أن يمدَّ الله عمره إلى أن يدرك هذا العهد الزاهر، عهد النبوَّة والبعثة، والصراع بين الحق والباطل والكفر والإيمان، وأنه سيقف إلى جانب النبيِّ ﷺ الموقف القويَّ، وينصره النصر المؤزَّر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والظاهر أنه هو وخديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أوَّل من آمن بالنبيِّ ﷺ، ثم أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيما يبدو كانت بينه ﷺ وبين أبي بكر صداقة، وأوَّلُ ما أرسل إليه وأخبره بما أوحىٰ الله إليه من النبوَّة صدَّقه ولم يتردَّد، فهذه مسألة

(١) انظر: "شرح مسلم" (٢/ ٢٠٣-٢٠٤).

يختلفون فيها: مَن أول من آمن به[١]؟ الروافض يدَّعون أنه عليٌّ[٢]. وأهلُ السنَّة يقولون[٣]: أوَّلُ مَن آمن به من الرجال أبو بكر، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد بن حارثة؛ لأن هذا ربيبه. وهؤلاء أصدقاؤه، وخديجة زوجته، وأول الدعوة كانت إليهم فبدأ يدعوهم. هذا الحديث الأول.

هنا فائدة: نبَّه عليها النوويُّ[٤] في قَوْله فِي الرِّوَايَة الْأُخْرَىٰ: أَخْبَرَنَا مَعْمَر قَالَ: " قَالَ الزُّهْرِيّ: وَأَخْبَرَنِي عُرْوَة "، يقول: عبَّر معمر بهذا؛ لأن الزهري حدَّثه بأحاديث متعدِّدة، يقول في أولها: حدَّثنا عروة، ثم يقول بعد ذلك: "وحدثني"، فيحكي معمر قول الزهري: "وحدثني"؛ لأن هذا فيه دقة في النقل، وتحرِّيًا في التعبير عمَّا سمعه من شيخه، وهذا من دقة الرواية عن الشيخ كما يسمع منه التلميذ، فيأتي بهذه الواو، فيقول: " قال الزهري: وأخبرني "؛ لأنه عنده أحاديث سبقت هذا الحديث الذي يرويه الآن في هذا السياق، وقال فيه: "وأخبرني" معطوفًا علىٰ ما قبله من الأحاديث التي رواها الزهري عن عروة.

قَالَتْ عائشة في الرواية الثانية: "أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ

---

(١) انظر: "منهاج السنة النبوية" لابن تيمية (٧/ ١٥٥)، و"السيرة النبوية" لابن كثير (٤٣٠-٤٣٢).

(٢) انظر: "منهاج السنة" (٧/ ٤٤٦-٤٤٨ و١٥٤).

(٣) "مجموع فتاوىٰ ابن تيمية" (٤/ ٤٦٢)، و"منهاج السنة" (٨/ ٣٨٩).

(٤) "شرح مسلم" (٢/ ٢٠٤).

الْوَحْيِ...، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: فَوَاللهِ، لَا يُحْزِنُكَ اللهُ أَبَدًا. وَقَالَ: قَالَتْ خَدِيجَةُ: أَيِ ابْنَ عَمٍّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ ".

فهنا تنبيهٌ علىٰ الاختلافات بين الروايتين، فمرَّة قالت: "أَيْ عَمِّ". ومرَّة قالت: "أَيْ ابْنَ عَمِّ". فهو عمُّها؛ لأنه أكبر منها سنًّا، ومن عادة العرب ومن آدابهم أن الصغير يقول للكبير: عمٍّ. وهذه العادة أظنُّها باقية إلى الآن عند الكثير من الناس. فبيَّن مسلمٌ مواطن الاتفاق ومواطن الاختلاف بين معمر وبين يونس، ثم جاء بطريق ثالث، من طريق عُقيل وهو أوثق من هؤلاء، وكلُّهم ثقاتٌ وأئمة، إلا أن علىٰ يونس بعض المآخذ في الرواية عن الزهري[1]، وعُقيل أثبت في الرواية عن الزهري منه، ومن غيره.

- "**قَالَ ابْنُ شِهَابٍ**: سَمِعْتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ، يَقُولُ: قَالَتْ عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: فَرَجَعَ إِلَى خَدِيجَةَ، يَرْجُفُ فُؤَادُهُ... وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ، وَمَعْمَرٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَوَّلَ حَدِيثِهِمَا مِنْ قَوْلِهِ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ، وَتَابَعَ يُونُسَ عَلَىٰ قَوْلِهِ: فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا. وَذَكَرَ قَوْلَ خَدِيجَةَ: أَيْ ابْنِ عَمٍّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ".

إذن يونس وعُقيل اتَّفقا في قوله: "فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا". بينما معمرٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: "لَا يُحْزِنُكَ اللَّهُ". فمسلمٌ يراعي هذه الأشياء، ويدقق في

(١) "التقريب" (ص٦١٤).

النقل، وحافظ علىٰ الألفاظ وصيغ الروايات، واختلاف ألفاظ الحديث؛ وهذه هي العلل التي وعد ببيانها، يعني: خلافاتٌ لا تضرُّ ولا تقدح؛ لأنها لا يترتَّب عليها اختلافٌ في المعاني، فهو ينبِّه عليها رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه الطريقة، وينبغي أن يعرفها طُلاب العلم؛ لأن بعض الناس شوَّشوا علىٰ مسلم، بأن مراده ببيان العلل العللُ القادحة، وليس هذا مرادَه، وقد قلنا غير مرَّة أن مسلمًا التزم الصحة في مقدِّمته وفي كتابه، بل يرىٰ أنه لا يروي في كتابه هذا إلا ما أجمعوا عليه، ويقال[1]: يراد بالإجماع هذا أربعة مُعيَّنين مثل: يحيىٰ بن يحيىٰ، وقيل: ابن معين، وأحمد بن حنبل، وعثمان بن أبي شيبة، وسعيد بن منصور.

وذكر عُقيلٌ قول خديجة: "أَيْ ابْنَ عَمِّ". فوافق معمرًا؛ لأن يونس قال في أول كلامه: "أَيْ عَمِّ". وقال في أثناء حديثه: "وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا". وعقيل ومعمر قالا في أول كلام خديجة لورقة: "أَيْ ابْنَ عَمِّ، اِسْمَعْ مِنِ ابنِ أَخِيكَ". فهو ينبِّه علىٰ اختلاف الألفاظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ويأتي حديثُ جابر، وهنا توجد مشكلة؛ وهي أن بعض الناس قد يفهم أن أوَّل ما أنزل علىٰ النبيِّ ﷺ سورة المدَّثِّر، لكن كما ترون في حديث عائشة

---

(١) انظر: "النكت علىٰ مقدمة ابن الصلاح" للزركشي (١/ ١٧٧-١٧٨)، و"تدريب الراوي" (١/ ١٠٥)، و"توجيه النظر" للجزائري (٢/ ٥٥٠-أبو غدة).

رَضِيَ اللهُ عَنْهَا الذي ورد من طرق يونس وعقيل ومعمر، جاء فيه أنه قرأ عليه في هذه المناسبة، وفي أول لقاء في غار حراء أنزل عليه سورة: «اقرأ»، غطَّه ثلاث مرات، ثم في الثالثة قال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ١- ٥]، فهذا واضحٌ جدًّا أن أول ما أنزل عليه من القرآن هو سورة العلق، وحديث جابر يؤخذ منه أن سورة (اقرأ) نزلت قبل المدثر، ونورد حديث جابر لنرىٰ فيه ما يؤيِّد القول علىٰ أن أول ما نزل هو سورة «اقرأ» لا سورة المدثر، ففي حديث جابر قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ". معناه حدَّثه رسولُ الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأنه مرَّت عليه فترةٌ انقطع فيها الوحي عن النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ فِي حَدِيثِهِ: «**فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسًا عَلَىٰ كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**». إذن لقيه المَلَك بحراء، ولقَّنه سورة (اقرأ)، وهذا المجيء المذكور هنا بعد فترة، وهذه من القرائن أو من الأدلَّة من حديث جابر نفسه أنه أوَّل ما نزل هو سورة (اقرأ)، ثم إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ عَنِّي فَتْرَةً، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي...** ». فالوحيُ أوَّلُ ما جاءه فجأه في غار حراء بسورة (اقرأ)، ثم فتر، وبعد ذلك تتابع الوحي. وحديث جابر يؤخذ منه ما يؤيِّد القول بأن أوَّل ما نزل عليه هو سورة (اقرأ) لا سورة (المدثر)، فانقطع

الوحي فترة، والرسول ﷺ - كما في بعض الأحاديث - كان قلقًا، ويذهب إلى الجبال فيأتيه جبريل، يقول له: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ(١)].

❁❁❁

(١) رواه عبد الرزاق في "التفسير" (٣٣٧٦)، ومن طريقه: الطبري في "تفسيره" (٢٣/ ٤٠٣)، وفي "تاريخه" (٢/ ٣٠٥-التراث) عن الزهري مرسلًا.

ورواه أحمد (٢٥٩٥٩)، والبخاري (٦٩٨٢)، من طريق عبد الرزاق أيضًا، مدرجًا في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفيه التصريح بالبلاغ، قال: "وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً، حَتَّىٰ حَزِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِيمَا بَلَغَنَا، حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّىٰ مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ" الحديث. وانظر: "فتح الباري" (١٢/ ٣٥٩) و"دفاع عن الحديث النبوي" للألباني (ص٤٠-٤١) و"الضعيفة" (١٠٥٢).

(٧٤) بَابُ الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى السَّمَوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٢٥٩) [١٦٢] حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ طَرْفِهِ»**، قَالَ: **«فَرَكِبْتُهُ حَتَّىٰ أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ»**، قَالَ: **«فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ(١) الْأَنْبِيَاءُ»**، قَالَ: **«ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ** ﷺ: **اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ.**

---

(١) كذا في الأصول؛ كما في "شرح مسلم" (٢/ ٢١١).

قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّاءَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: ٥٧]، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ ﷺ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ،

وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ[١] الْمُنْتَهَىٰ، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَىٰ، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَىٰ ﷺ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَىٰ أُمَّتِي. فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَىٰ، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَبَيْنَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّىٰ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً. قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَىٰ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّىٰ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

---

(١) هكذا وقع في الأصول، كما في "شرح مسلم" للنووي (٢/ ٢١٤).

التعليق:

[هذا فيه بيان الإسراء بالنبيِّ ﷺ، والعروج به إلى السماء، وللباحثين في العقائد من المتكلِّمين وأهل السنة وغيرهم أقوالٌ في الإسراء: هل كان منامًا وأُسري بروحه، أم كان حقيقة وفي اليقظة وأسري بروحه وجسده(١)، فالصحيح الذي يدلُّ عليه القرآن والسنَّة أنه أسري بروحه وبجسده، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:١]، وكلمة (عبده) تتناول الروح والجسد، ولو كان الإسراء بروحه ما كذَّبته قريشٌ، قالوا: كيف يسرىٰ به في ليلة واحدة من مكَّة إلى بيت المقدس، ثم يعود، ونحن نضرب آباط الإبل شهرًا ذهابًا وإيابًا؟! لو كان بروحه لما استبعدوه؛ لأن رؤيا الإنسان قد يرىٰ نفسه صعدت إلى السموات، وذهبت إلى أماكن بعيدة، ولا أحد ينكر هذا، فهذا من الأدلَّة علىٰ أن المراد بالإسراء إنما كان به كاملًا بجسده وروحه ﷺ، وقوله تعالىٰ: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ يدلُّ علىٰ هذا، لم يقل: بروح عبده، وإنما قال: بعبده، وهذا يطلق عليه بالكامل بالروح والجسد، فهذا ما يقال في الإسراء، هل كان منامًا أو كان يقظة؟ والصحيح الذي عليه أهل السنة هو هذا، أنه أسري

(١) انظر: "شرح مسلم" للنووي (٢/ ٢٠٩)، "المسائل والأجوبة" لابن تيمية (١٢١ و١٢٤-الفاروق الحديثة)، و"زاد المعاد" لابن القيم (١/ ٩٧)، و"شرح الطحاوية" لابن أبي العز (١/ ٢٧٠)، و"فتح الباري" (٧/ ١٩٧).

بروحه وبجسده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. والإسناد هذا كلُّه بصريون، كما يقال.

قال ﷺ: «**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ**»، وهي دابةٌ وصفها الرسول: «**دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ طَرْفِهِ**»، يعني: إلى آخر ما يرىٰ، يعني: يضع حافره عند منتهىٰ طرفه، يرىٰ إلى أبعد مكان؛ ولهذا ذهب به إلى بيت المقدس، وصلَّىٰ في بيت المقدس في لحظات، وعرج به إلى السموات، قَالَ: «**فَرَكِبْتُهُ حَتَّىٰ أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ**»، قَالَ: «**فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ**»، فهذا الضمير في «به» يعود إلى الحلقة، وكان الشيء الذي يربط به الأنبياء، ذكَّره باعتبار معناه، ويُفهم منه أن الأنبياء يأتون إلى بيت المقدس، ويربطون البُراق في هذه الحلقة؛ إكرامًا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قَالَ: «**ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ**»، وفي بعض الروايات أنه صلَّىٰ بالأنبياء في بيت المقدس[1] عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، «**ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ** ﷺ: **اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ**». يعني: آثر اللبن؛ لما فيه من السلاسة واللذة والنعومة والآثار الطيبة، وليس فيه مَضار، أمَّا الخمر ففيها مضارٌّ، وفيها فسادٌ، وفيها الذوق السيئ، ولكن أذواق أهله -نعوذ بالله- أسوء منه، فهذا اختبار وابتلاء من الله، فوَّفق الله نبيَّه أن يختار الفطرة، فهُدي، ورَشدت

---

(١) رواه مسلم (١٧٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أمَّته إلى الفطرة، قال: «**ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ**»، عاد المعراج إلى السماء بالبراق، أو المعراج بغير البراق، فيه أقوال[١]، - والله أعلم - أنه البراق، «**فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟**»، هذا الاستفتاح استئذان، ففيه الأدب في الدخول علىٰ الناس في بيوتهم، فلابدَّ أن تستأذن، وفي الحديث: «**إِنَّمَا جُعِلَ الْإِذْنُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ**»[٢]، وقد دسَّ رجلٌ وجهه في كُوَّة صغيرة وهو ينظر في شق في بيت النبيِّ ﷺ، فأخذ ﷺ الإبرة ليفقأ عينه[٣]، ولو فقأ صاحبُ البيت عين من ينظر بهذه الطريقة فلا حرج عليه، لكن الآن الناس لا يلتزمون بهذه الأشياء؛ حفاظًا علىٰ الأعراض، وبعضُ الناس يتساهلون في الدخول، فيدخل بغير استئذان، وإنما جُعل الإذن من أجل البصر؛ لئلَّا تقع عينه علىٰ عورات الناس.

الشاهد: أنه عليه الصلاة والسلام استأذن، فعلينا أن نأخذ بهذا الأدب، ولما سئل جبريل: «**مَنْ أَنْتَ**»؟ **قَالَ**: «**جِبْرِيلُ**»، فينبغي للمستأذن إذا سُئل: من أنت؟ أن يقول: فلان. ويذكر اسمَه، ولا يقول: أنا. وقد جاء جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقرع بابَ النبيِّ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وهو يستأذن بصوته، فقال له: «**مَنْ؟**» قَالَ: أَنَا. فأنكر عليه النبيُّ ﷺ فقال: «**أَنَا أَنَا**»[٤]. هذا الأدب أن يذكر

---

(١) انظر: «الفتح» (٧/ ٢٠٨).

(٢) رواه البخاري (٦٢٤١)، ومسلم (٢١٥٦)، عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٣) رواه البخاري (٦٢٤٢)، ومسلم (٢١٥٧)، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٤) رواه البخاري (٦٢٥٠)، ومسلم (٢١٥٥).

الإنسان اسمه إذا سُئل، وهذا جبريلُ لمَّا سئل: من أنت؟ قال: جبريل. فذكر اسمه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ونحن نأخذ بهذا الأدب، وقد أدب النبيّ بمثل هذا.

قوله: «**فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ**». اختلف في المراد من هذا السؤال: وقد بعث إليه؟ يعني: هل أرسل إليه ونبِّئ وبعث إلى الناس بشيرًا ونذيرًا؟ أم المراد بُعث إليه، للإسراء به، والعروج به إلى السماء؟ فيه قولان، ورجَّح النوويُّ أن المراد: بُعث إليه ليُسرىٰ به، والله أعلم[1]، فالمسألة تحتاج نظرًا؛ لأن المَلك لا يعلم الغيب، حتىٰ نقول: كلهم علموا بهذا، فالله أعلم؛ لأنه لم يرسَل إلى الملائكة، وإنما أُرسل إلى إلىٰ الجن والإنس، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فتحتاج المسألة إلى نظر[2] أيضًا. «**فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ**» وسيأتي في الرواية القادمة أنه قال: «**مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ**»، وسيأتي أيضًا أشياء تتعلَّق بآدم في أحاديث قادمة، «**ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ**» أي: أنه طلب أن يُفتح له، يريد بذلك الاستئذان، «**فَقِيلَ -القائل خَازِن السماء-: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ.**

(١) انظر: "شرح مسلم" (١/ ٢١٢).

(٢) انظر: "فتح الباري" لابن رجب (٢/ ٣١٣-٣١٤).

قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَي الْخَالَةِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّاءَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ». وهما ابنا خالة كأن مريم أخت أم يحيىٰ زوجة زكريا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. «ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ»، يعني: الجمال البالغ، ولهذا فُتنت به زوجةُ العزيز، ولمَّا رآه النساء تعجَّبن: ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف: ٣١]، ونحن قرأنا في الأساطير من كُتب قصص الأنبياء يقولون في هذا الشطر: للبشر جميعًا شطر، وليوسف شطر. أي: لبني آدم جميعًا شطرُ الحسن، وشطرٌ ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالله أعلم.

قال: «فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ».

الشاهد: أنهم كلّهم يرحبُّون به -غير آدم- يقولون: مرحبًا بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح. وهذه من الآداب التي ينبغي أن يستعملها الناس في احترام الناس، وفي احترام الأفاضل، وفي الترحيب بهم، ومرحبًا يعني: نزلت مكانًا رحبًا، وسهلًا: نزلت مكانًا سهلًا. ففيه البشر والبشاشة واحترام القادم، وأن تلقىٰ أخاك بوجه طلق. قال: «ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ

جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ». هناك رواية ستأتي أنه قال: «مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ».

ومن هنا يقول بعضُ الناس: إن إدريس جَدُّ نوح[1] عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وتذكر كتب قصص الأنبياء هذا، وبعضهم يرىٰ أنه من ذرية إبراهيم، وبعضهم يرىٰ أنه إلياس[2] عليهم الصلاة والسلام، والله أعلم. قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: ٥٧]، لمَّا ذكر الله تعالىٰ فضل إبراهيم، قال: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٤١﴾ [مريم: ٤١]، وقال عن إسماعيل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤﴾ [مريم: ٥٤]، وقال عن إدريس: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: ٥٦، ٥٧]، فيشير إلىٰ الآية التي ذكر الله عَزَّوَجَلَّ فيها هذه المنزلة العظيمة لإدريس، وأن المراد به رفعُه إلىٰ السماء الرابعة، فالله أعلم، قال: «ثُمَّ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٣٨٣)، و«شرح مسلم» (٢/ ٢٢٠) و(٣/ ٥٥)، و«قصص الأنبياء» لابن كثير (ص٧١-دار التأليف)، و«فتح الباري» (٦/ ٣٧٣ و٣٧٥).

(٢) يروىٰ عن ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة والضحاك. انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٣٨٣) و(١٩/ ٦١٢ و٦٢١) (١٩/ ٦١٢)، و«تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٦)، و«الفتح» (٦/ ٣٧٣).

عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ ﷺ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ»، يعني: مواقفهم كلُّها متشابهة في الترحيب والدعاء. «ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ».

أقول: أخذ العلماء من إسناد إبراهيم ظهره إلى البيت المعمور، أن للمسلم عند الكعبة أن يُسند ظهره إليها، ولا يلزمه استقبالُها في غير الصلاة، يعني: أخذ بعض العلماء هذا(١)، وإنما يلزمه استقبالُها في حال الصلاة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وأمَّا في غير صلاة فليس بلازم، ويقال: إن سعيد بن المسيب لمَّا احتضر وُجِّه إلىٰ القبلة، فقال: "مَنْ صَنَعَ هَذَا بِي؟ أَلَسْتُ امْرَأً مُسْلِمًا وَجْهِي إِلَىٰ اللَّهِ حَيْثُمَا

(١) «شرح مسلم» (٢/ ٢١٣).

كُنْتُ؟!"[١].

قال: «وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ» يعني: كما يأتي المسلمون إلى بيت الله العتيق من كل مكان، ويتعبَّدون حوله، ويطوفون حوله، كذلك البيت المعمور هو قبلةُ الملائكة، والذي يطوفون به كما يطوف المسلمون بهذا البيت العتيق، ويقال[٢]: إنه محاذٍ في السماء السابعة، مُحاذٍ للكعبة، فالله أعلم، وهذا يحتاج إلى دليل.

وفيه دليلٌ علىٰ كثرة الملائكة؛ كلَّ يوم سبعون ألفًا يذهبون، ثم لا يعودون، إلى آخر ما يقومون به، والله أعلم فإنه يشبه الحج مرة في العمر، فلا يأتيه الملائكة إلا مرَّة، ولا يعودون إليه،. «ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ» يريد سدرة المنتهىٰ، وهكذا وردت في بعض الروايات: «سِدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ»، وشرع يصف بعض صفاتها: «وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ» فالورق ورق هذه السدرة كآذان الفِيَلة، وثمرُها كالقلال، أي: الجرار الكبار، الجرَّة تسع قِرْبَتين، فالثمار مثل القلال، -الله أكبر- هذه ثمار الجنة، قَالَ: «فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ» أي: أنه في أول مرَّة استطاع أن ينظر إليها، ويصف ورقها، ويصف ثمارها، ولكن لما غشيها من أمر الله ما غشيها

(١) انظر: «الطبقات» لابن سعد (٥/ ١٤٢-١٤٣)، و«المتفق والمفترق» للخطيب (٣/ ١٩٣١)، و«السير» للذهبي (٤/ ٢٤٤-٢٤٥).

(٢) انظر: «فتح الباري» (٦/ ٣٠٨-٣٠٩).

تغيَّرت، فما أحدٌ من خلق الله يستطيع أن ينعتها، جمَّلها الله ليراها النبيُّ الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والله أعلم، لعلَّها يوم القيامة لمَّا يأتي المؤمنون تكون بهذه الحالة من الجمال؛ ليتمتَّع الناظرون إليها بهذا الجمال.

«**فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَىٰ**» أي: عند سدرة المنتهىٰ، «**فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ**»، وهذا الوحي كلامٌ من الله مباشرة إلى النبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، لا بواسطة جبريل، ولا بواسطة أحد من الملائكة، وإنما كلَّمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما كلَّم موسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا دليلٌ علىٰ أهمية الصلاة وعظمتها، فإن الله ما افترضها عليه إلا في هذه الليلة العظيمة التي عرج به إلى ربِّه فيها؛ تكريمًا له، ومن مقاصدها فرض هذه الشريعة والشعيرة، فهي من أعظم الشرائع بعد التوحيد، بل هي أعظم الشرائع بعد التوحيد، وأظهر الشعائر التي يجب أن يجتمع لها المسلمون كل يوم خمس مرات، فهذا يدلُّ علىٰ عظم شأنها ومنزلتها عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد توحيد الله عَزَّوَجَلَّ.

قال: «**فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ**».

فهذا دليلٌ علىٰ نصح موسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وشفقته، وأن الإنسان السابق قد يكون عنده خِبْرات وتجارب، ليست عند من يأتي بعده، فهذا جرَّب بني إسرائيل واختبرهم، وكانوا يتملَّصون من التكاليف، وقد تكون التكاليف سهلة، ومع ذلك يتملَّصون منها، ولعل منها الصلاة، ربَّما كانوا يطلبون التخفيف، ويطلبون التقليل، ربَّما والله أعلم.

الشاهد: أن موسىٰ نصح لهذا النبيِّ الكريم، ونصح لأمَّته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وسيأتي في مناسبة أخرىٰ أنه بكىٰ لمَّا مرَّ عليه النبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ غِبطةً، والغبطة مطلوبة، وسيأتي إن شاء الله.

قَالَ: «**قَالَ: ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ**»، جزاه الله عن هذه الأمة خير الجزاء، «**فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَىٰ أُمَّتِي. فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَىٰ، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَبَيْنَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ**». هنا أوَّل النوويُّ قول النبيِّ ﷺ: «**بَيْنَ رَبِّي**»، أوَّله بالمكان الذي كان يناجي فيه ربَّه(١)، وهذا من عقائد الأشعرية؛ لأنهم لا يعترفون بعلوِّ الله، ولا استوائه علىٰ عرشه، وهذا خطأ فادح، بل ما

(١) «شرح مسلم» (٢/ ٢١٥).

عُرج به إلا إلى الله، وما يصعد إلا إلى الله وينزل إلى موسىٰ، فكان يصعد إلى الله يكلِّمه ويناجيه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وما فائدة المعراج إذا كان الله في كل مكان، أو لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار، كما يقول الأشاعرة والعياذ بالله؟، فلو كان كذلك كان يكلِّمه وهو في مكة أو في مسجده، ولا داعي لهذا الصعود والنزول، ثم إن علوَّ الله واستواءه علىٰ عرشه ثبت بألف دليلٍ من الكتاب والسنة، وأحصاها ابنُ القيم في عشرين نوعًا[1]، كل نوع يندرج تحته أدلة كثيرة، فتبلغ الأدلة علىٰ علوِّ الله وفوقيته علىٰ خلقه إلى ألف دليل، وقد جمع منها ابن القيم في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية»[2] أدلة كثيرة جدًّا، والذهبي في «العلو»[3]، وفي القرآن وحده قضية الاستواء في سبع آيات في عدد من السور: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]... يعني قضية الصفات قضيَّةٌ وقعت فيها الفرق الإسلامية - والعياذ بالله - وقعت في شرٍّ كبير، ولهذا كان السلف يكفِّرون من ينكر علوَّ الله عَزَّوَجَلَّ، أو ينكر استواءه علىٰ عرشه، ويغلِّظون عليهم أشدَّ التغليظ، ولكن المتأخِّرين قلَّدوا، مع أنهم يحبُّون الإسلام، وليس عندهم كيد ولا مكر، ولكن أوقعهم التقليد

---

(١) انظر: «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (ص:٧٣-١٠٦/ ابن تيمية)، و«إعلام الموقعين» (٢/ ٢١٥-٢١٧/ محمد عبد السلام).

(٢) (٢/ ٩٦-١١٨)، مطابع الفرزدق، تحقيق: عواد المعتق.

(٣) (ص١١-١٠٢) مكتبة أضواء السلف، تحقيق: أشرف عبد المقصود.

للأسلاف في هذه البلية العظيمة، والقرآن مليءٌ بالأدلة: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: ١٦]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤﴾ [المعارج: ٤]، رحلة المعراج بالرسول ﷺ إلىٰ ربِّه تعالىٰ، فهذه القضية تثبت بدليلٍ واحد، وهذه عليها مئاتُ الأدلَّة من الكتاب والسنة في قضية الاستواء والعلو ولا تقبل ؟! نسأل الله العافية! هذا بلاءٌ يصيب العقول والعياذ بالله. فالنوويُّ يقول: يرجع إلى المكان الذي كان يناجي فيه ربَّه. يعني: لا يرجع إلى ربِّه. والنبيُّ ﷺ قال: «**فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَبَيْنَ مُوسَىٰ** ﷺ» ، ولم يقل: إلىٰ المكان الذي كنت أناجي فيه ربِّي، ومن الذي يكلِّمه؟ يكلِّمه ربُّه، يكلِّمه من فوق؛ قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾[النحل:٥٠]، ليس عن أيمانهم أو شمائلهم ولا تحتهم. تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فإذا كانت قضية الاستواء والعلو ونحوها لا تثبت بهذه الأدلة، فلا يثبت شيءٌ، ولا نستطيع أن نثبت أي حقيقة، قال ﷺ: «**فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَبَيْنَ مُوسَىٰ** ﷺ» لم يقل: بين الأماكن. حَتَّىٰ قَالَ: «**يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ**». يعني: في المرَّة الأولىٰ حطَّ خمسًا، والثانية يحطُّ عددًا -والله أعلم-، حتىٰ وصل إلى خمس فقط، حَتَّىٰ

قَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ». يعني: عشر حسنات، الحسنة بعشر أمثالها، فالصلاة بعشر صلوات، وهنَّ في العمل خمس، وفي الثواب خمسون، الخمسون التي فرضها الله أولًا، وخفَّف عن هذه الأمة فخفضها إلى خمس، فثواب الخمسين ثابتٌ لهذه الأمَّة، خمسُ صلوات تعدل خمسين صلاة في الفضل؛ لأن الصلاة بعشر أمثالها، كسنَّة الله في الحسنات: الحسنة بعشر أمثالها، ثم قال: «وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا»، وفي الأحاديث الأخر: «إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ»[1] هذا فضلُ الله، فيجب أن يخلص للَّه عَزَّوَجَلَّ العمل بلا رياء ولا سمعة، وإنما يحصل علىٰ هذا الأجر العظيم مَن أخلص لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في عمله، وصلاته إذا خشع فيها وأخلص فيها، الصلاة بعشر صلوات، والحسنة إذا أخلص فيها لله، أيُّ حسنة من ذِكْر أو صدقة أو بِرٍّ، أو أيِّ عمل يتقرَّب به إلى الله، فالحسنة بعشر أمثالها بشرط الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، فإن من شروط قبول العمل الإخلاص لله ربِّ العالمين، مع الموافقة لما جاء به محمد ﷺ، فيجب أن يلاحظ المسلم الذي يتقرَّب إلى الله بأيِّ عمل أن يتقرَّب إلى الله بعمل قد شرعه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ورضيه وأذن فيه، وأن يخلص فيه لله ربِّ العالمين، فبهذين الشرطين إذا توفَّرا يتقبَّل الله الأعمال،

---

(١) قطعة من حديث رواه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١)، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وإذا لم يتوفَّرا أو واحدٌ منهما، فإن الله لا يقبل ذلك، قال الله تعالىٰ في الحديث القدسي: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[1]، فهذه أمور يجب أن يلاحظها المسلم، وأن يربِّي نفسه عليها، وأن يجاهد نفسه عليها، «**وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا**»، هذا إذا تركها لله؛ كما قال تعالىٰ في حديث آخر: «**تَرَكَهَا مِنْ جَرَّائِي**»[2] يعني: من أجلي، يعني: تركها خوفًا من الله، لا خوفًا من الناس، أو خوفًا من الشرطة أن يسجن أو يضرب، ولم يكن خائفًا من الله، فهذا لا يُكتب له شيء، وإذا تركها لله تكتبُ له حسنة، قال: «**لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا**» وفي رواية: «**كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**»[3]؛ لأنه تركها من أجل الله، من جرَّاء الله عَزَّوَجَلَّ، «**فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**»، وهذا من عدل الله ولطفه بالناس، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيِّئة بواحدة فقط، فأكَّد سيِّئة بواحدة؛ لنفهم أنها واحدة فقط، لا زيادة، وبعد ذلك فلا يهلك علىٰ الله إلا هالك، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيِّئة بواحدة، ثم يأتي هذا المجرم، وقد رجحت سيِّئاتُه علىٰ حسناته، فنسأل الله العافية، فلا يهلك علىٰ الله إلا هالك، قَالَ: «**فَنَزَلْتُ حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَىٰ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى**

(١) قطعة من حديث رواه مسلم (٢٩٨٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قطعة من حديث رواه مسلم (١٢٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) قطعة من حديث رواه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّىٰ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

عليه وعلىٰ موسىٰ الصلاة والسلام؛ لقد رفق بالأمَّة أشدَّ الرفق، ورسولُ الله رفيقٌ ورؤوف رحيم، ولكنه استحيا، وممَّا حمل رسول الله ﷺ علىٰ الاستحياء أن الله قال له: «**إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ**».

وذكر في بعض الروايات: «**لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ**»، فهذا ممَّا حمل رسول الله ﷺ علىٰ الاستحياء من الرجوع إلى ربِّه عَزَّوَجَلَّ ومراجعته.

س: ما معنىٰ قوله ﷺ: «**فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا**»؟

ج: أي: غشيها شيءٌ من الجمال، ومن النور، ومن الحسن والكمال.

س: ما حكم من ترك السيِّئة لعجز وعدم قدرة؟

ج: أحيانًا قد يستحق النار بهذه النيَّة الخبيثة: «**إِذَا الْتَقَىٰ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**»، قَالُوا: هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ **قَالَ: إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَىٰ قَتْلِ صَاحِبِهِ**»[(١)].

فما منعه إلا العجز، فإذا كان قد عزم وصمَّم علىٰ فعل المعصية، وما منعه إلا العجز أو الخوف من الناس، فهذا -والعياذ بالله- تكتبُ عليه سيِّئةٌ.

---

(١) سبق تخريجه.

س: ما هي الفترة الزمنية لرحلة الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ؟

ج: لم يحدِّدها، خرج في الليل، وكان في الصباح عند قريش.

س: ما هي سَنَة الإسراء برسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟

ج: قيل: سنة خمس بعد البعثة. وقيل أقوالٌ أصحُّها: أنها قبل الهجرة.

ورجَّح النوويُّ -وهو قول الزهري- أنها بعد مبعثه بخمس سنين؛ لأنه ثبت أن خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت تصلِّي معه[(١)].

س: هل ورد حديث في تحديد الإسراء؟

ج: لم يرد حديث في تحديد الإسراء، وإنما هذه أقوال العلماء.

س: نجد في القرآن أن الله تعالىٰ ينادي النبيَّ ﷺ بـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [الأنفال:٦٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١]، وهنا في الحديث قال: «يَا مُحَمَّدُ»، فما بيانُ ذلك، وجزاكم الله خيرًا؟

ج: في القرآن كلِّه لا ينادىٰ باسمه ﷺ، فإن الله تعالىٰ لم يناده باسمه، ولكن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾. وبالنسبة لما ورد في الحديث فالحكم يكون للغالب.

---

(١) "شرح مسلم" (٢/ ٢٠٩-٢١٠)، و"الفتح" (٧/ ٢٠٣).

س: هل يوجد دليلٌ علىٰ رفع اليدين للدعاء بعد كل صلاة مفروضة؟

ج: لا يثبت دليلٌ، ولو ثبت أن الرسول ﷺ كان يفعل هذا، لنقل كما نقلت كل حركاتُه وأقوالُه وأفعالُه في الصلاة وبعدها، فلم يُنقل في سنن النبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والسنن منها: سننٌ فعليةٌ؛ وهي التي فعلها الرسول عليه الصلاة، والسلام، ومنها: سُنن تَرْكية؛ تركها الرسول ﷺ، مع أن الدواعي مقتضية لفعلها ولم يفعلها، فالعمل إذا كان مقتضيه موجودًا، ولا توجد موانعُ تمنع من فعله، ولم يعمله الرسول ﷺ، فإن تركه سُنَّةٌ وفعله بدعة، ولو كان الرسول ﷺ يدعو عقب كلِّ صلاة لنقل إِلَيْنَا نقلًا متواترًا، فلم يُنقل من طريق الآحاد، ولا من طريق التواتر أنه كان يرفع يديه عقب المكتوبة للدعاء، نعم ورد رفع يديه للدعاء في الخطبة، وفي عرفات، وعلىٰ الصفا، وفي أماكن متعدِّدة بلغت مبلغ التواتر(١)، لكنه لم يُنقل حتَّىٰ في حالة واحدة أن النبيَّ ﷺ رفع يديه عقب الصلاة المكتوبة.

س: هل يجوز الإتيانُ ببعض أوراد الصلاة والقراءة بغير اللغة العربية، لمن لا يعرف النطق بالعربية؟

ج: يتعلَّم ولا يستمر علىٰ هذا، إذا كان أمر دين يجب عليه أن يتعلَّمه، ألا يستطيع أن يقول: سبحان ربي الأعلىٰ؟! ألا يقرأ الفاتحة ؟! أقول: لا بأس أن

---

(١) «نظم المتناثر في الحديث المتواتر» للكتاني (ص١٨ و١٧٦-١٧٧).

يدعو بلُغته، لكن عليه أن يتعلَّم اللغة العربية، هي لغة القرآن ولغة الصلاة، مثل التشهد لابدَّ من التشهد بالعربية، والفاتحة لابدَّ أن تقرأ بالعربية، والدعاء كذلك، ليس واجبًا عليه، لكن إذا أراد أن يدعو ربَّه فليكن بالعربية، الهنود عندهم دعاءٌ كفري -والعياذ بالله-، يقولون: يا خوذا، يطلقون اسم خوذا علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ هذا ضلالٌ وكفر، لكن يعذرون بجهلهم.

س: هل الأصل في الدعاء رفعُ اليدين؟

ج: لا، ليس الأصل، ولكن إذا رفع يديه فلا بأس، وحيث يرفع النبيُّ ﷺ، فمن السنَّة أن نرفع.

س: هل يجوز المشي في الصلاة إلىٰ السترة؟

ج: إن مشىٰ إلىٰ السترة فحسنٌ، ولكن لا تكون الخُطىٰ متتالية؛ لأن كثرة الخُطىٰ المتتابعة عملٌ ينافي الصلاة، و«**إِنَّ فِي الصَّلَاةِ لَشُغْلًا**»(١)، فإذا كان هناك مكان قريب منه فلا بأس أن يذهب إليه، وإن كان عنده عصا فيضعها أمامه].

❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري (١٢١٦)، ومسلم (٥٣٨)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٦٠) [٠٠٠] وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ هَاشِمٍ الْعَبْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا بَهْزُ بْنُ أَسَدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، قَالَ: حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أُتِيتُ فَانْطَلَقُوا بِي إِلَى زَمْزَمَ، فَشُرِحَ عَنْ صَدْرِي، ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُنْزِلْتُ»**.

التعليق:

[الفرق بين الإسناد هذا وذاك، أن ذاك يرويه عن ثابت: حمادُ بنُ سلمة، وهذا الثاني يرويه عن ثابت: سليمانُ بنُ المغيرة، قولُه ﷺ: **«أُتِيتُ فَانْطَلَقُوا بِي إِلَى زَمْزَمَ، فَشُرِحَ عَنْ صَدْرِي، ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُنْزِلْتُ»**. هذا فيه أن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ شُقَّ صدرُه، وأُخذ قلبُه، وغُسل قلبُه وبطنُه بماء زمزم، كما في بعض الروايات[1]، فبعض الروايات تقول: أخرج قلبه فغسله. وفي بعض الروايات ما يوحي بالعموم أنه غسل قلبه وباطنه كلَّه.

وهذا دليلٌ علىٰ فضيلة ماء زمزم، يعني: هذه عملية، فالرسول ﷺ ما شقَّ نفسه، وجمع الناس وقال: انظروا كراماتي، وأنا أشق صدري. فلم يقل هذا الكلام، لكن الله أرسل جبريل فشقَّ صدره وألهمه، أما أتباع الرفاعي فيقول أحدهم للناس: أنا وليٌّ، وهذه من كراماتي، ويطعن في صدره؛ ليشعر الناس

---

(١) انظر: البخاري (٣٢٠٧).

أن هذه كرامة! وهو كذابٌ، أصله سحر، وأصلهم سحرة وكذابون، يُري الناس أنه يطعن وهو في الحقيقة لا يطعن، ولا يجرؤ على الطعن أبدًا، ولهذا لمَّا دخلوا في شبه مباهلة وتحدٍّ مع شيخ الإسلام ابن تيمية في الدخول في النار[1]، ولكن بشرط أن يغتسلوا بالصابون والأُشنان، وبعد ذلك يدخلون في النار؛ لأنهم عندهم أدوية يستعملونها، فالذي يدخل بها في النار لا تضرُّه، وهناك بعض الحيوانات تدخل في النار ولا تضرُّها، فيستعملون بعض الأدوية، فإذا مدَّ يده، أو أدخل رجله لا يحترق، وهذا ليس بكرامة، وإنما شعوذة وسحر.

الشاهد: أنهم يدخلون النار، ويطعنون أنفسهم بالرماح والسيوف والخناجر، على أساس أنها كرامات، هل كان الأنبياء يفعلون هذا؟! فالذي كان يطلب منهم آية، فيقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠﴾ [العنكبوت: ٥٠]، فما تأتي الآية إلا عند الضرورة والحاجة، أما الإنسان يأتي إلى الناس ويقول: أنا عندي كرامات، وعندي خوارق، فهذا حال المشعوذين الدجالين، قالوا: حينما يدخل من هذه الأمة رجلٌ النار فلا تضرُّه، يتذكر حادثة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حينما ألقي في النار فلم تحرقه. هل إبراهيم جمع الناس وقال: أنا سأرمي نفسي في النار، ولن تضرَّني، أم

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (١١/ ٤٤٥-٤٧٥)، و"البداية والنهاية" (١٨/ ٥١-٥٢).

أخذوه وربطوه ورموه في النار، وهو لا يريد ذلك، ولا يرغبه؟!

فالشاهد: أن الله شقَّ صدر نبيِّه ﷺ ليلة الإسراء، لحكمة عظيمة، وملأ قلبه بالحكمة.

فجيء بطست، ووضع فيه ماء زمزم، ووضعت فيه الحكمة، ثم صبه علىٰ صدره وقلبه؛ ليمتلئ قلبه حكمة وإيمانًا لهذا الغرض، أمَّا هؤلاء للشعوذة والأكاذيب، ثم إنه لم يتحدَّ أحدًا بهذه الطريقة، ولم يتحدَّ إبراهيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أحدًا، فتشبيه هؤلاء المجرمين بالأنبياء، وتشبيه خرافاتهم بمعجزات الأنبياء والحوادث التي حصلت لهم فهذا دجل، والدجَّال له خوارق، ومع ذلك يبقىٰ دجَّالًا، وهم دجَّالون، فهل يجوز لمسلم أن يشبِّه الدجَّال بالأنبياء؟!].

❁ ❁ ❁

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٦١) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: «**هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ**»، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي: ظِئْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ. فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ»، قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَىٰ أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ.

التعليق:

[هذه حادثة قديمةٌ قبل الإسراء، وحصلت للنبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو في بني سعد عند أمِّه حليمة السعدية أمِّه من الرضاعة؛ لأنه كان من عادة العرب أن يسترضعوا أولادهم في البوادي؛ ليكونوا نجباءَ، وليتعلَّموا الفروسية واللغة وغيرها ورعي الحيوانات، وليكونوا أجلادًا أقوياء... إلخ، وكانت مُرضعته وظِئْرُه هي حليمة السعدية، من بني سعد شرقي الطائف، فحصلت له هذه الحادثة، قال: «**أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ**» أي: وهو صغير، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، «**فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ**

عَلَقَةً». فهذه الحادثة في صغره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وفي حال حضانة حليمة السعدية له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَالَ: «**هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ**»، أخذه منه وهو طفل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فلم يبق للشيطان فيه حظٌّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من طفولته، إلىٰ أن لقي الله عَزَّوَجَلَّ، فبعضُ الناس -والعياذ بالله- قد يرىٰ أنه قد شارك قومه في بعض الأفعال الوثنية، وحاشاه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فهذه من الأدلَّة علىٰ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يرعاه ويحميه من الوقوع مما وقع فيه الجاهليون، ولمَّا هُدمت الكعبة، أو لما هدمت قريش الكعبة، وأرادوا أن يجددوا بناءها أتوا بالرسول؛ ليشارك في البناء عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقال العبَّاسُ له: "اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَىٰ رَقَبَتِكَ يَقِيكَ مِنَ الحِجَارَةِ، فَخَرَّ إِلَىٰ الأَرْضِ وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ"، أي: أغمي عليه، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يُرد له أن يكشف عورته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، "ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: «**إِزَارِي إِزَارِي**»، فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ"(١) عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فسُتر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فربُّنا كان يحميه ويرعاه من الوقوع فيما يقع فيه قومُه من الأفعال الشنيعة، من الشركيات وغيرها، فهذا من الأدلَّة علىٰ أن الله انتزع منه حظَّ الشيطان فيه من طفولته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذه قبل البعثة، وهذه من الإرهاصات والإشعار بأن الله سيبعثه نبيًّا لهذه الأمة، «**ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ**

---

(١) رواه البخاري (٣٨٢٩)، ومسلم (٣٤٠)، عن جابر بن عبد الله عنهما.

زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي: ظِئْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ». فهذا من الأدلةَّ علىٰ أن الناس قد يرون المَلَك، وقد رأىٰ الصحابة جبريل عندما جاءهم في صورة أعرابيٍّ، وسأل النبيَّ ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وأشراط الساعة، وكان النبي يجيبُه، وكان جبريل يصدِّقُه، فقال النبيُّ ﷺ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[1].

«فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ» يعني: متغيِّر اللون من أثر العملية التي أجريت له، قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَىٰ أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ. عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالشقُّ بدأ من الصدر وانتهىٰ إلى مراقِّ البطن، فكان يرىٰ ذلك، هذا من أدلَّة صدق الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أخبر أصحابه بذلك، وكانوا يرون هذا الأثر، وهو أثر الشقِّ عن صدره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ].

❁ ❁ ❁

(١) قطعة من حديث رواه مسلم (٨)، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٦٢) [•••] وَحَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ وَهُوَ ابْنُ بِلَالٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يُحَدِّثُنَا عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ: «**أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**»، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ نَحْوَ حَدِيثِ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، وَقَدَّمَ فِيهِ شَيْئًا وَأَخَّرَ وَزَادَ وَنَقَصَ.

التعليق:

[شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ في حفظه كلام[1]، وقد روىٰ الإمام البخاري حديثه بتمامه في الإسراء، وجاء بأشياء خالف فيها الحفاظ المتقنين، مثل: قتادة وثابت البُناني وغيرهما من حفاظ أصحاب أنس، فحصل بعض الأخطاء؛ فلهذا نبَّه النووي علىٰ ما حصل له من الأخطاء، قالوا: كيف نعرف أنها أخطاء؟ لأنه رواه أئمَّة ثقات حفاظ، ما ذكروا الأشياء التي ذكرها شريك في حديثه، وهي أشياء أُخذت عليه، لكن هذا الحديث هنا ليس عليه فيه مأخذ، فهذا دليلٌ علىٰ أن مسلمًا يأخذ ما يثبت عنده، وما لا يثبت لا يأخذه، فهنا قوله: "وزاد ونقص"، إشارة إلى أن مسلمًا تجنَّبه؛ لأن

(١) «ميزان الاعتدال» (٢/ ٢٦٩)، و«التقريب» (ص٢٦٦).

هذا جاء بزيادات ونقصان خالف فيه الحفاظ، فأخذ مسلم من حديثه ما يثبت، وترك منه ما لا يراه ثابتًا، وله -مسلم- بعضُ التصرُّفات ويذكرها بنفسه، يقول: "في حديث فلان حرفٌ حذفناه"[(١)]؛ لأنه لم يثبت عنده.

هذا من الأدلَّة التي تؤكد أن مسلمًا لا يثبت في "صحيحه" إلا ما اقتنع بصحته رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ لأنه ملتزم بالصحة في مقدمته وفي غيرها وفي تطبيقه، وقد يرىٰ في حديث ما ضعيف عند غيره أنه صحيح، وقد يترجَّح رأي غيره، أمَّا عقيدته وقناعته فلا يورد في هذا الكتاب إلا ما اعتقد صحته واقتنع به، خلافًا لمن يقول: إنه يأتي بأحاديث فيها علل، وينبِّه علىٰ هذه العلل بالترتيب. وهذه دعاوىٰ باطلة.

وما جاء في رواية أنه: «**فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ** ﷺ»[(٢)]، وعرج به، هذا من الأدلَّة لمن يقول: إن أرض الحرم كلُّها مسجد؛ ولهذا قال الله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء:١]، فهنا قال: من مسجد الكعبة. وسيأتي في بعض الروايات تأييدٌ أن الإسراء كان به من المسجد[(٣)]، وتوفيقًا بين الروايات، رواية «**فُرِجَ**

---

(١) انظر: كتاب الطهارة، الحديث (٣٣٣).

(٢) قطعة من حديث رواه البخاري (٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣)، عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤)، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

سَقْفُ بَيْتِي»، وبين هذه أنه فُرج سقفُ بيته، وأُخذ إلى الكعبة، وشُقَّ صدرُه هناك.

س: أحسن الله إليكم، وجزاكم الله خيرًا، هل في تفاوت الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - في منازلهم في السموات، فيه إثباتُ لفضيلة كل نبيٍّ منهم علىٰ الآخر؟

ج: لبعضهم، ولا نستطيع أن نقول: لكلِّهم، إبراهيمُ وموسىٰ من أُولي العزم، وجاء موسىٰ في السماء السادسة، وإبراهيم في السابعة، فترتيبهم هذا دليلٌ علىٰ الفضيلة، لكن ما بين يوسف وزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ، فعيسىٰ في الثانية وهو من أولي العزم، وأفضلُ من يوسف، وأفضلُ من هارون، فهارون في الخامسة، وعيسىٰ أفضلُ من هارون، وأفضلُ من يوسف، فهذا ليس علىٰ إطلاقه.

س: هل الإمام مسلمٌ التزم الصحَّة في كتابه؟

ج: نعم، التزم الصحة، وأنكر علىٰ من يروي الأحاديث الضعيفة.

س: هل يوجد أدلَّةٌ علىٰ أن النبيَّ ﷺ أُسري به أكثر من مرَّة؟

ج: لا يوجد أدلَّة، لكن بعض الناس يريد أن يوفِّق بين الأحاديث فيرىٰ هذا، لكن الإسراء ثبت أنه مرَّة واحدة.

س: هل العصمة ثابتةٌ لكل الأنبياء؟ وهل هي قبل النبوَّة أو بعدها؟

الأنبياء لهم شأنٌ من طفولتهم غير الآخرين، قد يحصل منهم الخطأ، فالأنبياء قبل البعثة وبعدها قد يحصل منهم الخطأ، علىٰ الراجح وعند الجمهور(١)، يحصل منهم خطأ في الاجتهاد، ويحصل منهم بعضُ الصغائر، كما حصل لآدم عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وكما حصل لموسىٰ عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، ولكن شرعًا لا يقرُّهم الله، ويرجعون ويزدادون عند الله قُربًا، ويرتفعون عند الله درجات، وقد يحصل من أحدهم خطأ ومخالفة، ثم ينبِّهه الله ويتوب إلى الله، ويرجع عنها كما حصل لآدم عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وكما حصل لغيره من الصغائر، أمَّا الكبائر فمعصومون منها والفواحش، فكلهم معصومون منها، وبعضُ الناس يقول: معصومون من الخطأ صغيره وكبيره... إلخ، وهم الروافض وبعض الغلاة. وأهلُ السنة وجمهور المسلمين علىٰ أنه قد يحصل منهم بعضُ الخطأ في بعض الاجتهاد، كما في قصَّة داود عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، كما ذكر الله ذلك عنه وعن سليمان: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [الأنبياء: ٧٨]، فحكم داودُ بأن يأخذ صاحب

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٠٠-١٠٤)، و«منهاج السنة» (١/ ٤٧٠-٤٧١) و(٢/ ٣٩٣-٣٩٤ و٤٢٦-٤٢٩).

الزرع الغنم ويتملَّكه، وسليمانُ قال: لا، يأخذُ صاحبُ الزرع الغنمَ ويستفيد منه، وصاحب الغنم يزرع الأرض، حتىٰ إذا بلغ الزرع الحال الذي أكل فيها في المرَّة السابقة، حينئذ يعود الغنم إلىٰ صاحبه، وصاحب الزرع يأخذ الأرض بزرعها[١]، قال الله تعالىٰ: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩].

يعني: خطأُ داودَ في الحكم في قضية لا ينافي العلم، فربُّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بَيَّنَ أن الصواب كان مع سليمان، لا مع داود، وإن كان داودُ أفضل منه، فأبوه أفضل منه، فقد يصيب الإنسان أو يخطئ الإنسان في حكم، وعَلِمه عند من هو أصغر منه، فلا ينتقص ولا يقلِّل من شأنه، وقد كان يحصل للصحابة الكبار خطأ في الأحكام، أو يخفىٰ عليهم حكمٌ في بعض المسائل، فيسألون مَن دونهم، فيجدون العلم عند مَن دونهم، فهذا لا يقتضي تفضيل المجيبين من الصحابة الصغار علىٰ السائلين من الصحابة الكبار، فقد يحتاج العالم إلى أن يسأل الصغير فقد يغيب عنه شيء، فلا يقلِّل ذلك من شأنه، كما عند بعض السفهاء، وكان مالكٌ يُسأل عن كثير من المسائل، فكان يجيب عن البعض، ويقول في الباقي: "لا أدري". وأحمد في كثير من المسائل يقول: "لا أدري"[٢].

---

(١) انظر: "تفسير ابن كثير" (٥/ ٣٥٥-٣٥٦).

(٢) انظر: "إعلام الموقعين" لابن القيم (١/ ٢٧) و(٢/ ١٢٨).

ويقول ابنُ هرمز: "ينبغي للعالم أن يورِّثَ جُلَسَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ: لَا أَدْرِي"، حَتَّىٰ يَكُونَ ذَلِكَ أَصْلًا فِي أَيْدِيهِمْ يَفْزَعُونَ إِلَيْهِ"[(١)]، فالعالم لا يحيط بكل شيء، قد ينسىٰ، وقد يحفظ الدليل ويغيب عنه وقت الإجابة.

س: إلىٰ ماذا يرجع الضمير في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الأعراف: ١٩٠]؟

ج: والله بعض المفسِّرين يرجع الضمير علىٰ غير آدم وحواء، والقصَّة التي رُويت في آدم هي من الإسرائيليات، ويمكن توجيه القرآن إلى غير آدم وحواء، فالله قال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ولم يقل: عما يشركان، وهذه الصيغ قد يكون المراد منها الجنس، جنس الإنسان وليس آدم نفسه[(٢)].

س: هناك بعضُ الناس يريدون تبرئة الذين قاموا بالتفجير علىٰ أساس أنهم أبرياء، وإنما أساسُ التفجير هم أعداءُ المسلمين الحقيقيون اليهود والنصارىٰ، ويلبسون ذلك بالمستقيمين؟

ج: **يعني:** يفجِّرون أنفسهم أو يمسكونهم وهم قد ماتوا في التفجير، ونقول: اليهود والنصارىٰ! إذا قال عنهم أنهم يهود ونصارىٰ معناه أنه

---

(١) "إعلام الموقعين" (٢/ ١٢٨).

(٢) انظر: "تفسير ابن كثير" (٣/ ٥٢٥-٥٢٧).

كفَّرهم، ونحن والله لا نكفِّرهم، ولكن نقول: مجرمون وخوارج. أو القصد أنهم حرَّكهم اليهود والنصارىٰ، أو أنهم ربّوهم علىٰ هذا التفجير، نريد أن يحدَّد المقصود في السؤال؟ فإن كان يقصد من يقومون بالتفجير أنهم أبرياء، وإن فعلوا هذا فهم شهداء، كما قالوا في الحادثة الأولىٰ. هذه طريقة الصوفية الغلاة، من الصوفية من كان يزور العواهر ويتبرَّك بهن، لماذا كل هذا الدفاع؟! الصحابة لما خرج عليهم الخوارج، هل كانوا يأتون بهذه المسوِّغات وهذه الأعذار؟! ثم هل من الجهاد أن نعِدَّ أطنان المتفجرات، ونقول: هذه لنهلك بها الدول، ثم بعد ذلك نقوم بتوجيهها لبلاد التوحيد. ثم نقول: أبرياء، تاركين إيران، تاركين البلدان الكافرة. ونحن لا نقرُّهم علىٰ هذا الشيء، لكن هذا قد يكون أهون لو فعلوه، ولكن نجيء لبلاد التوحيد بالحرب الكلامية والحرب العملية، والتفجيرات، والتشهير بالعلماء في بلاد التوحيد! إيران دولة إسلامية عندهم! ولهذا لم يمسّوها بسوء، وأسهمت في إسقاط دولة طالبان، وهم لم يتكلَّموا فيها بشيء، ويذهبون إليها، فعلامَ يدلُّ هذا؟ العراق نفسُها مع صدام لا تفجير ولا تكفير، ويقولون: الجهاد الجهاد، ولا يريدون إلا إهلاك هذه البلاد، وإن فجَّروا في بلاد أخرىٰ فهذا من ذرِّ الرماد في العيون، الهدف هنا، ولهذا استهدفوا هذه البلاد بالتربية يربّون علىٰ طريقتهم، يربّون الشباب في حلقات تحفيظ القرآن في المساجد، وفي

المدارس علىٰ هذه الطريقة الخارجية المجرمة، أفسدوا أبناء الناس، وشحنوهم حقدًا علىٰ بلاد التوحيد والسنة، ليل نهار العلماء: قال الله، قال رسول الله. الحكام حدودهم كذا، ولا يقبلون. إيران تعلن الكفر والشرك ويقولون: مسلمة، وخلافة راشدة عندهم! وصدَّام عبد الله المؤمن في كل أزمة! ويكفِّرون الناس من أجله، وهو ملحد زنديق، والحزب البعثي زنديق، وهم – والله – يقفون معه ويؤيِّدونه بطرق ملتوية.

نعم هناك أخطاء بلا شك، أيكون العلاج التكفير والحرب... إلخ؟ لمَّا قامت دولة للإخوان في السودان هل تكلَّموا عليها؟ دولة تشيد الكنائس، وفيها مظاهر الشرك، وتنشر تصوف القبور، وتدعو إلى وحدة الأديان، ولا كلام، ولا يوجد الحكم بما أنزل الله أبدًا، والضرائب التي تفرضها ممكن روسيا لم تفرضها أيَّام غلوها في اشتراكيتها، أهلكت الشعب السوداني فقرًا في الدين والدنيا، ولا كلام، لا تسمع إلا المدح، أو السكوت المطبق علىٰ الفجور والمكر، كيف تصدق هؤلاء؟ ولما جاءت الأحداث يقولون: بسبب الدولة والعلماء. هؤلاء يربّون شبابهم علىٰ التكفير، فقلوبهم مشحونة بتكفير الأمة، وتكفير الأفراد، وتكفير الحكام وتكفير العلماء، بسبب هذه التربية؟! ولهذا ترىٰ أبناء الأغنياء هم الذين يفعلون هذه الأشياء، السعودية من أغنىٰ البلدان ثم يُفجَّر فيها، هل الفقر هو السبب، أم البطر؟ فهم يلعبون علىٰ عقول

الناس المساكين، ويقولون: العلماء لا ينزلون في الشوارع. ونحن نقول: إن العلماء ينشرون العلم في المساجد، وينشرونه في المكاتب، وكلها في خدمة الإسلام والمسلمين، وعندكم مدارس وعندكم جامعات تكفيكم، ومع هذا العلماء يدرسون في المساجد، المعاهد والجامعات والمدارس فتحت لمن؟ فتحت المدارس لتعليم الناس دين الله عَزَّوَجَلَّ، وتعليم المنهج السلفي. وهم يضحكون ويلعبون بعقول الناس].

❁ ❁ ❁

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٦٣) [١٦٣] وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَىٰ التُّجِيبِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا جِئْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **لِخَازِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: افْتَحْ.** قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِي مُحَمَّدٌ ﷺ. قَالَ: فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَفَتَحَ، قَالَ: فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ. قَالَ: فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَىٰ. قَالَ: فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالِابْنِ الصَّالِحِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ ﷺ، وَهَذِهِ الْأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَىٰ. قَالَ: ثُمَّ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّىٰ أَتَىٰ السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ خَازِنُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: فَفَتَحَ. فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَوَاتِ آدَمَ، وَإِدْرِيسَ،

وَعِيسَىٰ، وَمُوسَىٰ، وَإِبْرَاهِيمَ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ -، وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ: أَنَّهُ قَدْ وَجَدَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ. قَالَ: فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِإِدْرِيسَ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ - قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ. قَالَ: ثُمَّ مَرَّ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ. قَالَ: ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ. قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَىٰ. قَالَ: ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَىٰ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ. قَالَ: ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالِابْنِ الصَّالِحِ. قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ»، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ، وَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ: أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَأَبَا حَبَّةَ الْأَنْصَارِيَّ، يَقُولَانِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّىٰ ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًىٰ أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ». قَالَ ابْنُ حَزْمٍ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَفَرَضَ اللهُ عَلَىٰ أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً»، قَالَ: «فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّىٰ أَمُرَّ بِمُوسَىٰ، فَقَالَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ لِي مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَرَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ. قَالَ: فَرَاجَعْتُ رَبِّي، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، قَالَ: فَرَجَعْتُ

إِلَى مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ. قَالَ: فَرَاجَعْتُ رَبِّي، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَىٰ، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ. فَقُلْتُ: قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي. قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّىٰ نَأْتِيَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ، فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ؟ قَالَ: ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ».

التعليق:

[هذا الحديث يرويه أنس بن مالك عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد سبق أن رواه عن رسول الله ﷺ، فالظاهر أن الإسناد الأول فيه مرسل صحابي، ومراسيل الصحابة واجبٌ قبولها؛ لأنهم لا يروون إلا عن صحابة عدول، وكلهم عدول ثقات، فقال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ما كل شيء سمعناه من رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولكن كنا يحدث بعضنا عن بعض، ولا يَكذِب بعضنا بعضًا "[(١)]. وهذا الحديث صرَّح فيه بأنه سمعه من أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويجوز أن يكون سمعه بالصياغة الأولىٰ عن غيره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ إذ بينهما - بين ما رواه أبو ذرٍّ وما رواه أنس أولًا - شيءٌ من الاختلاف من حيث الإيجاز

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في "السنة" (٨١٦)، وابن خزيمة في "التوحيد" (٢/ ٧١٦-٧١٧/ الشهوان)، والطبراني (٦٩٩)، والحاكم في "المستدرك" (٣/ ٦٦٥)، والبيهقي في "الجامع للأخلاق الراوي وآداب السامع" (١٠٠) وفي "الكفاية" (ص٣٨٥-٣٨٦) وغيرهم.

والتوسع، وأيضًا سيأتي أنه يرويه عن مالك بن صعصعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فإمَّا أن يكون سمع من الاثنين فقط، أو أن يكون سمع منهما ومن غيرهما، والظاهرُ من اختلاف السياقات تدلُّ علىٰ أنه رواه عن عدد من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

قد تكلَّمنا علىٰ أمور الإسراء بالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيما سبق، وهل هو بروحه أو بجسده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في المنام أو في اليقظة؟ والصواب أنه أسري بروحه وجسده، أُسري بمحمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، كما قال ربُّنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، لم يقل: في المنام. ولا قال: بروحه. وإنَّما قال: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١] إلى قوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١].

قال: «**فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ**»، في روايات أنه من عند الكعبة عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهنا يقول: «**سَقْفُ بَيْتِي**»، فيجمع بينهما، ولا نضرب رواية برواية، وإنما نجمع بينهما بأنه أُخِذ من سقف بيته، وعُرِج به من عند الكعبة، وشُقَّ قلبُه وغُسل... إلخ، قال: «**فَنَزَلَ جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، **فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ**»، وهنا تأوَّل النوويُّ أو نقل[1] هذا التأويل عن القاضي عياض، وجاؤوا له بعدد من التفسيرات: "وَأَمَّا جَعْل الْإِيمَان وَالْحِكْمَة فِي

(١) "شرح مسلم" (٢/ ٢١٨).

إِنَاء، وَإِفْرَاغهمَا مَعَ أَنَّهُمَا مَعْنيَانِ، وَهَذِهِ صِفَة الْأَجْسَام، فَمَعْنَاهُ - وَاللَّه أَعْلَم - أَنَّ الطَّسْت كَانَ فِيهَا شَيْء يَحْصُل بِهِ كَمَال الْإِيمَان وَالْحِكْمَة وَزِيَادَتهمَا، فَسُمِّيَ: إِيمَانًا وَحِكْمَة؛ لِكَوْنِهِ سَبَبًا لَهُمَا، وَهَذَا مِنْ أَحْسَن الْمَجَاز. وَاللَّه أَعْلَم". وهذا تأويلٌ باطلٌ، ولا داعي للجوء إلى هذا التأويل الفاسد؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أخبرنا أنه يزن هذه المعاني، يزن الإيمان، ويزن الأعمال، وهي معانٍ وأعراض: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ [القارعة: ٦، ٧]، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]، فكما توزن، كذلك تملأ بها الأواني، فالله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣]، كيف توزن وهي معاني؟! يملأ بها الميزان، ولو كانت كأمثال الجبال، ولو كانت وزن مثقال ذرة توزن، فكذلك هذا الطست وهو إناء ملأه الله حكمة وإيمانًا، كما هو نصُّ الحديث: «ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا»، فقوله: "إِنَّ الطَّسْتَ كَانَ فِيْهِ شَيءٌ يَحْصُل بِهِ كَمَال الْإِيمَان وَالْحِكْمَة" هذا تأويلٌ فاسدٌ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يملأ

الأشياء بالمعاني، ومن هذا الإنسان؛ لأن الله قادر علىٰ كلِّ شيء، لا يعجزه شيء، ومن هنا أنكر المعتزلة الميزان، يقولون: الأعمال والأعراض كيف توزن؟ إذا كان البشر الآن في هذا العصر يقيسون درجات الحرارة وحرارة الكهرباء يزنونها وهي أعراض توزن، فكيف بربِّ العالمين؟! البشر يستطيعون أن يزنوا هذه الأعراض، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يستطيع؟! أستغفر الله وأتوب إليه. قال: "وهذا من أحسن المجاز"، هذا من أسوأ المجازات، والمجاز لا يجوز في اللغة، ولا في القرآن، فهذه مسألة.

قال: «ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَلَمَّا جِئْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: افْتَحْ. قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ. قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِي مُحَمَّدٌ ﷺ. قَالَ: فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَفَتَحَ، قَالَ: فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ».

"إذا" فُجائية، والأسودة: جمع سواد، وهو الشخص أو الجماعة، والرسول ﷺ يقول: «وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ. ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ. فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ»[(١)]، قَالَ: «فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَىٰ. قَالَ:

---

(١) قطعة من حديث رواه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالِابْنِ الصَّالِحِ» وهو أبو البشر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومحمَّدٌ منهم، وفسَّر هذه الأسودة بأنها أهلُ الجنة وأهلُ النار، والظاهر أنه مُثِّلوا له تمثيلًا، والله أعلم، ويمكن أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أراه الجنة وأراه النار، فإذا التفت إلى الجنة فرح وسُرَّ بما يرىٰ ما فيه أبناؤه من النعيم فيضحك، فيلتفت شماله فيرىٰ أبناءه في النار فيحزن ويألم، فالوالد يفرح بأبنائه إذا رأىٰ منهم ما يسرُّه، ويحزن حينما يصيبهم ضرر. قَالَ: «قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ ﷺ، وَهَذِهِ الْأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ». النسم: أرواح بنيه. «فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَىٰ». قَالَ: «ثُمَّ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّىٰ أَتَىٰ السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ». قَالَ: فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ خَازِنُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: «فَفَتَحَ». فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: "فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَوَاتِ آدَمَ، وَإِدْرِيسَ، وَعِيسَىٰ، وَمُوسَىٰ، وَإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ". فالظاهر أنه روىٰ الحديث الأول أو سمعه من رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأبو ذر في روايته لم يثبت منازلهم في السموات، وأمَّا في الحديث السابق فأثبت منازلهم: آدم في الأولىٰ، ويحيىٰ وعيسىٰ في الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسىٰ في السادسة، وإبراهيم في السابعة، فبيَّن

منازلهم في السموات.

وفي هذا الحديث نقل أنس نفسُه عن أبي ذر أنه لم يُثبت منازلهم، وإنما ذكرهم بدون ذكر منازلهم، فيدلُّ -والله أعلم- علىٰ أنه إما سمع النص الأول من الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مباشرةً، ورویٰ ما سمعه من أبي ذرٍّ، ومن مالك بن صعصة، وإمَّا أنه سمعه من صحابي آخر غير أبي ذر وغير مالك بن صعصعة، والله أعلم.

قَالَ: «**فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِإِدْرِيسَ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ - قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ، قَالَ: ثُمَّ مَرَّ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ**». يعني هنا الظاهر، قال القاضي عياض، كما حكاه النووي[١]: "هَذَا مُخَالِفٌ لِمَا يَقُولُهُ أَهْلُ النَّسَبِ وَالتَّارِيخِ مِنْ أَنَّ إِدْرِيسَ أَبٌ مِنْ آبَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ جَدٌّ أَعْلَىٰ لِنُوحٍ ﷺ، وأن نوحا هو ابن لَامكَ بْنِ متوشلخَ بْنِ خنوخَ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ إدريس بن يرد بْنِ مِهْلَايِيلَ بْنِ قَيْنَانَ بْنِ أَنُوشَ بْنِ شِيثِ بْنِ آدَمَ! عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا خِلَافَ عِنْدَهُمْ فِي عَدَدِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَسَرْدِهَا عَلَىٰ ماذكرناه، وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُونَ فِي ضَبْطِ بَعْضِهَا وَصُورَةِ لَفْظِهِ، وَجَاءَ جَوَابُ الْآبَاءِ هُنَا إِبْرَاهِيمُ وَآدَمُ: «**مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ**»، وَقَالَ إِدْرِيسُ: **مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ**، كَمَا قَالَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَهَارُونُ وَيُوسُفُ وَيَحْيَىٰ، وَلَيْسُوا بِآبَاءٍ

---

(١) "شرح مسلم" (٢/ ٢٢٠).

صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ"، أي إذا كان إدريس أخًا للنبيِّ ﷺ فلا يصحُّ أن يقال: إنه جدُّ نوح، ونوح جد للرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. فأجابه النوويُّ علىٰ هذا[1]: "وَلَيْسَ فِي هَذَا الْحَدِيث مَا يَمْنَع كَوْن إِدْرِيس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَبًا لِنَبِيِّنَا مُحَمَّد ﷺ، فَإِنَّ قَوْله: الْأَخ الصَّالِح يَحْتَمِل أَنْ يَكُون قَالَهُ تَلَطُّفًا وَتَأَدُّبًا وَهُوَ أَخ، وَإِنْ كَانَ ابْنًا فَالْأَنْبِيَاء إِخْوَة وَالْمُؤْمِنُونَ إِخْوَة، وَاللَّه أَعْلَم".

قَالَ: «**ثُمَّ مَرَّ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ. قَالَ: ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَىٰ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، **فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ. قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَىٰ. قَالَ: ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَىٰ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ**». يعني: هناك في الحديث الأول ذكر في السماء الثانية عيسىٰ ويحيىٰ ابني الخالة، وهنا اقتصر علىٰ ذكر عيسىٰ ممَّا يدلُّ علىٰ شيء من اختلاف الرواة. قَالَ: «**ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، **فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالِابْنِ الصَّالِحِ**». فهنا قدَّم موسىٰ علىٰ عيسىٰ، وقدَّم عيسىٰ علىٰ إبراهيم، ولهذا لم يذكر منازلهم. قَالَ: «**قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ**».

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ: أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَأَبَا حَبَّةَ الْأَنْصَارِيَّ، يَقُولَانِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّىٰ ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًىٰ أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ». يعني: أنه موضع عالٍ فوق سدرة المنتهىٰ، وهذا الموضع

(١) (٢/ ٢٢٠).

لا تصل إليه الملائكة.

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ [والظاهر أنه أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري(١)، حفيد عمرو بن حزم الذي أرسله الرسول ﷺ إلىٰ نجران، وكتب له كتاب الصدقة المشهور] وأنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَفَرَضَ اللهُ عَلَىٰ أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّىٰ أَمُرَّ بِمُوسَىٰ، فَقَالَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ لِي مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَرَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ. قَالَ: فَرَاجَعْتُ رَبِّي، فَوَضَعَ شَطْرَهَا». هنا الشطر ما هو؟ استشكل هذا علىٰ بعض الناس؛ لأن الشطر يعني النصف، وقالوا: ليس المراد بالشطر هنا النصف، وإنما المراد به الجزء، فالخَمْس جزءٌ من الخمسين. وفيه تفسير أوضح من هذا بيَّنه الحديث الأول، وأنه وضع عنه خمسًا، ثم خمسا، حتىٰ وصل إلى الشطر - والله أعلم -؛ لأنه كان يصعد وينزل، ويصعد وينزل، وفي كل مرَّة يحطُّ عنه بمقدار معيَّن خمس، خمس خمس، فالظاهر أن الشطر هذا شطر حقيقي وأنه النصف، مع احتمال أن يكون المراد خمس(٢)، والله أعلم.

---

(١) «الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد» للكلاباذي (٢/ ٨٣٤)، و«تهذيب الكمال» (٣٣/ ١٣٧-بشار)، و«فتح الباري» (١/ ٢٥٧).

(٢) انظر: «شرح مسلم» (٢/ ٢٢٢)، و«الفتح» (١/ ٤٦٢-٤٦٣).

قَالَ: «فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخْبَرْتُهُ. قَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ. فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ. قَالَ: فَرَاجَعْتُ رَبِّي، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَىٰ، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ. فَقُلْتُ: قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي. قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّىٰ نَأْتِيَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ؟» ، قال الله تعالىٰ: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٦-١٨] يعني: من الجمال لا يستطيع وصفها، ولا يدري ما هي هذه الألوان، وقد جاء أنها «فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ»[(١)] ، والله أعلم.

قَالَ: «ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ» يعني: الخيام. اللؤلؤ: هو الدرُّ المعروف. جاء في الحديث أن: "لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا "[(٢)]، فهذه الخيام من هذا النوع. «وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ» الله أكبر! كيف يتفضَّل الله علىٰ الناس، لعلَّ أقلَّ أهل الجنة منزلةً ينال مثل هذا الجزاء، الله أكبر: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [عبس: ١٧] !

قَول الرَسُول ﷺ: «ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّىٰ ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَىٰ أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ

---

(١) رواه مسلم (١٧٣).

(٢) قطعة من حديث رواه البخاري (٤٨٧٩)، ومسلم (٢٨٣٨) واللفظ له، عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الْأَقْلَامِ».

المراد بصريف الأقلام: تصويتُها.

قال النوويُّ: "قال القاضي: في هذا حجة لمذهب أهل السنة في الإيمان بصحة كتابة الوحي والمقادير، في كتب الله تعالىٰ من اللوح المحفوظ وما شاء بالأقلام، التي هو تعالىٰ يعلم كيفيتها، علىٰ ما جاءت به الآيات من كتاب الله تعالىٰ والأحاديث الصحيحة، وأنَّ ما جاء من ذلك علىٰ ظاهره، لكن كيفية ذلك وصورته وجنسه ممَّا لا يعلمه إلا الله تعالىٰ، أو مَن أطلعه علىٰ شيء من ذلك من ملائكته ورسله، وما يتأول هذا ويحيله عن ظاهره إلا ضعيفُ النظر والايمان، إذ جاءت به الشريعة المطهرة، ودلائل العقول لا تُحيله، والله تعالىٰ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد؛ حكمة من الله تعالىٰ، وإظهارًا لما يشاء من غيبه، لمن يشاء من ملائكته وسائر خلقه، وإلا فهو غنيٌّ عن الكتب والاستذكار سبحانه وتعالىٰ". اهـ. "شرح مسلم" للنووي (٢/ ١٢١).

وقد يشوِّش بعضُ أهل البدع على هذه الكتابة وهذه الأقلام.

فنقول: هذا أمرٌ لا مانع منه في الشرع، ولا في العقل؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يكتب في اللوح المحفوظ بأقلام لا يعلم كيفيتها إلا الله عَزَّوَجَلَّ ، كسائر الأمور الغيبية، وما قاله الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو ذكره الله تعالىٰ في القرآن لابد أن نؤمن به، ونؤمن بأنها أقلام حقيقية، لا نعرف كيفيتها، حتىٰ كيفيات

النعيم في الجنة، والفواكه وغيرها، فهذه نؤمن بها وبحقائقها، ولكن لا نعلم الكيفيات، فإنه لا يعلمها إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

وفي هذا النصِّ بيان لمنزلة رسول الله ﷺ عند ربه؛ حيث رفعه إلىٰ هذا المستوىٰ، وأسمعه صريف الأقلام.

❁ ❁ ❁

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٦٤) [١٦٤] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، لَعَلَّهُ قَالَ: عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ، رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَأُتِيتُ فَانْطُلِقَ بِي، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، فَشُرِحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا** - قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْتُ لِلَّذِي مَعِي: مَا يَعْنِي؟ قَالَ: إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ - **فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي، فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ حُشِيَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً**[(١)]**، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ، يُقَالُ لَهُ: الْبُرَاقُ، فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَقَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَىٰ طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّىٰ أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ** ﷺ**، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ** ﷺ**. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَفَتَحَ لَنَا، وَقَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. قَالَ: فَأَتَيْنَا عَلَىٰ آدَمَ** ﷺ»، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَقِيَ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ عِيسَىٰ وَيَحْيَىٰ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -، وَفِي الثَّالِثَةِ يُوسُفَ، وَفِي الرَّابِعَةِ إِدْرِيسَ، وَفِي الْخَامِسَةِ هَارُونَ ﷺ، قَالَ: «**ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّىٰ انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَأَتَيْتُ عَلَىٰ**

---

(١) يعني: ما حشي بشيء غير الإيمان والحكمة، مما يدل على بطلان ذاك التأويل الذي تأوّلوه.

مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ بَكَىٰ، فَنُودِيَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: رَبِّ، هَذَا غُلَامٌ بَعَثْتَهُ بَعْدِي يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّىٰ انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَأَتَيْتُ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ»، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: وَحَدَّثَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ رَأَىٰ أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ، «فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الْأَنْهَارُ؟ قَالَ: أَمَّا النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ. ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ. ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ أَحَدُهُمَا خَمْرٌ، وَالْآخَرُ لَبَنٌ، فَعُرِضَا عَلَيَّ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ. فَقِيلَ: أَصَبْتَ أَصَابَ اللهُ بِكَ، أُمَّتُكَ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ. ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسُونَ صَلَاةً». ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّتَهَا إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ.

التعليق:

[يحيل مسلمٌ إلى الحديث الأول؛ لأن الحديث هذا فيه زياداتٌ علىٰ ما سبق، وفيه موافقة بعض الشيء، موافقة للرواية الأولىٰ عن أنس، وفيه شيء يوافق رواية أبي ذر، وفيه شيء زيادة علىٰ الجميع، فالموافقة للحديث الأول في ترتيب الأنبياء في السموات، وقولهم: «مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ

الصَّالِحِ»، فهذا يوافق فيه حديث أبي ذر... إلخ، وفيه زيادة: «**فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ** - يعني موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ - **بَكَىٰ، فَنُودِيَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: رَبِّ، هَذَا غُلَامٌ بَعَثْتَهُ بَعْدِي يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي**» يعني: أعلمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن أمَّة محمد الذين يدخلون الجنة منهم أكثر من أمة موسىٰ، وفي حديث يقول فيه النبيُّ ﷺ لأصحابه: «**أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟** قَالَ - ابنُ مسعود -: **قُلْنَا: نَعَمْ. فَقَالَ: أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ فَقُلْنَا: نَعَمْ. فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»[1]، فالأمم كلها تشكِّل نصف أهل الجنة، وهذه الأمة تشكِّل نصف أهل الجنة، فضلُ الله علىٰ هذا الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأمَّته، والأنبياءُ منهم من يتبعهم الكثيرُ، ومنهم من يتبعهم القليل، وموسىٰ تبعه كثير، ولكن من حبِّه للخير حصل له شيءٌ من الغبطة، لا الحسد، حاشاه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والغبطة محمودة، أن تغبط الناس علىٰ الخير وتنافسهم عليه، لكي تلحقهم وتكون مثلهم، وهذا ليس فيه شيء، فهذا من باب الغبطة، لا من باب الغَيْرة والحسد، حاشاه. قَالَ: «**ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّىٰ انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَأَتَيْتُ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**»، وَقَالَ فِي هذا الْحَدِيثِ: وَحَدَّثَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، **أَنَّهُ رَأَىٰ أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، وَنَهْرَانِ**

---

(١) رواه البخاري (٢٥٢٨)، ومسلم (٢٢١)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بَاطِنَانِ. هَكَذَا هُوَ فِي أُصُول "صَحِيح مُسْلِم": «**يَخْرُج مِنْ أَصْلهَا**». وَالْمُرَاد مِنْ أَصْل سِدْرَة الْمُنْتَهَىٰ كَمَا جَاءَ مُبَيَّنًا فِي صَحِيح الْبُخَارِيّ وَغَيْره[(١)]، فأعاد الضمير إلى سدرة المنتهىٰ والله أعلم، «**فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الْأَنْهَارُ؟ قَالَ: أَمَّا النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ**». النيل في إفريقيا، والفرات في آسيا.

قال النووي: "قَالَ الْقَاضِي عِيَاض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هَذَا الْحَدِيث يَدُلّ عَلَىٰ أَنَّ أَصْل سِدْرَة الْمُنْتَهَىٰ فِي الْأَرْض؛ لِخُرُوجِ النِّيل وَالْفُرَات مِنْ أَصْلهَا.

قُلْت: هَذَا الَّذِي قَالَهُ لَيْسَ بِلَازِمٍ، بَلْ مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَنْهَار تَخْرُج مِنْ أَصْلهَا، ثُمَّ تَسِير حَيْثُ أَرَادَ اللَّه تَعَالَىٰ، حَتَّىٰ تَخْرُج مِنْ الْأَرْض وَتَسِير فِيهَا وَهَذَا لَا يَمْنَعهُ عَقْل وَلَا شَرْع، وَهُوَ ظَاهِر الْحَدِيث، فَوَجَبَ الْمَصِير إِلَيْهِ. وَاللَّه أَعْلَم"[(٢)]. ولا نقول: كيف هذا؟ فالله قادر علىٰ كل شيء، أخبرنا به الصادق المصدوق، فنؤمن به كما جاء.

وأما العقلانيون: فيسخرون من هذه الأحاديث -قبحهم الله-، فهؤلاء -والله أعلم- لا يؤمنون بجنَّة ولا بنار-والله أعلم-، ولا بجن، ولا ملائكة مما لا نراه، فهذه غيبيات، وإذا قيل لهؤلاء: كلُّ واحد منا معه ملكان يكتبان

(١) "شرح مسلم" (٢/ ٢٢٤).

(٢) "شرح مسلم" (٢/ ٢٢٤-٢٢٥).

عليه كل شيء. سيقولون: أين هذه الملائكة التي تكتب هذه الأعمال، إننا لا نراها؟! قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]، والملائكة الذين يتعاقبون فينا، يقولون: لا نراهم. نعوذ بالله من الضلال وسوء الظن بالنصوص النبويَّة الصحيحة.

قال: «**ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ**». أي: لا يعودون إليه مرَّة أخرىٰ. كلَّ يوم يدخله سبعون ألف ملك، هؤلاء إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ إلى يوم القيامة، وأنا شبَّهته بوجوب الحج مرَّة في العمر، والله أعلم هل هذا التشبيه صحيح أم لا.

قال: «**ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ أَحَدُهُمَا خَمْرٌ، وَالْآخَرُ لَبَنٌ، فَعُرِضَا عَلَيَّ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقِيلَ: أَصَبْتَ أَصَابَ اللهُ بِكَ، أُمَّتُكَ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ**». فهذه بشرىٰ له، يعني: أصاب حيث آثر أخذ اللبن؛ لأن اللبن هذا من الفطرة صُنع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والخمر أصلُها من مخلوقات الله، تدخَّل فيها ضُلَّال البشر فأفسدوها، والعياذ بالله، وكذلك الإنسان يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه.

فالقرآن دينُ الفطرة، والسنَّة دينُ الفطرة، وهذه الأمَّة علىٰ الفطرة مَن وفَّقه الله عَزَّوَجَلَّ منهم، ومن انحرف فقد أفسده وأفسد فطرته أهلُ الضلال.

قال: «ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسُونَ صَلَاةً»، ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّتَهَا إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ. والله أعلم، أي أنه يحيل إلى الحديث الأول، الذي فيه ذكر أكثر الأشياء، والله أعلم].

❁ ❁ ❁

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٦٥) [•••] وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: فَذَكَرَ نَحْوَهُ، وَزَادَ فِيهِ: «**فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشُقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ الْبَطْنِ، فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا**».

(٢٦٦) [١٦٥] وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّىٰ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْعَالِيَةِ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ ﷺ - يَعْنِي: ابْنَ عَبَّاسٍ - قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُسْرِيَ بِهِ، فَقَالَ: «**مُوسَىٰ آدَمُ، طُوَالٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ**» وَقَالَ: «**عِيسَىٰ جَعْدٌ مَرْبُوعٌ**»، وَذَكَرَ مَالِكًا خَازِنَ جَهَنَّمَ، وَذَكَرَ الدَّجَّالَ.

(٢٦٧) [•••] وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ ﷺ ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَىٰ مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، **رَجُلٌ آدَمُ طُوَالٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبْطَ**

الرَّأْسِ»، وَأُرِيَ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَّالَ فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللهُ إِيَّاهُ، ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ [السجدة: ٢٣]. قَالَ: كَانَ قَتَادَةُ يُفَسِّرُهَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَدْ لَقِيَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٢٦٨) [١٦٦] وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَسُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ، قَالَا: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِوَادِي الْأَزْرَقِ، فَقَالَ: «**أَيُّ وَادٍ هَذَا؟**» فَقَالُوا: هَذَا وَادِي الْأَزْرَقِ، قَالَ: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَىٰ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ**»، ثُمَّ أَتَىٰ عَلَىٰ ثَنِيَّةِ هَرْشَىٰ، فَقَالَ: «**أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟**» قَالُوا: ثَنِيَّةُ هَرْشَىٰ، قَالَ: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **عَلَىٰ نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ وَهُوَ يُلَبِّي**» قَالَ ابْنُ حَنْبَلٍ فِي حَدِيثِهِ: قَالَ هُشَيْمٌ: يَعْنِي لِيفًا.

(٢٦٩) [•••] وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَمَرَرْنَا بِوَادٍ، فَقَالَ: «**أَيُّ وَادٍ هَذَا؟**» فَقَالُوا: وَادِي الْأَزْرَقِ، فَقَالَ: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَىٰ** ﷺ -فَذَكَرَ مِنْ لَوْنِهِ وَشَعَرِهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ دَاوُدُ- **وَاضِعًا إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ، لَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ، مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي**» قَالَ: ثُمَّ سِرْنَا حَتَّىٰ أَتَيْنَا عَلَىٰ ثَنِيَّةٍ، فَقَالَ: «**أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟**» قَالُوا:

هَرْشَىٰ -أَوْ لِفْتٌ-. فَقَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ عَلَىٰ نَاقَةٍ حَمْرَاءَ، عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ لِيفٌ خُلْبَةٌ، مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي مُلَبِّيًا».

(٢٧٠) [٠٠٠] وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَذَكَرُوا الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ»، قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمْ أَسْمَعْهُ قَالَ ذَاكَ، وَلَكِنَّهُ قَالَ: «أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَانظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ، وَأَمَّا مُوسَىٰ فَرَجُلٌ آدَمُ، جَعْدٌ، عَلَىٰ جَمَلٍ أَحْمَرَ، مَخْطُومٍ بِخُلْبَةٍ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ إِذَا انْحَدَرَ فِي الْوَادِي يُلَبِّي».

(٢٧١) [١٦٧] وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا لَيْثٌ، ح، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ، فَإِذَا مُوسَىٰ ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ - فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ -، وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دَحْيَةُ» وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ رُمْحٍ: «دَحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ».

(٢٧٢) [١٦٨] وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَتَقَارَبَا فِي

اللَّفْظِ، قَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا. وَقَالَ عَبْدٌ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**حِينَ أُسْرِيَ بِي لَقِيتُ مُوسَىٰ** عَلَيْهِ السَّلَامُ -فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ- **فَإِذَا رَجُلٌ** -حَسِبْتُهُ قَالَ- **مُضْطَرِبٌ، رَجِلُ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ**»، قَالَ: «**وَلَقِيتُ عِيسَىٰ** -فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ- **فَإِذَا رَبْعَةٌ أَحْمَرُ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ**» -يَعْنِي: حَمَّامًا- قَالَ: «**وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ - وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ**» قَالَ: «**فَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ، وَفِي الْآخَرِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ. فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَشَرِبْتُهُ. فَقَالَ: هُدِيتَ الْفِطْرَةَ - أَوْ: أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ - أَمَّا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ**».

التعليق:

[هذه من علامات نبوَّته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فهو يتحدَّث عن موسىٰ، وعن عيسىٰ، وعن الدجال، وعن يونس، ورؤية النبيِّ ﷺ لهؤلاء فهي إما رؤية حقيقية أراه الله إياها، وإمَّا رؤيا في المنام، ورؤيا الأنبياء حقٌّ، وقد تقدَّم القولُ في تأويل النوويِّ قوله: «**ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا**»، والصحيح أن الله يفعل ما يشاء، وقادر أن يجمع المعاني والأعراض، ويزنها، ويملأ بها الأشياء، وكما يمتلئ الميزان بالأعمال كذلك يمتلئ بالحكمة

والإيمان، فلا داعي لهذا التأويل، وقوله: «**مُوسَىٰ آدَمُ**» الأُدمة: سُمرة غير السواد، وهي من ألوان العرب، «**طُوَالٌ**» يعني: طويل، «**كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ**» وهي قبيلة من العرب من الأزد، وقال: «**عِيسَىٰ جَعْدٌ مَرْبُوعٌ**» يعني: أنه مُكتنز، يعني مجتمع اللحم والجسم، ومربوع يعني: هُوَ الرَّجُل بَيْن الرَّجُلَيْنِ فِي الْقَامَة، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِن، وَلَا بِالْقَصِيرِ الْحَقِير، «**وَذَكَرَ مَالِكًا خَازِنَ جَهَنَّمَ، وَذَكَرَ الدَّجَّالَ**».

وأحاديث الإسراء قد مرَّ الكلام عليها، والآن نحن في تكملة هذا الباب، فرؤية النبيِّ ﷺ لموسىٰ و«**لَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ**» ورؤيته ليونس عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو يلبِّي كذلك، ورؤيته لموسىٰ أيضًا في حال أخرىٰ -والله أعلم- ووصفه له، ورؤيته لعيسىٰ، ورؤيته للدجال، هذه أمورٌ من إكرام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهذا النبيِّ الكريم، يُريه الأنبياء وما هم عليه من أوصاف، وما هم عليه من أعمال؛ تكريمًا له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فهذه أمورٌ غيبية، تحدَّث عنها الصادق المصدوق؛ فيجب أن نؤمن بها، وسواء رآها في المنام فرؤيته صدقٌ، وأمَّا رؤيته في ليلة الإسراء لإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ وإدريس فهذه في اليقظة، ويمكن أن يكون هناك حالاتٌ في المنام وهو يَعي، وهذا ليس ببعيد. وهنا يصف موسىٰ بأنه آدمُ، وهي السُّمرة المعروفة سُمرة العرب، ويصف عيسىٰ بأنه مربوع وجعد، وَأَمَّا الْجَعْد فِي صِفَة مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ،

فقال النوويُّ: "فَقَالَ صَاحِب التَّحْرِير: فِيهِ مَعْنَيَانِ: أَحدهمَا: مَا ذَكَرْنَاهُ فِي عِيسَىٰ عَلَيْهِالسَّلَامُ - وَهُوَ اكْتِنَاز الْجِسْم. وَالثَّانِي: جُعُودَة الشَّعْر. قَالَ: وَالْأَوَّل أَصَحّ؛ لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي رِوَايَة أَبِي هُرَيْرَة فِي الصَّحِيح: "أَنَّهُ رَجِلُ الشَّعْر"، هَذَا كَلَام صَاحِب التَّحْرِير. وَالْمَعْنَيَانِ فِيهِ جَائِزَانِ، وَتَكُون جُعُودَة الشَّعْر عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ الثَّانِي، لَيْسَتْ جُعُودَة الْقَطَط، بَلْ مَعْنَاهَا أَنَّهُ بَيْن الْقَطَط وَالسَّبِط. وَاللَّه أَعْلَم"[1].

«وَرَأَيْتُ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ» يعني: ما بين الحمرة والبياض. وجاء وصفُه بأنه أحمر[2]، وهذه الرواية تفسِّرها، فإنها ليست بالحمرة الخالصة، بل الحمرة التي تضرب إلى البياض، وهو لونُ النبيِّ ﷺ.

«وسَبْطَ الرَّأْسِ»، قال النووي: "وَالسَّبِط -بِفَتْحِ الْبَاء وَكَسْرهَا- لُغَتَانِ مَشْهُورَتَانِ، وَيَجُوز إِسْكَان الْبَاء مَعَ كَسْر السِّين وَفَتْحهَا عَلَىٰ التَّخْفِيف، كَمَا فِي (كَتِف) وَبَابه، قَالَ أَهْل اللُّغَة: الشَّعْر السَّبِط هُوَ الْمُسْتَرْسِل لَيْسَ فِيهِ تَكَسُّر، وَيُقَال فِي الْفِعْل مِنْهُ: سَبِطَ شَعْره -بِكَسْرِ الْبَاء- يَسْبَط -بِفَتْحِهَا- سَبَطًا، بِفَتْحِهَا أَيْضًا"[3].

---

(١) "شرح مسلم" (٢/ ٢٢٧).

(٢) رواه البخاري (٣٣٩٤)، ومسلم (١٦٨)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) "شرح مسلم" (٢/ ٢٢٧).

«وَأُرِيَ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَّالَ فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللهُ إِيَّاهُ ثم قرأ ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ [السجدة: ٢٣]».

والظاهرُ أن هذا من بعض الرواة، كما أشار النوويُّ[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قَالَ: "كَانَ قَتَادَةُ يُفَسِّرُهَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَدْ لَقِيَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾؛ كما في سورة السجدة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾﴾ [السجدة: ٢٣]، إمَّا من لقاء موسىٰ للكتاب، وإمَّا من لقاء الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لموسىٰ ليلة الإسراء، وقد دار بذهني شيء لكن ضربت صفحًا عنه، وهو أنه من لقاء موسىٰ بربه -والله أعلم- حينما ناجاه، فهذا معنىً من المعاني فليراجع في كتب التفسير"[٢].

وقال هنا: "حدثنا أحمد بن حنبل" وهذا الحديث واحدٌ من عدد من الأحاديث التي يرويها الإمام مسلم عن الإمام أحمد، فهناك عشرون حديثًا يرويها مسلم عن الإمام أحمد، وهو يروي عن زهير بن حرب حوالي ألف حديث. قَالَ: " وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَسُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ، قَالَا: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ

---

(١) "شرح مسلم" (٢/ ٢٢٨).

(٢) انظر: "زاد المسير" لابن الجوزي (٣/ ٤٤٣)، و"تفسير ابن كثير" (٦/ ٣٧١).

رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِوَادِي الْأَزْرَقِ، فَقَالَ: «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟» فَقَالُوا: هَذَا وَادِي الْأَزْرَقِ، قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ» - الجُؤار يعني: الصوت الرفيع - ثُمَّ أَتَىٰ عَلَىٰ ثَنِيَّةِ هَرْشَىٰ، فَقَالَ: «أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟» قَالُوا: ثَنِيَّةُ هَرْشَىٰ - وَهُوَ جَبَل عَلَىٰ طَرِيق الشَّام وَالْمَدِينَة قَرِيب مِنْ الْجُحْفَة - قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَىٰ نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ - يعني: مُكتنزة اللحم - عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ، وَهُوَ يُلَبِّي». قَالَ ابْنُ حَنْبَلٍ فِي حَدِيثِهِ: قَالَ هُشَيْمٌ: يَعْنِي: لِيفًا.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَمَرَرْنَا بِوَادٍ، فَقَالَ: «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟» فَقَالُوا: وَادِي الْأَزْرَقِ. فَقَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَىٰ ﷺ - فَذَكَرَ مِنْ لَوْنِهِ وَشَعَرِهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ دَاوُدُ - وَاضِعًا إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ، لَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ، مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي». قال النووي: " وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ اسْتِحْبَاب وَضْع الْأُصْبُع فِي الْأُذُن عِنْد رَفْع الصَّوْت بِالْأَذَانِ وَنَحْوه، مِمَّا يُسْتَحَبّ لَهُ رَفْع الصَّوْت. وَهَذَا الِاسْتِنْبَاط وَالِاسْتِحْبَاب يَجِيء عَلَىٰ مَذْهَب مَنْ يَقُول مِنْ أَصْحَابنَا وَغَيْرهمْ: إِنَّ شَرْع مَنْ قَبْلنَا شَرْع لَنَا. وَاللهُ أَعْلَم "[١].

---

(١) "شرح مسلم" (٢/ ٢٣٠).

ولكن هذا مأخوذ من صفة الصلاة، ومأخوذ من عمل بلال[١]، وهذا في التلبية، وهذا في الأذان، والعبادات ليس فيها قياس، فنقول: إن استنباط هذا الحكم وجعله في الأذان من هذا الحديث ليس صحيحًا، فالأذانُ غيرُ التلبية، وشريعةُ مَن قبلنا ليست شريعة لنا، إلا ما وافق شرعنا، والرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لو كان يريد أن يتأسَّىٰ بموسىٰ، كان وَضع يديه، وعلَّم الناس أن يضعوا أيديهم في التلبية، ووضع الأيدي في الأذان من السنَّة التي أقرَّها النبيُّ ﷺ.

قَالَ: " ثُمَّ سِرْنَا حَتَّىٰ أَتَيْنَا عَلَىٰ ثَنِيَّةٍ، فَقَالَ: «**أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟**» قَالُوا: هَرْشَىٰ -أَوْ لِفْتٌ-. فَقَالَ: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ عَلَىٰ نَاقَةٍ حَمْرَاءَ، عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ لِيفٌ خُلْبَةٌ، مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي مُلَبِّيًا**». تقدَّم تفسير الخلبة.

وهنا أيضًا قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَذَكَرُوا الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ**»، فيقرؤه المؤمنُ الذي يكتب والذي لا يكتب، وهذا من عناية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالمؤمنين ورعايته لهم، فمن الممكن أن يكون الكفار يكتبون ولا يرون هذا. قَالَ مجاهد: " فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمْ أَسْمَعْهُ قَالَ ذَاكَ – ذاك إشارة إلى قوله السابق، وَلَكِنَّهُ قَالَ: «**أَمَّا إِبْرَاهِيمُ**

---

(١) رواه أحمد (١٨٧٥٩)، والترمذي (١٩٧)، وابن ماجه (٧١١)، عن أبي جحيفة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ. قال الترمذي: "حسن صحيح". وصححه الألباني في "الإرواء" (٢٣٠).

فَانْظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ، وَأَمَّا مُوسَىٰ، فَرَجُلٌ آدَمُ، جَعْدٌ، عَلَىٰ جَمَلٍ أَحْمَرَ، مَخْطُومٍ بِخُلْبَةٍ». هذا هو الذي تأكد منه ابن عباس، مخطوم يعني: ملفوف عليه بخطام، وهو الحبل الذي يقاد به. «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ إِذَا انْحَدَرَ فِي الْوَادِي يُلَبِّي» عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قَالَ: وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا لَيْثٌ، ح، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ "، هنا عندنا الليث، عن أبي الزبير، عن جابر، وأبو الزبير مدلِّس، وأن عنعنته لا تضر، وأن عنعنته التي يرويها الليث أيضًا لا تضر؛ لأنه قد تأكد الليث من سماع أبي الزبير هذه الأحاديث من جابر(١)، فلا تضرُّ هذه العنعنة، سواء عند مسلم أو غيره. فعن جابر: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ، فَإِذَا مُوسَىٰ ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ -، وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دَحْيَةُ» وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ رُمْحٍ: «دَحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ». كان جبريل يأتي في صورة دحية الكلبي، وقد يأتي في صورة أخرىٰ لا يُعرف فيها، كما في الحديث المشهور المسمَّىٰ بحديث جبريل، وهو حديث عمر،

(١) انظر: "الضعفاء" للعقيلي (٤/ ١٣٠)، و"الكامل في ضعفاء الرجال" لابن عدي (٧/ ٢٩٠)، و"بيان الوهم والإيهام" لابن القطان (٤/ ٣٢٠-٣٢١)، و"تهذيب التهذيب" (٩/ ٤٤٢).

قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ»(١). ففي هذه الحالة لم يعرف، وقد يأتي في صورة دحية، وأم سلمة رأته في هذه الصورة(٢)، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ رُمْحٍ: «دَحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ». يعني: بعضهم رواه بدون ذكر أبيه، وبعضُهم رواه بذكر أبيه.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ، قَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا. وَقَالَ عَبْدٌ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حِينَ أُسْرِيَ بِي لَقِيتُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ - فَإِذَا رَجُلٌ - حَسِبْتُهُ قَالَ -مُضْطَرِبٌ، رَجِلُ الرَّأْسِ- يعني: مسترسل الشعر، والمضطرب: الطويل، والله أعلم - كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ»، قَالَ: «وَلَقِيتُ عِيسَىٰ -فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ- فَإِذَا رَبْعَةٌ -يعني: متوسط بين الطويل والقصير- أَحْمَرُ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ» أحمر: بين الحمرة والبياض، والديماس فسَّره هنا: بالحمَّام. وقال بعضُهم: هو الْكِنُّ. يَعْنِي: فِي نَضَارَته وَكَثْرَة مَاء وَجْهه كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ كِنّ(٣). قَالَ: «وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ- وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ

(١) رواه مسلم (٨).

(٢) رواه البخاري (٤٦٣٤).

(٣) "شرح مسلم" (٢/ ٢٣٢).

بِهِ»، قَالَ: «فَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ، وَفِي الْآخَرِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ. فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَشَرِبْتُهُ، فَقَالَ -أي: جبريل-: هُدِيتَ الْفِطْرَةَ -أَوْ: أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ-»، وفي رواية: «أَصَابَ اللَّهُ بِكَ» أي: أراد الله بك الخير، «أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ»، لكنَّ الله أراد لهذه الأمة أن تكون أمَّة فطرة، فاختار لنبيِّها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما يناسب الفطرة].

***

(٧٥) بَابُ ذِكْرِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَالْمَسِيحِ الدَّجَّالِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٢٧٣) [١٦٩] حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَىٰ مَالِكٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَرَانِي لَيْلَةً عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا آدَمَ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، لَهُ لِمَّةٌ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ اللِّمَمِ، قَدْ رَجَّلَهَا فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً، مُتَّكِئًا عَلَىٰ رَجُلَيْنِ - أَوْ: عَلَىٰ عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ - يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ. ثُمَّ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ، أَعْوَرِ الْعَيْنِ الْيُمْنَىٰ كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: هَذَا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ**».

(٢٧٤) [•••] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمُسَيَّبِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسٌ، يَعْنِي: ابْنَ عِيَاضٍ، عَنْ مُوسَىٰ وَهُوَ ابْنُ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَانَيِ النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَىٰ كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**»، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«أَرَانِي اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مَا تَرَىٰ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، رَجِلُ الشَّعْرِ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَىٰ مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ، وَهُوَ بَيْنَهُمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ. وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلًا جَعْدًا قَطَطًا، أَعْوَرَ عَيْنِ الْيُمْنَىٰ كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ بِابْنِ قَطَنٍ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَىٰ مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ».

(٢٧٥) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا حَنْظَلَةُ، عَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ رَجُلًا آدَمَ، سَبْطَ الرَّأْسِ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَىٰ رَجُلَيْنِ يَسْكُبُ رَأْسُهُ - أَوْ: يَقْطُرُ رَأْسُهُ - فَسَأَلْتُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ - أَوِ: الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ. لَا نَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَ - وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْمَرَ، جَعْدَ الرَّأْسِ، أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَىٰ، أَشْبَهُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ ابْنُ قَطَنٍ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ».

(٢٧٦) [١٧٠] وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَا اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ».

(٢٧٧) [١٧١] حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَما أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ، سَبِطُ الشَّعْرِ، بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً - أَوْ: يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً - قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا ابْنُ مَرْيَمَ. ثُمَّ ذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ، جَسِيمٌ، جَعْدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الدَّجَّالُ. أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ».

(٢٧٨) [١٧٢] وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُجَيْنُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ وَهُوَ ابْنُ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْفَضْلِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ»، قَالَ: «فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَىٰ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ، جَعْدٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ

يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ».

التعليق:

[تقدَّم وصفُ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه بين الحمرة والبياض والأُدمة، هذه قريبة من تلك، ولا خلاف بين الروايتين، يعني أنها ليست سوادًا، وقد تكون بين الحمرة والبياض، «**لَهُ لِمَّةٌ**»: وَهُوَ الشَّعْر المسترسل الذي يصل إلىٰ شحمة الأذنين، «**قَدْ رَجَّلَهَا فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً**». فهذا وصفٌ دقيق لعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنه بهذا اللون، وشعره بهذا الوصف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهذا دليلٌ علىٰ ذكائه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بلمحة يعرف كل هذه الأوصاف. «**مُتَّكِئًا عَلَىٰ رَجُلَيْنِ** - أَوْ: **عَلَىٰ عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ** - **يَطُوفُ بِالْبَيْتِ**». وقد يكونان مَلَكين في صورة رجلين. «**فَسَأَلْتُ مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**». وهذه -والله أعلم- رؤيا منامية. «**ثُمَّ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ**» هذا الوصف لشعره أنه شديد التجعُّد والتعطف، «**أَعْوَرِ الْعَيْنِ الْيُمْنَىٰ، كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**»، طافية وطافئة، أي: بارزة ناتئة، تشبه العنبة الصغيرة، وذهب نورُها لا ضوء فيها. «**فَسَأَلْتُ مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: هَذَا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ**». فهذه رؤيا؛ لأن المسيح الدجَّال في الحقيقة لا يدخل مكة ولا المدينة، ولكن هذا في النوم.

الشاهد: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ليس بأعور، بخلاف الدجال: «**أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ**»، فالرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بيَّن صفات هذا الدجَّال، ووصفه بوصف لم يصفه به الأنبياء قبله، ما من نبيٍّ إلا وقد أنذر أمَّته الدجال، وبيَّن عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه سيصفه بأوصاف أدقَّ من التي وصفه به الأنبياءُ قبله، فهذا كلُّه ليبيِّن أنه كذَّاب ودجَّال، فوصفه بأنه دجال، وأنه أعور، وأن الله ليس بأعور.

هنا تأوَّل النوويُّ تأويلًا يوحي بأنه لا يُثبت العينين لله عَزَّوَجَلَّ، فقال[1]: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ مُنَزَّهٌ عَنْ سِمَاتِ الْحَدَثِ".

ولا شك أن الله يتنزَّه عن مشابهة المخلوقين، لكن له عينان، وله وجه، وله يدان، تليق بذاته، لا تشبه صفات المخلوقين، فلا داعي لهذا التأويل، فالرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يريد أن يبيِّن أن الله ليس بأعور، وأن الله له عينان تليق بجلاله، وهذا ليتميَّز هذا الخبيث الدجَّال، وليكون المؤمن علىٰ بصيرة من أمره حينما يرىٰ هذا الدجَّال، ويعلم صدق رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذي وصف هذا الخبيث بأنه أعور، وأنه دجال، وأنه قطط...، فهذه الأوصاف كلها؛ ليكون المؤمن علىٰ بصيرة من هذا الدجَّال الذي يدَّعي الربوبية، ويؤكِّد هذا بأن الله ليس بأعور؛ لأن بعض الناس قد يشتبه عليه الأمر، فيبيِّن لهم هذا.

---

(١) "شرح مسلم" (٢/ ٢٣٦).

الشاهد: أن أهل السنة يأخذون من هذا الوصف أن للَّه عينين[(١)] تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا موجودٌ في القرآن: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤﴾ [القمر: ١٤]، ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ [طه: ٣٩]، والله تعالىٰ وصف نفسه بالرؤية، وأنه بصيرٌ، وأنه يرىٰ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، هذه كلُّها صفاتُ العينين التي تحصل بها الرؤية، ولكنَّنا ننفي عن الله المشابهة ولا نعطِّل.

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَرَانِي اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مَا تَرَىٰ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، رَجِلُ الشَّعْرِ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَىٰ مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ، وَهُوَ بَيْنَهُمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ. وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلًا جَعْدًا قَطَطًا، أَعْوَرَ عَيْنِ الْيُمْنَىٰ**». قال: أعور عين اليمنىٰ ولم يقل: العين اليمنىٰ، وهي صفةٌ، وهو سائغ عند بعض النحويين بدون تأويل، وبعضُهم يقدِّر يقول: أعور عين صفحة وجهه اليمنىٰ[(٢)]. «**كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ بِابْنِ قَطَنٍ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَىٰ مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ**». تقدم في الرواية الأولىٰ أن الذي يضع يديه علىٰ منكبي

---

(١) انظر: "صحيح البخاري" كتاب التوحيد - باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾، حديث (٧٤٠٧ و٧٤٠٨)، و"نقض عثمان بن سعيد علىٰ بشر المريسي العنيد" (١/ ٣٠٤-٣٠٥ و٣٢٧-٣٣٣)، و"التوحيد" لابن خزيمة (١/ ٩٧-١٠٤).

(٢) "شرح مسلم" (٢/ ٢٣٦).

رجلين هو عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهنا جاء في وصف الدجَّال أنه واضعٌ يديه علىٰ منكبي رجلين، وهذا يحصل في آخر الزمان، وهذه رؤيا، وهي من الأمور التي تبيِّن الارتباط بين عيسىٰ وبين الدجَّال، أرىٰ الله نبيَّه محمدًا ﷺ في هذه المناسبة كُلًّا من المسيح النبيِّ الصادق، والمسيح الدجَّال، وأخبره أن المسيح عيسىٰ النبيَّ الصادق يقتل المسيح الأفَّاك الدجَّال المدَّعِي الربوبية الذي يقتل الناس، وعيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ينزله الله في ذلك الزمان يقتل هذا الدجال، ويهدي الناس علىٰ يديه، بعد أن يقتل هذا الدجال، ويريح الناس من شره، فالله أخبر الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بهذين الرجلين في المنام، وأخبره بأنه سيكون كذا وكذا من خروج الدجال وقتل عيسىٰ له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قَالَ: وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا حَنْظَلَةُ، عَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**رَأَيْتُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ رَجُلًا آدَمَ، سَبْطَ الرَّأْسِ**». تقدَّم أن السبط المسترسل الشعر، فالسبط ضد الجعد، «**وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَىٰ رَجُلَيْنِ يَسْكُبُ رَأْسُهُ - أَوْ: يَقْطُرُ رَأْسُهُ - فَسَأَلْتُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ - أَوِ: الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ. لَا نَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَ - وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْمَرَ، جَعْدَ الرَّأْسِ، أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَىٰ**» فهنا جاء بالعين معرفة صفة، «**أَشْبَهُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ ابْنُ قَطَنٍ، فَسَأَلْتُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ**». ويروىٰ: أن النبيَّ ﷺ قال فيه: «**كَأَنَّهُ قَطَنُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّىٰ**»، فقَالَ

الرجل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ يَضُرُّنِي شَبَهُهُ؟ قَالَ: «**لَا، أَنْتَ امْرُؤٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ امْرُؤٌ كَافِرٌ**»(١).

قَالَ مسلم: وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَا اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**».

وهذا من معجزاته ﷺ، فإنه أخبرهم أن الله تعالىٰ أسرىٰ به إلى بيت المقدس فكذَّبوه، وقالوا: نضرب آباط الإبل شهرًا إلى بيت المقدس، شهرًا إيابًا، وشهرًا ذهابًا، وأنت في ليلة واحدة تذهب وتأتي، ثم تحدَّوه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقالوا: صف لنا آيات وعلامات هذا المسجد. فشرع يصفه لهم، حتىٰ خفي عليه بعض الأشياء، فكرب أشدَّ الكرب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فجلَّىٰ الله تعالىٰ له بيت المقدس فرآه عِيانًا ﷺ آية من آيات الله عَزَّ وَجَلَّ فشرع يصفه لهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذا من أظهر الأدلَّة علىٰ أنه رسول الله ﷺ حقًّا، وأن الله تعالىٰ أسرىٰ به فعلًا، وشاهد هذا البيت، وعرج منه إلى السماء، ولم يذكر لهم أنه عرج به إلى السماء، فكذبوه في ذهابه ومجيئه إلى بيت

---

(١) أخرجه الطيالسي (٢٦٥٥)، وأحمد (٧٩٠٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ١٠١): "فِي سَنَدِهِ الْمَسْعُودِيَّ، وَقَدِ اخْتَلَطَ. وَالْمَحْفُوظُ أَنَّهُ عَبْدُ الْعُزَّىٰ بْنُ قَطَنٍ، وَأَنَّهُ هَلَكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كَمَا قَالَ الزُّهْرِيُّ".

المقدس، فكيف لو أخبرهم أنه ذهب إلى السماء ؟! وفي هذا الوصف الدقيق ما يكفي لمن أراد الله تعالىٰ له خيرًا أن يؤمن بهذا الرسول، ويصدِّقه ويتَّبعه، ولكنه العناد والكبر في أبي جهل وعتبة بن ربيعة وأبي لهب وصناديد قريش، فهم يعلمون أنه الصادق الأمين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقد لبث فيهم عُمرًا ما ادَّعىٰ شيئًا من هذا، إلى أن وصل الأربعين سنة، وهو الصدوق الأمين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإلى أن رأوا الآيات، ومنها هذه الآية، فقد وصف لهم بيت المقدس وصفًا دقيقًا، وهم يريدون أن يعجزوه؛ لأنه لم يذهب في حياته إلى بيت المقدس، ذهب إلىٰ الشام، لكن ما ذهب إلىٰ بيت المقدس، ولا دخله، ولا رآه، فوصفه لهم وصف المشاهد الرائي حقًّا، وكان هذا يكفي للبرهنة علىٰ صدقه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأنه رسولُ الله حقًّا، ولكنه الكبر والعناد، والعياذ بالله، وهذا البلاء موجودٌ في النصارىٰ واليهود والمشركين، وفي أهل الضلال من أهل البدع. نسأل الله العافية.

قَالَ: حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ، سَبِطُ الشَّعْرِ، بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً -أَوْ: يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً-**». أَمَّا «**يَنْطِف**» فَمَعْنَاهُ يَقْطُر وَيَسِيل، يُقَال: نَطَفَ بِفَتْحِ الطَّاء،

يَنْطِف بِضَمِّهَا وَكَسْرِهَا. وَأَمَّا «**يُهْرَاق**» فَبِضَمِّ الْيَاء وَفَتْح الرَّاءِ وَمَعْنَاهُ: يَنْصَبّ. «**قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا ابْنُ مَرْيَمَ. ثُمَّ ذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ، جَسِيمٌ، جَعْدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الدَّجَّالُ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ**». تقدَّم الكلام علىٰ هذا.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُجَيْنُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ وَهُوَ ابْنُ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْفَضْلِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ**» وَالضَّمِير فِي «مِثْله» يَعُود عَلَىٰ مَعْنَىٰ الْكُرْبَة، وَهُوَ الْكَرْب أَوْ الْغَمّ أَوْ الْهَمّ أَوْ الشَّيْء. قَالَ: «**فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ**». هناك في رواية جابر قال: "فَجَلَا". وهنا قال: "رَفَعَه". والتجلية حاصلةٌ بهذا الرفع، «**مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ**» إذن وصفه كان يأتي إجابات علىٰ أسئلة، فما سألوه عن شيء إلا وأجابهم عليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. «**وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ**» هذه الحالة غير تلك الحالة، الآن لـمَّا كان في مكَّة في وضح النهار يصف لقريش بيت المقدس، وأراه الله إياه، والله أعلم.

«**فَإِذَا مُوسَىٰ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ، جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ،**

وَإِذَا عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ».

هذه الصلاة من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كانت في ليلة معجزات، إما أحياهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذه معجزة، فصلّوا في هذه المناسبة، وإمَّا أن الله مثَّلهم له صلَّوا معه، ورآهم في السموات في السماء الدنيا والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة، فيكون إمَّا أحياهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإمَّا أنهم مُثِّلوا له تمثيلًا. والله أعلم، ورأىٰ موسىٰ ليلة الإسراء قائمًا يصلي في قبره، فيحتجُّ بعض الناس بمثل هذه الأحاديث علىٰ أن الأنبياء أحياءٌ حياة دنيوية، والنبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حيٌّ عندهم حياة دنيوية، وأن كثيرًا منهم يشاهده، ومنهم من يرىٰ الخضر وإلياس، إلى آخر الترهات التي أفسدوا بها عقائد المسلمين، والحق أن الأنبياء أموات يبعثهم الله يوم القيامة، وأوّل من تنشق عنه الأرض رسول الله ﷺ، وحياتُهم مثل حياة الشهداء حياة برزخية، أرواحُهم في الجنَّة تسرح في الجنة حيث شاءت، وأجسادُهم في قبورهم، ولا تعود هذه الأرواح إلى الأجساد، إلا يوم يبعث الله الجنَّ والإنس والملائكة، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ

مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ﴾ [المائدة: ١٠٩]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزُّمَر: ٣٠، ٣١]، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ [الزُّمَر: ٤٢]، فمن مات فروحه عند الله ممسكة، ولا تعود إلى هذه الدنيا، وفي بعض الأحاديث: أن الشهداء يطلع عليهم ربهم اطلاعة، ويقول: «هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّىٰ نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ، فَلَمَّا رَأَىٰ أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا»[١] يعني: ما أعاد أرواحهم، ولا لبّىٰ طلبهم.

وروىٰ الترمذي وابن ماجه[٢] -واللفظ له- من حديث جابر قال: لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ يَوْمَ أُحُدٍ، لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا جَابِرُ، أَلَا أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللَّهُ لِأَبِيكَ؟» وَقَالَ: يحيىٰ في حديثه، فَقَالَ: «يَا جَابِرُ، مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتُشْهِدَ أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالًا

(١) رواه مسلم (١٨٨٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠١٠)، وابن ماجه (١٩٠) واللفظ له، و(٢٨٠٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٠٢). وهو حديث حسن، وانظر «ظلال الجنة» للألباني (١/ ٢٦٧-٢٦٨)؛ فإنه قد حسنه، وهو كما قال.

وَدَيْنًا. قَالَ: «أَفَلَا أُبَشِّرُكَ، بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟»، قَالَ: بَلَىٰ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي، فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، فَقَالَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ، قَالَ: يَا رَبِّ، فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي. قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]».

فهذه الحقائق المستمدَّة من كتاب الله ومن سنَّة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يجب أن يعرفها المؤمن ويتمسَّك بها، وألَّا يخضع للخرافات والأساطير التي ينشرها أهلُ البدع والضلال، وقادوا بها أجيالًا من الناس إلى الشرك والبدع والضلالات - نسأل الله العافية -، وأذكر وأنا في السودان ألقيت محاضرة، ثم وُجِّه إليَّ سؤال: بعضُ الصوفية لهم أوراد وأذكار، ويجتمعون في وقت ما، ويفرشون ثيابهم في الأرض، ويقرأون هذه الأوراد، ويزعمون أن النبيَّ ﷺ يحضر عندهم، فما رأيكم في هذا؟ فقلت لهم: هذا ليس صحيحًا، وهذه خرافات، والرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لو كان يمشي علىٰ الأرض لحقَّق ما تمنَّاه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإنه تمنَّىٰ أن يُقتل في سبيل الله ثم يحيا، ثم يقتل ثم يحيا، ثم يقتل[1]، فوالله لو تحققت له هذه

---

(١) رواه البخاري (٣٦)، ومسلم (١٨٧٦)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الأمنية، لكان أول شيء يفعله هو حملُ راية الجهاد في سبيل الله، لا تَتَبُّع حلقات الخرافيين والمبتدعين من أهل الجهل والضلال. فاستحضرت هذا الحديث، وكانت إجابة طيبة - والحمد لله -، واستفاد منها الناس].

❊ ❊ ❊

(٧٦) بَابٌ فِي ذِكْرِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٧٩) [١٧٣] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ، ح: وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَأَلْفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ، قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ، عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ مُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا». قَالَ: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [النجم: ١٦]. قَالَ: «فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ». قَالَ: «فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا، الْمُقْحِمَاتُ».

(٢٨٠) [١٧٤] وَحَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَّادٌ وَهُوَ ابْنُ الْعَوَّامِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الشَّيْبَانِيُّ، قَالَ: سَأَلْتُ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ، عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٩]. قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ**».

(٢٨١) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنِ الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم: ١١]. قَالَ: «رَأَىٰ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ».

(٢٧٢) [٠٠٠] حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ الشَّيْبَانِيِّ، سَمِعَ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم: ١٨]. قَالَ: «رَأَىٰ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ».

التعليق:

[في الباب أحاديثُ عن عبد الله بن مسعود، وفيه تفسيرُ قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم: ١١]. من سورة النجم، وتفسيرُ قول الله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم: ١٨].

وتفسيرُها أنه رأىٰ جبريل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مرَّتين علىٰ صورته التي

خلقه الله عليها، له ستمائة جناح، فابنُ عبَّاس اعتمد علىٰ فهمه في تفسير الآية، وهو يخالف هذه النصوص: عن ابن مسعود، وعن عائشة، وأبي هريرة، وحديث أبي ذر - كما سيأتي -].

***

(٧٧) بَابُ مَعْنَى قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، وَهَلْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٨٣) [١٧٥] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾، قَالَ: «رَأَىٰ جِبْرِيلَ».

(٢٨٤) [١٧٦] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَفْصٌ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «رَآهُ بِقَلْبِهِ».

(٢٨٥) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ، جَمِيعًا عَنْ وَكِيعٍ، قَالَ الْأَشَجُّ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ زِيَادِ بْنِ الْحُصَيْنِ أَبِي جَهْمَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣]، قَالَ: «رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ».

التعليق:

[هذا تفسيرُ ابن عبَّاس، ولا يوافق القرآن، وما فسَّره به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أن المَرئي هنا هو جبريل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قد يتبادر إلى ذهن العالم أو الصحابي هذا المعنىٰ، أنه رأىٰ ربَّه عَزَّوَجَلَّ ؛ لأنه في سياق الإسراء، ولهذا كان مسروقٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كذلك يفهم هذا الفهم، ثم بيَّنت له عائشة كما سيأتي، ثم إن ابن عبَّاس قيَّد الرؤية هنا بالفؤاد، لا بالبصر، ورغم هذا التقييد، فهذا ليس تفسيرًا للآيتين، تفسيرُها الصحيح ما فسَّره رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأنه رأىٰ جبريل].

❁ ❁ ❁

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٨٦) [•••] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جَهْمَةَ، بِهَذَا الإِسْنَادِ.

(٢٨٧) [١٧٧] وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ دَاوُدَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ. قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَىٰ رَبَّهُ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ. قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ

الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي، وَلَا تُعْجِلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَىٰ صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ**». فَقَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣]؟ أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١]؟ قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]. قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

(٢٨٨) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ ابْنِ عُلَيَّةَ، وَزَادَ: قَالَتْ: وَلَوْ كَانَ

مُحَمَّدٌ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ لَكَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

(٢٨٩) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، هَلْ رَأَىٰ مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللهِ لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي لِمَا قُلْتَ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ وَحَدِيثُ دَاوُدَ أَتَمُّ وَأَطْوَلُ.

(٢٩٠) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ، عَنِ ابْنِ أَشْوَعَ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: فَأَيْنَ قَوْلُهُ: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [النجم: ٨-١٠]؟ قَالَتْ: إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ ﷺ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ؛ فَسَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ.

التعليق:

[علىٰ كلِّ حالٍ، حاصلُ هذا الحديث أن ابن عبّاس فهم من قول الله تعالىٰ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١]، وقوله: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٨]. فهم منه بفهمه الخاصِّ أن رسول الله ﷺ رأىٰ ربَّه

بقلبه، ما قال: رآه بعينه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأما عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فكما أخبرت أنها سألت رسول الله عن هاتين الآيتين، فأخبرها أن هذه الرؤية إنما كانت لجبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، رآه علىٰ هيئته التي خلقها الله عليها، وقد سدَّ أفق السماء، هابطًا من السماء إلى الأرض، وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه رأىٰ جبريل، وله ستمائة جناح، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه رأىٰ جبريل، وتفسيرُ هاتين الآيتين الصحيح هو ما رواه هؤلاء، أمَّا حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فاستفادت هذا التفسير من رسول الله ﷺ، وقد كانت سألته عن ذلك وصدعت به، وابنُ مسعود وأبو هريرة لا يمكن أن يقولا هذا من عند أنفسهما، وإن هذا العلم يُتلقَّىٰ عن الشارع، لا مجال للرأي فيه كما يقال، ويؤيِّد أنه يطابق ما روته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن رسول الله ﷺ، وما رواه أبو ذر أيضًا عن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في قوله: «نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ؟»، كما سيأتي.

وبعضُ الناس يدَّعي أن رسول الله رأىٰ ربَّه بعيني رأسه، وقد ذكر النوويُّ[1] كثيرًا من هؤلاء، لكن الصحيح أنه ما رأىٰ ربَّه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لا في ليلة الإسراء ولا في غيرها، وأن هذا لا يحصل لرسول الله ﷺ ولا لغيره إلا في الآخرة، فعُمدة هذا الباب هو ما روته عائشة وابن مسعود وأبو هريرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكذلك كلُّ من ادَّعىٰ أنه رأىٰ ربَّه بعينيه قبل

---

(١) "شرح مسلم" (٣/ ٤-٥ و٦).

الموت؛ فدعواه باطلة؛ باتفاق أهل السنة والجماعة؛ لأنهم اتفقوا جميعهم علىٰ أن أحدًا من المؤمنين لا يرىٰ ربَّه بعَيْني رأسه حتىٰ يموت، وثبت ذلك في "صحيح مسلم" عن النواس بن سمعان عن النبيِّ ﷺ، أنه لما ذكر الدجال قال: «**وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَرَىٰ رَبَّهُ حَتَّىٰ يَمُوتَ**».

وكذلك رُوي هذا عن النبيِّ ﷺ من وجوه أخر، يحذِّر أمَّته من فتنة الدجال، وبيَّن لهم أن أحدًا منهم لن يرىٰ ربَّه حتىٰ يموت، فلا يظننَّ أحد أن هذا الدجال الذي رآه هو ربُّه، ولكن الذي يقع لأهل حقائق الإيمان من المعرفة بالله ويقين القلوب ومشاهدتها وتجلياتها هو علىٰ مراتب كبيرة، قال النبيُّ ﷺ لمَّا سأله جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الإحسان، قال: «**الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

وقد يرىٰ المؤمن ربَّه في المنام في صور متنوعة علىٰ قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيمانه صحيحًا لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأىٰ ما يشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حُكمٌ غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبيرٌ وتأويل؛ لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق، وقد يحصل لبعض الناس في اليقظة من الرؤيا نظيرُ ما يحصل للنائم في المنام، فيرىٰ بقلبه مثلما يرىٰ النائم، وقد يتجلَّىٰ له من الحقائق ما يشهده بقلبه، فهذا كله يقع في الدنيا، وربَّما غلب أحدهم ما يشهده قلبُه وتجمعه حواسه؛ فيظنُّ أنه رأىٰ

ذلك بعَيْني رأسه، حتىٰ يستيقظ فيعلم أنه منام، وربَّما علم في المنام أنه منام، وهكذا من العبَّاد من يحصل له مشاهدة قلبية تغلب عليه حتىٰ تُثنيه عن الشعور بحواسِّه، فيظنها رؤيا بعينه، وهو غالط في ذلك، وكلُّ من قال من العُبَّاد المتقدمين أو المتأخرين أنه رأىٰ ربه بعَيْني رأسه فهو غالط في ذلك، بإجماع أهل العلم والإيمان، نعم رؤية الله بالأبصار هي للمؤمنين في الجنة، وهي أيضًا للناس في عرصات القيامة؛ كما تواترت الأحاديث عن النبيِّ ﷺ، حيث قال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ**»"[1] اهـ].

❋❋❋

(١) "مجموع الفتاوىٰ" (٣/ ٣٨٩-٣٩٠).

(٧٨) بَابٌ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ» وَفِي قَوْلِهِ: «رَأَيْتُ نُورًا»

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٢٩١) [١٧٨] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ؟!».

(٢٩٢) [•••] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، ح: وَحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، كِلَاهُمَا عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ: لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ فَقَالَ: «رَأَيْتُ نُورًا».

التعليق:

[هذا الباب وهو: هل رأىٰ محمد ﷺ ربّه ليلة الإسراء أو لم يره؟ فعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا صرَّحت بأن محمدًا لم ير ربَّه، وأن من زعم ذلك فقد أعظم علىٰ الله

الفرية، وقد احتجَّت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣]. وبقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١]. فاحتجت على نفي رؤية رسول الله ربَّه في هذه الليلة، ولم تنكر رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الدار الآخرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وإنما أنكرت أن النبيَّ ﷺ رأى ربَّه في ليلة الإسراء، وقال لها مسروق وقرأ عليها بعض الآيات: "يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي وَلَا تُعْجِلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣]؟".

فَقَالَتْ: "أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَىٰ صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»".

وفي حديث ابن مسعود: أن «له ستمائة جناح». يعني رآه في هاتين المناسبتين على صورته التي خلقه الله عليها من هذه الخلقة العظيمة، فقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ يعني رؤيته لجبريل وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ رأى جبريل، ولم ير ربَّه، وساقت عائشة الدليل من كلام النبيِّ

ﷺ، وساق مسلمٌ حديث ابن عبَّاس في تفسير قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١﴾. قال: «رَآهُ بِقَلْبِهِ». وقال مرَّة: «رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ». وهنا لفت نظري أن ابن عبَّاس لم ينصَّ علىٰ الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالضمير يحتمل -والله أعلم- أن قوله: «رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ». يعني الرسول ﷺ رأىٰ جبريل مرَّتين. والله أعلم.

ويحتمل أنه رآه بفؤاده مرَّتين، يعني أنه رأىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ويؤيِّد هذا الاحتمال ما ورد عن ابن عبَّاس من طرق أخرىٰ في غير مسلم: "أن رسول الله رأىٰ ربَّه"، ولكنه لم يَثْبُت عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من طريق صحيح أن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رأىٰ ربَّه بعَيْني رأسه، وإنما قال كما هنا، وهذه أثبتُ الروايات عنه، أنه رآه بقلبه ورآه بفؤاده، ولم ينقل عن النبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذا التفسير كما نقلت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، فتفسيرُ ابن عبَّاس للآيات مخالفٌ لتفسير رسول الله نفسه ﷺ، وهذا اجتهاد منه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولو بلغه تفسيرُ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لرجع إليه وقال به، وما تردَّد في ذلك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، كما هي عادة أصحاب محمد ﷺ.

نؤكِّد هذا الكلام ونقول: إن الصواب والراجح أن ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم ينقل عن النبيِّ ﷺ أنه رأىٰ ربَّه بعَيْني رأسه، وإنما قال ذلك تفسيرًا لقول الله

تعالىٰ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾. وهذا ما رواه مسلم في هذا الباب في كتاب الإيمان حديث (١٧٦)، ولولا ورود ما يعارضه من بيان الرسول ﷺ لأخذنا به، ولقلنا بما قاله النوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره ممن استند إلى ما روي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن هذا ممَّا لا يدرك بالعقل، وهذا التعليق علىٰ كلام النووي يرجح فيه أن رسول الله ﷺ رأىٰ ربَّه بعَيني رأسه، والذي يعارض تفسير ابن عباس هو ما رواه مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من طريق مسروق عن عائشة أنها قالت: "ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ". قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: "مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَىٰ رَبَّهُ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ"، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي وَلَا تُعْجِلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عزوجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَىٰ صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ**». فَقَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ

﴿يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٥١﴾ [الشورى: ٥١]؟".

لقد فهم مسروقٌ مثل فهم ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بل أشدُّ، ألا وهو الرؤية البصرية، ويبدو أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نفسها فهمت هذا الفهم، فدفعها إلى سؤال رسول الله ﷺ، والذي لا يجوز التردُّد في الأخذ به، إنما هو بيانُ رسول الله ﷺ الذي نزلت عليه هذه الآيات، والذي أُسري به فعلًا، ورأىٰ جبريل في هاتين المرَّتين اللتين أخبر عنهما.

وممَّا يؤكد حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في تفسير هاتين الآيتين اللتين فسرهما ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ما رواه مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾. قال: «رَأَىٰ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ».

وما رواه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾. قال: «رَأَىٰ جِبْرِيلَ». فهذان شاهدان لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مما يدلُّ علىٰ أن أبا هريرة وابنَ مسعود إنما تلقَّياه عن رسول الله ﷺ، وعلىٰ كلٍّ فابنُ عبَّاس لم يقل ولم يثبت عنه أن رسول الله ﷺ رأىٰ ربَّه بعَيْني رأسه، أمَّا رؤية رسول الله ﷺ بقلبه فهذا لا يُنكر، ولكنه لا يصلح تفسيرًا لهذه الآيات التي فسَّرها رسول الله ﷺ، بخلاف تفسير ابن عبَّاس، والذي نعتقد في ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه لو بلغه حديثُ عائشة وما يؤيِّده لرجع عن تفسيره، كما هو

عادتُه وعادةُ الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ومما يؤكد ما ذهبت إليه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ؟!**» الذي رواه مسلم في هذا الباب.

ورواه أحمد (٥/ ١٧١)، ويقع في "الموسوعة الحديثية من مسند الإمام أحمد" (٣٥/ ٣٩٣-الرسالة)، وفي إحدىٰ الروايات جاء فيه: "علىٰ طريق الإيجاب"[١]، فلو كان رسولُ الله ﷺ رأى ربَّه لقال: نعم. بل لو كان قد رآه لأخبر بذلك في أحاديث الإسراء وغيرها، كما أخبر عن رؤيته الأنبياء في السموات، آدم وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ويحيىٰ ويوسف وهارون وإدريس عليهم الصلاة والسلام، وكما تحدَّث عن رؤية الملائكة والبيت المعمور وسدرة المنتهىٰ، ورؤيته الجنة؛ إذ رؤية الله أعظم من رؤيته لهذه الأمور، ولو حصلت لأخبر بها أصحابه، ولشاعت بينهم.

ملاحظة: علَّق محقق المسند في الجزء الخامس والثلاثين، صفحة ثلاثمائة وإحدىٰ عشرة وثلاثمائة واثنتي عشرة، علىٰ قوله: «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ**» بقولهم: (٤م-٥ق-) يعني إشارة إلىٰ نسخ "مسند الإمام أحمد" التي بنوا عليها تحقيقهم- «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ**»، وضُبطت في (ظ٥)- بفتح الهمزة الأولىٰ وتشديد

---

(١) (٣٥/ ٣١١)، وسيأتي الكلام عليها.

النون المفتوحة، ولم تضبط في (ق)، وأما نسخة (ر) فقد ضبطت فيها: «نُورَاني»، بضم النون الأولىٰ وكسر الثانية وياء مشددة نسبة إلىٰ النور، وقوله في آخر الحديث - يعني: علىٰ طريق الإيجاب - يظهر أنه من كلام عبد الله بن أحمد أو من كلام الإمام أحمد، فحينئذ تقرأ الكلمة: «**نُورَانِيٌّ أَرَاهُ**».

قلت: وأنا لا أظنُّ أن هذا من الإمام أحمد، ولا من ابنه عبد الله، وإنما من تصحيف بعض النسَّاخ، والله أعلم، وواصل المحققون النقل فقالوا: "قال القاضي كما في "شرح مسلم" للنووي (٣/ ١٢): (لم تقع إلينا ولا رأيتها في شيء من الأصول). وقال ابنُ تيمية عنها: (إنها تصحيف). قلنا: والصواب أنها كلمتان «نُورٌ أَنَّىٰ»، قال الإمام النووي في "شرح صحيح مسلم" (٣/ ١٢): "هكذا رواه جميعُ الرواة في جميع الأصول والروايات، ومعناه: حجابه نور، فكيف أراه؟". قلنا: وهذا المعنىٰ مأخوذ من حديث أبي موسىٰ عند مسلم (١٧٩)، رفعه: «**حِجَابُهُ النُّورُ، لَوَ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**».

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَازِرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الضَّمِير فِي: «أَرَاهُ». عَائِدٌ عَلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ النُّور مَنَعَنِي مِنَ الرُّؤْيَة كَمَا جَرَتِ الْعَادَة بِإِغْشَاءِ الْأَنْوَار الْأَبْصَار، وَمَنْعهَا مِنْ إِدْرَاك مَا حَالَتْ بَيْن الرَّائِي وَبَيْنَهُ"[١].

---

(١) "شرح مسلم" للنووي (٣/ ١٢).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يشرح حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**».

قال: وفي "صحيح مسلم" عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ**». فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: معناه: كان ثَمَّ نورٌ، وحال دون رؤيته نورٌ، فأنَّىٰ أَراه، قال: ويدلُّ عليه أن في بعض الألفاظ الصحيحة: هل رأيت ربك؟ قال: «**رَأَيْتُ نُورًا**».

والله قد أعضل أمر هذا الحديث علىٰ كثيرٍ من الناس، حتىٰ صحَّفه بعضُهم، فقال: «نُورَانِيٌّ أَرَاهُ». علىٰ أنها ياء النسب، والكلمة كلمة واحدة، وهذا خطأ لفظًا ومعنًىٰ، وإنما أوجب لهم هذا الإشكال والخطأ أنهم لما اعتقدوا أن رسول الله ﷺ رأىٰ ربَّه، وكان قولُه: «**أَنَّىٰ أَرَاهُ؟!**». كالإنكار للرؤية؛ حاروا في الحديث، وردَّه بعضُهم باضطراب لفظه، وكلُّ هذا عدولٌ عن موجب الدليل، وقد حكىٰ عثمانُ بنُ سعيد الدارمي في كتاب "الرد" له إجماع الصحابة علىٰ أنه ﷺ لم ير ربَّه ليلة المعراج، وبعضُهم استثنىٰ ابن عبَّاس من ذلك.

يقول ابن القيم: "وشيخنا يقول: ليس ذلك بخلاف في الحديث؛ فإن ابن عبَّاس لم يقل: رآه بعَيني رأسه. وعليه اعتمد أحمدُ في إحدىٰ الروايتين حين قال: إنه رآه. ولم يقل: بعَيْني رأسه. ولفظُ أحمد كلفظ ابن عبَّاس، ويدلُّ علىٰ صحَّة ما قال شيخُنا في معنىٰ حديث أبي ذر قولُه ﷺ في الحديث الآخر: «حِجَابُهُ النُّورُ». فهذا النور هو -والله أعلم- النور المذكور في حديث أبي ذرٍّ: «رَأَيْتُ نُورًا»"[1].].

❁❁❁

(١) "اجتماع الجيوش الإسلامية" (٢/ ٤٦-٤٩)، وانظر: "مجموع الفتاوىٰ" (٦/ ٥٠٧-٥٠٨).

(٧٩) بَابٌ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ» وَفِي قَوْلِهِ: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٢٩٣) [١٧٩] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ** - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: **النَّارُ** - **لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**». وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، وَلَمْ يَقُلْ: حَدَّثَنَا.

(٢٩٤) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ، وَلَمْ يَذْكُرْ: «**مِنْ خَلْقِهِ**». وَقَالَ: حِجَابُهُ النُّورُ.

(٢٩٥) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَرْبَعٍ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَرْفَعُ الْقِسْطَ وَيَخْفِضُهُ، وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ، وَعَمَلُ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ**».

التعليق:

[أورد المصنف في هذا الباب حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ -وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**». وهذا الحديث فيه دليلٌ علىٰ عظمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وتنزُّهه عن النقائص؛ فإن النوم نقصٌ ومن صفات المخلوقين، والله الخالق العظيم جَلَّجَلَالُهُ يتنزَّه عن ذلك؛ ولذلك قال: «**وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ**». يعني: لا يجوز عليه، ولا يمكن منه، وإطلاقُ عبارة «لَا يَنْبَغِي» في القرآن وفي السنة وفي اصطلاح السلف، يرادُ منها أنه لا يمكن، فهو من المستحيلات وما شابهها؛ لأن الناس يطلقون «لا ينبغي» فيما لا يحسُن، وهذه الصفة نفىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عنه النقص، كما

قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فتعالىٰ وتقدَّس أن تأخذه السِّنَة والنوم، والله علىٰ كل شيء حفيظ، يحفظ السموات والأرض ومن فيهن، فلا يمكن أن ينام الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وتنزَّه عن ذلك.

والمسألة الثانية: «**يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ**». يعني: العدل، والقسط الميزان؛ لأنه هو العدل، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يظلم مثقال ذرَّةٍ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠]. فهذا في أعمال العباد، فهي موزونة ومحدودة عنده، ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ [فُصِّلَت: ٤٦].

قوله: «**يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ**». يعني: العمل الذي يعمله الناس في الليل من خير وشر ترفعه الملائكة الكتبة الحافظون، يرفعونها إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠- ١٢].

وكما ذكر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كتابة الأعمال في الكتاب والسنة، من عمل خيرًا كتبه الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ له، وضاعفه أضعافًا كثيرة، ويجازي علىٰ السيِّئة بمثلها، سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة بسيِّئة، ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورىٰ: ٤٠]، قال: «**وَعَمَلُ**

النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ» فالذي يعمله العباد في النهار ترفعه الملائكة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قبل عمل الليل.

قوله: «حِجَابُهُ النُّورُ» هذا الشاهد، قال مسلم: -وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: «النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ». فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تعالت عظمتُه وجلَّت قدرتُه، احتجب عن خلقه بهذا الحجاب، وورد في آثار أخر: "حجب من ظلمات ومن نور ومن نار"[(١)]، ولحكمة منه عَزَّوَجَلَّ ورحمة منه بمخلوقاته في السموات والأرض؛ لو كشف هذا الحجاب، وهو من نور أو من نار، لحصل هذا الذي ذكره، وهو أن يحترق كلُّ ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه، من أعلىٰ السموات إلى أسفل الأرضين، وهذا يدلُّ علىٰ عظمة نوره وجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فنؤمن بأن لله حجابًا، وأن لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وجهًا يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا نقصَ في ذلك، بل ذلك والله هو الكمال، وهناك من يعطِّل هذه الصفة وغيرها من الصفات، صفة الوجه،

---

(١) روىٰ الدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (١١٨)، وفي «النقض علىٰ المريسي» (٢/ ٧٤٨ و٧٦١)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٢٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٧٥)، وابن أبي زمنين في «أصول السنة» (٤٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٤٩)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٧٢٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٩٣): عن ابْنِ عُمَر قَالَ: «احْتَجَبَ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ بِأَرْبَعٍ: بِنَارٍ وَظُلْمَةٍ وَنُورٍ وَظُلْمَةٍ». قال الحاكم: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي. وصحح إسناده محقق «أصول السنة» لابن أبي زمنين.

وقد وردت أحاديث وآثار أخرىٰ، انظرها في: «نقض الدارمي علىٰ المريسي» (٢/ ٧٤٨-٧٦٧)، و«أصول السنة» لابن أبي زمنين (ص١٠٤-١٠٨)، و«العظمة» لأبي الشيخ (٢/ ٦٦٧-٧٢٠).

بتعليلات وسفسطات باردة، وهم يزعمون أنهم ينزِّهون الله عن الصفة؛ لأن إثبات الوجه يقتضي التركيب ويقتضي التجسيم! والجهمية ينفون الأسماء والصفات، كما يزعمون تنزيهًا لله عَزَّوَجَلَّ عن تشبيهه بالخلق، فعطَّلوه من صفات كماله ونعوت جلاله، وجاء المتكلِّمون من الأشاعرة وغيرهم علىٰ تفاوت بينهم، كالمعتزلة يثبتون الأسماء، ولكن لا معاني لها عندهم، ويعطِّلون الصفات ويقولون: عليمٌ بدون علم، وسميعٌ بلا سمع، وبصيرٌ بدون بصر. وينكرون الوجه من باب أولىٰ، وجاء بعضُ المتكلمين من الأشاعرة، وأثبتوا بعض الصفات كالعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر، وعطَّلوا صفات الله الفعلية؛ كالنزول والمجيء والاستواء، وعطَّلوا عن الله الصفات الذاتية؛ كالوجه واليدين، وتعالىٰ الله عمَّا يقولون، فالذات عندهم لا وجه لها، ولا تفعل شيئًا، ولا تنزل، ولا تتحرك، فهذه ذاتٌ ميِّتة، والله فعَّالٌ لما يريد، تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وتنزَّه عما يقولون.

وفي «شرح النووي» حصلت تأويلاتٌ للوجه وللحجاب، وما يتعلق بهما، وأحبُّ أن أعلِّق علىٰ هذا الكلام، قال الشارح -وهو النوويُّ-: "فَالسُّبُحَات بِضَمِّ السِّين وَالْبَاء وَرَفْع التَّاء فِي آخِره، وَهِيَ جَمْع سُبْحَة، قَالَ صَاحِب الْعَيْن وَالْهَرَوِيّ وَجَمِيع الشَّارِحِينَ لِلْحَدِيثِ مِنَ اللُّغَوِيِّينَ وَالْمُحَدِّثِينَ: مَعْنَىٰ «**سُبُحَاتُ وَجْهه**» نُورُه وَجَلَالُه وَبَهَاؤُهُ، وَأَمَّا الْحِجَاب

فَأَصْله فِي اللُّغَة الْمَنْع وَالسَّتْر، وَحَقِيقَة الْحِجَاب إِنَّمَا تَكُون لِلْأَجْسَامِ الْمَحْدُودَة، وَاللَّه مُنَزَّه عَنِ الْجِسْم وَالْحَدّ، وَالْمُرَاد هُنَا الْمَانِع مِنْ رُؤْيَته، وَسُمِّيَ ذَلِكَ الْمَانِع نُورًا أَوْ نَارًا؛ لِأَنَّهُمَا يَمْنَعَانِ مِنَ الْإِدْرَاك فِي الْعَادَة لِشُعَاعِهِمَا، وَالْمُرَاد بِالْوَجْهِ الذَّات، وَالْمُرَاد بِمَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَره مِنْ خَلْقه: جَمِيع الْمَخْلُوقَات؛ لِأَنَّ بَصَره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْكَائِنَات، وَلَفْظَة «مِنْ» لِبَيَانِ الْجِنْس، لَا لِلتَّبْعِيضِ، وَالتَّقْدِير: لَوْ أَزَالَ الْمَانِع مِنْ رُؤْيَته وَهُوَ الْحِجَاب الْمُسَمَّىٰ نُورًا أَوْ نَارًا، وَتَجَلَّىٰ لِخَلْقِهِ لَأَحْرَق جَلَالُ ذَاته جَمِيع مَخْلُوقَاته، وَاللَّه أَعْلَم"[1]. وعلىٰ هذا الكلام مآخذُ أو ملاحظات:

الأولى: علىٰ قوله: "وَحَقِيقَة الْحِجَاب إِنَّمَا تَكُون لِلْأَجْسَامِ الْمَحْدُودَة، وَاللَّه مُنَزَّه عَنِ الْجِسْم وَالْحَدّ". فنقول: الجسم لفظ مجملٌ، يحتمل حقًّا وباطلًا، ولم يرد في القرآن ولا في السنة نفيُه ولا إثباته، وعلىٰ المسلم أن يلتزم منهج الكتاب والسنَّة في الألفاظ، ولاسيما في هذا الباب باب أسماء الله وصفاته، فالله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورىٰ: ١١].

فنفىٰ عن نفسه المشابهة والمماثلة، فلا يشبه شيئًا من مخلوقاته، ولا يشبهه شيءٌ من مخلوقاته جَلَّ وَعَلَا، وأثبت لنفسه سمعًا وبصرًا، فنحن نؤمن

(١) "شرح مسلم" (٣/ ١٣-١٤).

بأنَّ لِلَّه ذاتًا تليق بجلاله وكماله، وله صفاتٌ تليق بذاته وجلاله وكماله، منها العلم والقدرة والإرادة إلى آخر الصفات التي وصف بها نفسه المقدَّسة، ومنها الوجه واليدان، ومنها علوُّه علىٰ خلقه مستويًا علىٰ عرشه، ومنها نزولُه كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا، ومجيئُه يوم القيامة، وكلُّ هذه صفاتٌ لذاته المقدسة، والله قد ذكر في القرآن أن له حجابًا، فقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الشورىٰ: ٥١].

والحجاب هو الساتر بين الشيئين، وفي هذا الحديث: «**حِجَابُهُ النُّورُ -أَو النَّارُ-**»، فقد بيَّن رسول الله ﷺ الذي وكل الله إليه بيان القرآن أن حجاب ربِّنا هو النور أو النار، ولو كان في هذا محظورٌ لما قاله الله، ولما قاله رسولُه ﷺ، بل هذا يدلُّ علىٰ عظمة ربِّنا وعزَّته وجلاله، فنؤمن بما أخبرنا به ربُّنا، وأخبرنا به رسولُه، ولا نتقحَّم مثل هذه التأويلات الباطلة، ويُفهم من قول النووي: "وَالْمُرَاد هُنَا الْمَانِع مِنْ رُؤْيَته، وَسُمِّيَ ذَلِكَ الْمَانِع نُورًا أَوْ نَارًا؛ لِأَنَّهُمَا يَمْنَعَانِ مِنَ الْإِدْرَاك فِي الْعَادَة لِشُعَاعِهِمَا "، أن هذا المانع عنده أمرٌ معنوي، سُمِّي نورًا أو نارًا من باب المجاز، ولا داعي ولا ضرورة أبدًا لهذا التأويل، فما المانع من أن يكون هذا الحجاب نورًا أو نارًا، وما أدرىٰ المتكلِّم من المعطِّلين أن الحجاب لا يكون إلا للأجسام التي عطَّلوا بتخيُّلها كثيرًا من صفات العظمة لله، فإذا كنَّا نؤمن بأن لله ذاتًا تليق بجلاله لا

تشبه ذوات المخلوقين، وله صفاتٍ لا تشبه صفات المخلوقين، وله أفعالًا لا تشبه أفعال المخلوقين، فما المانع لإلهنا وربِّنا الذي هذا شأنُه أن يجعل للذات المقدسة الموصوفة بكل كمال وجلال حجابًا، لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصرُه من خلقه، كما قال ذلك رسولُه الأمين الذي علَّمنا إجلال الله وإعظامه وتنزيهه عن كل النقائص، ولو كان في هذا شيء من النقص لما قاله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والله إن ما قاله لحقٌّ، وإن ما قاله لمن أعظم البراهين علىٰ جلال الله، وعلىٰ عظمته، وعلىٰ تعظيم هذا الرسول لربِّه ذي الجلال والكمال والعظمة.

الثانية: أن النوويَّ إنما سار علىٰ مذهب المتكلِّمين الذين يقولون: "إن الله تعالىٰ في كل مكان، ولا يخلو منه مكان"، مع الأسف، وهذا قولٌ باطلٌ، يقتضي -شاؤوا أم أبوا- أن الله مختلط بخلقه، ثم إنَّ قَصْدَ المعطِّلةِ والمتكلِّمين من نفي الجسمية عن الله تعطيله من صفاته، كما هو حال الجهمية والمعتزلة، أو من بعضها، كما هو حال الأشعرية والماتريدية الذين يؤولون الاستواء والعلو والنزول والمجيء والرضا والغضب والوجه واليدين والقَدم، ومن هذا ما تراه في هذا المقطع من كلام النوويِّ، فهذا هو المراد من نفي الجسمية عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأهلُ السنة لا يثبتون الجسمية ولا ينفونها؛ لأنها لم ترد في كتاب الله ولا في السنَّة، ولما في نفيها من المحاذير

التي أدَّت بالمولَعين بها إلى تعطيل الله من صفات كماله، ومن هنا ذمَّ السلفُ أهلَ الكلام، وأنكروا عليهم، وجعلوهم من أهل الباطل.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ خلال مناقشته لمن يطلق مثل هذه الألفاظ المبتدعة: "فيقال: أولًا لفظُ الجسم والحيِّز والجهة ألفاظٌ فيها إجمالٌ وإبهامٌ، وهي ألفاظٌ اصطلاحية، وقد يراد بها معانٍ متنوعة، ولم يرد الكتاب والسنة بهذه الألفاظ لا بنفي ولا إثبات، ولا جاء عن أحد من السلف وأئمَّتهم فيها نفيٌ ولا إثباتٌ أصلًا، فالمعارضة بها ليست معارضة بدلالة شرعية، لا من كتاب، ولا من سنة، ولا من إجماع، بل ولا أثر لا عن صاحب أو تابع ولا إمام من المسلمين، بل الأئمَّة الكبار أنكروا علىٰ المتكلِّمين بها، وجعلوهم من أهل الكلام الباطل والمبتدع، وقالوا فيهم أقوالًا غليظة معروفة عن الأئمَّة، كقول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (حكمي في أهل الكلام أن يُضرَبوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل علىٰ الكلام)".(١)

الثالثة: علىٰ قوله: "اللَّه منزَّهٌ عن الجسم والحدِّ". تقدَّم الكلام علىٰ ما يتعلَّق بنفي الجسم أو إثباته، أما الحدُّ، فقد ورد عن الإمام أحمد نفيُه عن صفات الله عمومًا، ولكن مقصده بذلك غير مقصد الجهمية، قال شيخ

(١) "مجموع الفتاوىٰ" (٥/ ٢٩٨).

الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضِّحًا قصد الإمام أحمد من نفي الحدِّ: "وقوله: "بلا حدٍّ ولا صفة يبلغها واصف أو يحدُّه أحدٌ". نفىٰ به إحاطة علم الخلق به، وأن يحدُّوه أو يصفوه علىٰ ما هو عليه، إلا بما أخبر عن نفسه؛ ليبيِّن أن عقول الخلق لا تحيط بصفاته، كما قال الشافعيُّ في خطبته للرسالة: "الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه، وفوق ما يصفه به خلقُه". ولهذا قال أحمد: "لا تدركه الأبصار بحدٍّ ولا غاية"."

ثم نقل شيخ الإسلام عن الإمام أحمد وابن المبارك وإسحاق بن راهويه بالأسانيد الصحيحة أنهم يُثبتون الحد لله[1]، وقصدُهم بذلك الردُّ علىٰ الجهمية الذين يقولون: "إن الله في كل مكان". قال الإمامُ عثمانُ بنُ سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مخاطبًا الجهمية بعد أن ساق الحجج والبراهين من كتاب الله علىٰ إثبات علوِّ الله عَزَّوَجَلَّ: "تزعمون أن إلهكم الذي تعبدون في كل مكان، واقعٌ في كل شيء، لا حدَّ له، ولا منتهىٰ عندكم، ولا يخلو منه مكانٌ بزعمكم، ثم قلتم: إنما يوصف بالنزول مَن هو في مكان دون مكان، فأمَّا من هو في كل مكان، فكيف ينزل إلى مكان ؟!".

ثم أخذ في الردِّ عليهم. ثم قال: "حدثنا الحسن بن الصبَّاح البزار البغدادي، حدثنا علي بنُ الحسن بن شقيق، عن ابن المبارك أنه سئل: بما

---

(١) "درء تعارض العقل والنقل" (٢/ ٣٣-٣٤).

نعرف ربَّنا؟ قال: بأنه فوق العرش، فوق السماء السابعة، علىٰ العرش بائنٌ من خلقه. قال: قلت: بحدٍّ؟ قال: فبأيِّ شيء ؟!". ثم ساق الحجج بتأييد قول ابن المبارك.

وكرَّر الدارمي ذكر الحدِّ، يعني أن الله فوق سمواته مستوٍ علىٰ عرشه، بائنٌ من خلقه، من غير تشبيه ولا تمثيل، انظر كتابه «الرد علىٰ الجهمية» (ص٩٧-١٠٢).

ونقل شيخ الإسلام عن الدارمي أنه قال: "وقد اتفقت كلمةُ المسلمين والكافرين أن الله في السماء، وحدوه بذلك إلا المريسي الضال وأصحابه، حتىٰ الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوه بذلك"، «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٥٩).

ثم وجدت هذا الكلام في «نقد الإمام أبي سعيد الدارمي» (١/ ٢٢٨)، وكان قد قال قبله في (٢٢٨ من هذا الجزء): "وادَّعىٰ المعارض أيضًا أنه ليس لله حدٌّ ولا غايةٌ ولا نهايةٌ، وهذا هو الأصلُ الذي بنىٰ عليه جهمٌ جميع ضلالته، واشتق منها أُغلوطاته، وهي كلمةٌ لم يبلغنا أنه سبق جهمًا إليها أحدٌ من العالمين".

هذا وقد نقل كلام الإمام عبد الله بن المبارك عبدُ الله بنُ أحمد في «السنة» (١/ ١٧٥)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٣/ ١٥٧-١٥٩)، كما

نقل ذلك عن الإمام أحمد، ونقله ابنُ عبد البر في "التمهيد" (٧/ ١٤٢)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٢/ ٣٣٥)، كلُّهم مُقرُّون بكلام ابن المبارك.

قال البيهقي عقب رواية كلام ابن المبارك (ص٣٣٦): "إنما أراد عبد الله بالحد حدَّ السمع، وهو أن خبر الصادق ورد بأنه علىٰ العرش استوىٰ، فهو علىٰ العرش كما أخبر، وقصد بذلك تكذيب الجهمية فيما زعموا أنه بكل مكان، وحكايتُه الأخرىٰ تدلُّ علىٰ مراده".

ونقل الإمام ابنُ أبي العز الحنفي في "شرح الطحاوية" (ص١٧٨- المكتب الإسلامي، ط: الثالثة) كلام الإمام ابن المبارك هذا، مقرِّرًا له، ثم قال: "ومن المعلوم أن الحدَّ يقال علىٰ ما ينفصل به الشيءُ ويتميز به عن غيره، والله تعالىٰ غيرُ حالّ في خلقه، ولا قائم بهم، بل هو القيُّوم والقائم بنفسه، المُقيم لما سواه، فالحدُّ بهذا المعنىٰ لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلًا؛ فإنه ليس وراء نفيه إلا نفيُ وجود الرب، ونفيُ حقيقته، وأمَّا الحد بمعنىٰ العلم والقول، وهو أن يحدَّه العباد فهذا منتفٍ بلا منازعة بين أهل السنة".

الملاحظة الرابعة: علىٰ قوله: "وَالْمُرَاد بِالْوَجْهِ الذَّات".

أقولُ: في هذا القول تعطيلٌ لصفة الوجه، جريًا علىٰ طريقة الجهمية والمعتزلة والأشاعرة أو غلاة الأشاعرة، في تعطيل هذه الصفة الكريمة،

وغيرها من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة، ومنها صفة الوجه، قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]. فذكر الوجه، ووصفه بأنه ذو الجلال والإكرام، وقال تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]. والآيات والأحاديث في إثبات هذه الصفة الكريمة كثيرة، قال البيهقي في كتاب «الاعتقاد» (ص٨٨): "باب: ذكر آيات وأخبار في إثبات صفة الوجه واليدين والعين، وهذه صفاتٌ طريق إثباتها السمع، فنثبتها لورود خبر الصادق بها، ولا نكيِّفها، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧]. فأضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت إلىٰ الوجه فقال: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾. فعلمنا أنه نعتٌ للوجه، وهو صفة للذات".

وقد سبق البيهقيَّ إلى إثبات الوجه من الأشاعرة الإمامُ أبو الحسن الأشعري في كتاب «الإبانة» (ص١٢٩)، حيث قال: "الباب الثامن: الكلام في الوجه والعين والبصر واليدين، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]. فأخبر أن له وجهًا لا يفنىٰ، ولا يلحقه الهلاك، ونَفَت الجهمية أن يكون لله وجه كما قال، وأبطلوا أن يكون له سمع وبصر

وعين، ووافقوا النصارىٰ؛ لأن النصارىٰ لم تثبت الله سميعًا بصيرًا إلا علىٰ معنىٰ أنه عالم، وكذلك قالت الجهمية".

ثم ساق الأدلة علىٰ إثبات العين والبصر واليدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، وقال: "فمن سألنا فقال: أتقولون: إن لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وجهًا؟ فنقول له: نقول ذلك، خلافًا لما قاله المبتدعون، وقد دلَّ علىٰ ذلك قولُه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧]".

أقول: والأدلة علىٰ ذلك كثيرة من الكتاب والسنة، وقد أثبت هذه الصفات وغيرها أئمَّةُ الإسلام من السابقين واللاحقين، من مفسِّرين ومحدثين وفقهاء، فليت النوويَّ تأسَّىٰ بهم، وجانب سُبل أهل الضلال والبدع، وممَّن وصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالوجه بمقتضىٰ القرآن والسنة ابنُ فُورَك، حيث قال في كتابه «مشكل الحديث وبيانه» (ص١٧٢)، قال: «اعلم أن إطلاق وصف الله عَزَّوَجَلَّ بأن له وجهًا قد ورد به نصُّ الكتاب والسنة، وذلك من الصفات التي لا سبيل إلى إثباتها إلا من جهة النقل، ولو لم يرد بذلك خبرٌ لم يجُز إطلاقه؛ إذ لا دلالة من جهة العقول تقتضي ذلك فتوجبه، وذهبت المعتزلة في تأويل ذلك إلى أن معناه أنه هو، وأن وجه الشيء قد يكون نفسَه، وقد تأوّلوا قولَه تعالىٰ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، أي: فثَمَّ الله،

وأن وجه الله هو الله، وشبَّهوا ذلك بقولهم: وجه الحائط، ووجه الثوب، ووجه الأمر، وهذا عندنا خطأ؛ لأن القول به يؤدي إلى جواز القول بأن الله عَزَّوَجَلَّ وجهٌ، وأنه يجوز أن يُدعىٰ به، فيقال: يا وجه، اغفر لنا. وقد أجمعت الأمة علىٰ المنع من ذلك، وذهب أصحابُنا إلى أن الله عَزَّوَجَلَّ ذو وجه، وأن الوجه صفةٌ من صفاته القائمة بذاته". انتهىٰ.

والملاحظة الخامسة: علىٰ قوله: "وَالتَّقْدِير: لَوْ أَزَالَ الْمَانِع مِنْ رُؤْيَته وَهُوَ الْحِجَاب الْمُسَمَّىٰ نُورًا أَوْ نَارًا، وَتَجَلَّىٰ لِخَلْقِهِ لَأَحْرَقَ جَلَال ذَاته جَمِيع مَخْلُوقَاته".

ففيه أنه لا يعتقد أن الحجاب نور أو نار؛ ولهذا يقول: " الْمَانِع مِنْ رُؤْيَته وَهُوَ الْحِجَاب الْمُسَمَّىٰ نُورًا أَوْ نَارًا"، أمَّا الرسول ﷺ فقد سمَّاه حجابًا، وسماه نورًا، ولا مانع عقلًا ولا شرعًا من أن يكون لله حجاب، أو حُجب من نور، ولا يقتضي ذلك نقصًا في حق الله تعالىٰ، فنتمحَّل له التأويلات الباطلة.

وفي قوله: "لَوَ تَجَلَّىٰ لِخَلْقِهِ لَأَحْرَقَ جَلَالُ ذَاتِه جَمِيعَ مَخْلُوقَاته". ففيه تكرارٌ لإنكار صفة الوجه، حيث أسند الإحراق والجلال إلى الذات، وهي والله كذلك، ونحن لا نحصي ثناء علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وكما نعظِّم ذاته نعظِّمُ صفاته، وتعظيمُ صفاته من تعظيمه، ومنها علمُه وقدرتُه وإرادتُه وسمعُه وبصرُه، فكما نؤمن بأن له علمًا وقدرة وإرادة، ونرىٰ أنها من صفات الله،

وننكر علىٰ من يتأوَّلها فيقول: عليمٌ بذاته بدون علم، وسميع بذاته بدون سمع... إلخ.

نقول: له وجهٌ يليق بذاته، ووجهُه يوصف بالجلال والإكرام والنور والبصر، الذي لو كشف الحجاب عنه لأحرقت سُبُحاته ما انتهىٰ إليه بصرُه من خلق الله، كما أخبر بذلك أصدقُ البشر، وأعلمُهم بالله، وأنصحهم للخلق، رسولُ الله ﷺ، ومن الخطورة بمكان معارضةُ كلامه ﷺ بمثل هذه التأويلات المتعسّفة الباطلة.

قلت: وهذا الحديث يفسِّر حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالنور الذي ذكره الرسولُ ﷺ في حديثه لم يسمِّه حجابًا، وهذا النور الذي منعه من الرؤية، ولكن صرَّح بهذا الحجاب في حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**حِجَابُهُ النُّورُ**». فهذه الرواية تفسِّر حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. **قال مسلم**: وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: «**النَّارُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**». والنَّار هنا بمعنىٰ النور؛ لأن في كلٍّ إشراق وإضاءة، فصعب علىٰ الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رؤية الله بسبب هذا الحجاب، وقد ورد أن هناك حُجبًا كثيرة، حُجُبٌ من نور، وحُجُبٌ من ظلمة، لكني غير متأكِّد من صحَّتها.

الشاهد: أن من يدَّعي أن الرسول ﷺ رأىٰ ربَّه، وبَنَوْا ذلك علىٰ حديث ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فابنُ عبَّاس الذي صحَّ عنه أن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

رآه بقلبه، ويصحُّ هذا الكلام، لكن لا نجعله تفسيرًا لآيات «النجم»: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم:١١]، ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨].

س: هل هذا الحجاب مخلوق؟

ج: نعم هذا الحجاب مخلوق، فالله خلق الظلمات والنور، فالحُجب وغيرها مخلوقة، لكن نور الله ليس بمخلوق، الذي هو صفة الله عَزَّوَجَلَّ، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه؛ لأن نور الله أقوىٰ من هذا النور الذي نحيا فيه].

❋❋❋

(٨٠) بَابُ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الآخِرَةِ رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٢٩٦) [١٨٠] حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، وَأَبُو غَسَّانَ الْمَسْمَعِيُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي غَسَّانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**».

(٢٩٧) [١٨١] وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَيْسَرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَىٰ، عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ** عَزَّوَجَلَّ».

(٢٩٨) [...] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَزَادَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

❊❊❊

(٨١) بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٩٩) [١٨٢] حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، أَخْبَرَهُ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟**» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ:**

أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَىٰ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُجَازَىٰ حَتَّىٰ يُنَجَّىٰ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَىٰ رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَىٰ النَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَدْعُو اللهَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعُوَهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ. وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللهُ، فَيَصْرِفُ اللهُ

وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَىٰ الْجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ، وَيْلَكَ يَابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ. يَدْعُو اللهَ حَتَّىٰ يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ. فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ عَلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، فَرَأَىٰ مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَلا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ؟ وَيْلَكَ يَابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، لَا أَكُونُ أَشْقَىٰ خَلْقِكَ. فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ حَتَّىٰ يَضْحَكَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ اللهُ مِنْهُ قَالَ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللهُ لَهُ: تَمَنَّهْ، فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّىٰ حَتَّىٰ إِنَّ اللهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّىٰ إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ، لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئًا، حَتَّىٰ إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ اللهَ قَالَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ: «وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: «وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ». يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا

حَفِظْتُ إِلَّا قَوْلَهُ: «**ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ**». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلَهُ: «**ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ**». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ.

(٣٠٠) [٠٠٠] حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا، أَنَّ النَّاسَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ مَعْنَىٰ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ.

(٣٠١) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَدْنَىٰ مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: تَمَنَّ. فَيَتَمَنَّىٰ، وَيَتَمَنَّىٰ، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّيْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَا تَمَنَّيْتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**».

(٣٠٢) [١٨٣] وَحَدَّثَنِي سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**». قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ**

صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَىٰ الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا. فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَىٰ النَّصَارَىٰ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ. فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ. فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا. قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَىٰ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي أَدْنَىٰ صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ

نُصَاحِبُهُمْ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا. مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ.

فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَىٰ قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَىٰ جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ. فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّىٰ إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ. فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ. فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَىٰ النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَىٰ نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ:

رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ. فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا. وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠]، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ. فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَىٰ الْحَجَرِ، أَوْ إِلَىٰ الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَىٰ الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَىٰ الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَىٰ بِالْبَادِيَةِ. قَالَ: فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ. ثُمَّ

يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ. فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا. فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

قَالَ مُسْلِمٌ: قَرَأْتُ عَلَىٰ عِيسَىٰ بْنِ حَمَّادٍ زُغْبَةَ الْمِصْرِيِّ هَذَا الْحَدِيثَ فِي الشَّفَاعَةِ، وَقُلْتُ لَهُ: أُحَدِّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَ مِنَ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، فَقَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ لِعِيسَىٰ بْنِ حَمَّادٍ: أَخْبَرَكُمُ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَرَىٰ رَبَّنَا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَحْوٌ». قُلْنَا: لَا. وَسُقْتُ الْحَدِيثَ حَتَّىٰ انْقَضَىٰ آخِرُهُ وَهُوَ نَحْوُ حَدِيثِ حَفْصِ بْنِ مَيْسَرَةَ، وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ: «بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا قَدَمٍ قَدَّمُوهُ». فَيُقَالُ لَهُمْ: «لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ اللَّيْثِ: «فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ». وَمَا بَعْدَهُ، فَأَقَرَّ بِهِ عِيسَىٰ بْنُ حَمَّادٍ.

(٣٠٣) [•••] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ بِإِسْنَادِهِمَا نَحْوَ حَدِيثِ حَفْصِ بْنِ مَيْسَرَةَ إِلَى آخِرِهِ، وَقَدْ زَادَ وَنَقَصَ شَيْئًا.

التعليق:

[مقصود هذا الباب: إثباتُ أن المؤمنين يرون ربَّهم يوم القيامة، وهذا أمرٌ ثابت بالكتاب والسنة، ودان به السلفُ الصالح من الصحابة والتابعين ومَن تبعهم بإحسان، من أئمَّة الفقه والحديث والتفسير وغيرهم إلى يومنا هذا، ولله الحمد، وخالف في ذلك أهلُ الضلال؛ من المعتزلة والخوارج والروافض ومَن تابعهم، والموضوع الثاني: موضوع الشفاعة، الشفاعة في المذنبين من الموحِّدين الذين يدخلون النار، وهذا الموضوع ثابتٌ أيضًا بالكتاب والسنة، وبإجماع أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين ومَن تبعهم بإحسان، وإلى يومنا هذا، ولله الحمد، والموضوع الثالث: موضوع الصورة للَّه ربِّ العالمين، وهذا أمرٌ جاء في سنَّة رسول الله ﷺ ، ودان به الصحابةُ والتابعون، ولم ينكره إلا أهلُ البدع والضلال من المعتزلة والجهمية والخوارج والروافض ومن تابعهم، ومن الموضوعات الواردة في هذه الأحاديث: إثباتُ ما أكرم الله تعالىٰ به أهل الجنة، وأن الجنة جنَّتان، بل جنانٌ؛ كما ورد في بعض الأحاديث[1]، لكن في هذا الحديث: « **جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا** »، وقد ورد في القرآن والسنة الفرق بين المقرَّبين والأبرار، فجنَّة الذهب للمقرَّبين، وجنَّة

(١) انظر: "صحيح البخاري" حديث (٢٨٠٩).

الفضة للأبرار، والمقرَّبون هم القائمون بحقوق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بعد معرفتهم بالله وبأسمائه وصفاته وإيمانهم بذلك، القائمون بحقوقه من واجبات ومندوبات، ومع ذلك يجتنبون المحرَّمات والمكروهات، بل قد يتعفَّفون عن بعض المباحات درءًا للشبهات، والمقتصدون ويقال لهم: الأبرار، وهم الذين يقومون بالواجبات، ويجتنبون المحرَّمات، وقد يقعون في بعض المكروهات، ويتوسَّعون في المباحات، والقسم الثالث وهم الظالمون لأنفسهم، وهم العصاة عصاة الموحِّدين، فهذه أقسامٌ ثلاثة، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تحدَّث عن الفرق بين منزلة جنَّة المقرَّبين وجنَّة الأبرار في سورة [الرحمن] وفي سورة [الواقعة] وفي سورة [الإنسان]، بيَّن ذلك بيانًا واضحًا، ففي هذا الحديث جزاءُ المؤمنين في الجنَّة يرجع إلى هذا التقسيم، هذه الموضوعات الرئيسة في هذه الأحاديث.

قوله: «وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»، هذا ممَّا تأوَّله النوويُّ غفر الله له، قال: "قَالَ الْعُلَمَاء: كَانَ النَّبِيّ ﷺ يُخَاطِب الْعَرَب بِمَا يَفْهَمُونَهُ، وَيُقَرِّب الْكَلَام إِلَى أَفْهَامهمْ، وَيَسْتَعْمِل الِاسْتِعَارَة وَغَيْرهَا مِنْ أَنْوَاع الْمَجَاز؛ لِيُقَرِّب مُتَنَاوَلهَا؛ فَعَبَّرَ ﷺ عَنْ زَوَال الْمَانِع وَرَفْعه عَنِ الْأَبْصَار بِإِزَالَةِ الرِّدَاء، قَوْله ﷺ: «فِي جَنَّة عَدْن» أَي:

النَّاظِرُونَ فِي جَنَّة عَدْن، فَهِيَ ظَرْف لِلنَّاظِرِ"[١].

أقول: ونحن نقول: رداءُ الكبرياء هو الحجابُ؛ لأن الحديث يفسِّر بعضُه بعضًا، وهو النور، كما قال ﷺ: «**حِجَابُهُ النُّورُ**»، فرداءُ الكبرياء هو الحجابُ والله أعلم، ولهذا قال: «**فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ**»، في نفس السياق قال: « **فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ** »، فهذا الذي سمَّاه رداء الكبرياء هو نفسُه ما جاء في قوله ﷺ: « **فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ** ».

ـ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَىٰ، عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَّ**». يعني: الجنان والأنهار والقصور والحور، وإلىٰ آخره، ما أُعطوا شيئًا من هذا العطاء السخيِّ أحبَّ إليهم من النظر إلى ربِّهم عَزَّوَجَلَّ، فرؤية الله هي غايةُ ما يتمنَّاه المؤمنُ ويسعىٰ في تحقيقه؛ لأنه فوق الجزاء بالجنة، وكذلك الرضا أكبرُ من الجنة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، فكان الصحابة يسألون رسول الله ﷺ: هل يرون ربَّهم؟ فيجيبهم إجابة شافية بأنهم يرون ربَّهم، ولم يقل: نعم. وسكت، بل ذهب يضرب الأمثال ليؤكِّد أن

(١) "شرح مسلم" (٣/ ١٦).

المؤمنين حقًّا يرون ربَّهم فعلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟**». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**». تأكيداتٌ وأمثالٌ لإثبات أن المؤمنين يرون ربَّهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والأحاديثُ كثيرةٌ في هذا الباب بلغت حدَّ التواتر[1]، والقرآن يدلُّ علىٰ ذلك؛ قال عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. ومنها إثبات لقاء الله، كما في قوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦]. وأمثالها من الآيات في لقاء الله عَزَّوَجَلَّ، وكذلك أدلَّةٌ عديدة استخرجها العلماء من القرآن الكريم علىٰ إثبات أن المؤمنين يرون ربَّهم يوم القيامة، بالإضافة إلى الأحاديث التي تواترت عن أصحاب محمد ﷺ عن نبيِّهم الكريم ﷺ بأن المؤمنين يرون ربهم رؤية صحيحة واقعة لا غبار عليها.

وهذا الحديث فيه من التأكيدات ما يرفع أيَّ احتمال من الاحتمالات أو أيَّ تأويل من التأويلات، التي يتأولها ويحتملها من لم يلتزموا نصوص الكتاب والسنة، واتبعوا أقوالهم الضعيفة الهزيلة، فهنا في سياق هذه الأحاديث: أن الله يَجْمَعُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «**فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا**

(١) "شرح مسلم" للنووي (٣/ ١٥)، و"بيان تلبيس الجهمية" (٢/ ٣٩٢)، و"مجموع الفتاوىٰ" (١٣/ ٣٥)، كلاهما لابن تيمية، و"تفسير ابن كثير" (٨/ ٢٧٩)، و"نظم المتناثر" (ص٢٣٨-٢٤٠).

فَلْيَتَّبِعْهُ. فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا». يجمعهم في صعيد واحد، وهذا فيه بيانُ غلط عبادة الأوثان الشمس والقمر والشجر، وأن هذا أخبثُ أنواع الشرك، وأنه أخبثُ من شرك اليهود والنصارىٰ، شرك الوثنيين أهلُه شرٌّ في الدنيا والآخرة من اليهود والنصارىٰ، فأهلُ الكتاب في الدنيا تجوز مناكحتهم وأكلُ طعامهم وذبائحهم، وأمَّا المشركون فلا يجوز مناكحتُهم ولا أكل ذبائحهم؛ لأنهم أغلظ كفرًا وشركًا بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن أهل الكتاب عندهم إيمانٌ بالنبوَّة وبالجزاء والجنة والنار، وأشياء يتميَّزون بها عن الوثنيِّين، أما الوثنيون فيكفرون بهذه الأشياء كلها، فهم شرٌّ وأخبث، والذين يقولون من السياسيين: "إن هذا شرك ساذج"، إنما يهوِّنون من هذا الشرك الذي حاربه جميعُ الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- أشد الحرب، كان الأنبياء يواجهون حُكَّامًا طغاة، ويحكمون بغير ما أنزل الله، فلا يبدؤون بالصراع علىٰ الكراسي، وإنما يبدؤون بالدعوة إلى توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وإخلاص الدين له، ونبذ الشرك وعبادة الأوثان، والقرآن والسنة يدلَّان علىٰ أن هذا الشرك أخبثُ الذنوب وأكبرُها، وأن أهله من الوثنيين ومن المجوس ومشركي العرب قبل البعثة، فالعرب -الحمد لله- دخلوا في الإسلام بعد البعثة، ومشركو الهندوك

وغيرهم من عبَّاد الشمس والقمر والأشجار والأحجار والأموات، فكفرهم غليظ، ولهذا لا تُقبل منهم الجزية، وتُقبل من أهل الكتاب؛ لأنهم أخفُّ منهم كفرًا، فتقبل منهم الجزية.

ففرق عظيم بين هذا الشرك وذاك، اليهود والنصارىٰ مع شركهم ضمُّوا مع ذلك الحكم بغير ما أنزل الله بنص الكتاب والسنة، ومع ذلك فإن الوثنيين شرٌّ منهم، والذي دفع هؤلاء إلى تهوين هذا الشرك وسمَّاه بالشرك الساذج، غلوُّهم في السياسة، وتهاونُهم بالعقيدة، هذا دفعهم إلى هذا وذاك.

الأنبياءُ أشدُّ غيرةً علىٰ الله وعلىٰ دينه، وأنصح عباد الله لأممهم، ما كانوا يبدؤون إلا بتصحيح العقائد، ومحاربة الشرك الوثني الخبيث الذي هو أغلظ أنواع الشرك، يبدؤون بحربه، أما السياسيون فقد حمَّلوا الإسلام ما لا يحتمل، وفسَّروا «لا إله إلا الله» بما لا تحتمل، وجعلوا معنىٰ «لا إله إلا الله» يعني: لا حاكم إلا الله، تفسيرٌ سياسي ضيَّعوا به معنىٰ «لا إله إلا الله»، فـ: «لا حاكم إلا الله» لها أدلَّةٌ من الكتاب والسنة غير «لا إله إلا الله»، أما «لا إله إلا الله» معناه: لا معبود بحق إلا الله، ولا يصحُّ أبدًا أن يفسَّر «لا إله إلا الله» بلا حاكم إلا الله أبدًا، لا لغةً ولا عقلًا ولا شرعًا، ولكن الجهل والهوىٰ والاستهانة بالعقيدة، ولهذا لا يهتمُّون بهذا الشرك، فلا يحاربون شرك القبور ولا غيره من أنواع الشرك إلا تحلَّة القسم -كما يقال- من بعضهم، وتراهم

يتهاونون بشرك الروافض وشرك الصوفية وشرك أنواع الخلق، ولا همَّ لهم إلا محاربة الحكام للوصول إلى الكراسي، ولأجل هذا حرَّفوا نصوص القرآن، ومعنى «لا إله إلا الله» إلى منهجهم هذا.

قوله: «**فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ**». لأنهم عرفوا الله من الكتاب والسنَّة، بأن من صفاته كذا، ومن صفاته كذا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أنه سميع بصير، له وجه، وله من الصفات التي وردت في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، «**فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ. هَذَا مَكَانُنَا حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا رَبُّنَا. فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ**» التي عرفهم بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومما ذكر في كتب الله عَزَّوَجَلَّ، «**فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ**»، يعني على متنها، «**فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ**» أي: أول من يعبر الصراط ويتجاوزه يوم القيامة، «**وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَىٰ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**». ويأتي قبل هذا موقفٌ لا يتكلَّم فيه إلا من أذن له الرحمن، كما قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ: ٣٧، ٣٨]، الرسل -عليهم الصلاة

والسلام- يدعون للناس بالنجاة، وهم أرحم الناس بعباد الله في الدنيا والآخرة، أرحم خلق الله بعباد الله، يقولون: اللهمَّ سلِّم سلِّم، والدعاء هذا للمؤمنين. «**وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ**». **الْكَلَالِيب**: جَمْع كَلُّوب بِفَتْحِ الْكَاف وَضَمّ اللَّام الْمُشَدَّدَة، وَهُوَ حَدِيدَة مَعْطُوفَة الرَّأْس، يُعَلَّق فِيهَا اللَّحْم، وَتُرْسَل فِي التَّنُّور، وَأَمَّا السَّعْدَان فَبِفَتْحِ السِّين وَإِسْكَان الْعَيْن الْمُهْمَلَة، وَهُوَ نَبْت لَهُ شَوْكَة عَظِيمَة، مِثْل الْحَسَك مِنْ كُلّ الْجَوَانِب، لكن هذا في الشبه والصورة، لكن لا يعلم عظمتها إلا الله عَزَّوَجَلَّ، هذه الكلاليبُ التي هي في جهنم صورتُها مثل التي في الدنيا، ولكنها في العِظَم لا يعلم قدرها إلا الله. قال الرسول ﷺ: «**هَلْ رَأَيْتُمْ السَّعْدَانَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ**» أي: بالشرك والمعاصي.

«**فَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ**». هذه اللفظة «**بَقِيَ**» ينبِّه النوويُّ وغيرُه على أنها جاءت: «**الْمُؤْمِن يَقِي بِعَمَلِهِ**»، «**بَقِيَ**»، «**الْمُوثَق**»، «**الْمُوبَق**»، «**يعنى بعمله**»[1]، فرواية: «**الْمُؤْمِنُ يَقِي بِعَمَلِهِ**» يعني: نجا، أمَّا «**الموبق**» و«**الموثق**» فلم يجتز، وألقي في النار والعياذ بالله. «**وَمِنْهُمُ الْمُجَازَىٰ حَتَّىٰ يُنَجَّىٰ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ،**

---

(١) «شرح مسلم» (٣/ ٢١).

أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». الملائكة يشفعون، ويأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالشفاعة في الموحدين، «فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ»، وكذلك حينما يشفع المؤمنون يقولون: «رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ». فيشفعون في إخوانهم المؤمنين، إمَّا بعد الملائكة وبعد الأنبياء، وإمَّا في آن واحد، والله أعلم، ولكن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ له شفاعاتٌ خاصة لا يشاركه فيها أحد، وهي الشفاعة في إراحة الناس من الموقف، والشفاعة في عمِّه أبي طالب، وشفاعتُه في رفع الدرجات، وفي دخول الجنة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. **قال:** «وَيَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنَ ابْنِ آدَمَ» أي جسمه كله] «إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ»، بما في ذلك القدمان؛ لأن مواضع السجود الجبهة واليدان والركبتان وأطراف القدمين، وهذه يكرمها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فلا تحرقها النار، وأما باقي الجسم فيحترق، «فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ». الحِبَّة: وَهِيَ بِذْر الْبُقُول وَالْعُشْب، تَنْبُت فِي الْبَرَارِي وَجَوَانِب السُّيُول، وَجَمْعهَا حِبَب، وحميل السيل: وَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ السَّيْل، مِنْ طِين أَوْ غُثَاء، وَمَعْنَاهُ: مَحْمُول السَّيْل، الأشياء التي يحملها

السيل، ثم يقذفها علىٰ جوانبه مع هذه البذور، فتنبت هذه البذور بسرعة، فما كان منها إلى الشمس يكون أبيض، وما كان منها إلى الظل والشجر والحجر يكون أخضر أو أصفر، والذين يرعون في البادية يعرفون هذه الأشياء، «**ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَىٰ رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَىٰ النَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا**»، أي: آذَانِي وَأَهْلَكَنِي وغيَّر صورتي وغير جلدي، «**وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا**»، يعني لَهَبهَا وَاشْتِعَالهَا وَشِدَّة وَهَجهَا، «**فَيَدْعُو اللهَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعُوَهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللهُ، فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَىٰ الْجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ، وَيْلَكَ يَابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ!**».

الشاهد: أنه كان يطلب أن يصرف الله وجهه عن النار، ويرىٰ أن هذه نعمة، ولكن لمَّا رأىٰ الجنة طمع في دخولها، «**فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، يَدْعُو اللهَ حَتَّىٰ يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ**».

وهذا يدلُّ علىٰ جواز القَسَم بصفةٍ من صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وقد أقسم بهذه الصفة إبليس: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[ص: ٨٢]، وفي حديث أيُّوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما عافاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «**بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَىٰ؟ قَالَ: بَلَىٰ وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لاَ غِنَىٰ بِي عَنْ بَرَكَتِكَ**» فأقسم بعزة الله. قال: «**فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ**» مرَّة أخرىٰ، «**فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ عَلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، فَرَأَىٰ مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَلَّا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ؟ وَيْلَكَ يَابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، لَا أَكُونُ أَشْقَىٰ خَلْقِكَ. فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ حَتَّىٰ يَضْحَكَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ اللهُ مِنْهُ، قَالَ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ**»، ففيه إثباتُ صفة الضحك لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الوجه اللائق به، ولو كان هذا مما لا يليق بالله عَزَّوَجَلَّ ما وصفه به الرسولُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، «**قَالَ: ادْخُلْ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللهُ لَهُ: تَمَنَّهْ**»، هذه الهاء هاءُ السكت. «**فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّىٰ حَتَّىٰ إِنَّ اللهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّىٰ إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ**».

قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ: وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ، لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ

حَدِيثِهِ شَيْئًا، حَتَّىٰ إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ اللهَ قَالَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ: «وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: «وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ» يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا حَفِظْتُ إِلَّا قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». يعني: أنا لا أحدث إلا بما حفظت. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: "أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ». الله أكبر! أبو هريرة هو أحفظُ الصحابة، لكن قد يفوته شيء، فهذا ممَّا فاته، وذكَّره به أبو سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هذه الأماني التي تمنَّاها أعطاه الله مثلها وعشر أمثالها". قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ». يعني: لا أحد يدخل بعده، حتىٰ -والله أعلم- أن من عندهم أدنىٰ أدنىٰ مثقال ذرَّة من إيمان يدخلون قبله، الله أكبر! عنده أدنىٰ درجات، ومع ذلك يرحمه أرحمُ الراحمين بالتوحيد، فالرسول يبيِّن فضل التوحيد، ولا يُفهَم أنه يهوِّن من الأعمال، إذ في الاهتمام بالأعمال والوعيد علىٰ التقصير فيها، والوعيدُ علىٰ ارتكاب المحرَّمات، نصوصٌ كثيرة جدًّا.

وذلك لا يمنع من بيان فضل التوحيد، فالمقصود هنا بيانُ فضل التوحيد لله عَزَّ وَجَلَّ دخلوا النار بذنوبهم التي نهاهم الله عنها وحرَّمها عليهم، وقصَّروا في الواجبات التي فرضها الله عليهم، فعاقبهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حتىٰ أنه ليعاقب مانع الزكاة في يوم كان مقدارهُ خمسين ألف سنة[1]، هذا الذي يمنع

---

(١) انظر: «صحيح مسلم»، حديث (٩٨٧).

الزكاة، هؤلاء يمكن أن يكونوا عُذبوا في الموقف بذنوبهم، وعذبوا في النار، لكن فضل التوحيد يعود علىٰ صاحبه، يخلِّصه من الخلود في النار، بينما المشرك يخلَّد في النار أبد الآبدين، ولا مخرج له من النار؛ ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلىٰ: ١٣].

يأتي حديثُ أبي سعيد مثلَ حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويزيد عليه بعض الزيادات، وقبل ذلك عندنا هنا في الإسناد: سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، يعني: روىٰ عنه مسلم، ثم بعد ذلك روىٰ عن أحمد بن عيسىٰ وغيره، فقدَّمه علىٰ ضعفه في حديث أبي سعيد علىٰ من هو أحفظ منه.

قال مسلم: وَحَدَّثَنِي سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ. فشيخ سويد هنا حفص بن ميسرة، ولمَّا سئل مسلمٌ: كيف تروي عن هذا الرجل سويد بن سعيد؟ قال: من أين آتي بنسخة حفص بن ميسرة[(١)]؟ يعني ما عنده إلا هذا الرجل، وروىٰ عنه قبل الاختلاط؛ لأنه بعد ذلك حصل له اختلاط، ومسلم روىٰ عنه قبل الاختلاط، ثم حرصه علىٰ صحيفة حفص بن ميسرة دفعه إلىٰ الرواية عنه كما أورد في اعتذاره، وربَّما لو وجد غيره لأخذ عن غيره، هذا إلىٰ جانب أنَّ مسلمًا روىٰ هذا الحديث من جهة أخرىٰ، أي: عن

---

(١) "ميزان الاعتدال" (٢/ ٢٥٠)، و"تهذيب التهذيب" (٤/ ٢٧٥).

عيسىٰ بن حماد زغبة، عن الإمام الليث بن سعد، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد مرفوعًا.

قوله: «**فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ**»، علىٰ قدر الأعمال، السابقون والأبرار، والعصاة... إلخ، والركاب: الإبل، «**فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ**» لا يلحقه شيء، «**وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**» أي يسقط، «**حَتَّىٰ إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ**»، يعطفون عليهم ويرحمونهم، لا غلَّ، ولا حقد، ولا حسد، «**يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ**». يعني: شفعت الملائكة والأنبياء، ويشفع المؤمنون، «**فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَىٰ النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَىٰ نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ**». يعني: خرجت الدفعة الأولىٰ من المصلِّين والصائمين والقائمين بأركان الإيمان، فلا يتجاوزون أمر الله عَزَّوَجَلَّ. «**فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا**

لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا»، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: «إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] »، أكَّد في الآية أنَّ الله لا يظلم أحدًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حتى ولو عنده مثقال ذرة من إيمان لا يظلمه، ولكن المشرك لا يُغفر له، ولو جاء بأمثال الجبال من الأعمال لا تنفعه؛ لأن الإيمان شرطٌ في صحة الأعمال وقبولها، الإيمان والإخلاص وموافقة الشريعة. «**فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ**». **هذه العبارة: «فَيَقْبِضُ قَبْضَةً»**.

تأوَّلها النووي، فقال: "معناه: يجمع جماعة"[(١)]، وهذا تأويلٌ باطل؛ فصفة اليد ثابتةٌ لله بالقرآن والسنة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]. وهذا كمالٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس نقصًا. سبق أن قلنا: إن حديث أبي سعيد يتَّفق مع حديث أبي هريرة في الجملة، وقد ورد فيه -أيضًا- زيادات منها: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

(١) "شرح مسلم" (٣/ ٣٢).

«يكشف عن ساق، فَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ»، وقبل هذا يقول للمؤمنين: «هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ بِهَا»، يعني: هل بينكم وبين الله آيةٌ تعرفونه بها، فيقولون: «نَعَمْ، فَيَكْشفُ عَنْ سَاقٍ»، الآية: العلامة التي يعرفون بها ربَّهم عَزَّوَجَلَّ، وقد ورد عن ابن عبَّاس أنه فسَّر الآية من سورة «ن»: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم:٤٢] أنه فسَّرها بالشدة[١]، وكذلك فسرها غيره من اللُّغويين والمفسرين[٢]، وهذا وإن كان يأتي في اللغة، يعني: يأتي في الشدة، وأنه يقال: كشف عن ساق. يعني: عن شدة. لكن الساق في هذا السياق ليس إلا من صفات الله عَزَّوَجَلَّ، والقرينة قوله: «هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ بِهَا؟»، فالضمير في تعرفونه عائد علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه قد جاءهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما في حديث أبي سعيد، وكما في حديث أبي هريرة: أن الله يأتيهم أوَّل مرَّة، فيستعيذون بالله منه، ثم يأتيهم ثاني مرة في الصورة التي يعرفونه بها. فقوله: « فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» أي: كشف عن ساقه اللائقة بجلاله، فعرفوه حينئذ

---

(١) رواه ابن جرير (٢٣/ ١٨٧ و١٨٨)، وابن منده في "الرد علىٰ الجهمية" (٥) و(٦)، والحاكم (٢/ ٥٤٢)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٢/ ١٨٣-١٨٥)، من طرق عنه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: "تفسير ابن جرير" (٢٣/ ١٨٨-١٨٩)، و"شرح مسلم" للنووي (٣/ ٢٧)، و"معالم التنزيل" للبغوي (٨/ ١٩٨)، و"مجموع فتاوىٰ" ابن تيمية (٦/ ٣٩٤)، و"تفسير ابن كثير" (٨/ ١٩٨-١٩٩).

وخرُّوا له سجدًا. فابنُ عبَّاس لو سمع هذا الحديث بهذا السياق لما فسَّره بالشدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ولو بلغه حديث أبي سعيد لفسَّره كما عرفه غيرُه من أئمة الإسلام - بارك الله فيهم -، ولا نقول يرجع عن تفسيره الآية؛ لأن هذا مقتضىٰ اللغة، ولكن تفسير الرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ في السنَّة لبيان للقرآن - مقدَّم علىٰ تفسير ابن عباس وغيره رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

الشاهد: أن السياق يدلُّ علىٰ أن هذه الساق ليست الشدة، وإنما هي صفةٌ من صفات الله عَزَّوَجَلَّ، قوله: «**فَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ**» يعني: المؤمنين الصادقين المخلصين الذين كانوا يعبدون الله؛ رغبة فيما عنده، وامتثالًا لأمره، وطاعة له ولرسوله، فهؤلاء يأذن الله لهم بالسجود، ومن كان يصلِّي اتقاءً ورياءً، اتقاءَ انكشاف أمرهم، أو اتقاءَ الإهانات، أو اتقاءَ القتل، أو رياءً للناس، وليس مخلصًا لله في هذا السجود، فإن هذا لا يمكِّنه الله من السجود، بل يجعل الله «**ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً**»، الطبقة الواحدة المقصود بها: الفقرات، طبقة واحدة مثل الصياصي- فلا يستطيع السجود، «**كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَىٰ قَفَاهُ**»، وهذه فضيحة أهل النفاق، وخزي لهم ونكال لهم -والعياذ بالله-، «**ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ**» يعني: الذين يتمكَّنون من السجود من المؤمنين، أمَّا المنافقون فما يرفعون رؤوسهم؛ لأنهم لم يتمكَّنوا من السجود، «**وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ**

الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ». والظاهر أن «قَدْ» هذه حالية؛ لأن هذا السجود قد حصل بعد أن جاء في صورته التي عرفوها، فقال: «أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا»، ثم ذكر الشفاعة، والزيادة في المرور علىٰ الجسر في تفسير أبي سعيد.

قوله: «فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ» يعني: هذه السرعة تحصل علىٰ قدر الأعمال، السرعة والبطء علىٰ قدر الأعمال؛ «وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[(١)]. ومن اجتهد في طاعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وثبت علىٰ الإيمان، وثبت علىٰ طاعة الله، وسابق فيها، هذا يأتي في السابقين -الله أكبر- و«كَالْبَرْقِ» يعني: طرف العين أسرعُ من البرق، والبرقُ أسرع من الريح، والريحُ أسرع من الطير، والطيرُ أسرع من أجاويد الخيل، والخيلُ أسرع من الركاب وهي الإبل، فالسرعة بقدر ما قدَّم الناس من أعمال صالحة، «فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ» هذا في المرور علىٰ الصراط، « وَمَخْدُوشٌ »: أي تخدشه الكلاليب، « مُرْسَلٌ »، أي ينجو ويسلم بعد الخدش، «وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ» يعني: يُكبُّ فيها -والعياذ بالله- في نار جهنم.

ثم تأتي شفاعة المؤمنين في إخوانهم المؤمنين الذين حكم عليهم بالدخول في النار، قال: «حَتَّىٰ إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ»، أي: نجوا

---

(١) قطعة من حديث رواه مسلم (٢٦٩٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بمرورهم وعبورهم علىٰ الصراط. قال: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ**»، مناشدة الله في إخراج إخوانهم من النار، ويكون في شفاعتهم: أن هؤلاء «**كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَىٰ النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ**».

الشاهد: أن هذه الشفاعة من المؤمنين تحصل في المرة الأولىٰ للقائمين بأعمال الإسلام من الصلاة والصوم والحج إلى آخره، وكانت قد أخذتهم النار إلى أنصاف الساقين وإلىٰ الركبتين، علىٰ قدر ذنوبهم، وهذا من آثار التوحيد، يعني: عذابهم في النار غيرُ عذاب الكفار، فالكفار مخلَّدون في النار أبدًا ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ والعياذ بالله، أما هؤلاء فيحرِّم الله علىٰ النار مواضع السجود، وتأخذ منهم النار كما في هذا الحديث إلى مواضع محدَّدة إلى أنصاف الساقين، وإلىٰ الركبتين، «**ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا**» يعني: الإيمان قد يصل إلى أمثال الجبال في قلوب المقرَّبين والسابقين والأبرار، ولكن ضعفاء الإيمان تأتي هذه المقادير عندهم مثقالُ دينار، ومثقال درهم، ونصف دينار، «**ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ**

فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا »، فهم لم يتجاوزوا، أمر الله لهم بشيء معيَّن فلا يتجاوزونه، وهذه -والله أعلم- كعادتهم في الدنيا، لا يتجاوزون حدود الله عَزَّوَجَلَّ، «ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا »، وهذه من أدلَّة زيادة الإيمان ونقصانه، هذا الحديث من الأدلة على أن الإيمان يزيد وينقص، والزيادة وردت في القرآن الكريم في عدد من الآيات، في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، فثبت زيادةُ الإيمان بالقرآن، وثبت نقصُ الإيمان بالسنَّة، كما في هذا الحديث وغيره. قال: «ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا».

وفي حديث أنس: «انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»(١) أدنىٰ أدنىٰ أدنىٰ من مثقال حبة خردل، كما سيأتي عند مسلم، وكما رواه الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ. "وكان أبو سعيد يقول: «إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠] «ثم يَقُولُ الله

---

(١) قطعة من حديث طويل، أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

عَزَّوَجَلَّ: **شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ**».

في هذا الحديث عندنا شفاعة المؤمنين فقط، أمَّا شفاعة الملائكة والأنبياء فقد جاءت في أحاديث أخر.

قوله: «**وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا**»، أقول: إنَّ الخوض في جنس الأعمال أدَّىٰ إلى فتن لا يثيرها إلا من لا يؤمن بما تضمنته هذه الأحاديث، أو في إيمانه بها خلل ودَخَن من دخن الخوارج والمعتزلة، فالواجب الإيمانُ بما ورد في هذه الأحاديث، فالأحاديث تدلُّ علىٰ أن الإيمان ينفع صاحبه مهما ارتكب من الذنوب، وإن عذَّبه الله بالنار، فإنه بفضل الإيمان يخرج من النار، ويُفهم من هذا أنه يخرج من النار بشفاعة الملائكة والنبيِّين والمؤمنين، وبفضل أرحم الراحمين، وهذا يفيد أن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يرحم قومًا أسوأ حالًا من هؤلاء الذين حصلت لهم الشفاعة؛ لأن الشفاعة انتهت عند حدٍّ، وهو كما في هذا الحديث: «**انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**»، وجاءت شفاعةُ أرحم الراحمين في قوم غير هؤلاء ممن قال: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»، قال: «**فيقبض قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ**».

الشاهد: أن الإيمان ينفع أصحابه، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله،

واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، مع وقوع ذنوب وتقصير في واجبات، أو ترك واجبات، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يرحمهم، وذكر في هذا الحديث المصلِّين، ومن هو معروف بالصلاة والصيام والحج، ثم ذكر أقوامًا لم يصفهم بهذا الوصف، إنما وصفهم بالإيمان فقط، فنحن نؤمن بهذه النصوص، وقد يكون عندهم أعمالٌ لا قيمة لها؛ ولهذا قال: «**لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ**»، وكأن الله ما اعتدَّ بها.

وعلىٰ كل حال الخوضُ في هذه الأمور التي تؤدي إلى فرقة المسلمين والتصادم فيما بينهم يُعدُّ من الفتن، فأنا قلت في غير مرة: إن الخلاف فيما بعد مثقال الذرة، لا يجوز أن يكون؛ لأنك تؤمن بحديث الشفاعة التي ينكرها المعتزلة والخوارج، فإنهم يقولون: إن من دخل النار لا يخرج منها. وأنت تقول: يخرج من النار من كان في قلبه أدنىٰ أدنىٰ أدنىٰ مثقال ذرة من الإيمان، فإذا كنت تؤمن بهذا الذي ورد في الأحاديث، فلا داعي لإثارة الفتن، فلا تسأل: ما هو المقدار المختلف فيه الآن؟ ما هو المقدار؟

إذن يجب أن نجتنب هذا الشيء، وإلا فهؤلاء نخاف ألَّا يسلِّم بعضُهم بهذه الأخبار التي وردت في الشفاعة في هؤلاء المذنبين، ولا برحمة أرحم الراحمين لمن هو دونهم، ولو كان هناك إيمانٌ صحيحٌ بمقتضىٰ هذه الأحاديث، لما حصل هذا الجدال الذي سبب من الفتن ما لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

س: ما حكم من يتعمَّد الزيادة عن أوامر الرسول ﷺ؟

ج: الواجب أن نتَّبع أمر الرسول ﷺ كما جاء، وهذا هو الاتباع، أما إذا أصرَّ هذا الشخص علىٰ هذا، ولم يلتزم بتحديد الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فيُخاف عليه من الوقوع في البدع؛ لأن هذا أمر ديني، والرسول حدَّده، لو صلَّىٰ صلاة الفجر ثلاث ركعات، وقال: هذه صلاة، كركعتي السنة. فهذا كفرٌ، فالأمور التي حدَّدها الشارع وخصَّصها بمكان وزمان وعددٍ وكيفية، لا تُتعدَّىٰ؛ لأن الاتباع هو أن تفعل كما فعل رسول الله ﷺ علىٰ الوجه الذي فعل لا بزيادة أو نقص، بارك الله فيك.

فالمخالفة في العبادة بزيادة أو نقص تدخل في البدعة، ولهذا لمَّا جاء الثلاثة نفر إلى أزواج النبيِّ ﷺ وسألوهنَّ عن عبادته، فلمَّا أخبروهم كأنهم تقالُّوها، فقالوا: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. فقال أحدهم: أَمَّا أَنَا فَأَقُومُ وَلَا أَنَامُ. وقال الآخر: فَأَصُومُ وَلَا أُفْطِرُ. وقال الآخر: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ. فلما علم الرسول غضب وقال: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا، أَمَّا أَنَا فَأَقُومُ وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[1]، فهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أرادوا أنْ يبالغوا في العبادة؛ لاعتقادهم وجود الفرق بينهم وبين رسول الله ﷺ، لكن الرسول ﷺ صرَّح

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

بأنه يقوم وينام، ويصوم ويفطر، وينكح النساء، وبيَّن لهم وللأمة جميعًا بأن من رغب عن سنته فليس منه، وخيرُ الهدي هديُ محمد ﷺ.

ونحن نعتقد أن هؤلاء الصحابة الثلاثة قد رجعوا عن رأيهم، واقتنعوا بأن خير الهدي هدي محمد ﷺ.

س: هل من أنكر الشفاعة عنده دليل؟

ج: لا دليل لهم إلا الهوىٰ، فالشفاعة للموحِّدين ثابتةٌ بالكتاب والسنَّة المتواترة، وإجماع الصحابة وأهل السنة.

س: ما هي أقسامُ الشفاعة، ومَن الذين يُشفع لهم؟

ج: هذه الشفاعة في أهل النار التي ذكرت في حديث أبي سعيد وأبي هريرة، وهناك أحاديثُ تبيِّن الشفاعة في الإراحة من الموقف، والشفاعة في دخول الجنة، والشفاعة في رفع الدرجات، والشفاعة في أبي طالب.

وهنا ملاحظة علىٰ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلامه علىٰ أحاديث رؤية الله عَزَّوَجَلَّ في الدار الآخرة في (ج٣/ ١٥-١٦)، حيث قال معلقًا وشارحًا أحاديث الرؤية: "إن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالىٰ ممكنة عقلًا، وأجمعوا علىٰ وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يَرَوْنَ اللَّهَ تَعَالَىٰ دُونَ الْكَافِرِينَ، وَزَعَمَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْخَوَارِجُ وَبَعْضُ الْمُرْجِئَةِ

أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنَّ رُؤْيَتَهُ مُسْتَحِيلَةٌ عَقْلًا، وَهَذَا الَّذِي قَالُوهُ خطَأٌ صَرِيحٌ وَجَهْلٌ قَبِيحٌ، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ أَدِلَّةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِي الْآخِرَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَرَوَاهَا نَحْوٌ مِنْ عِشْرِينَ صَحَابِيًّا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَآيَاتُ الْقُرْآنِ فِيهَا مَشْهُورَةٌ"، إلىٰ هنا كلامه حقٌّ، لكنه مع الأسف قال بعد هذا الكلام: "ثمَّ مذهبُ أهل الحق أن الرؤية قوَّةٌ يجعلها الله في خلقه، ولا يُشترط فيها اتصالُ الأشعة، ولا مقابلة المرئيِّ، ولا غيرُ ذلك، ولكن جرت العادة برؤية بعضنا بعضًا لوجود ذلك علىٰ جهة الاتفاق، لا علىٰ سبيل الاشتراط، وقد قرر أئمَّتُنا المتكلِّمون ذلك بدلائله الجلية، ولا يلزم من رؤية الله تعالىٰ إثباتُ جهة -تعالىٰ عن ذلك- بل يراه المؤمنون لا في جهة، كما يعلمونه لا في جهة، والله أعلم".

ونقول: ليته اقتصر علىٰ الكلام الأول الذي نسبه إلى أهل السنة والجماعة، ولنا مآخذ علىٰ هذا الكلام العجيب:

أوَّلًا: أنه حكىٰ إجماع أهل السنة، بل إجماع الصحابة، وتظاهر الأدلَّة من الكتاب والسنَّة علىٰ إثبات أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة.

فهل إجماعُ الصحابة والسلف علىٰ إثبات هذه الرؤية، علىٰ هذه الصورة الخيالية التي زعمها النوويُّ "أن الرؤية قوةٌ يجعلها الله في خلقه، ولا يُشترط

فيها اتصال الأشعة، ولا مقابلة المرئي، ولا غير ذلك"؟!

فهل هناك دليلٌ واحدٌ من الأدلَّة الكثيرة المتظاهرة صرَّح بذلك، أو يدلُّ عليه من قريب أو بعيد؟ وهل قال ذلك أحدٌ من الصحابة الذين أجمعوا علىٰ وقوع هذه الرؤية، ورووا أحاديثها، وفسَّروا آياتها، أو أحدٌ من أهل السنة من التابعين وأئمة الهدىٰ الذين رووا هذه الأحاديث -أحاديث الرؤية- وفسروا آياتها؟! لم يجد النووي شيئًا من هذا، ولن يجده، لا هو ولا غيرُه، وأيُّ دليل علىٰ ما ادَّعىٰ؟! ولذا لجأ إلى قوله: "وقد قرَّر أئمَّتنا المتكلِّمون ذلك بدلائله الجليَّة".

أمَا عَلِمَ النوويُّ طعون السلف وأئمَّتهم في أهل الكلام الذي امتلأت به كتب أهل السنة ؟ ألا يعلم تحذير السلف من الكلام، وإجماعهم علىٰ ذلك، ومن ذلك قولُ الإمام الشافعي المشهور: "لَأَنْ يَبْتَلِيَ اللَّهُ الْمَرْءَ بِكُلِّ ذَنْبٍ نَهَىٰ اللَّهُ عَنْهُ مَا عَدَا الشِّرْكَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْكَلَامِ"[1].

وقوله: "حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة، وأخذ بعلم الكلام"[2] ؟!.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في "آداب الشافعي" (ص١٣٧)، وابن بطة في "الإبانة الكبرىٰ" (٦٦١)، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" (٩/ ١١١)، واللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد" (٣٠٠)، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (١٧٨٩-الزهيري).

(٢) رواه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (٩/ ١١٦)، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (١٧٩٤).

أما قرأ النوويُّ "ذم الكلام" للهروي، الذي امتلأ بذم أهل الكلام، وبيان فساد عقائدهم ومناهجهم ؟! إن هذه الحرب علىٰ الكلام وأهله؛ من أجل هذا التحريف للنصوص القرآنية والنبويَّة، ومخالفاتهم الشنيعة لما كان عليه أصحاب محمد ﷺ، ومخالفة مَن تبعهم بإحسان من سلف هذه الأمة، فما هي هذه القوَّة، وأين موضعُها من جسد ابن آدم؟

أمَّا القرآنُ فقد أسند الرؤية إلىٰ الوجوه الناضرة، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] أي: بالعيون التي جعلها الله في الوجوه، والصحابة يسألون رسول الله ﷺ عن الرؤية المعهودة، فيقولون: هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فيجيبهم رسولُ الله ﷺ إجابة واضحة جليَّة، بقوله: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ** ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: **مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا**».

وقد شرح النوويُّ قوله: «**لَا تُضَارُّونَ**» و«**لَا تضَامون**»، ثم قال: "وفي رواية البخاري «**لَا تضامُّون**» أو«**لَا تُضَارُّونَ**» علىٰ الشك، ومعناه: لا يشتبه عليكم وترتابون فيه، فيعارض بعضُكم بعضًا في رؤيته"[1].

---

(١) (٣/ ١٨).

لقد شبَّه رسولُ الله ﷺ في هذا الحديث وغيره رؤية المؤمنين لربِّهم في الآخرة برؤيتهم الشمس واضحة جلية في الظهيرة، صحوًا ليس معها سحاب، إن الرؤية التي أثبتتها النصوصُ -نصوص الكتاب والسنة-، وأجمع عليها الصحابةُ وسلفُ الأمة الصالح، لا يؤمن بها المتكلِّمون ومَن تابعهم، وإنما يؤمنون بأمر خيالي، لم يأت به الشرع، ولا يقبله عقلٌ.

ثانيًا: علىٰ قوله: (ولا يشترط فيها اتصالُ الأشعة، ولا مقابلة المرئيِّ، ولكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضًا بوجود ذلك علىٰ جهة الاتفاق، لا علىٰ سبيل الاشتراط).

وأقول: لا داعي لهذا الكلام الخيالي، ولا دليل عليه، فمن حكمة الله وسننه أن خلق للإنس والجن والحيوانات أعضاءً، وجعل لكل عضو وظيفة، فالعين للرؤية في كل الاتجاهات: (فوق، تحت، يمين، وشمال)، والرجل للمشي، واليدين للبطش، هذه السنن من سنن الله، ومعها علمُه وحكمتُه، وليست بالاتفاق، وليست الرؤية ولا غيرها ناشئة عن التعوُّد حتىٰ صارت عادة، فمن سُنن الله أن الأعمىٰ لا يرىٰ، ولو بذل ما بذل من التعوُّد، فلا يمكن أن يصبح بصيرًا يرىٰ بفضل ذلك التعوُّد، ولو أنفق ما في الأرض جميعًا ما حصل له ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر: ١٩- ٢٢]، وقال

تعالىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨)﴾ [غافر: ٥٨].

هذه الأمور والتفاوت بينها حاصلةٌ بسنَّة الله وحكمته في خلقه، فلا تحصل بالاتفاق الذي هو المصادفة، ولا بالتعوُّد حتىٰ تصير عادةً، إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أسند النظر إلى الوجوه التي فيها العيون، والرسول ﷺ شبَّه رؤية المؤمنين ربَّهم في الآخرة برؤيتهم للشمس والقمر في غاية جلائهما، وهما في السماء فوقهم، وهم لا يرون ربَّهم إلا مِن فوقهم، هذه الفوقية والعلوُّ التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة، ودان بها سلفُ الأمة.

ثالثًا: قوله: (وقد قرَّر أئمَّتُنا المتكلِّمون ذلك بدلائله الجليَّة، ولا يلزم من رؤية الله تعالىٰ إثباتُ جهة لله تعالىٰ - تعالىٰ الله عن ذلك -، فيراه المؤمنون لا في جهة، كما يعلمونه لا في جهة، والله أعلم).

وفي هذا الكلام إنكارٌ لعلوِّ الله علىٰ خلقه، وكونه علىٰ عرشه، فكيف يتابعهم النوويُّ ويقتدي بباطلهم ؟!

وقد تقدَّم ذكرُ موقف أهل السنة وأئمتهم من أهل الكلام الذين يحسن الظنَّ بهم النووي، ويرىٰ أنهم أئمَّته، ولو لزم غرز السلف لكان خيرًا له بما لا يقاس، أيُّ قيمة لسفسطات المتكلمين المعارضة للكتاب والسنة، التي

تجاوزت المئين علىٰ إثبات علوِّ الله علىٰ خلقه، وأنه علىٰ العرش استوىٰ، وأنه في السماء، وأنه إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، وأن الملائكة يخافون ربَّهم من فوقهم، وأنه يعرج الملائكة والروح إليه، وأن المؤمنين يرونه مِن فوقهم.

رابعًا: إن لفظ الجهة في حقِّ الله عَزَّوَجَلَّ لم يرد في الكتاب والسنة إثباتها ولا نفيُها، وإنما ورد لفظُ الفوقية والعلوّ، والله في السماء، وأنه علىٰ العرش استوىٰ، والعرشُ سقف الجنة، وفوق السموات جميعًا، والله فوق ذلك، فهذا الذي يؤمن الصحابةُ وأهلُ السنة به، وهذا ما عبَّر عنه الأوزاعي بقوله: (كُنَّا -وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ- نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فَوْقَ عَرْشِهِ. وَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ مِنْ صِفَاتِهِ جَلَّوَعَلَا). أورد ذلك البيهقي رَحِمَهُٱللَّهُ في كتابه: «**الأسماء والصفات**» (٢/ ٣٠٤رقم٨٦٥). أمَّا لفظُ (الجهة) فقد جاء به المتكلِّمون من الجهمية وغيرهم؛ لترويج إنكارهم لعلوِّ الله واستوائه علىٰ عرشه، وإنكار رؤيته، بعد تحريف النصوص الواردة، وزعمهم أن النبيَّ ﷺ يخاطب العرب بما يفهمونه، ويقرِّب الكلام إلى أفهامهم، ويستعمل الاستعارة وغيرها من أنواع المجاز؛ فعبَّر ﷺ عن زوال المانع ورفعه عن الأبصار بإزالة الرداء، أقول: من هم العلماءُ الذين قالوا هذا الكلام؟ أليسوا أهل البدع، ومن قلَّدهم، ليتوصلوا بذلك إلى تعطيل صفات الله العظيمة،

الثابتة بالكتاب والسنة، والتي آمن بها الصحابةُ الكرام ومَن تبعهم بإحسان؟

والقول الحق: إنه لا مجاز في القرآن والسنة، كما حقَّق ذلك عددٌ من أئمَّة الإسلام، ودحضوا شبه أهل البدع القائلة بالمجاز شبهة شبهة، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

❋ ❋ ❋

(٨٢) بَابُ إِثْبَاتِ الشَّفَاعَةِ وَإِخْرَاجِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٣٠٤) [١٨٤] وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَىٰ بْنِ عُمَارَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَمًا قَدِ امْتَحَشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ - أَوِ: الْحَيَا - فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً؟**».

(٣٠٥) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، ح، وَحَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا خَالِدٌ، كِلَاهُمَا عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَىٰ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَقَالَا: «**فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ يُقَالُ لَهُ: الْحَيَاةُ**». وَلَمْ يَشُكَّا، وَفِي حَدِيثِ خَالِدٍ: «**كَمَا تَنْبُتُ الْغُثَاءَةُ**

فِي جَانِبِ السَّيْلِ»، وَفِي حَدِيثِ وُهَيْبٍ: «**كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِئَةٍ أَوْ حَمِيلَةِ السَّيْلِ**».

(٣٠٦) [١٨٥] وَحَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرٌ -يَعْنِي: ابْنَ الْمُفَضَّلِ- عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ** - أَوْ قَالَ: **بِخَطَايَاهُمْ** - **فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَىٰ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ.

(٣٠٧) [١٨٥] وَحَدَّثَنَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ إِلَى قَوْلِهِ: «**فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**» وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ.

(٨٣) بَابُ آخِرِ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٣٠٨) [١٨٦] حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، كِلَاهُمَا عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ: رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَىٰ، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَىٰ. فَيَقُولُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ**» قَالَ: «**فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَىٰ، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَىٰ. فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا -أَوْ: إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا-**»، قَالَ: «**فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي -أَوْ: أَتَضْحَكُ بِي- وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟**»، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً.

(٣٠٩) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ - وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ - قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا زَحْفًا، فَيُقَالُ لَهُ: انْطَلِقْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ**»، قَالَ: «**فَيَذْهَبُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ، فَيَجِدُ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا الْمَنَازِلَ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ. فَيَتَمَنَّىٰ، فَيُقَالُ لَهُ: لَكَ الَّذِي تَمَنَّيْتَ وَعَشَرَةَ أَضْعَافِ الدُّنْيَا**» قَالَ: «**فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟**»، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

(٣١٠) [١٨٧] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، قَالَ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا. فَيَقُولُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: **يَا بْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ. وَيُعَاهِدُهُ أَلَّا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا،**

وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَىٰ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، أَوْ أَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا بْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَلَّا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟ فَيُعَاهِدُهُ أَلَّا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا بْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَلَّا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَىٰ، يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا. فَيَقُولُ: يَا بْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟» فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَىٰ مَا أَشَاءُ قَادِرٌ».

التعليق:

[هذه الأحاديث ساقها الإمام مسلمٌ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومن حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهي تتعلَّق بالشفاعة في الآخرة للمذنبين، وهناك شفاعاتٌ أخرىٰ تأتي شاملة للمذنبين وغيرهم، ومُحصَّل هذه الشفاعات أن هناك الشفاعة الكبرىٰ التي يعتذر عنها الأنبياءُ - عليهم الصلاة والسلام - ويقول محمد عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**أَنَا لَهَا**»[(١)]، وهي الشفاعة لإراحة الناس من الموقف وأهواله، وهناك شفاعات أخر، مثل الشفاعة لدخول الناس الجنة، والشفاعة في أناس استحقوا دخول النار، فيشفع لهم رسول الله ألَّا يدخلوها، والشفاعة لإخراج المُذنبين من النار، والشفاعة في رفع الدرجات، ويقال: أن المعتزلة لا ينكرونها[(٢)]، والظاهر أن الشفاعة التي يركِّز عليها المعتزلة والخوارج والروافض هي الشفاعة في من دخل النار، فإنه لا يخرج منها، وأما الشفاعة العظمىٰ والشفاعة في رفع الدرجات فهذه يسلِّمون بها، هذا هو ما يقال في الشفاعة.

بالنسبة للفوائد في هذا الحديث، فإنه تضمَّن الشفاعة فيمن دخل النار، والله عَزَّوَجَلَّ أخبرنا عن شفاعة المؤمنين، وقد تقدَّمت لنا يقول فيها: « **انْظُرُوا**

---

(١) قطعة من حديث رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣)، عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) انظر: "شرح الطحاوية" لابن أبي العز الحنفي (١/ ٢٨٨-٢٨٩-الرسالة)، و"لوامع الأنوار البهية" للسفاريني (٢/ ٢١١-الخافقين).

مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَمًا» مثل الفحم «**قَدْ امْتَحَشُوا**»، قد احترقوا، «**فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ، أَوِ الْحَيَا** »، الحياة معروفة، والحَيا: هو المطر؛ لأن به الحياة، شكَّ الراوي الحياة أو الحيا، والنتيجة واحدة، «**فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ إِلَىٰ جَانِبِ السَّيْلِ**»، الحِبَّة تقدَّم تعريفُها، وهي بذور الأشجار والنبات، وتكون في السيل يحملها إلى جوانب الأنهار، وتنبت هذه البذور كما وصفها الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وشبَّه الرسول حياتهم هذه بحياة الحِبَّة تنبت في حميل السيل.

يكرِّر مسلم هذا الحديث، ويحيل علىٰ الإسناد السابق من طريق ابن أبي شيبة، ومن طريق حجاج بن الشاعر...، وأحال علىٰ المتن السابق، وهنا حديث أبي سعيد: من طريق أبي مسلمة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا**» أي: المخلَّدون فيها، أمَّا المذنبون من الموحِّدين فهؤلاء يخرجون من النار، أمَّا أهلُها الذين قال الله فيهم: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦﴾ [الليل: ١٥، ١٦] فهم المخلَّدون، أمَّا أهل النار الذين هم أهلها «**فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ**»؛ كما قال الله فيهم: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾ [الأعلىٰ: ١٣]، ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ۝٧٧ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ

﴿٧٨﴾ [الزخرف: ٧٧، ٧٨]، لا يموتون فيها ولا يحيون، «**وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ: بِخَطَايَاهُمْ -**» يعني: الشفاعة لهؤلاء، ومعهم أصلُ التوحيد، أمَّا الكفار فلا شفاعة فيهم، ولا تقبل فيهم الشفاعة، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ولكن الشفاعة هي لناس أصابتهم النار بذنوبهم، يعني: الموحدين، أو قال: «**بخطاياهم**»، قال: «**فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ**» يعني: أذن الله للملائكة والنبيين والموحدين، «**فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ**» جماعات، جماعات، «**فَبُثُّوا عَلَىٰ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ**»، في الحديث المتقدم قال: «**نَهْرِ الْحَيَاةِ**»، والنهر قد يأتي للجمع، فيطلق علىٰ المفرد والجمع، وهنا قال: «**أَنْهَار**»، إذن ليس نهرًا واحدًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ [القمر: ٥٤] يعني: أنهار، «**ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**» -وقد تقدم شرحُ ذلك-، "فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ"، الله أكبر انظروا إلى هذا الوصف الدقيق! يعني: ينبتون نبات الحِبَّة في حميل السيل، هذه لا يعرفها إلا واحدٌ عاش في البادية ورأىٰ النباتات، وعلم كيف تنبت، ليصفها هذا الوصف الدقيق، والرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عاش في بادية بني سعد سنوات حينما كان مسترضعًا، وقد جاء عن جابر قال: كُنَّا مَعَ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بمَرِّ الظَّهْرَانِ نَجْنِي الْكَبَاثَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قال : «**عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ مِنْهُ، فَإِنَّهُ أَطْيَبُهُ**»، قَالُوا: كُنْتَ تَرْعَىٰ الْغَنَمَ ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا**»(١).

قال مسلم: "وَحَدَّثَنَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ إِلَى قَوْلِهِ: «**فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**» وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ"، أحال علىٰ المتن السابق.

وقَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، كِلَاهُمَا عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ**»، أخبره الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بذلك، أخبره بكلِّ هذه الأمور، تلقَّاها الرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ عن طريق الوحي منها: الشفاعة، وأنواع الشفاعة، ومنها: آخر من يخرج من النار، ويدخل إلى الجنة، ثم ذكر حاله ووصفه ووصف خروجه، يخرج منها حبوًا، والحبوُ: المشي علىٰ ركبتيه وعلىٰ يديه، لضعفه من النار والعذاب، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**

---

(١) رواه البخاري (٣٤٠٦)، ومسلم (٢٠٥٠).

دُخُولًا الْجَنَّةَ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَىٰ»، يعني: لا يرىٰ مساغًا ولا مجالاً للدخول، فقد امتلأت، هذا هو الذي خُيِّل له. «فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَىٰ. فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ»، قَالَ: «فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَىٰ، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَىٰ. فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا -أَوْ: إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا-» قَالَ: «فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي -أَوْ: أَتَضْحَكُ بِي- وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟».

هذا آخر من يدخل الجنة يُعطىٰ عشرة أمثال الدنيا -الله أكبر!- فكيف بالأنبياء والصديقين والشهداء؟! ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٦]. قوله: «وَأَنْتَ الْمَلِكُ» فيه إثبات هذه الصفة لله عَزَّوَجَلَّ. "قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ"، يقال[1]: النواجذ هي: الأنيابُ، ويقال: الأضراسُ، ويقال: الضواحكُ، -وهي والله أعلم-: الأنيابُ.

قَالَ: «فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً»، شاع هذا الخبر في الصحابة، فكانوا يقولون هذا الكلام، فأدنىٰ أهل الجنة منزلة الذي يحصل علىٰ عشرة أمثال الدنيا، والناس تتقاتل الآن علىٰ القليل التافه، ويتصارعون علىٰ الدنيا، وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة!

---

(١) "شرح مسلم" (٣/ ٤٠).

قال مسلمٌ: وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا زَحْفًا، فَيُقَالُ لَهُ: انْطَلِقْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ.** قَالَ: **فَيَذْهَبُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ، فَيَجِدُ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا الْمَنَازِلَ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ. فَيَتَمَنَّىٰ، فَيُقَالُ لَهُ: لَكَ الَّذِي تَمَنَّيْتَ وَعَشَرَةَ أَضْعَافِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟**، قَالَ: **فَلَقَدْ** رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ». فهذا أخصر من الأول، وضحك من ضحك الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والفرق بين هذا الإسناد والإسناد الأول، أن الإسناد الأول عن منصور، وهذا الإسناد عن الأعمش، ومنصورُ أفقهُ من الأعمش.

قال: "حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ"، صحابيٌّ يروي عن صحابي؛ لأن أنسًا من صغار الصحابة نسبيًّا، ويروي عن أبي ذر، وعن مالك بن صعصعة، ويروي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً**»، أي: تَلْفَحُهُ، « **فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي**

مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»، هذا حسَب تصوُّره، ولم يدخل الجنة بعدُ ورأىٰ هذا الفوز العظيم بالسلامة من النار، يرىٰ أنه أخذ شيئًا لم ينله أحدٌ لا من الأولين ولا من الآخرين. «فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: يَا بْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ. وَيُعَاهِدُهُ أَلَّا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَىٰ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا بْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَلَّا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟ فَيُعَاهِدُهُ أَلَّا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا بْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَلَّا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَىٰ، يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا. فَيَقُولُ: يَا بْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟» يعني:

ما يقطع مسألتك عني ؟ «**أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟**»، فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي: مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَىٰ مَا أَشَاءُ قَادِرٌ**».

هذا فيه إثباتُ صفة الضحك لله ربِّ العالمين، وقد تأوَّلها النوويُّ[(١)] بأن المراد بذلك الرضا والرحمة وإرادة الخير -مع الأسف!- وهكذا يتعامل الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم مع نصوص الوحي من الكتاب والسنة، هذا أمر غيبيٌّ، وليس فيه نقصٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بل هذا من الكمال لله عَزَّوَجَلَّ، فتجدهم حينما يأتون لصفة الرضا يفسرونها بإرادة الخير والإحسان، وصفة الغضب يفسِّرونها بإرادة الانتقام، ولمَّا جاء إلى صفة الضحك أوَّلَها بالرضا والرحمة وإرادة الخير، فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يثبِّتنا علىٰ الحق، والقاعدة واحدة في الصفات؛ كلها صفات الله عَزَّوَجَلَّ، الصفات الذاتية والصفات الفعلية كلُّها من باب واحد، نؤمن بها جميعًا علىٰ الوجه اللائق بالله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، علىٰ أساس: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ

---

(١) انظر: «شرح مسلم» (٣/ ٢٤ و٤٣).

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ: ١١].

وأهلُ السنة يرون أن الله علىٰ كل شيء قدير بمقتضىٰ النصوص، وغيرهم يقول: إنه علىٰ ما يشاء قدير. وهو قديرٌ علىٰ ما يشاء وعلىٰ ما لم يشأ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالقدرة أعمُّ من المشيئة[1]، فهو يقدر علىٰ كلِّ شيء، وقد لا يفعله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا لعجز، ولكن لحكمة، وقولُه سبحانه: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورىٰ: ٢٩]، لا يقتضي ما يعتقدونه هم من أنه لا يقدر إلا علىٰ ما تتعلَّق به المشيئة؛ لا يفيدهم هذا، هو قادر علىٰ ما تتعلَّق به المشيئة، وما لا تتعلَّق به المشيئة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

اللهمَّ ثبِّتْنا علىٰ الحق، ومنه التمسُّك بكتابك وسنة نبيِّك، وما عليه أصحابُ نبيِّك، والخلفاء الراشدون المهديُّون، ومن تبعهم بإحسان، إنك سميع الدعاء.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (١١/ ٤٨٨-٤٨٩)، و"شرح الطحاوية" (١/ ١١٧).

(٨٤) بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٣١١) [١٨٨] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً رَجُلٌ صَرَفَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الْجَنَّةِ، وَمَثَّلَ لَهُ شَجَرَةً ذَاتَ ظِلٍّ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، قَدِّمْنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا**» وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ: «**فَيَقُولُ: يَا بْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟**» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَزَادَ فِيهِ: «**وَيُذَكِّرُهُ اللهُ: سَلْ كَذَا وَكَذَا. فَإِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللهُ: هُوَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ**»، قَالَ: «**ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَتَقُولَانِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا، وَأَحْيَانَا لَكَ**»، قَالَ: «**فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ**».

(٣١٢) [١٨٩] وحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مُطَرِّفٍ، وَابْنِ أَبْجَرَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ

شُعْبَةَ رِوَايَةً - إِنْ شَاءَ اللهُ - ح، وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُطَرِّفُ بْنُ طَرِيفٍ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سَعِيدٍ، سَمِعَا الشَّعْبِيَّ، يُخْبِرُ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: سَمِعْتُهُ عَلَىٰ الْمِنبَرِ يَرْفَعُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

(٣١٢) [٠٠٠] وَحَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ الْحَكَمِ -وَاللَّفْظُ لَهُ- قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ، وَابْنُ أَبْجَرَ سَمِعَا الشَّعْبِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، يُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ عَلَىٰ الْمِنبَرِ - قَالَ سُفْيَانُ: رَفَعَهُ أَحَدُهُمَا، أُرَاهُ ابْنَ أَبْجَرَ - قَالَ: «**سَأَلَ مُوسَىٰ رَبَّهُ، مَا أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَمَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَىٰ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ. فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ**»، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] الْآيَةَ.

(٣١٣) [٠٠٠] حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ الْأَشْجَعِيُّ، عَنْ عَبْدِالْمَلِكِ بْنِ أَبْجَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَقُولُ عَلَىٰ الْمِنبَرِ: إِنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ عَنْ أَخَسِّ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْهَا حَظًّا، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِهِ.

(٣١٤) [١٩٠] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَىٰ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا. فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: نَعَمْ. لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً. فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَاهُنَا**» فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

(٣١٥) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكِيعٌ، ح، وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، ح، وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

(٣١٦) [١٩١] وَحَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، كِلَاهُمَا

عَنْ رَوْحٍ، قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ الْقَيْسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ: أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يُسْأَلُ عَنِ الْوُرُودِ، فَقَالَ: نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا، انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ؟ قَالَ: فَتُدْعَىٰ الْأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا، وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: حَتَّىٰ نَنْظُرَ إِلَيْكَ. فَيَتَجَلَّىٰ لَهُمْ يَضْحَكُ. قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَىٰ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقًا، أَوْ مُؤْمِنًا نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَىٰ جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ، وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّىٰ يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ، ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّىٰ تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا».

(٣١٧) [...] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرٍو، سَمِعَ جَابِرًا، يَقُولُ: سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِأُذُنِهِ، يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُخْرِجُ نَاسًا مِنَ النَّارِ فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ**».

(٣١٨) [٠٠٠] حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ، قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ: أَسَمِعْتَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُخْرِجُ قَوْمًا مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ؟**» قَالَ: نَعَمْ.

(٣١٩) [٠٠٠] حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ سُلَيْمٍ الْعَنْبَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ الْفَقِيرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ قَوْمًا يُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ يَحْتَرِقُونَ فِيهَا، إِلَّا دَارَاتِ وُجُوهِهِمْ حَتَّىٰ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ**».

(٣٢٠) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، يَعْنِي: مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ الْفَقِيرُ، قَالَ: كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ، فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَىٰ النَّاسِ، قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَالِسًا إِلَى سَارِيَةٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ، مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟ وَاللهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران:١٩٢] وَ: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة:٢٠]، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ -يَعْنِي: الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ

فِيهِ-؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ. قَالَ: ثُمَّ نَعَتَ وَضْعَ الصِّرَاطِ، وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ، - قَالَ: وَأَخَافُ أَلَّا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَاكَ - قَالَ: غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا، قَالَ: - يَعْنِي - فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ، قَالَ: فَيَدْخُلُونَ نَهَرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ الْقَرَاطِيسُ. فَرَجَعْنَا قُلْنَا: وَيْحَكُمْ أَتُرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَرَجَعْنَا فَلَا وَاللهِ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ. أَوْ كَمَا قَالَ: أَبُو نُعَيْمٍ.

(٣٢١) [١٩٢] وَحَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ الْأَزْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ، وَثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ فَيُعْرَضُونَ عَلَىٰ اللهِ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا فَلَا تُعِدْنِي فِيهَا. فَيُنْجِيهِ اللهُ مِنْهَا**».

(٣٢٢) [١٩٣] حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ فُضَيْلُ بْنُ حُسَيْنٍ الْجَحْدَرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْغُبَرِيُّ - وَاللَّفْظُ لِأَبِي كَامِلٍ - قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ لِذَلِكَ** - وَقَالَ ابْنُ عُبَيْدٍ: **فَيُلْهَمُونَ لِذَلِكَ** - **فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَىٰ رَبِّنَا حَتَّىٰ يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ: فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ،**

فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ، أَبُو الْخَلْقِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّىٰ يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ. فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ». قَالَ: «فَيَأْتُونَ نُوحًا ﷺ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ. فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ ﷺ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلًا. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ. وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَىٰ ﷺ، الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ. قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ. وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَىٰ رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ. فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ. وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدًا قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ

تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ» - قَالَ: فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ - قَالَ: «فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، أَيْ: وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ». قَالَ ابْنُ عُبَيْدٍ فِي رِوَايَتِهِ: قَالَ قَتَادَةُ: «أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ».

(٣٢٣) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ بِذَلِكَ» - أَوْ: «يُلْهَمُونَ ذَلِكَ» - بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: «ثُمَّ آتِيهِ الرَّابِعَةَ - أَوْ: أَعُودُ الرَّابِعَةَ - فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ».

(٣٢٤) [٠٠٠] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَجْمَعُ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْهَمُونَ لِذَلِكَ» بِمِثْلِ حَدِيثِهِمَا، وَذَكَرَ فِي الرَّابِعَةِ: «فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، أَيْ: وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ».

(٣٢٥) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِنْهَالٍ الضَّرِيرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، وَهِشَامٌ صَاحِبُ الدَّسْتَوَائِيِّ، عَنْ قَتَادَةَ،

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. ح، وَحَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُعَاذٌ، وَهُوَ ابْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً»**. زَادَ ابْنُ مِنْهَالٍ فِي رِوَايَتِهِ: قَالَ: يَزِيدُ، فَلَقِيتُ شُعْبَةَ فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ، فَقَالَ شُعْبَةُ: حَدَّثَنَا بِهِ قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْحَدِيثِ، إِلَّا أَنَّ شُعْبَةَ جَعَلَ مَكَانَ الذَّرَّةِ ذُرَةً، قَالَ يَزِيدُ: صَحَّفَ فِيهَا أَبُو بِسْطَامَ.

(٣٢٦) [٠٠٠] حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَعْبَدُ بْنُ هِلَالٍ الْعَنَزِيُّ، ح، وَحَدَّثَنَاهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَاللَّفْظُ لَهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَعْبَدُ بْنُ هِلَالٍ الْعَنَزِيُّ، قَالَ: انْطَلَقْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَتَشَفَّعْنَا بِثَابِتٍ فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي الضُّحَىٰ، فَاسْتَأْذَنَ لَنَا ثَابِتٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَأَجْلَسَ ثَابِتًا مَعَهُ عَلَىٰ سَرِيرِهِ، فَقَالَ: لَهُ يَا أَبَا حَمْزَةَ، إِنَّ إِخْوَانَكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَسْأَلُونَكَ أَنْ تُحَدِّثَهُمْ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: **«إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ**

النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللهِ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ. فَيُؤْتَىٰ مُوسَىٰ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ. فَيُؤْتَىٰ عِيسَىٰ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ. فَيُؤْتَىٰ، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ، يُلْهِمُنِيهِ اللهُ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ: يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيُقَالُ: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ، أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ

فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ».

هَذَا حَدِيثُ أَنَسٍ الَّذِي أَنْبَأَنَا بِهِ، فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا كُنَّا بِظَهْرِ الْجَبَّانِ، قُلْنَا: لَوْ مِلْنَا إِلَى الْحَسَنِ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ مُسْتَخْفٍ فِي دَارِ أَبِي خَلِيفَةَ. قَالَ: فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ، جِئْنَا مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَبِي حَمْزَةَ، فَلَمْ نَسْمَعْ مِثْلَ حَدِيثٍ حَدَّثَنَاهُ فِي الشَّفَاعَةِ، قَالَ: هِيهِ. فَحَدَّثْنَاهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: هِيهِ. قُلْنَا: مَا زَادَنَا، قَالَ: قَدْ حَدَّثَنَا بِهِ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَمِيعٌ، وَلَقَدْ تَرَكَ شَيْئًا مَا أَدْرِي أَنَسِيَ الشَّيْخُ، أَوْ كَرِهَ أَنْ يُحَدِّثَكُمْ، فَتَتَّكِلُوا، قُلْنَا لَهُ: حَدِّثْنَا، فَضَحِكَ وَقَالَ: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، مَا ذَكَرْتُ لَكُمْ هَذَا إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمُوهُ، «**ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فِي الرَّابِعَةِ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: «يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ لَكَ - أَوْ قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ إِلَيْكَ - وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي، لَأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، قَالَ: فَأَشْهَدُ عَلَى الْحَسَنِ أَنَّهُ حَدَّثَنَا بِهِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، أُرَاهُ قَالَ: قَبْلَ عِشْرِينَ سَنَةً وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَمِيعٌ.

(٣٢٧) [١٩٤] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَاتَّفَقَا فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ إِلَّا مَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا مِنَ الْحَرْفِ بَعْدَ الْحَرْفِ

قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ. فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ. فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ: ﴿عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء: ٣]، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَىٰ قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا

إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ إِلَى مَا قَدْ بَلَغنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَىٰ. فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ ﷺ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَىٰ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَىٰ النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَىٰ ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَىٰ ﷺ. فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَىٰ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَىٰ ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا - نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ. فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ

يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ».

(٣٢٨) [٠٠٠] وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: وُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَصْعَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ وَلَحْمٍ، فَتَنَاوَلَ الذِّرَاعَ وَكَانَتْ أَحَبَّ الشَّاةِ إِلَيْهِ، فَنَهَسَ نَهْسَةً، فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، ثُمَّ نَهَسَ أُخْرَىٰ، فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فَلَمَّا رَأَىٰ أَصْحَابَهُ لَا يَسْأَلُونَهُ قَالَ: «أَلَا تَقُولُونَ كَيْفَهْ؟» قَالُوا: كَيْفَهْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَىٰ حَدِيثِ أَبِي حَيَّانَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، وَزَادَ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: وَذَكَرَ قَوْلَهُ فِي الْكَوْكَبِ: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦]، وَقَوْلَهُ لِآلِهَتِهِمْ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وَقَوْلَهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٩]، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ

مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ إِلَى عِضَادَتَيِ الْبَابِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ هَجَرٍ وَمَكَّةَ».
قَالَ: لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَ.

(٣٢٩) [١٩٥] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ طَرِيفِ بْنِ خَلِيفَةَ الْبَجَلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبُو مَالِكٍ، عَنْ رِبْعِيٍّ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ»، قَالَ: «فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا. فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ. فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ» قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ

الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا»، قَالَ: «وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ» وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا.

التعليق:

[هذه الأحاديث جاءت عن عدد من الصحابة في موضوع الشفاعة وإخراج الناس من النار، ومن يخرج من النار إلى درجة أدنىٰ أدنىٰ أدنىٰ درجة من الإيمان، وفيها بيانُ منزلة النبيِّ الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ إذ يتدافع الأنبياءُ الشفاعة من آدم إلى نوح إلى إبراهيم إلى موسىٰ إلى عيسىٰ إلى محمد ﷺ ، هذا هو المقام المحمود الذي كرَّم الله به محمَّدًا ﷺ، ووعده بقوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]، وسبق أن ذكرنا أن الشفاعة متعدِّدة، منها: ما يخص النبيَّ ﷺ، ومنها: ما يشارك فيها غيرُه من الأنبياء والملائكة والمؤمنين. والشفاعة العظمىٰ لإراحة الناس من الموقف هي من خصائص محمد ﷺ، وهي المقام المحمود.

حديث أبي سعيد الخدري: "حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ"، زهير بن محمد رواية الشاميين عنه ضعيفة[1]؛ لأنه مخلِّط عندهم، وكان يقرأ من حفظه، ويقع في

---

(١) انظر: "ميزان الاعتدال" (٢/ ٨٤)، و"التقريب" (ص٢١٧).

أخطاء، أمَّا الراوي عنه هنا فليس من الشاميين، وإنما هو كوفيٌّ ثقة؛ فروايتُه هذه جيِّدة. قال: "عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً رَجُلٌ صَرَفَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الْجَنَّةِ، وَمَثَّلَ لَهُ شَجَرَةً ذَاتَ ظِلٍّ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، قَدِّمْنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا**»، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ: «**فَيَقُولُ: يَا بْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟**» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَزَادَ فِيهِ: «**وَيُذَكِّرُهُ اللهُ، سَلْ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللهُ: هُوَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ**»، قَالَ: «**ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَتَقُولَانِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا، وَأَحْيَانَا لَكَ**»، قَالَ: «**فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ**». والله أعلم، الذي يخطر ببالي أن هاتين الزوجتين من نساء الدنيا ليستا من الحور؛ لأن الحور في الجنة، ولا يموت أهلُها، أمَّا هاتان بالنسبة لهذا الرجل زوجاتٌ من نساء الدنيا، وكل امرأة لزوجها الذي كان معها في الدنيا، ويزيدهم الله من الحور العين، وهاتان من نساء الدنيا، هذا الذي خطر ببالي؛ لأن الحور العين اللاتي أنشأهن الله في الجنة لا يَمُتن، وجاء في ذلك أدلَّةٌ، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر: ٦٨]، قيل: هم أهل

الجنة الحور العين[١]. «فَتَقُولَانِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا، وَأَحْيَانَا لَكَ»، قَالَ: «فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ»، أُعطي مثل الدنيا عشرة أمثالها، والحور والقصور والجنان والأنهار، فهو يرىٰ أنه لم يفز أحد مثله!.

قال: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مُطَرِّفٍ، وَابْنِ أَبْجَرَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ رِوَايَةً إِنْ شَاءَ اللهُ، ح، وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا مُطَرِّفُ بْنُ طَرِيفٍ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سَعِيدٍ، سَمِعَا الشَّعْبِيَّ، يُخْبِرُ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: سَمِعْتُهُ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ يَرْفَعُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

أخذه شكٌّ في الرفع، والله أعلم، وفي إحدىٰ الطرق يرفعه بدون شك، الشك في الرفع: قَالَ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ رِوَايَةً إِنْ شَاءَ اللهُ.

فهذا شكٌّ منه ولم يجزم، هُنَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مُطَرِّفٍ، وَابْنِ أَبْجَرَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ رِوَايَةً إِنْ شَاءَ اللهُ.

فالظاهر أن كلًّا من ابن أبجر ومطرِّف قالا: عن الشعبي، عن المغيرة روايةً، إن شاء الله. الشكُّ حاصل من الاثنين، والله أعلم، وقد يكون الذي شكَّ الشعبيُّ أو هما شكَّا معًا، أو سفيان بن عيينة، وهذا الحديث من

(١) "شرح الطحاوية" (٢/ ٥٧٢)، و"لوامع الأنوار" (٢/ ٣٨).

الأحاديث التي انتقدها الإمام الدارقطنيُّ[(١)] علىٰ الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ورجَّحنا بناءً علىٰ الأدلة ضعف هذه العلل التي اعترض بها الدارقطني، فرجَّح الوقف علىٰ الرفع، فرجَّحنا جانب الرفع علىٰ جانب الوقف، بأدلَّة منها: أن الرفع زيادة، فإذا كان من ثقة فهي مقبولة بشرطها، وهي هنا من إمام ثقة، وأن سفيان -في نظري- أجلُّ وأتقن من الأشجعي، وأن سفيان كما يقول الشافعي: "هو ومالك قرينان"[(٢)].

ومن كان في هذه المنزلة، فيُرجَّح علىٰ من خالفه، من أمثال الأشجعي، وأما مثل هذا الحديث المختلف في رفعه ووقفه لا يقال من قبل الرأي؛ إذ لفظه لا يصدر إلا من مشكاة النبوة، وذلك مما يرجِّح جانب الرفع، يعني: لا يمكن أن يقوله هو من عند نفسه.

وقوله في هذا الحديث: «**سَأَلَ مُوسَىٰ رَبَّهُ، مَا أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَمَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ**»، كأنه يرىٰ أنه ليس هناك متسع، «**فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَىٰ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ**

---

(١) "الإلزامات والتتبع" (ص٢١٧-٢١٨).

(٢) "بين الإمامين مسلم والدارقطني" (ص٥٧-٥٩).

فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ»، الله أكبر، ما أوسع ملك الله! «ولَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ» الله أكبر! «فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. قَالَ -موسىٰ-: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ» أي: أراد الله لهم الإكرام «غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ»، قَالَ: «وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، الآيَةَ»، سبحان الله! لمَّا تقرأ في البخاري ومسلم تلمس اختيارًا بديعًا للأحاديث، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وجزاهما الله عن الإسلام خير الجزاء.

والله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أخبر محمدًا ﷺ بسؤال موسىٰ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وربَّما سأل الناس عن آخر من يدخل الجنة، وله هذا الملك العظيم يعني: مثل الدنيا عشر مرات، فمُلك الله واسع، ما أوسع قدرته وأعظمه! لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السموات سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، تخيَّل كم من الملايين في الجنة، وما لكل واحد منهم، وهذا أدناهم! يملك في الجنة مثل الدنيا عشر مرات، فكيف بالأنبياء وأولي العزم منهم والصديقين والشهداء والصالحين! ماذا يُعطَون؟! لهم ما لا يدركه العقل، «فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ».

حديث أبي ذر: قال النبيُّ ﷺ في رجل آخر -هو نفسُه والله أعلم-: «إِنِّي

لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَىٰ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا. فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: نَعَمْ. لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ. فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً». يبدِّل الله سيئاته حسنات «فيقول: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَاهُنَا»، قال: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ». والله أعلم ما مقصوده، هل قصده لمَّا قال له عَزَّوَجَلَّ: «فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً»، هل يريد هذه الكبار التي أخفيت يريد مكانها حسنات، الله أعلم هذا قصدُه، وهو -والله أعلم- سرُّ ضحك الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

النواجذ: قيل: الأنياب. وقيل: الأضراس. وقيل: غير ذلك.

وضحكُ النبيِّ ﷺ تبسُّم -والله أعلم- كما وصفت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها لم تره إلا مبتسمًا(١).

فيه خطأ نبَّه عليه النوويُّ في حديث جابر، فيه: "حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ: أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يُسْأَلُ عَنِ الْوُرُودِ". الورود: المرور علىٰ الصراط أو ورود النار، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ

---

(١) رواه البخاري (٦٠٩٢)، ومسلم (٨٩٩م).

رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ [مريم: ٧١]، والرسول بيَّنَهُ أنه المرور علىٰ الصراط، فَقَالَ: «**نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا، انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ؟**» هنا حصل سقطٌ؛ لأن الرسول تكون أمَّته علىٰ كثيب، وكلمة «**انْظُرْ**» من الراوي ليست من الحديث، كما بيَّنها القاضي عياض والنووي(١)، قال القاضي: "كَانَ أَظْلَمَ هَذَا الْحَرْفُ عَلَىٰ الرَّاوِي أَوْ أُمْحِيَ، فَعَبَّرَ عَنْهُ بِكَذَا وَكَذَا، وَفَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: "أَيْ فَوْقَ النَّاسِ"، وَكَتَبَ عَلَيْهِ "انْظُرْ" تَنْبِيهًا، فَجَمَعَ النَّقَلَةُ الْكُلَّ، وَنَسَّقُوهُ عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ مَتْنِ الْحَدِيثِ كَمَا تَرَاهُ".

فقوله: «**انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ؟**» أي: تلٌّ أو كثيبٌ، أي يكون النبيُّ وأمَّته علىٰ كثيب مرتفع، قَالَ: «**فَتُدْعَىٰ الْأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ**»، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣]، فيتبع عبَّاد الأوثان الأوثان، وعبَّاد الشمس الشمس، وعبَّاد القمر القمر، ويبقىٰ اليهود والنصارىٰ، ثم يقال لليهود: ماذا كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد عُزيرًا ابن الله. فيقول الله: كذبتم. فيؤمر اليهود بالورود، فيتساقطون في النار، وكذلك النصارىٰ يقال لهم: ماذا كنتم تعبدون؟ يقولون: كنَّا نعبد عيسىٰ ابن الله، كما تقدم في الأحاديث(٢).

---

(١) انظر: "شرح مسلم" (٣/ ٤٧-٤٨).

(٢) حديث (٣٠٢) (١٨٣)، وقد رواه البخاري (٧٤٣٩).

قولُه: «ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ»، فيه إثباتُ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يجيء يوم القيامة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله يجيء وينزل، وهذا من كماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليس بنقص، ولكن الجهمية وأفراخها من الأشاعرة والمعتزلة ينكرون هذه الأفعال: المجيء والنزول والغضب والرضا والضحك... إلخ، فالأفعال كالصفات التي تثبت لله عَزَّوَجَلَّ ، ولا تشابه صفات المخلوقين، والأدلة الكثيرة التي ثبتت بالكتاب والسنة أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يفعل ما يشاء، وينزل، ويجيء؛ قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]، وقال عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وورد بها كثيرٌ من الأحاديث، وآمن بها الصحابةُ، وآمن بها التابعون وخير الأمة، حتىٰ جاء الزنديق الجهم بن صفوان، وجاء بمبادئه الخبيثة، ومنها تعطيلُ الصفات -والعياذ بالله-، فعطَّل وأنكر أسماء الله وصفاته، وجاء المعتزلة وأنكروا الصفات سواء الذاتية أو الفعلية؛ لأن فلسفتهم الخبيثة أن تعدُّد الصفات يستلزم تعدُّد الذوات، قبَّحهم الله! ولا يُعقل أبدًا أن تكون ذاتُ الله بصفات في زعمهم، فلا يوجد ذاتٌ مجرَّدة من الصفات إلا في خيالهم، أمَّا في الواقع فلا يوجد ذاتٌ إلا موصوفة بصفات، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذاته وصفاته هو ربُّ العالمين. قوله: «فيقول: من تَنْظُرُونَ؟» أي: تنتظرون، «فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ:

حَتَّىٰ نَنْظُرَ إِلَيْكَ. فَيَتَجَلَّىٰ لَهُمْ يَضْحَكُ». سبق أنه في المرَّة الأولىٰ يقولون: «نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا رَبُّنَا»، وَفِي رواية: يَقُولُونَ: «نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»، «فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ».

الشاهد: أنه فيها إثباتُ الصفات، وأنه يضحك، وهذه الصفاتُ جاءت فيها أدلَّة كثيرة من القرآن ومن السنة، فالضحك موجود في السنة، أمَّا المجيء فثبت في القرآن والسنة، قَالَ: «فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَه» يفعل الله ما يشاء، «وَيُعْطَىٰ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقًا، أَوْ مُؤْمِنًا نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَىٰ جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ»، قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد: ١٣، ١٤]، هذا جزاؤهم؛ كانوا مع المؤمنين يصلُّون ويحجُّون، وقد يجاهدون أحيانًا، ولكن رياءً، إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالىٰ، ولهذا جزاؤهم الدرك الأسفل من النار؛ لخبثهم وخطرهم علىٰ الإسلام والمسلمين. والنفاق لم ينقطع، بل هو في هذه الأزمان أكثر بكثير، ففي كل شبكة ضلال من: روافض وصوفية وأحزاب سياسية وغيرها، لا تخلو من هؤلاء، ولكن نحن لا نعيِّن، الله يعلمهم، ولكن نعتقد أن فيهم

منافقين. قال: «**ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ**» أي: يعبرون علىٰ الصراط، «**فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ**»، وهم الذين لا يتطيَّرون، ولا يكتوون، ولا يسترقون، وعلىٰ ربهم يتوكلون، «**ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَأِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ**»، فأوَّلهم كالقمر ليلة البدر، والدفعة الثانية كأضوأ نجم في السماء، الأبرار والسابقون المقربون، «**ثُمَّ كَذَلِكَ، ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَشْفَعُونَ**»، يعني: يشفع الأنبياء والملائكة، «**حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً**». وتقدم أن الشفاعة تكون في المصلِّين أولًا، يقال: كانوا يصلُّون ويحجُّون معنا، وكذا وكذا... فيخرجونهم، ثم بعد ذلك تأتي دفعة مَنْ كان عنده مثقال دينار، ثم نصف دينار، ثم يأتي ما يزن شعيرة. بعدها سيأتي في الأحاديث: «**مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**»، وهذا الحديث فيه اختصارٌ والله أعلم. قال: «**فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ**»، يعني: علىٰ أفواه الجنة، «**وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّىٰ يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ**» أي: آثار النار فيهم، «**ثُمَّ يَسْأَلُ آخِرُهُمْ حَتَّىٰ تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا**»، هذا آخرُ مَن يدخل الجنة ويخرج من النار، وهذا يخصُّ شخصًا واحدًا كما تبيَّن في الأحاديث السابقة واللاحقة: أن هذا آخر من يخرج من النار ويدخل الجنة، كما تقدَّم في حديث المغيرة.

قال النوويُّ في «شرح مسلم» (٣/ ٦٨-٦٩)، معلقًا علىٰ قول آدم ونوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ: «**إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**»، قال النوويُّ متأوِّلًا لهذه الصفة -صفة الغضب-: "المراد بغضب الله تعالىٰ ما يظهر من انتقامه ممن عصاه، وما يرونه من أليم عذابه، وما يشاهده أهلُ المجمع من الأهوال التي لم تكن ولا يكون مثلها، ولا شك أن هذا كله لم يتقدَّم قبل ذلك اليوم مثله، ولا يكون بعده مثله، وهذا معنىٰ غضب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كما أن رضاه ظهورُ رحمته ولطفه، لمن أراد به الخير والكرامة؛ لأن الله يستحيل في حقه التغيُّر في الغضب والرضا. والله أعلم".

نقول: إن هذا تأويلٌ باطلٌ، جرىٰ فيه النوويُّ علىٰ طريقة الأشاعرة المقلِّدين للجهمية، والمتابعين لهم في تأويل كثير من صفات الله عَزَّوَجَلَّ، ومنها: الاستواءُ والنزول والرضا والغضب، وهذا الكلام فيه مخالفةٌ لمنهج السلف الصالح، ولظاهر كتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وتأويلُه فاسد؛ إذ أوَّل غضبَ الله بمخلوقاته، وهو ما يشاهده أهلُ الجمع من الأهوال، وكذلك أليم العذاب، فهذه مخلوقات، فأوَّل صفة الله اللائقة بجلاله أوَّلها بخلقه ومفعولاته، ونسأله: هل الأنبياء المذكورون حينما سيقولون هذا الكلام، يعتقدون أن غضب الله، هو ما يشاهده أهلُ المجمع،

وما يرونه من أليم عذاب؟ أو يعتقدون أن هذه صفة من صفات الله تليق بجلاله؟ وهل الرسول والصحابة والتابعون حينما كانوا يبلِّغون الناس من عرب وعجم بهذه الصفات، التي وصف الله بها نفسه في كتابه وفي سنة رسوله، هل كانوا يتأوَّلون هذه التأويلات، ويُلقِّنون من يبلِّغونهم من العرب بمثل هذه التأويلات؟ حاشاهم! ولو كانوا يعتقدون ما يعتقده الجهمية في هذه الصفات، وبلَّغوهم بها، ولم يحذِّروهم من هذا الاعتقاد، أو من الاعتقاد الذي يفرُّ منه الجهمية، لكانوا -والعياذ بالله- في موضع التهمة؛ إذ لم يحذِّروا الناس من هذا الأمر الذي يعتبره الجهمية ضلالًا، وينزهون الله عنه، ووالله ليس بضلال، وإن صفة الغضب والرضا لمن صفات الكمال، فالجمادات لا توصف برضا ولا بغضب، وكثيرٌ من الكفار لا يغضبون من الشرك والفواحش، وهذا نقصٌ فيهم، والله يغضب من الشرك والفواحش والمعاصي، وهذا غاية الكمال، ولا يصف الله نفسه ولا يصفه رسولُه إلا بما هو كمال، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ينزِّه نفسه عن صفات النقص، كما نزَّه نفسه عن الصاحبة والولد والشريك والنظير والند سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو ينزِّه نفسه عن السِّنَة والنوم وما شابه ذلك من النقائص، فكيف يتصوَّر عاقلٌ أن الله يصف نفسه بما يوهم النقص، ولا ينزِّه نفسه عنه، كما نزَّه نفسه عن النقائص التي أشرنا إليها.

وقولُه بأن الله تعالىٰ يستحيل في حقه التغيُّر في الغضب والرضا، هذا مبنيٌّ

علىٰ الأصل الجهمي الذي هو ينبوع الفساد والبدع والضلال، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية [١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلما تصوَّروا أن الله لا تقوم به الأعراضُ -كما يزعمون-، شرعوا في تعطيل صفاته تنزيهًا له، زعمًا منهم عن الأعراض التي هي حوادث، والله لا تحلُّه الحوادث - في زعمهم -. والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يفعل ما يشاء، وأفعالُه تحصل كما يريد ومتىٰ شاء، وهو فعالٌ لما يريد في كل وقت وحين، وهذا من الأدلَّة علىٰ كماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا نصِف أفعاله بأنها أعراضٌ، بل هي صفاتٌ وأفعال كمال، ولو سلكوا منهج السلف ودانوا بما دانوا به، لنجَوْا من هذه التأويلات الفاسدة، والتلاعب بالنصوص القرآنية والنبوية.

❁ ❁ ❁

(١) "منهاج السنة" (١/ ٣١٢).

(٨٥) بَابٌ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٣٣٠) [١٩٦] حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ قُتَيْبَةُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»**.

(٣٣١) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ»**.

(٣٣٢) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، قَالَ: قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ**

مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ».

(٣٣٣) [١٩٧] وَحَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**».

التعليق:

ساق الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب حديث أنس بن مالك من عدَّة طرق، مدارُها على المختار بن فلفل وعلى ثابت، كليهما عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في الطريق الأول قولُه ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا**». فقوله: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ**». أي: في دخول الناس الجنة، وهاتان ميزتان لرسول الله ﷺ، مما يدلُّ على أنه سيِّد ولد آدم حقًّا، وأنه يحظى بهذه المنازل العظيمة، أول ميزة: وهي الشفاعة في دخول الناس الجنة، وقد ثبت أنه يشفع للناس في عرصات القيامة وهي مواقف الحساب فيها، وتلك الشفاعة عامة لإراحة الناس من هول الموقف، وهذه شفاعة - والله أعلم - لأمَّته ﷺ، والميزة الثانية: أنه «**أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا**»، فأجره يزداد بكثرة هؤلاء الأتباع، كما قال: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا**

بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ»[١] إلى يوم القيامة، وكلُّ الناس الذين اتبعوه منذ بعثه الله إلى قيام الساعة - له مثل أجر كلِّ واحد من هؤلاء الأتباع عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا الأجر يظهر في منازله في الجنة، هذا اللفظ الأول.

اللفظ الثاني: «أَنَا أَكْثَرُ الْأَنبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ». وهذا بمعنىٰ اللفظ الأول، وإن اختلف اللفظ فهو أكثر الناسِ تبعًا، وهو يشفع، ثم يقرع باب الجنة، وفي الطريق الأخيرة: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ». فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أوصىٰ هذا الخازن ألَّا يفتح باب الجنة لأحد قبل محمد ﷺ، ثم بعد ذلك يفتح لغيره، فهو أولُ من يُفتح له بابُ الجنة، هذه من مزاياه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: كثرة الأتباع، وأنه أول من يفتح له باب الجنة، وأول من يشفع في دخول الجنة، وهذه من ضمن الشفاعات له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خاصة، وهناك شفاعاتٌ يشاركه فيها غيرُه.

❊ ❊ ❊

---

(١) قطعة من حديث رواه مسلم (١٠١٧)، عن جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٨٦) بَابُ اخْتِبَاءِ النَّبِيِّ ﷺ دَعْوَةَ الشَّفَاعَةِ لِأُمَّتِهِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٣٣٤) [١٩٨] حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَىٰ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا، فَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

(٣٣٥) [•••] وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَمِّهِ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ، وَأَرَدْتُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

(٣٣٦) [•••] حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ زُهَيْرٌ: قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَمِّهِ،

قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ أَسِيدِ بْنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِيُّ مِثْلَ ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

(٣٣٧) [٠٠٠] وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قال: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ عَمْرَو بْنَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ أَسِيدِ بْنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِيَّ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لِكَعْبِ الْأَحْبَارِ: إِنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا، فَأَنَا أُرِيدُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». فَقَالَ كَعْبٌ، لِأَبِي هُرَيْرَةَ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «نَعَمْ».

(٣٣٨) [١٩٩] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا**».

(٣٣٩) [٠٠٠] حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عُمَارَةَ وَهُوَ ابْنُ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا، فَيُسْتَجَابُ لَهُ، فَيُؤْتَاهَا، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

(٣٤٠) [٠٠٠] حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ابْنُ زِيَادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ، فَاسْتُجِيبَ لَهُ، وَإِنِّي أُرِيدُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ أُؤَخِّرَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

(٣٤١) [٢٠٠] حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَ: حَدَّثَانَا، وَاللَّفْظُ لِأَبِي غَسَّانَ، قَالُوا: حَدَّثَنَا مُعَاذٌ -يَعْنُونَ ابْنَ هِشَامٍ-، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَاهَا لِأُمَّتِهِ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

(٣٤٢) [٠٠٠] وَحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَابْنُ أَبِي خَلَفٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا رَوْحٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ. ح،

(٣٤٣) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، ح، وَحَدَّثَنِيهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ جَمِيعًا عَنْ مِسْعَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ وَكِيعٍ، قَالَ: قَالَ: أُعْطِيَ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

(٣٤٤) [٠٠٠] وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، عَنْ

أَبِيهِ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ.

(٣٤٥) [٢٠١] وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَلَفٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَوْحٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ، وَخَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.

التعليق:

[هذا الحديث الذي ساقه الإمام مسلمٌ في هذا الباب، أن النبيَّ ﷺ خبَّأ شفاعته لأمَّته يوم القيامة، من حديث أبي هريرة، ومن حديث أنس؛ كلاهما من عدَّة طرق، وساقه من طريق واحدة عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أحاديثُ الشفاعة متواترة(١)، وهنا ساقها من عدد من الطرق، عن ثلاثة من أصحاب محمد ﷺ، وفيها أن كل نبيٍّ أُعطي دعوة، فدعا بها في الدنيا فاستجيبت له، والرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خبَّأ دعوته لأمَّته يوم القيامة، يعني: أن كل واحد أُعطي دعوة مضمونة الإجابة، فدعا كلُّ واحد من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- بهذه الدعوة التي ضُمنت له في الدنيا، والرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ادَّخرها لأمته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلىٰ يوم القيامة، وهذا دليلٌ علىٰ اهتمامه بهذه

---

(١) "شرح مسلم" (٣/ ٣٥)، و"مجموع الفتاوىٰ" (١/ ٣١٤) و(٤/ ٣٠٩) و(١٣/ ٣٥)، و"نظم المتناثر" (ص٢٣٣ و٢٣٤-٢٣٦).

الأمة، وحرصه علىٰ ما يسعدها في دينها ودنياها وآخرتها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هذا من كمال شفقته ورأفته ورحمته؛ كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨] عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فالذي يشق علىٰ أمته يشق عليه، والذي يضرهم يحذرهم منه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ويجنبهم إيَّاه، بقدر ما أعطاه الله من طاقة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وحريصٌ علىٰ ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، ورؤوف رحيم بهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن رحمته ورأفته وشفقته أنه ادَّخر شفاعته ﷺ يوم القيامة، ذلك اليوم العظيم.

❊ ❊ ❊

(٨٧) بَابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لِأُمَّتِهِ وَبُكَائِهِ شَفَقَةً عَلَيْهِمْ

قَالَ الإمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٣٤٦) [٢٠٢] حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَىٰ الصَّدَفِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ أَنَّ بَكْرَ بْنَ سَوَادَةَ، حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: تَلَا قَوْلَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [إبراهيم: ٣٦] الْآيَةَ، وَقَالَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «**اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي**»، وَبَكَىٰ، فَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: «**يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟**» فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: «**يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ**».

التعليق:

قولُ الله تعالىٰ لرسوله ﷺ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضُّحىٰ:٥]، يشير إلى هذا المآل يوم القيامة؛ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾: فهذا في المستقبل في الآخرة، يعطيه من المنزلة العظيمة عند الله، وقبول شفاعته، وإرضائه في أمته، وهذا يدل علىٰ عظيم منزلة هذا الرسول الكريم عند ربه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإنه أفضل خلقه وأكرمهم وأعلاهم منزلة عنده، والله يرعاه في الدنيا والآخرة، ويُرضيه فلا يسوءُه، نسأل الله أن يُشفِّع فينا هذا النبيَّ الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأن يجعلنا ممن يدخل في هذا الرضا].

* * *

(٨٨) بَابُ بَيَانِ أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ وَلَا تَنَالُهُ شَفَاعَةٌ وَلَا تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِينَ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٣٤٧) [٢٠٣] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «**فِي النَّارِ**»، فَلَمَّا قَفَّىٰ دَعَاهُ، فَقَالَ: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**».

التعليق:

يعني هذا الحديثُ كما في الحديث الآخر أنه: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ**»[1]، فلا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وحرَّمها الله علىٰ غير المؤمنين، فالوسيلةُ لدخول الجنة هي الإيمانُ والعمل الصالح، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر]، فلا وسيلة لدخول الجنة إلا الإيمان الصادقُ والعملُ الصالح، فلا تنفع قرابات المقرَّبين، ولو

(١) رواه البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم (١١١)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

كان ابنَ نبيٍّ، أو والد نبيٍّ، لا تنفعه هذه القرابة، كما في ابن نوح، وكما في والد إبراهيم، وكما في زوجَتَي نوح ولوط، كما أخبر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: ١٠].

وهذه امرأة فرعون أكفر وأطغىٰ أهل الأرض، يقول الله فيها: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم: ١١]، فتدخل الجنة بإيمانها، وزوجتا نبيَّين كريمين تدخلان النار لكفرهما، وزوجةُ هذا الطاغية بإيمانها تدخل الجنة، فلابدَّ من الإيمان والعمل الصالح، فالقرابة لا تنفع، فلا تنفع فيهم شفاعة القرابات ولو كانوا أنبياءً أبدًا.

والرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نادىٰ قريشًا بطنًا بطنًا وقال: « **يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، يَا أُمَّ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، اشْتَرِيَا أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللَّهِ لاَ أَمْلِكُ لَكُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، سَلاَنِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمَا** »[1].

---

(١) رواه البخاري (٣٥٢٧) واللفظ له، ومسلم (٢٠٦)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١]، فهذه حقيقة يجب أن يعيها المسلمون. ومع الأسف الشديد هناك خرافات تسيطر علىٰ كثير من الطوائف، فيعتقدون أنهم بأنسابهم يدخلون الجنة، ويستحقُّون الكرامة من الله في الدنيا والآخرة، ذلك لأنهم لم يَعُوا هذه العقيدة الصحيحة التي قرَّرها القرآن والسنة من فجر تأريخ الإنسانية إلى يومنا هذا، هناك أناسٌ يزعمون أنهم من أبناء الرسول، ويقولون مثل قول اليهود والنصارىٰ، كما حكىٰ الله تعالىٰ ذلك عنهم في كتابه الكريم: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]؛ فيهوديتهم ونصرانيتهم تؤهِّلهم لدخول الجنة، فهؤلاء أهلُ خرافات وبدع وضلالات، وهذه من الموروثات اليهودية والنصرانية وغيرها والعياذ بالله، تسرَّبت إلى هذه الطوائف الضالة. بل لابد من الإيمان الصادق، والعمل الصالح، ومع ذلك فالإنسان لا يعتمد علىٰ ذلك، «**لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ**»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ**»(١)، فالإيمانُ الصادقُ والعملُ الصالحُ من أعظم الأسباب لدخول الجنة، والإنسان -أيضًا- يُرجع الفضل إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فكيف وهو خالٍ من الإيمان والعمل الصالح، ويتألَّىٰ علىٰ الله بدخوله

(١) رواه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦) واللفظ له، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الجنة، نسأل الله العافية، والرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمَّا جاءه رجلٌ مسلم من الصحابة يسأله عن مصير أبيه: أَيْنَ أَبِي؟ فَقَالَ: «فِي النَّارِ»؛ لأنه ليس بمؤمن، فكأنه غضب، وحصل في نفسه شيء، ولكن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لحسن خلقه أراد أن يخفِّف عنه، فقال: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ»؛ هؤلاء كانوا في فترة، لكنهم أدركوا من ملَّة إبراهيم ما يُقيم عليهم الحجة، فأدركوا ملَّة إبراهيم من التوحيد ما يقيم عليهم الحجة، فالرسول لا يحابي ولا يجامل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فصدع بهذه الحقيقة، فالله كذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كتب علىٰ نفسه الرحمة بالمؤمنين، وحقَّت كلمتُه علىٰ الكافرين: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥]، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا رادَّ لما قضاه، ولا رادَّ لما كتبه من الشقاء علىٰ الأشقياء، ولما كتبه من السعادة للسعداء، فمن أراد الله له السعادة وفَّقه للإيمان والعمل الصالح، ومن أراد له الشقاء خذله، حتىٰ يكون مصيره النار -والعياذ بالله-، والله لا يُسأل عمَّا يفعل، فعلينا إذًا بالإيمان الصادق والعمل الصالح حتىٰ ننجو من النار؛ لأن هذا هو الذي ينقذك من النار ويدخلك الجنة، فنسأل الله تعالىٰ أن ينقذنا وإيَّاكم من ناره وغضبه، وأن يؤهلنا لرحمته وكرمه. إنه سميع الدعاء.

❋❋❋

(٨٩) بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء:٢١٤]

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٣٤٨) [٢٠٤] حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ مُوسَىٰ بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]. دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: «**يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا**».

(٣٤٩) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَحَدِيثُ جَرِيرٍ أَتَمُّ وَأَشْبَعُ.

(٣٥٠) [٢٠٥] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، وَيُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]. قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَقَالَ: «**يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ**».

(٣٥١) [٢٠٦] وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ الْمُسَيَّبِ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ، سَلِينِي بِمَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**».

(٣٥٢) [٠٠٠] وَحَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا زَائِدَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ ذَكْوَانَ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ هَذَا.

(٣٥٣) [٢٠٧] وَحَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ، وَزُهَيْرِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَا: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، قَالَ: انْطَلَقَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِلَى رَضْمَةٍ مِنْ جَبَلٍ، فَعَلَا أَعْلَاهَا حَجَرًا، ثُمَّ نَادَىٰ «**يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافَاهُ إِنِّي نَذِيرٌ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَىٰ الْعَدُوَّ، فَانْطَلَقَ يَرْبَأُ أَهْلَهُ، فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ، يَا صَبَاحَاهُ**».

(٣٥٤) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عُثْمَانَ، عَنْ زُهَيْرِ بْنِ عَمْرٍو، وَقَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِهِ.

(٣٥٥) [٢٠٨] وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ، خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: «**يَا صَبَاحَاهْ**»، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتِفُ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «**يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، يَا بَنِي**

عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، قَالَ: فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ أَمَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا، ثُمَّ قَامَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ وَقَدْ تَبَّ، كَذَا قَرَأَ الْأَعْمَشُ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

(٣٥٦) [٠٠٠] وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، صَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الصَّفَا، فَقَالَ: «يَا صَبَاحَاهُ» بِنَحْوِ حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ، وَلَمْ يَذْكُرْ نُزُولَ الْآيَةِ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾.

التعليق:

ساق المصنف الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وحديث قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ، وَزُهَيْرِ بْنِ عَمْرٍو وحديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، في شأن تبليغ الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عشيرته الأقربين، لمَّا أنزل الله قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ قام يُنفِّذ أمر الله عَزَّوَجَلَّ ويصدع بأمر ربه، واختار هذا المكان، في رواية: أنها رضمة، وهي حجارة يرص بعضها فوق

بعض، ويقال: هي دون التل[1]، وفي حديث عائشة عيَّنت الصفا، ونصَّت علىٰ أن هذا المكان هو الصفا، فهذه الأوصاف كلها للصفا، وعائشة نصَّت علىٰ أن هذا المكان المرتفع الذي صدع فيه بقول ربِّه، وناداهم لأن يجتمعوا لينذرهم إنما هو الصفا.

الشاهد: أن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ امتثل أمر ربِّه، فصعد إلى أعلىٰ مكان ليتمكَّن من تبليغ قريش، ولينذرهم العذاب الشديد إنْ أصرُّوا علىٰ كفرهم، فناداهم بطنًا بطنًا: «**يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ**». -ثم نادىٰ الأفراد- «**يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ، سَلِينِي بِمَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا قال اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئًا**»، فقد أنذرهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علىٰ أكمل الوجوه وقال لهم: «**أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ**». عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وبيَّن أنه لا يُغني عنهم من الله شيئًا؛ لأنه إذا كان لهم حقٌّ في استطاعته فسوف يقوم به، وهو

---

(١) انظر: "شرح مسلم" (٣/ ٨٢).

صلة الرحم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، أما نفع، وأما ضر، وأما نجاة من النار أو إدخال الجنة - فهذا ليس أمامهم إلا أن يشتروا أنفسهم من الله، وذلك بالإيمان الصادق والعمل الصالح، واتباع هذا الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتصديقه، أمَّا القرابات والأنساب فلن تغني عنهم شيئًا، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»، ففيه أولًا إثباتُ عقيدة وأنه لا تنفع القرابات، وإنما الذي ينفع الإنسان ويقرِّبه إلى الله عَزَّوَجَلَّ وينجِّيه من الخسران، هو الإيمان والعمل الصالح، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر]، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رتَّب دخول الجنة والنجاة من النار في آيات كثيرة، ورسوله كذلك في أحاديث كثيرة، علىٰ الإيمان وعلىٰ العمل الصالح، ولم يرتِّب من ذلك شيئًا علىٰ الأنساب، ولا علىٰ المال ولا علىٰ السلطان ولا علىٰ شيء، إنما علىٰ الإيمان الصادق والعمل الصالح، فهذه فاطمة بنت محمد لا ينفعها إلا إيمانُها، وهذه صفية عمَّته، وهذا العباس عمُّه، وهذه قريش عشيرتُه، بطنًا بطنًا، ناداهم وصدع فيهم، أنه لا يغني عنهم من الله شيئًا، إذًا الأنساب لا تغني شيئًا ولا تنفع، وقد يكون ابنُ نبيٍّ كافرًا، كما حصل لابن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، فما نفعه كونه ابنَ نوح، وأمُّه -زوجة نوح- كانت كافرة، فما أغنىٰ عنها أنها زوجة نبيٍّ، كما لا يضر أن

تكون زوجة كافر، كما حصل لزوجة فرعون؛ ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم: ١١]، فالله تعالىٰ أثنىٰ عليها ومدحها بإيمانها، ولم يضرَّها كون زوجها كافرًا، إذًا الذي ينفع هو الإيمان والعمل الصالح، فالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بلَّغ الرسالة، وأدَّىٰ الأمانة من أول بعثته إلى أن لقي الله عَزَّوَجَلَّ، فما من شيء أوحاه الله إليه إلا بلَّغه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وما من أمر أمره الله به إلا قام به، وجهر به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علىٰ أكمل الوجوه، فقد اجتهد أبلغ الاجتهاد في إنذار عشيرته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، واختار أعلىٰ مكان ليسمعهم منه، فقال: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، قَالَ: فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ أَمَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا، ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾﴾.

فكان هذا الرجل شديد العداوة والعناد للرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكان الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا خرج يدعو الناس إلى الله عَزَّوَجَلَّ يتبعه ويصيح وراءه: "هذا مجنون فلا تصدقوه، هذا كذاب لا تصدقوه"(١)، فاستحق هذا

(١) رواه أحمد (١٦٠٢٣)، والحاكم (١/ ٦١). وصححه الألباني في "صحيح السيرة" (ص١٤٣).

الذم الشديد، والوعيد الشديد الذي تضمنته هذه السورة، وأذكر حديثًا في البخاري[١] أن ابن عبَّاس قال: "قَالَ أَبُو لَهَبٍ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ كذا وكذا".

وصبر رسول الله علىٰ هذا الإيذاء الشديد حتىٰ نصره الله عَزَّوَجَلَّ، فبلَّغ قريشًا، فكم نصحهم، وكم هتف بهم، وكم ناداهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فليست هذه المرة الوحيدة التي أنذر فيها قومه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بل من حين أمره الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدَّثر: ١، ٢]، بدأ ينذر ويصدع بالدعوة عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ويحذِّر، والإنذار هو الإعلام مع التخويف، والتبشير هو الإعلام بالخير وما يسُرُّ، فقد خوَّفهم أشد التخويف قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، والعياذ بالله -إي والله- عذاب شديد، عذاب شديد لأعداء الله الذين كذَّبوا الرسل، وعاندوهم، وعصوا هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام، فوالله إنهم لينتظرهم العذاب الشديد، الذي توعدهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به، وتوعَّدهم به رسولُه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قوله: «غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا». يعني: أنه سيصلها، وهذا الذي في استطاعتي، أما أن أنجيكم من النار وأدخلكم الجنة فهذا ليس بيدي، ولا نجاة لكم إلا بالإيمان والعمل الصالح، قال النووي[٢]: "شُبِّهَتْ قَطِيعَةُ

(١) (١٣٩٤).

(٢) "شرح مسلم" (٣/ ٨٠).

الرَّحِمِ بِالْحَرَارَةِ وَوَصْلُهَا بِإِطْفَاءِ الْحَرَارَةِ بِبُرُودَةٍ" عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قوله: «يَا صَبَاحَاهُ»، كلمة تقولها العرب عندما يدهمهم الخطر، يقولون: يا صباحاه؛ لأن العدو غالبًا يأتيهم في الصباح، فيقولون: «يَا صَبَاحَاهُ».

قوله: "﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ"، هذه كانت من تمام الآية، ونُسخت تلاوتُها، قال: لما نزلت هذه الآية فسمَّاها آية، قالوا: كانت آية ثم نسخت(١). والله أعلم.

قال لهم النبيُّ ﷺ: «أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: "مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا"، كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣]، المهمُّ أنهم كانوا أحسن أدبًا وأخلاقًا معه من أبي لهب -قبَّحه الله-؛ إذ كان هو وأبو جهل أشدَّ الناس عداوة لرسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، "قَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ أَمَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا". وهل هناك شيء أعظم من هذا يا عدوَّ الله، ويا سخيف؟! قوله: "وَقَدْ تَبَّ"، هذه قراءة للأعمش. والله أعلم أنها من الشواذ(٢).

❋❋❋

(١) "شرح مسلم" (٣/ ٨٢)، و"فتح الباري" (٨/ ٥٠٢).

(٢) "أحكام القرآن" لابن العربي (٤/ ٤٦٧).

(٩٠) بَابُ شَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ لأَبِي طَالِبٍ وَالتَّخْفِيفِ عَنْهُ بِسَبَبِهِ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٣٥٧) [٢٠٩] وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الأُمَوِيُّ، قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**».

(٣٥٨) [٠٠٠] حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِالْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: سَمِعْتُ الْعَبَّاسَ، يَقُولُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَنْصُرُكَ فَهَلْ نَفَعَهُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ، فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحْضَاحٍ**».

(٣٥٩) [٠٠٠] وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ

سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَارِثِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ح، وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِ حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ.

(٣٦٠) [٢١٠] وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنِ ابْنِ الْهَادِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَبَّابٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**».

(٩١) بَابُ أَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا

(٣٦١) [٢١١] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ**».

(٣٦٢) [٢١٢] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، قَالَ:

حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**».

(٣٦٣) [٢١٣] وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَابْنُ بَشَّارٍ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّىٰ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَخْطُبُ وَهُوَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**».

(٣٦٤) [٠٠٠] وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ، مَا يَرَىٰ أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا**».

التعليق:

[هذا الباب في بيان حال أبي طالب، وفعلًا كان له عناية بالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وغيرةٌ عليه، وقد آذته قريش بسبب ذلك، حتىٰ إنهم حاصروه هو وبني المطلب وبني هاشم في شعب بني عامر ثلاث سنين،

وكتبوا الصحيفة الظالمة في مقاطعة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وبني هاشم وبني المطلب، وعلىٰ رأسهم رسولُ الله ﷺ، وأبو طالب ذبَّ عنه إلىٰ أن توفَّاه الله، وعند موته عرض عليه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الإسلام، فقال النبيُّ ﷺ: «**أَيْ عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ**»، وكان عنده أبو جهل وعبد الله بن أمية، فقالا: "يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟" أسلوب خبيث وماكر؛ لأن عبد المطلب كانت له مكانة ومنزلة عندهم، فدخلا عليه من هذا الباب، فأخذا يقولان له هذا الكلام، حتىٰ كان آخر ما قال: "أنا علىٰ ملَّة عبد المطلب"، فقال النبيُّ ﷺ: «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣] [(١)]. فتوقف الرسول ﷺ عن الاستغفار له، وتوقف أصحابه امتثالًا لأمر الله عَزَّوَجَلَّ، وهنا وردت أحاديثُ؛ مثل حديث العبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحديث أبي سعيد، وحديث ابن عباس والنعمان بن بشير رضوان الله عنهم.

- عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ**

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٠) و(٤٦٧٥)، ومسلم (٢٤)، عن المسيب بن حزن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ». وهذه صورة مستثناة من الشفاعة التي حرَّمها الله علىٰ الكافرين، وهذه من خصائص النبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فلا تنفع شفاعةُ الملائكة، ولا شفاعةُ الأنبياء، حتىٰ رسول الله لم تقبل شفاعته في كافر، إلا في هذه الجزئية، وهي في نقل أبي طالب من الدرك الأسفل من النار إلى ضحضاح من نار، ذلك أنه لا يغني مال ولا نسب ولا جاه، وإنما ينفع في ذلك الإيمان والعمل الصالح، فالأنبياء لا تُقبلُ شفاعتُهم في الكافرين؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدَّثر: ٤٨]، وكما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في المشركين ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة: ٤٨]؛ لأن الله حرَّم الجنة علىٰ الكافرين، ولم يقبل فيهم شفاعة الشافعين، هذا أكبر الذنوب الشرك بالله والكفر به و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨]، فلا يُستثنىٰ إلا أبو طالب، لا في خروجه من النار، ولكن في تخفيف العذاب عنه، وهذا لأنه بذل شيئًا كثيرًا في الدفاع عن رسول الله ﷺ والذبِّ عنه وحمايته، ولكنه ما كان دافعه إلىٰ ذلك وجه الله عَزَّوَجَلَّ والحب في الله، مع أنه كان يحب رسول الله حبًّا شديدًا، ولكن ليس الحبَّ الشرعي الذي شرعه الله وافترضه، ولكن حبًّا ينطلق من العصبية

الجاهلية، لذلك ما نفعه هذا الحب وهذا الذب، إلا في هذه الصورة المخففة.

هذا الحديث الأول حديث العباس، ولعل سبب ذكر حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**»، لمَّا سأل العباس هذا السؤال - والله أعلم - كان عدد من الصحابة جلوسًا ومنهم أبو سعيد.

فالحديث الثاني: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ**». وهو في أبي طالب، لكن لم يسمه، وفي الأول سمَّاه، وعيَّن بماذا يعذَّب؛ بنعلين في النار يغلي منهما دماغُه، من حرارة النعلين، سيأتي أن دماغه يغلي كما يغلي المرجل: والمِرجل: هو القدر من نحاس أو من غيره، أو من حجارة، أو من فخار، فالقدر لمَّا يوضع علىٰ النار الشديدة يكون له غليان، فدماغُه يغلي من نعلين أو من جمرتين، كما في حديث النعمان، أو هما نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ.

الشاهد: أن عذابه خفيفٌ سواء من هذا أو من هذا، وأن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يشفع فيه وهو فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ، فَأَخْرَجه إِلَى ضَحْضَاحٍ

من النار، ولولا شفاعة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيه لكان في الدرك الأسفل من النار، يعني: لكان أشد الناس عذابًا، لا سيما أنه قد عرف صدق محمد ﷺ، وما كان يكذِّبه، ولكن أخذه الكبر والتعصب لما وجد عليه آباءه، وهذه عادة الكافرين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزُّخرُف: ٢٣]، ولهذا قال عند موته: "أنا علىٰ ملَّة عبد المطلب"، وفيه دليل علىٰ خطأ ما يقوله الروافض وغلاة الصوفية من أن عبد المطلب كان علىٰ الإسلام، إذ لو كانت ملَّة عبد المطلب هي الإسلام، لمات أبو طالب علىٰ الإسلام، ولكنه مات علىٰ شيء غير الإسلام، والعياذ بالله. وهذا فيه زاجرٌ لمن يتعلَّق بالأنساب والخرافات والأساطير، إنه لا ينفع لا قرابة ولا شيء سوىٰ الإيمان والعمل الصالح، أبو طالب لو أنفق الجبال من الذهب في الذبِّ عن رسول الله ﷺ ولم يؤمن به، ما نفعه ذلك، وقد بذل الشيء الكثير، وأوذي في عرضه ونفسه وماله من أجل المحاماة عن رسول الله ﷺ، ولكن هذه المحاماة ما كانت لوجه الله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا لم تنفعه؛ لأن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان مبنيًّا علىٰ الإيمان، وقُصد به وجه الله عَزَّوَجَلَّ، وكان موافقًا للشرع، وأبو طالب ليس عنده شيء من هذه الشروط التي تؤهِّله للنجاة من النار، والعياذ بالله.

قوله: «مَا يَرَىٰ أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا»، أدنىٰ أهل

الجنة منزلة ما يرىٰ أن أحدًا أسعد منه، وهذا أدنىٰ أهل النار عذابًا ما يرىٰ أن أحدًا أشد منه عذابًا؛ لأنه لا يحس ما يعانيه الآخرون، أبو طالب أهونُ أهل النار عذابًا إطلاقًا، قد يكون من المسلمين من يعذَّب أشد منه ثم يخرج، ومنهم من قد تأخذه النار إلى حقويه، ومنهم من تأخذه إلى ساقيه، ومنهم من تأخذه إلى كعبيه، حسب ذنبه، فالمؤمن يخرج من النار وإن عذبه الله بالنار، فلابدَّ له من الخروج، أما الكافر فلا.

❁ ❁ ❁

(٩٢) بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ لَا يَنْفَعُهُ عَمَلٌ

قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٣٦٥) [٢١٤] حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنْ دَاوُدَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «**لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**».

التعليق:

كان ابنُ جدعان من الأجواد الكرماء المضيافين مشهورًا بهذا، وكان له جفنة يأكل منها الناس عظيمة جدًّا يصعد لها بسُلَّم، فكان مشهورًا بالكرم، وكان يصل الرحم ويتصدق ويتحنث ويتقرب، ولكنه لم يكن يؤمن بالله ولا يؤمن بالبعث، فما نفعه ذلك؛ لأنه لم يكن لوجه الله عَزَّوَجَلَّ، وليس من منطلق الإيمان، ولم يؤمن برسالة محمد، ولا برسالة إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وإنما على عادات الجاهلية وتقاليدهم، فلذلك لم ينفعه. إذًا لا بد

من الإيمان الصادق والعمل الصالح، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، فالكافر مهما عمل من الأعمال الصالحة - في ظاهرها - والخيِّرة، كل ذلك لا ينفعه؛ لأن الله لا يقبل إلا ما نبع من شرعه، وقُصِد به وجهُه، وكان علىٰ أساس الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، لابد من الإيمان، فهو شرط لقبول الأعمال، وكذلك الإخلاص وموافقة العمل للشرع، وعبد الله بن جدعان ليس عنده شيء من هذا، وهو مع هذا كافر بالله، بل لا يؤمن بالبعث؛ لأنه من قوم كانوا ينكرون البعث، ولهذا علّل النبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عدم جدوىٰ هذه الأعمال بقوله: «**لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**». لماذا؟ لأنه لا يؤمن بيوم الدين، فماذا يستحق؟ وهو مع ذلك يعبد الأصنام، وهذه طريقة قومه الجاهليين، فلهذا هو في النار، أظنه هذا الرجل مات قبل البعثة والله أعلم، ولكنه من الذين أدركوا شيئًا من ملة إبراهيم، مما يقوم عليه به الحجة، كحال هذا ابن جدعان وغيره من المشركين الذين نصَّ رسول الله ﷺ أنهم في النار، وقيام الحجة لابد منه، لكن هؤلاء قامت عليهم الحجة، لأن الله تعالىٰ قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥]، عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فهل هؤلاء قامت عليهم الحجة وبُعث فيهم رسول؟ نعم، هم أدركوا شيئًا من ملة إبراهيم وإسماعيل مما يقيم عليهم الحجة، ويسقط

عنهم المعذرة فيلقون الله وليس لهم عذر، وهناك أناس لم تبلغهم الحجة وما قامت عليهم، يختبرهم الله يوم القيامة، قوم لم تبلغهم الرسالة، وقوم ماتوا في الفترة يعني ما بلغهم شيء من الرسالات، والمعتوه يقول: يا رب جاء رسولك ولم أعقل شيئًا، أو يقول: الأطفال والصبيان كانوا يقذفونني بالحجارة في الأزقة، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يبعث إليهم ملكًا ليختبرهم. يقول لهم: ادخلوا النار، فمن استعدَّ لدخول النار نجا، ومن أبىٰ قامت عليه الحجة ويدخل النار كما يدخلها الكافرون، لأنه لو جاءه رسول وهو يعي ويعقل لكذَّبه.

الشاهد: أن عبد الله بن جدعان كانت له أعمال خيِّرةٌ وما نفعته؛ لأنه كان كافرًا بالله، والكفرُ لا ينفع معه عملٌ صالح، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، والظاهر أنه قامت عليه الحجة؛ لأننا نأخذ الشريعة والأدلة لا من نص واحد، ولكن نأخذها من نصوص مجتمعة، فالله اشترط لتعذيب الكفار أن تبلغهم الرسالة، وهنا نصَّ الرسول أنه يعذَّب، وأن عمله الصالح لا ينفعه، فلابد أنه قامت عليه الحجة، فملَّةُ إبراهيم بقي منها الشيء الكثير، فقد كانت قريش يصومون عاشوراء، ويحجُّون، ويطوفون بالبيت، ويذبحون ويتقربون إلى الله بالنذور والذبائح وما شاكل ذلك، ويلجؤون إلى الله في حال الشدة،

كما أخبر الله عنهم: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [العنكبوت:٦٥] وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [لقمان:٢٥]، فكان عندهم بقايا كثيرة من دين إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فغيَّروا وبدَّلوا في هذا الدين الشيء الكثير، وبقي منه شيء، حتىٰ إن من عرفه قامت عليه الحجة.

* * *

فهرس المواضيع

مقدمة الناشر ٣
(٢٠) باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ٦
تدقيق الإمام مسلم في نقله ألفاظ كل راو وتنبيهه علىٰ اختلافهم ٧
إنكار الإمام أحمد لحديث ابن مسعود في جهاد الولاة، ومناقشة بعض أهل العلم له ٩
أهل الحديث لا يتعلقون بالإسناد فقط، بل ينظرون في المتن أيضًا ٩
حجة الإمام أحمد في إعلاله الحديث، ووجه الجمع بين النصوص في هذا الباب ١٠
(٢١) بيان تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه ١٢
ذكر أقوال أهل العلم في معنىٰ قوله ﷺ: «**الإيمان يمان**» ١٣
معنىٰ قوله ﷺ: «**أرق أفئدة**» و«**أضعف قلوبًا**» ١٥
ظهور الجهمية والرافضة والباطنية من قبل المشرق من العراق وما وراءها .. ١٧
تنزيل أهل البدع حديث: «**رأس الكفر من المشرق**» علىٰ دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ١٧
وصف المشرق بالشر لا يقضي عدم وجود الخير فيه إذ الحكم للغالب ١٧
تأثر الإنسان بأخلاق الحيوانات التي يخالطها ويغتذي من لحومها وألبانها .. ١٨

الحكمة من رعي نبيِّنا والأنبياء قبله - عليهم الصلاة والسلام - الغنم ١٩
الفدَّادون هم الذين تعلو أصواتهم في إبلهم وخيلهم ١٩
الإبل فيها حقد شديد ٢٠
الفخر والخيلاء من الكبر، والسكينة والوقار من الإيمان ٢٢
حصر الإيمان في أهل اليمن والحجاز لا يمنع مشاركة غيرهم لهم في هذه الصفة ٢٢
(٢٢) بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ، وَأَنَّ مَحَبَّةَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الإِيمَانِ، وَأَنَّ إِفْشَاءَ السَّلاَمِ سَبَبٌ لِحُصُولِهَا ٢٣
لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، ابتداءً، أو مآلًا ٢٣
قوله ﷺ: «**لا تؤمنوا حتىٰ تحابوا**» نفي لكمال الإيمان الواجب ٢٤
محبة المؤمنين ومودتهم ونصيحتهم واجبة ٢٤
إفشاء السلام من أعظم الأسباب في وجود المحبة بين المسلمين ٢٥
(٢٣) بَابُ: بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ٢٦
حرص أهل الحديث علىٰ طلب العلو في الإسناد ٢٧
حديث «**الدين النصيحة**» أحد الأحاديث الأربعة التي عليها مدار الإسلام ... ٢٧
النووي يرىٰ أن الحديث يتضمن الدين كله ٢٨
تفسير النصيحة لله ٢٨
تفسير النصيحة لكتاب الله ٢٨
تفسير النصيحة لرسول الله ﷺ ٢٩
تفسير النصيحة لأئمة المسلمين من العلماء والأمراء ٢٩

لا يجوز الخروج علىٰ الولاة المسلمين ٣١
إذا كان يترتب مفاسد أكبر من جراء الخروج علىٰ الحاكم الكافر فإنه يجب الصبر ٣١
في كلام الرسول الرحيم الحكيم ما يدفع كل الشرور عن الأمة لكن أهل البدع لا يقيمون لذلك وزنًا ٣٢
تفسير النصيحة لعامة المسلمين ٣٢
التأليب علىٰ ولاة الأمور في المملكة تأليب علىٰ الإسلام.................. ٣٣
النصيحة واجبة حتىٰ للفساق ٣٤
مبايعة النبيِّ ﷺ أصحابه علىٰ الصلاة والزكاة والنصيحة لكل مسلم ٣٥
حرص جرير بن عبد الله علىٰ أداء النصيحة لعباد الله وفاء بما بايع عليه رسول الله ٣٥
من صور الغش في البيوع ٣٦
من رحمة النبيِّ ﷺ بأصحابه أنه كان يلقن أحدهم عند البيعة: «**فيما استطعت**» ٣٨
اعتناء مسلم ببيان عبارات الرواة في صيغ التحمل ٣٩
انتفاء تدليس هشيم بتصريحه بالسماع في رواية ٣٩
عنعنة المدلسين لا تضر بأحاديث الصحيحين لأمرين اثنين.................. ٣٩
(٢٤) بَابُ بَيَانِ نُقْصَانِ الإِيمَانِ بِالْمَعَاصِي، وَنَفْيِهِ عَنِ الْمُتَلَبِّسِ بِالْمَعْصِيَةِ، عَلَىٰ إِرَادَةِ نَفْيِ كَمَالِهِ ٤١
اعتناء مسلم بحديث أبي هريرة بتخريجه من طرق عنه، وتنبيهه علىٰ اختلاف ألفاظ الرواة.. ٤٣

إجماع أهل السنة علىٰ أن مرتكب الكبيرة لا يكفر ولا يخرج بذلك من الإيمان ٤٤
من أدلة أهل السنة علىٰ أن صاحب الكبيرة لا يخرج بفعلها من الإسلام ٤٤
التفريق بين المستحلِّ للمعصية والفاعل لها غير المستحلِّ ٤٥
لا يعطىٰ الزاني والسارق ونحوهما اسم الإيمان المطلق، كما لا يسلب عنهم مطلق الاسم ٤٥
ذكر أدلة أخرىٰ في عدم كفر فاعل الكبيرة ٤٥
أهل السنة وسط بين المرجئة وبين الخوارج والمعتزلة ٤٦
(٢٥) باب بيان خصال المنافق ٤٨
زيادة «**وإن صام وصلىٰ وزعم أنه مسلم**» زيادة مقبولة ٥٠
المراد بالنفاق في حديثي ابن عمرو وأبي هريرة، هو النفاق العملي........... ٥٠
بيان معنىٰ قوله ﷺ: «**كان منافقًا خالصًا**» ٥٠
الخصال المذكورة قد تفضي بصاحبها إلىٰ النفاق الأكبر ٥١
الترهيب من تلك الخصال المذكورة ٥١
أهل السنة لا يتساهلون في التكفير ولا يقدمون عليه إلا في حال الضرورة.... ٥١
المنافقون يعاملون بظواهرهم، ويوكل أمرهم إلىٰ الله......................... ٥٢
إذا علم من الشخص النفاق حقًّا فلا يزوج ولا يصلىٰ عليه ولا تتبع جنازته .. ٥٢
(٢٦) بَابُ بَيَانِ حَالِ إِيمَانِ مَنْ قَالَ لأَخِيهِ الْمُسْلِمِ: يَا كَافِرُ ٥٣
تفسير قوله ﷺ: «**إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه**» ٥٣
ابتعاد السلف عن التكفير لما يترتب عليه من سل السيوف وسفك الدماء ... ٥٤

أهل السنة يجمعون بين نصوص الوعد والوعيد، ولا يغلبون جانبًا علىٰ جانب كحال الخوارج أو المرجئة ٥٤
الفقيه هو الذي يفقه معاني النصوص، ويحسن الجمع والتأليف بينها، ولا يضرب بعضها ببعض ٥٤
طريقة أهل السنة في التعامل مع النصوص التي يظهر منها التعارض ٥٥
تعظيم حرمة عرض المسلم عند أهل السنة، والترهيب من رميه بالكفر ٥٦
(٢٧) بَابُ بَيَانِ حَالِ إِيمَانِ مَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ ٥٧
تحريم الانتساب لغير الأب والتبنِّي الذي كان موجودًا في الجاهلية ٥٨
تفسير قوله ﷺ: «**ليس من رجل ادعىٰ لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر**» ٥٩
تفسير قوله ﷺ: «**أو قال: عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه**» ٦٠
تفسير قوله ﷺ: «**من ادعىٰ ما ليس له فليس منا**» ٦٠
من علامات الكبيرة ٦١
حكم من ادعىٰ الإمامة في الدين وهو ليس كذلك ٦١
(٢٨) بَابُ بَيَانِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**» ٦٢
تأكيد النبيِّ ﷺ حرمة دم المسلم وعرضه وماله ٦٣
سب المسلم بغير حق فسوق ٦٣
تفسير قوله ﷺ: «**قتاله كفر**» ٦٤
تنبيه النووي علىٰ أن بعض النسخ التي اعتمدها ابن الصلاح سقط منها إسناد للحديث ٦٤

فوائد مستخرجة من حديث: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ٦٥
تعظيم قتال المؤمن وأنه يكون كفرًا أكبر بالاستحلال ٦٥
ما يهدر به دم المسلم ٦٦
حرمة دم المسلم وعرضه وماله تعدل حرمة البيت الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام ٦٦
لا يحل عرض المسلم وماله إلا إذا ارتكب موجبًا يبيح ذلك............ ٦٧
(٢٩) بَابُ بَيَانِ مَعْنَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لا ترجعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**».. ٦٨
تأكيد النبيِّ ﷺ لحرمة دماء المسلمين ٦٩
معنىٰ قوله ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا**» ٧٠
إزالة إشكال حول اقتتال الصحابة بعضهم ببعض........................ ٧٠
(٣٢) بَابُ: بَيَانِ كُفْرِ مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِالنَّوْءِ.......................... ٧٢
حكم من قال: «**مطرنا بنوء كذا وكذا**» ٧٤
ما ينبغي أن يقوله المسلم عند نزول المطر........................... ٧٥
بيان معنىٰ النوء... ٧٦
علم التسيير وعلم التأثير... ٧٦
(٣٣) بَابُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ أَنَّ حُبَّ الأَنْصَارِ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنَ الإِيمَانِ وَعَلامَاتِهِ وَبُغْضَهُمْ مِنْ عَلامَاتِ النِّفَاقِ ٧٧
بيان التلازم بين محبة الله عَزَّوَجَلَّ ورسله صلىٰ الله عليهم وسلم ومحبَّة أنصار دينه

وأتباع رسله ٧٨
بغض عليٍّ نفاق، وأشر منه بغض أبي بكر وعمر وعثمان ٧٩
من أبغض المهاجرين كان أولىٰ بعلامات النفاق ممن أبغض الأنصار ٧٩
ثناء الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ المهاجرين والأنصار وأتباعهم بإحسان ٨٠
من عادىٰ المهاجرين والأنصار وأتباعهم فليس له حق في الفيء ٨١
منزلة المهاجرين والأنصار وإخوانهم عند المؤمنين الصادقين ٨٢
الحديث لا يختص بعليٍّ والأنصار فقط، بل يشمل الصحابة جميعًا علىٰ حسب ترتيبهم في الفضل ٨٢
(٣٤) بَابُ بَيَانِ نُقْصَانِ الإِيمَانِ بِنَقْصِ الطَّاعَاتِ، وَبَيَانِ إِطْلَاقِ لَفْظِ الْكُفْرِ عَلَىٰ غَيْرِ الْكُفْرِ بِاللهِ، كَكُفْرِ النِّعْمَةِ وَالْحُقُوقِ ٨٤
الأمر بالصدقة مأمور به الرجال والنساء علىٰ السواء ٨٥
بيان العلة في أمر النبيِّ ﷺ النساء بالصدقة والإكثار من الاستغفار ٨٦
من أهم وأشد أسباب كون النساء في النار أنهن يكثرن اللعن ويكفرن العشير. ٨٦
لعن المعين لا يجوز إطلاقًا، إلا من علم أنه مات علىٰ الكفر ٨٦
جواز اللعن بالوصف لما فيه من المصلحة ٨٧
بيان معنىٰ قوله ﷺ: «**ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب**» ٨٧
الدليل علىٰ نقص عقل المرأة ٨٨
مناداة قاسم أمين ومحمد عبده بتحرير المرأة يؤزهما الإنجليز والفرنسيون .. ٨٨
مناداة الغزالي بإعطاء المرأة منصب الخلافة، والرد عليه ٨٩

الدليل علىٰ نقص المرأة في دينها ٩٠
(٣٥) بَابُ بَيَانِ إِطْلَاقِ اسْمِ الْكُفْرِ عَلَىٰ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ ٩٢
تعظيم أمر الصلاة، والترهيب من معصية أمر الله تعالىٰ ٩٣
السجود لله طاعة عظيمة تغيظ الشيطان ٩٤
قاعدة في الأدب عند حكاية قول القائل: «يا ويلي» ونحوه من الكلمات المستقبحة ٩٤
بيان منزلة الصلاة في الإسلام ٩٥
اتفاق العلماء علىٰ كفر من لم يُقرَّ بوجوب الصلوات الخمس ٩٥
حكاية خلاف العلماء في تارك الصلاة تهاونًا مع إقراره بوجوبها ٩٦
من كفر تارك الصلاة لا يقال هو خارجي، ومن لم يكفره لا يقال هو مرجئ .. ٩٦
حكم لعن أبي طالب ٩٧
الكلام علىٰ إقامة الحجة في تكفير المعين ٩٧
(٣٦) بَابُ بَيَانِ كَوْنِ الإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَىٰ أَفْضَلَ الأَعْمَالِ ٩٩
شرح ترجمة الباب ١٠٢
الإيمان بالله داخل في العمل ١٠٢
الإيمان بالله وبرسوله أفضل أعمال القلوب واللسان ١٠٣
وجه تقديم الجهاد علىٰ الحج في الحديث ١٠٣
تفسير الحج المبرور ١٠٣
الرد علىٰ المرجئة في إخراجهم العمل من الإيمان ١٠٤
تفسير قوله ﷺ: أنفسها عند أهلها ١٠٤

إجابة النبيِّ ﷺ كل سائل بما يناسبه ١٠٤
تفسير قوله ﷺ: «**تعين صانعًا أو تصنع لأخرق**» ١٠٥
كف الشر عن الناس ابتغاء وجه الله صدقة ١٠٦
تفريق الإمام مسلم بين الصيغتين أخبرنا وحدثنا، خلاف الإمام البخاري وغيره ١٠٦
لطيفة إسنادية: أربعة من التابعين يروي بعضهم عن بعض ١٠٧
شرح حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ١٠٧
وقوع راويين في الإسناد متَّفقي النسبة ١٠٧
توجيه الاختلاف الواقع في إجابات النبيِّ ﷺ للسائلين بحسب الظروف والأحوال والأشخاص ١٠٨
فوائد من قوله ﷺ: «**الصلاة لوقتها**» ١٠٨
الوصية ببر الوالدين والتحذير من عقوقهما ١٠٩
الجهاد في سبيل الله فيه إعلاء لكلمة الله وعزة الإسلام وأهله وتطهير الأرض من الشرك ١١٠
شفقة الصحابة علىٰ رسول الله ﷺ واحترامهم له ١١١
تنافس الصحابة في السؤال عما ينفعهم ويقربهم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ١١١
العمل الأقرب إلىٰ الجنة من أفضل الأعمال ١١١
العمل الأحب إلىٰ الله هو الأقرب إلىٰ الجنة وهو أفضل الأعمال ١١٢
توكيد الراوي سماعه من ابن مسعود بالإشارة الدالة علىٰ تحققه بما سمع . ١١٢
اتصاف الله عَزَّوَجَلَّ بالمحبَّة كما يليق بكماله تعالىٰ ١١٢

اكتفاء الراوي بالإشارة المفهمة عن التصريح باسم عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١١٣
مدار حديث ابن مسعود علىٰ أبي عمرو الشيباني........................ ١١٣
ذكر بعض الفروق بين رواية الحسن بن عبيد الله ورواية الوليد بن العيزار . ١١٤
(٣٧) بَابُ كَوْنِ الشِّرْكِ أَقْبَحَ الذُّنُوبِ، وَبَيَانِ أَعْظَمِهَا بَعْدَهُ.............. ١١٥
نكتة: إيراد الإمام مسلم حديث ابن مسعود في أعظم الذنوب عقب حديثه في أفضل الأعمال ١١٦
إذا كان الرواة عراقيون فعبد الله هو ابن مسعود........................ ١١٦
أعظم الذنوب هو الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.................................. ١١٧
تقبيح تسوية الخالق بالمخلوق في العبادة ١١٧
اتخاذ المشركين مع الله أندادًا بعبادتهم ودعائهم ١١٨
اعتقاد أن مع الله شركاء في الخلق أعظم شركًا من اتخاذ مع الله شركاء في العبادة ١١٨
قتل الوالد ولده أعظم جرمًا وأقبح من قتل النفوس الأخرىٰ ١١٨
تغليظ إثم قتل الولد خشية المشاركة في الطعام من جهتين اثنتين ١١٩
تعظيم القتل بغير حق وإراقة الدماء المعصومة.......................... ١١٩
وجه تغليظ إثم من زنىٰ بحليلة جاره.................................. ١١٩
الزنىٰ بحليلة الجار القريب أعظم إثمًا وأشد خيانة........................ ١٢٠
الدعاء عبادة.. ١٢٠
أهل الضلال والأهواء لا يرون أن دعاء غير الله عبادة لذلك المدعو....... ١٢١
فشو القتل والزنىٰ من علامات الساعة، وحلم الله عَزَّوَجَلَّ بعباده ١٢١

نزول القرآن تصديقًا للحديث ١٢٢

(٣٨) باب بيان الكبائر وأكبرها ١٢٣

ابن عباس يحد الكبيرة بأنها كل معصية لله تعالىٰ ١٢٥

المعاصي كبائر وصغائر ١٢٥

الصغائر تكفَّر باجتناب الكبائر، والكبائر لا تغفر إلا بالتوبة ١٢٥

ذكر أكبر الكبائر ١٢٦

تعظيم إثم شهادة الزور ١٢٦

من شهادة الزور القول علىٰ الله بلا علم ١٢٧

قتل النفس بغير حق من الكبائر ١٢٧

خطر قول الزور ١٢٧

الكبائر ليست محصورة في سبع ١٢٨

ذكر السحر عقب الشرك لأنه السحر كفر وتعلمه كفر ١٢٨

معنىٰ قول: «**قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق**» ١٢٩

أكل مال اليتيم من الكبائر ١٢٩

أكل الربا من الكبائر ١٣٠

التولي يوم الزحف من الكبائر ١٣٠

قذف المحصنات الغافلات من الكبائر ١٣٠

من الكبائر شتم الرجل والديه ١٣٠

المتسبب في الشيء ينسب إليه ولو لم يباشره ١٣١

(٣٩) باب تحريم الكبر وبيانه **١٣٢**
تفسير الكبر **١٣٣**
المتزين بالثياب الجميلة إظهارًا لنعمة الله عليه لا يعد متكبِّرًا بخلاف المتفاخر المختال.. **١٣٣**
نهي النبيِّ ﷺ عن الإسبال **١٣٤**
من أخطر أنواع الكبر رد الحق الذي شرعه الله عَزَّوَجَلَّ.. **١٣٥**
من رد حكم الله متكبرًا عليه مستحلًّا كفر **١٣٥**
اختلاف أهل العلم في نوع الكبر المتوعد صاحبه عدم دخول الجنة **١٣٦**
الكبر المراد في الحديث هو معصية وليس كفرًا **١٣٦**
الفرق المخالفة لأهل السنة عندهم كبرٌ، لكن لا يصل بهم إلىٰ الكفر **١٣٦**
مناقشة النووي في التأويلات التي نقلها في صفة الجمال لله عَزَّوَجَلَّ **١٣٧**
النووي يحكم للحديث بالصحة ثم يستدرك فيقول: لكنه من أخبار الآحاد **١٣٧**
لا يصح سرد الأسماء الحسنىٰ عن النبيِّ ﷺ **١٣٧**
النووي يرىٰ أن الاختيار جواز إطلاق اسم الجميل علىٰ الله تعالىٰ **١٣٨**
ما أثبته الله ورسوله لله تعالىٰ من الأسماء والصفات أثبتناه والعكس في النفي وما سكت عنه سكتنا **١٣٨**
أبو المعالي يجوز إطلاق ما ورد لله من الأسماء والصفات بأخبار الآحاد .. **١٣٨**
القياس جائز في العمليات، ولا يجوز في أسماء الله تعالىٰ وصفاته **١٣٩**
التنبيه إلىٰ أن تجويز أبي المعالي والنووي إطلاق وصف الجمال علىٰ الله تعالىٰ قد

يكون على طريقة المفوضة ١٣٩
(٤٠) بَابُ مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ مُشْرِكًا دَخَلَ النَّارَ ١٤٠
التوحيد هو السبب في النجاة من النار ودخول الجنة، والشرك صاحبه في النار خالدًا أبدًا ١٤٢
مراجعة أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبيَّ ﷺ سببها بغضه لتلك الكبائر الغليظة ١٤٢
معنى قول النبيِّ ﷺ : «رغم أنف أبي ذر» ١٤٢
جزاء الموحد الجنة إما ابتداءً وإما مآلًا ١٤٣
عقيدة الخوارج والمعتزلة في أصحاب الكبائر من أهل القبلة، والرد عليهم ١٤٤
لطيفة إسنادية: ثلاثة تابعيون يروي بعضهم عن بعض.......... ١٤٥
المعرور بن سويد من المخضرمين ١٤٥
تدليس أبي الزبير لا يضر في صحيح مسلم ١٤٦
الاختلاف في صيغة «عن» هل هي من صيغ الاتصال أو الانقطاع ١٤٦
عنعنة المدلس في الصحيحين لا تضر ١٤٦
تنبيه مسلم على صيغ الأداء لكل راو ١٤٨
(٤١) بَابُ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ١٤٩
كلمة لا إله إلا الله تعصم دم قائلها وماله ١٥٣
من قال لا إله إلا الله ولم يصل ولم يزك لا يرفع عنه السيف ١٥٣
اختلاف أهل العلم في حكم تاركي الصلاة وتاركي الزكاة.......... ١٥٤
معنى قوله ﷺ: «**إن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله..**» ١٥٥

العلة التي لأجلها لم يقتص النبيُّ ﷺ للرجل الذي أسلم من أسامة ١٥٥
كلمة لا إله إلا الله تعصم دم قائلها ولو كان منافقًا ١٥٦
تشديد النبيِّ ﷺ علىٰ أسامة نفعه في اعتزال الفتن ١٥٦
اقتداء سعد بن أبي وقاص بسيرة أسامة في الفتن ١٥٦
اعتزال طائفة من أفاضل الصحابة القتال في الفتنة تعظيمًا للدماء المعصومة ١٥٧
الصحابة الذين شاركوا في الفتنة هم مجتهدون.......................... ١٥٧
فوائد في نسب المقداد بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١٥٨
(٤٢) بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا» ١٦٠
حمل السلاح علىٰ المسلمين من الكبائر.................................. ١٦١
إلزام الخوارج والمعتزلة بإخراج أنفسهم من الإيمان لأنهم يحملون السلاح علىٰ المسلمين.. ١٦١
طريقة أهل السنَّة في تفسير حديث: «**من حمل علينا السلاح فليس منَّا**» ونحوه التفصيل.. ١٦١
إنكار سفيان بن عيينة وغيره قول القائل: «**ليس منا**» ليس مثلنا ١٦١
الأولىٰ عدم تفسير نصوص الوعيد إبقاء علىٰ هيبتها إلا عند الحاجة ١٦١
(٤٣) بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» ١٦٣
الوعيد علىٰ حمل السلاح في وجوه المسلمين والذم الشديد لمن يغش المسلمين ١٦٤
لابد من البيان في البيع والشراء ١٦٥
الغش من كبائر الذنوب ولو في محقرات الأشياء......................... ١٦٥

قول النبيِّ ﷺ: «**ليس منا من فعل كذا**» دليل علىٰ أن فاعل ذلك قد أتىٰ كبيرة .. ١٦٥
(٤٤) بَابُ تَحْرِيمِ ضَرْبِ الْخُدُودِ وَشَقِّ الْجُيُوبِ وَالدُّعَاءِ بِدَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ ١٦٧
ما تفعله النساء وبعض الرجال من لطم الخدود وشق الجيوب عند المصيبة من الكبائر ١٦٩
تفسير دعوىٰ الجاهلية........ ١٦٩
الحديث يفسر علىٰ التفصيل المعروف عند أهل السنة في التفريق بين المستحل وغيره ١٦٩
تبرئة الله عَزَّوَجَلَّ رسوله ﷺ من أهل البدع ١٧٠
فائدة إسنادية ١٧٠
المؤمن ينكر المنكر بقدر ما يستطيع، ومتىٰ ما تمكن من الإنكار أنكر..... ١٧١
فرح بعض الناس بنياحة الناس عليه من أمور الجاهلية........ ١٧١
قول فاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «**واكرب أبتاه**» ليس من النياحة ولا من دعوىٰ الجاهلية . ١٧٢
لا يجوز الاجتماع للعزاء والبقاء مع المتوفىٰ بقصد المواساة ١٧٢
المرأة تحد علىٰ زوجها أربعة أشهر وعشرًا........ ١٧٣
الحديث إذا لم يكن في الصحيحين فلا يجوز لغير المتمكن تصحيحه أو تضعيفه من عنده........ ١٧٥
وجوب تبليغ مسائل الشرع للناس مع الصبر والتحمل، ولا نستسلم للقدر ١٧٦
أصناف الذين يسبُّون أصحاب النبيِّ ﷺ........ ١٧٦
كل مبتدع كذاب ١٧٧

(٤٥) باب بيان غلظ تحريم النميمة ١٧٨

النميمة من الكبائر ١٧٩

من كان مستحلًّا للنميمة فلا يدخل الجنة إطلاقًا ١٧٩

العلماء يستثنون من النميمة نقل الناصحين أخبار المفسدين للحاكم لكف شرهم ١٧٩

النميمة جريمة لها مفاسد عديدة ١٨٠

استعمال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ العسس والعيون ١٨١

من جاءك بحديث فيه إفساد الأخوة فلا تصدقه ١٨١

(٤٦) بَابُ بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إِسْبَالِ الإِزَارِ، وَالْمَنِّ بِالْعَطِيَّةِ، وَتَنْفِيقِ السِّلْعَةِ بِالْحَلِفِ، وَبَيَانِ الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٨٢

ورود الوعيد في تسعة بأن لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ١٨٤

الرد علىٰ النووي في تأويله النظر بالرحمة ١٨٥

الإسبال خيلاء من الكبائر، ومن فعله بلا خيلاء فقد فعلها محرَّمًا بلا شك ١٨٥

الإزار والقميص والعمامة حكمهم سواء، وللإزار ثلاث حالات ١٨٦

المن من الكبائر ١٨٧

المنفق سلعته بالحلف الكاذب واقع في كبيرة ١٨٨

الشيخ الزاني من أصحاب ذلك الوعيد الشديد ١٨٩

الملك الكذاب من أصحاب ذلك الوعيد الشديد ١٨٩

العائل المستكبر من أصحاب ذلك الوعيد الشديد ١٩٠
فائدة لغوية في تذكير العدد «ثلاث..»، والمعدود: «رجل» ١٩٠
مانع فضل الماء من ابن السبيل فاعل لكبيرة ١٩٠
الذي يبايع بالحلف بعد العصر كذبًا أعظم إثمًا ممن حلف علىٰ السلعة كذبًا في غيره من الأوقات ١٩٠
الذي يبايع إمامه لأجل الدنيا واقع في كبيرة ١٩١
الذي يقتطع مال المسلم بيمينه بعد العصر يشمله الوعيد المذكور ١٩٢
الفقير الذي يلبس الثوب الحسن لا يدخل في العائل المستكبر ١٩٢
توجيه قول النبيِّ ﷺ: «**ثلاثة**..» وقوله: «**ثلاث**..»........................ ١٩٣
معنىٰ قول النبيِّ ﷺ: «**وما يعذبان في كبير**» وقوله: «**إنه لكبير**»............ ١٩٤
قول: «أراه مرفوعًا» قاله أحد الرواة ولا دليل علىٰ تعيينه..................... ١٩٤
(٤٧) بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَإِنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ وَأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ١٩٥
الأحاديث كلها تلتقي في تحريم قتل الإنسان نفسه ١٩٩
رجال إسناد حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كلهم كوفيون إلا أبا هريرة ٢٠٠
الحديث من الأدلة علىٰ تحريم الانتحار................................. ٢٠٠
معنىٰ قوله ﷺ: «**خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا**».................................. ٢٠٠
شرح حديث ثابت بن الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٢٠١
معنىٰ قوله ﷺ: «**من حلف بيمين علىٰ ملة غير الإسلام كاذبًا فهو كما قال**»..... ٢٠١

قوله: «**من قتل نفسه بشيء عذب به**» عام في كل قتل ٢٠٢
من نذر أن يتصدق بمال فلان أو يذبح ناقة فلان، فليس عليه نذر.......... ٢٠٢
لعن المؤمن كقتله ٢٠٣
معنىٰ قوله ﷺ: «**من ادعىٰ دعوىٰ كاذبة ليتكثر بها..**» ٢٠٣
معنىٰ قوله ﷺ: «**من حلف علىٰ يمين صبر فاجرة**» ٢٠٣
بيان الإمام مسلم للاختلاف بين لفظ سفيان وشعبة........................ ٢٠٤
الحالف بملة سوىٰ الإسلام لا يكون إلا كاذبًا ٢٠٤
التنبيه علىٰ أن قصة الرجل الذي قتل نفسه وقعت في خيبر لا حنين......... ٢٠٥
الحث علىٰ الإخلاص لله والصدق في الإيمان في كل الأعمال ٢٠٥
إخبار الرسول ﷺ بقصة ذلك الرجل الذي قتل نفسه معجزة من معجزاته. ٢٠٦
تأييد الله عَزَّوَجَلَّ الدين بالرجل الفاجر ٢٠٦
قصة الرجل الذي قتل نفسه من رواية سهل بن سعد ٢٠٦
حديث سهل بن سعد يتفق مع حديث ابن مسعود في أن الأعمال بالخواتيم ٢٠٧
سنة الله تعالىٰ الرؤوف الرحيم أن يتوفىٰ الصادقين علىٰ الإيمان............ ٢٠٨
الظاهر أن قصة الرجل الذي قتل نفسه هي واحدة في حديث أبي هريرة وحديث سهل ٢٠٨
حديث الحسن عن جندب في قصة الرجل صاحب القرحة............ ٢٠٩
تحريم الجنة علىٰ الرجل يفسر بالتفصيل المعروف بين المستحل وغير المستحل ٢٠٩
تأكيد الحسن لحفظه الحديث وتنزيهه جندبًا عن الكذب ٢١٠

الصحابة كلهم عدول ٢١٠
(٤٨) بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ الْغُلُولِ، وَأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ ٢١١
الغال لو قتل في المعركة لا يسمىٰ شهيدًا وجزاؤه النار ٢١٢
غلام رسول الله ﷺ قتله العدو ولكنه غلَّ، فاستحق النار.................. ٢١٣
تعليل النبيِّ ﷺ تعذيب الغلام بالغلول دليل علىٰ عظمها وخطرها.......... ٢١٣
تحريم أموال المسلمين عامة وخاصة ٢١٤
الظاهر أن الغال لو أعاد ما غله إلىٰ الغنيمة خرج من إثمها ٢١٦
إقسام الرسول ﷺ علىٰ أن صاحب الشملة في النار ٢١٦
فزع الصحابة خوفًا من الغلول.. ٢١٦
مجيء بعض الصحابة بشراكٍ أو شراكين كانا أخذهما من الغنيمة........... ٢١٧
فوائد من الحديث.. ٢١٧
الذين يأخذون أموال المساعدات لأنفسهم من أشد الناس خيانة ٢١٨
(٤٩) بَابُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ أَنْ قَاتِلَ نَفْسِهُ لاَ يَكْفُرُ ٢١٩
الكبائر لا تخرج صاحبها من الإسلام ولو كانت القتل ٢٢٠
قصة إسلام عمرو بن الطفيل الدوسي.. ٢٢٠
كان بالمدينة وباء شديد أصاب طائفة من أصحاب النبيِّ ﷺ.................. ٢٢٢
معنىٰ المشقص ٢٢٢
مغفرة الله عَزَّوَجَلَّ للرجل تسبب في موته بهجرته وإبقاء يده علىٰ حالها فاسدة ٢٢٣
لا يدرىٰ هل استجاب الله عَزَّوَجَلَّ دعوة نبيه في إصلاح يد الرجل أم لا ٢٢٣

دعوات النبيِّ ﷺ غير مضمونة الإجابة في الدنيا بخلاف الآخرة........... ٢٢٤
(٥٠) بَابٌ فِي الرِّيحِ الَّتِي تَكُونُ قُرْبَ الْقِيَامَةِ، تَقْبِضُ مَنْ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الْإِيمَانِ ٢٢٦
علامات الساعة الكبرىٰ والصغرىٰ ٢٢٦
(٥٢) بَابُ مَخَافَةِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ ٢٢٨
قصة ثابت بن قيس بن شماس وسبب نزول آية الحجرات ٢٢٩
تبشير النبيِّ ﷺ ثابت بن قيس بالجنة ٢٣١
ينبغي للمؤمن أن يحبط عمله كما ينبغي ألا ييأس من رحمة الله ولا يأمن مكر الله ٢٣١
احترام النبيِّ ﷺ لأصحابه وتفقده لأحوالهم ٢٣٢
لطائف إسنادية ٢٣٢
تنبيه مسلم علىٰ اختلاف الروايات ٢٣٣
فائدة لغوية في رواية: «رجل» و«رجلًا» بالرفع والنصب.................. ٢٣٣
(٥٣) بَابٌ: هَلْ يُؤَاخَذُ بِأَعْمَالِ الْجَاهِلِيَّةِ؟ ٢٣٤
الجمع بين الحديث والأحاديث التي تدل علىٰ أن الإسلام يهدم ما قبله ... ٢٣٥
ترجيح حمل الإمام أحمد الحديث علىٰ الذي يسلم وبقي مصرًّا علىٰ الكبائر لم يدعها ٢٣٦
(٥٤) بَابُ كَوْنِ الْإِسْلَامِ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ وَكَذَا الْهِجْرَةِ وَالْحَجِّ................ ٢٣٨
دلالة الأحاديث علىٰ أن الإسلام يهدم ما قبله وكذا الحج والهجرة ٢٤٠
صحة إسلام عمرو بن العاص وشدة خوفه من الله عَزَّوَجَلَّ وشيء من مناقبه ٢٤٠
حكاية عمرو عن نفسه أنه مرَّ علىٰ ثلاثة أطباق....................... ٢٤١
ثناء النبيِّ ﷺ علىٰ عمرو بن العاص وشهادته له بالإيمان ٢٤٢

إجلال عمرو بن العاص لرسول الله ﷺ ٢٤٣
عمرو بن العاص كان مجتهدًا فيما وقع من أمر الفتن ٢٤٣
عمرو بن العاص يوصي بالسنة عند موته ٢٤٤
إذا دفن الميت في قبره عاد له إحساسه فيأنس بالناس حوله، ويسمع قرع نعالهم ٢٤٤
الأموات لا يسمعون خطاب الأحياء ودعاءهم ٢٤٤
الحديث دليل علىٰ فضل عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٢٤٥
فائدة لغوية في حذف جواب «لو» ٢٤٥
وعيد الله عَزَّوَجَلَّ للمشركين وقاتلي النفوس والزناة بأنهم يلقون أثامًا ٢٤٦
وعد الله عَزَّوَجَلَّ من تاب من هؤلاء المشركين المجرمين بقبول الله توبته... ٢٤٦
شروط قبول التوبة ٢٤٧
(٥٥) بَابُ بَيَانِ حُكْمِ عَمَلِ الْكَافِرِ إِذَا أَسْلَمَ بَعْدَهُ ٢٤٨
استشكال بعض العلماء قول النبيِّ ﷺ: «أسلمت علىٰ ما أسلفت من خير» وجوابه ٢٥٠
الظاهر أن كتابة الحسنات تؤجل إلىٰ أن يسلم ويحسن إسلامه ٢٥١
تخريج الألباني للحديث، ونقله كلام الحافظ علىٰ الحديث ٢٥١
المتكلمون يرون أن الكفار لا يعرفون الله، وهذا غير صحيح ٢٥٢
تصويب الألباني القول بأن ثواب عمله الأول يكتب للذي أسلم مضافًا إلىٰ عمله الثاني ٢٥٤
الشيخ الألباني يرجح قول القائلين بإجزاء حج من ارتد بعد حجه ثم عاد للإسلام ٢٥٥

نقل مطول عن ابن حزم في هذه المسألة........................ ٢٥٥
جمع الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين حديث الباب وحديث إثابة الكافر علىٰ عمله الحسن في الدنيا ٢٥٨
الصحابة الذين ارتدوا ثم عادوا إلىٰ الإسلام معدودون عند العلماء من الصحابة ٢٥٨
تفسير التحنث.. ٢٥٩
ترجمة حكيم بن حزام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وشيء من مناقبه ٢٥٩
(٥٦) باب إخلاص صدق الإيمان وإخلاصه........................ ٢٦١
الإسناد كلهم كوفيون، فيه ثلاثة تابعيون ٢٦٢
نزول الآية من سورة لقمان وفهم الصحابة لها علىٰ ظاهرها، وبيان النبيِّ ﷺ أن المراد بالظلم الشرك ٢٦٢
الآية من العموم الذي أريد به الخصوص ٢٦٣
ظلم العبد نفسه بعبادته غير الله تعالىٰ................................ ٢٦٣
(٥٧) بَابُ بَيَانِ أَنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لاَ يُكَلِّفُ إِلَّا مَا يُطَاقُ.................... ٢٦٤
المعنىٰ الإجمالي المستفاد من حديثي أبي هريرة وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ..... ٢٦٦
الآية دليل علىٰ سماحة الشريعة ٢٦٧
الصواب أن في الآية نسخ التكليف الذي لا يطاق كما صرح بذلك الصحابة.... ٢٦٨
حديث النفس لا يؤاخذ به ما لم يبلغ العزم ٢٦٨
(٥٨) بَابُ تَجَاوُزِ اللهِ عَنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَالْخَوَاطِرِ بِالْقَلْبِ إِذَا لَمْ تَسْتَقِرَّ .. ٢٧٠
لا يؤاخذ الله عَزَّوَجَلَّ بالخواطر ولكن بما يستقر في النفس.................... ٢٧١

صاحب العزم على الفعل المحرم مؤاخذ ٢٧١
حديث النفس لا يؤاخذ به ما لم يعمل به صاحبه أو يتكلم به ٢٧١
(٥٩) بَابُ إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ ٢٧٢
المعنى الإجمالي لأحاديث الباب ٢٧٤
استعراض طرق وألفاظ حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.................... ٢٧٤
أسلوب مسلم في الرواية من صحيفة همام بن منبه ٢٧٥
تارك السيئة يثاب عليها إن تركها لله، وتكتب عليه إن تركها لغير الله ٢٧٦
الحسنة التي تضاعف كثيرًا لها أسباب كالجهاد ونحوه ٢٧٧
إطلاق ورد في رواية ابن عباس يحمل على المقيد في حديث أبي هريرة ٢٧٨
(٦٠) بَابُ بَيَانِ الْوَسْوَسَةِ فِي الإِيمَانِ وَمَا يَقُولُهُ مَنْ وَجَدَهَا ٢٧٩
عفو الله عَزَّ وَجَلَّ عن الخواطر والوساوس التي تقع في النفس ٢٨٢
استعراض طرق حديث أبي هريرة وغيره ٢٨٣
إخبار النبيِّ ﷺ الصحابة بأن ما يجده المؤمن من الوسوسة ذاك صريح الإيمان ٢٨٤
معنى قول الصحابة: «ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به» ٢٨٤
إذا قال من ابتلي بوسوسة: «**آمنت بالله ورسله**» لم تضره ٢٨٥
الرد على المليباري وأضرابه في ادعائهم أن مسلمًا يورد الأحاديث المعللة في كتابه ٢٨٥
إيراد مسلم اختلاف ألفاظ الناقلين ليس من باب التعليل.................. ٢٨٦
تصرف مسلم في هذا الباب مثال على عدم التزامه الترتيب حسب القوة ٢٨٦

العلاج النافع للوسوسة ٢٨٧
زعم بعض الناس أن لمسلم طريقة فريدة في التعليل ٢٨٩
الدليل علىٰ أن مسلمًا التزم الصحة في كتابة ولم يورد الأحاديث المعللة ٢٩٠
التمثيل بصنيع مسلم في هذا الباب علىٰ أنه لم يلتزم الترتيب في كتابه ٢٩١
مسلم ضمن كتابه الأحاديث الصحيحة وحرص علىٰ ذلك وأنكر علىٰ من يروي الضعاف ٢٩٢
(٦١) بَابُ وَعِيدِ مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ فَاجِرَةٍ بِالنَّارِ.............. ٢٩٣
أبو أمامة الحارثي غير الباهلي.. ٢٩٦
حق المسلم أعم من كونه مالًا ٢٩٦
الوعيد الشديد لمن يقتطع حق امرئ مسلم ٢٩٧
نسب محمد بن كعب ومعبد بن كعب ٢٩٧
الاختلاف في وفاة أبي أمامة الحارثي وترجيح النووي أنه لم يمت عقب أحد ٢٩٧
افتتاح مسلم الباب برواية رجل من الدرجة الثانية وأتبعه بأسانيد من الدرجة الأولىٰ ٢٩٨
معنىٰ قوله ﷺ: «**أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة**» ٢٩٩
تأويل النووي لصفة الغضب لله عَزَّوَجَلَّ وتأثره بالأشاعرة ٣٠٠
أئمة الإسلام كانوا يثبتون أسماء الله وصفاته بدون تحرف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ٣٠٠
نقل الترمذي كلام الأئمة في أحاديث الصفات ٣٠١

القرآن يصدِّق السنَّة ٣٠٢
صاحب اليد مقدم علىٰ خصمه المدَّعي ٣٠٤
تفسير البيِّنة التي يستحق بها المدعي الحق ٣٠٤
من لم يقم البيِّنة ليس له إلا يمين المدعىٰ عليه ٣٠٤
عند الله الحكومة العادلة يأخذ من الظالم لمن ظلمه ٣٠٥
كلام جميل لشيخ الإسلام في قوله تعالىٰ: «**إن الله لا يظلم مثقال ذرة**» ٣٠٥
التوفيق بين ألفاظ الوعيد الواردة في أحاديث الباب ٣٠٥
تفسير الجاهلية ٣٠٦
حق المسلم لا يسقط بطول العهد ٣٠٦
يكفي في البيِّنة شاهدان عدلان ٣٠٦
جزاء من اقتطع أرضًا ظالمًا ٣٠٧
ذكر مسلم الاختلاف في اسم «عبدان» ٣٠٧
(٦٢) بَابُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ قَصَدَ أَخْذَ مَالِ غَيْرِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، كَانَ الْقَاصِدُ مُهْدَرَ الدَّمِ فِي حَقِّهِ، وَإِنْ قُتِلَ كَانَ فِي النَّارِ، وَأَنَّ مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ٣٠٨
المعنىٰ الإجمالي لحديثي الباب ٣٠٩
الرد علىٰ الاشتراكيين الذين يقولون إن الناس شركاء في الأموال ٣١٠
اختلاف العلماء في قدر المال الذي يباح لأجله قتل الصائل ٣١٠
مناقشة النووي فيما نقله من أقوال اللغويين في معنىٰ الشهيد ٣١١
الشهيد ثلاثة أقسام ٣١٣

(٦٣) بَابُ اسْتِحْقَاقِ الْوَالِي الْغَاشِّ لِرَعِيَّتِهِ النَّارَ ٣١٥
وجوب النصيحة للمسلمين الوالي وغيره ٣١٦
معنىٰ نصيحة الوالي للرعية........................ ٣١٧
الوالي الغاش للرعية متوعد بعدم دخول الجنة علىٰ التفصيل المعروف ٣١٨
(٦٤) بَابُ رَفْعِ الأَمَانَةِ وَالإِيمَانِ مِنْ بَعْضِ الْقُلُوبِ وَعَرْضِ الْفِتَنِ عَلَىٰ الْقُلُوبِ ٣١٩
شرح حديث حذيفة في الأمانة ٣٢٠
معنىٰ «**جذر قلوب الرجال**» ٣٢٠
معنىٰ: «الوكت» و«المجل» ٣٢٠
معنىٰ قوله ﷺ: «**ما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**»........................ ٣٢١
لم يكن حذيفة يبالي بمن بايع في عهد سبق ٣٢٢
حذيفة يدع معاملة الناس إلا نفرًا قليلًا بعد فشو الخيانة........................ ٣٢٢
المبايعة المراد بها البيع والشراء ٣٢٣
لطيفة إسنادية: حديث حذيفة إسناده كوفيون ٣٢٣
حديث حذيفة في الفتن ٣٢٤
الحديث فيه معجزة للنبيِّ ﷺ ٣٢٥
العظماء لا يأنفون أن يسألوا من دونهم عن العلم ٣٢٦
تقصير الرجل في حق أولاده وأهله وجاره تكفره الصلاة والصوم والصدقة ٣٢٦
عمر يسأل عن الفتن التي تعصف بالمجتمعات وتفرق القلوب ٣٢٦
كلمة: «لله أبوك» كلمة مدح........................ ٣٢٦

معنىٰ عرض الفتن علىٰ القلوب كعرض الحصير ٣٢٧
صفة القلوب التي ترد الفتن وتأباها وصفة القلوب التي تقبلها وتتشربها... ٣٢٧
تفسير مراد حذيفة بالفتنة التي تموج موج البحر ٣٢٨
معنىٰ قول العرب: «لا أبا لك» ٣٢٩
عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الباب الذي بكسره انفتحت الفتن ٣٢٩
معنىٰ: «الأسود المرباد» و«الكوز المجخِّي» ٣٣٠
فوائد من الحديث ٣٣٠
مسلم يشير إلىٰ الاختلاف في الألفاظ ٣٣١
(٦٥) بَابُ بَيَانِ أَنَّ الإِسْلاَمَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ ٣٣٢
المعنىٰ الإجمالي لحديثي أبي هريرة وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٣٣٣
وصف الغربة في العهد المكي ٣٣٣
عودة غربة الدين آخر الزمان ٣٣٤
حديث: «**يأتي علىٰ الناس زمان الصابر فيهم كالقابض علىٰ الجمر**» فيه زيادة فيها نظر ٣٣٤
تفسير طوبىٰ ٣٣٥
من فضائل المدينة ٣٣٥
معنىٰ أروز الإيمان ٣٣٥
الرد علىٰ القاضي عياض في مسألة شد الرحال إلىٰ قبر النبيِّ ﷺ والتبرك بآثاره. ٣٣٦
(٦٦) باب ذهاب الإيمان آخر الزمان ٣٣٨

معنىٰ قوله ﷺ: «**لا تقوم الساعة علىٰ أحد يقول: الله، الله**» **٣٣٨**
لا تقوم الساعة قوم مسلمين **٣٣٩**
مناسبة الباب للأبواب قبله **٣٣٩**
(٦٧) باب الاستسرار بالإيمان للخائف **٣٤٠**
إسناد الحديث كلهم كوفيون **٣٤٠**
الجمع بين الروايات المختلفة في عدة الصحابة آنذاك **٣٤١**
اختفاء المسلم عند ظهور الفتن **٣٤١**
سبب اعتزال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الفتن **٣٤١**
لم يصل الحال بحذيفة وأصحابه المعتزلين للفتن إلىٰ الحال علىٰ العهد المكي . **٣٤٢**
(٦٨) بَابُ تَأَلُّفِ قَلْبِ مَنْ يُخَافُ عَلَىٰ إِيمَانِهِ لِضَعْفِهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْقَطْعِ بِالإِيمَانِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ قَاطِعٍ **٣٤٣**
انتقاد الدارقطني وأبي مسعود الدمشقي لرواية ابن أبي عمر التي صدر بها مسلم **٣٤٥**
صنيع مسلم في هذا الباب يرد علىٰ الذين يدعون أنه يرتب أحاديث الباب حسب القوة **٣٤٥**
فوائد من الحديث **٣٤٦**
فوائد لغوية **٣٤٧**
لطائف إسنادية: رواية ثلاثة تابعيين عن بعضهم البعض ورواية الأصاغر عن الأكابر **٣٤٨**
(٦٩) بَابُ زِيَادَةِ طُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ بِتَظَاهُرِ الأَدِلَّةِ **٣٤٩**

الزهري يروي الحديث عن ثلاثة شيوخ عن أبي هريرة.................. ٣٥٠

تبرئة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الشك........................ ٣٥٠

الإيمان يزداد بتضافر الأدلة.. ٣٥١

سبب سؤال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ربه عَزَّوَجَلَّ أن يريه كيف يحيي الموتىٰ ٣٥١

نفيُ النبيِّ الشك عن نفسه وعن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ٣٥٢

تواضع النبيِّ ﷺ وهو أفضل الرسل ٣٥٢

قصة لوط عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع قومه الخبثاء.............................. ٣٥٣

سبب قول لوط عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أو آوي إلىٰ ركن شديد**» ٣٥٤

إباء يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الخروج من السجن حتىٰ تثبت براءته........ ٣٥٤

علىٰ المؤمن أن ينزه عرضه عن التهم والشبهات............................ ٣٥٥

إشادة رسول الله ﷺ بيوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من باب التواضع ٣٥٦

(٧٠) بَابُ وُجُوبِ الإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَىٰ جَمِيعِ النَّاسِ وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ ٣٥٧

فوائد من حديث: «**ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر**».. ٣٥٩

معنىٰ الآية.. ٣٥٩

كل رسول أوتي آية برهانًا علىٰ صدقه....................................... ٣٥٩

من خصائص القرآن العظيم ٣٦٠

للنبيِّ ﷺ آيات ومعجزات، لكن القرآن هو أعظمها.......................... ٣٦١

كيف كان القرآن أفضل المعجزات ٣٦١
عموم رسالة نبيِّنا ﷺ ٣٦٣
الرد علىٰ اليهود والنصارىٰ في زعمهم أنهم غير مخاطبين برسالة نبيِّنا ﷺ .. ٣٦٣
من لم تبلغه الحجة لا يتحقق فيه الوعيد، ويختبر يوم القيامة ٣٦٤
شرح حديث أبي موسىٰ في الكتابي الذي يؤتىٰ أجره مرتين.............. ٣٦٥
جواز ركوب البدنة المهداة في حج أو عمرة للمحتاج والمضطر ٣٦٥
طريقة السلف ذكر المسألة بدليلها من الكتاب والسنة ٣٦٦
الكتابي الذي آمن بنبيِّه ثم آمن بنبيّنا محمَّد ﷺ يؤتىٰ أجره مرَّتين.......... ٣٦٧
العبد المملوك يؤتىٰ أجره مرتين إذا أدىٰ حق الله وحق سيده ٣٦٧
إباحة الإسلام الرقيق وندبه إلىٰ الإحسان إلىٰ المملوك، وشرعه العتق في سبل كثيرة ٣٦٨
الرقيق في الإسلام ليس كالرقيق عند الغربيين ٣٦٨
السيد الذي أحسن إلىٰ مملوكته وأدبها ثم أعتقها وتزوجها له أجران ٣٦٩
تعظيم السلف للعلم وبذلهم المجهود في طلبه............................ ٣٧٠
حال الناس اليوم مع العلم تختلف كثيرًا عن حال السلف.................. ٣٧١
العتق يكون للرقبة المؤمنة.. ٣٧١
(٧١) بَابُ نُزُولِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ........... ٣٧٣
ذكر طرق حديثي أبي هريرة وجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٣٧٥
أحاديث نزول عيسىٰ بن مريم ﷺ متواترة ٣٧٦

وظائف المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إذ ينزل آخر الزمان ٣٧٦
جواب علىٰ استشكال بعض الناس نسخ عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حكم الجزية ٣٧٦
معنىٰ قوله ﷺ: **«لتتركن القلاص، فلا يسعىٰ عليها»** ٣٧٧
إقبال الناس علىٰ الآخرة والزهد في الدنيا في آخر الزمان ٣٧٨
ذكر ألفاظ نبه الإمام مسلم علىٰ اختلاف الرواة في أدائها ٣٧٩
تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ ٣٧٩
ذكر بعض ما يقع بعد نزول المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.......................... ٣٨١
معنىٰ قوله ﷺ: **«بعضكم علىٰ بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة»**............ ٣٨٢
(٧٢) بَابُ بَيَانِ الزَّمَنِ الَّذِي لاَ يُقْبَلُ فِيهِ الإِيمَانُ.......................... ٣٨٣
ذكر ما تضمنته الأحاديث علىٰ الإجمال ٣٨٦
العقلانيون يردون أحاديث طلوع الشمس من مغربها وسجودها تحت العرش ٣٨٦
معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ ٣٨٧
لا تقبل التوبة إذا طلعت الشمس من مغربها وخرجت دابة الأرض........ ٣٨٧
الظاهر من الأحاديث أن التوبة تقبل بعد خروج الدجال ٣٨٧
الجواب علىٰ إشكال يورده بعض السفهاء في سجود الشمس تحت العرش ٣٨٨
صنيع مسلم في إيراد أحاديث هذا الباب يرد علىٰ من يزعم أن مسلمًا التزم الترتيب ٣٨٩
(٧٣) باب بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ ٣٩٢
مقصد حديثي عائشة وجابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ٣٩٧

تفسير التحنث ٣٩٧
الأحوال التي مرَّت علىٰ رسول الله ﷺ قبل نزول الوحي عليه ٣٩٧
نزول جبريل علىٰ النبيِّ ﷺ أول مرَّة ٣٩٧
الصواب في «ما» في قوله: «ما أنا بقارئ» أنها نافية ٣٩٧
رجوع النبيِّ ﷺ إلىٰ خديجة خائفًا ترجف بوادره ٣٩٨
تثبيت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رسول الله ﷺ، برجاحة عقلها وحسن نظرها ٣٩٨
اصطحاب خديجة رسول الله ﷺ إلىٰ ورقة ابن عمها ٣٩٩
معنىٰ «الناموس» ٣٩٩
إعلام ورقة رسول الله ﷺ بما يلقىٰ من قومه وتمنيه نصرته.................. ٤٠٠
الظاهر أن ورقة وخديجة أول من آمن ثم أبو بكر ٤٠٠
القول الصحيح في أول من آمن بالرسول ﷺ ٤٠١
فائدة في قول معمر: «قال الزهري: وأخبرني عروة»........................ ٤٠١
التوفيق بين الروايتين في قول خديجة: «أي عم» و«أي ابن عم» ٤٠٢
مقارنة بين الرواة عن الزهري من حيث الضبط والإتقان وذكر شيء من اختلافهم.. ٤٠٢
الاختلاف الواقع في ألفاظ الرواة غير ضائر شيئًا، وليس من العلل القادحة ٤٠٣
إشكال يظهر في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٤٠٣
قرائن من حديث جابر تدل علىٰ أن «اقرأ» هي أول ما نزل ٤٠٤
(٧٤) بَابُ الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ السَّمَوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ ٤٠٦

الصحيح أن الإسراء برسول الله ﷺ كان بروحه وجسده ٤٠٩
وصف الدابة التي ركبها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ٤١٠
ربط النبيِّ ﷺ البراق في الحلقة حيث ربط الأنبياء قبله ٤١٠
صلاة النبيِّ ﷺ بالأنبياء ٤١٠
إيثار النبيِّ ﷺ لإناء اللبن علىٰ الخمر وما فيه من الحكمة................. ٤١٠
اختلاف أهل العلم في كون المعراج بالبراق أم بدونه...................... ٤١١
استئذان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ تعليم للأدب ٤١١
جواب المستأذن إذا سئل، أن يذكر اسمه، ولا يقول: أنا.................. ٤١١
بيان المعنىٰ الصواب في قول الملائكة: «**وقد بعث إليه ؟**»................. ٤١٢
ترحيب آدم بالنبيِّ ﷺ... ٤١٢
لقاء النبيِّ ﷺ عيسىٰ ويحيىٰ عليهما السلام في السماء الثانية ٤١٢
لقاء النبيِّ ﷺ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في السماء الثالثة وقد أعطي شطر الحسن . ٤١٣
الترحيب بالزائر من الآداب الإسلامية التي ينبغي استعمالها ٤١٣
لقاء النبيِّ ﷺ إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ في السماء الرابعة ٤١٤
اختلاف أهل العلم في نسب إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ ٤١٤
لقاء النبيِّ ﷺ هارون وموسىٰ عليهما السلام في السماء الخامسة والسادسة علىٰ الترتيب ٤١٥
لقاء النبيِّ ﷺ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في السماء السابعة مسندًا ظهره إلىٰ البيت المعمور ٤١٥
يجوز إسناد الظهر إلىٰ الكعبة، ولا يلزم استقبالها إلا في الصلاة ٤١٥

سعيد بن المسيب ينكر عند احتضاره علىٰ من حوَّله إلىٰ القبلة ٤١٥
صفة البيت المعمور.. ٤١٦
صفة سدرة المنتهىٰ وصفة ثمرها ٤١٦
رؤية النبيِّ ﷺ لسدرة المنتهىٰ وهي في غاية البهاء والحسن ٤١٦
فرض الله علىٰ نبيِّه ﷺ الصلوات الخمس ٤١٧
شفقة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ونصحه نبيِّنا بسؤال الله تعالىٰ التخفيف ٤١٧
الرد علىٰ النووي في تأويله قوله ﷺ: «بين ربي وبين موسىٰ»............... ٤١٨
الرد علىٰ الأشاعرة في تأويلهم صفة علو الله تعالىٰ علىٰ خلقه................ ٤١٩
إذا لم تثبت عقيدة العلو بالأدلة المتكاثرة فلا يثبت شيء................... ٤٢٠
حط الله عَزَّوَجَلَّ عن نبيه ﷺ الصلوات إلىٰ خمس والأجر خمسون............ ٤٢٠
وجوب الإخلاص لله تعالىٰ والموافقة لهدي رسوله ﷺ لإحراز فضل الله تعالىٰ ٤٢١
لا يؤجر علىٰ ترك السيئة إلا من تركها لله تعالىٰ........................... ٤٢٢
من عدل الله تعالىٰ أنه يكتب علىٰ العبد إذا عمل سيئة سيئة واحدة ٤٢٢
استحياء نبيِّنا ﷺ من الإلحاح علىٰ ربِّه ٤٢٣
سبب استحياء نبيِّنا من ربه تعالىٰ ٤٢٣
معنىٰ قوله ﷺ: «فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت..» ٤٢٣
حكم من ترك السيئة عن عجز ٤٢٣
مدة الإسراج والمعراج لم تحدد، ولكنها وقعت بالليل ٤٢٤
السنة التي وقع فيها الإسراء ٤٢٤

لم يرد حديث في تحديد الإسراء ٤٢٤
ينبغي مناداة النبيَّ ﷺ بيا أيها النبيُّ ويا أيُّها الرسول ٤٢٤
لا يثبت دليل في رفع اليدين بالدعاء بعد الصلاة المفروضة ٤٢٥
حكم الإتيان بالأذكار في الصلاة والقراءة بغير اللغة العربية ٤٢٥
ليس الأصل رفع اليدين في الدعاء ٤٢٦
المشي إلىٰ السترة حسن بشرط أن لا تتوالىٰ الخطىٰ ٤٢٦
شرح الرواية الثانية عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٤٢٧
شق صدره ﷺ وأخذ قلبه وغسل قلبه وباطنه بماء زمزم ٤٢٧
الرد علىٰ مدَّعي الكرامات من الرفاعية الدجالين ٤٢٧
كانت آيات أنبياء من الله تأييدًا لهم وتثبيتًا عند الحاجة لا كحال الرفاعية المتظاهرين بالكرامات ٤٢٨
الحكمة من شق صدره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ليلة الإسراء ٤٢٩
شرح رواية أخرىٰ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٤٣٠
حادثة صدره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في بادية بني سعد وهو صغير ٤٣٠
لم يشارك النبيُّ ﷺ المشركين في شيء من أفعالهم الوثنية ٤٣١
ستر الله عَزَّ وَجَلَّ نبيَّه ﷺ قبل النبوة ٤٣١
جواز رؤية الناس المَلَك ٤٣٢
رؤية أنس أثر المخيط في صدر رسول الله ﷺ ٤٣٢
رواية شريك بن أبي نمر عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٤٣٣

مخالفة شريك أصحاب أنس في ألفاظ زادها ونقصها وأخر وقدم ٤٣٣
تنبيه الإمام مسلم علىٰ وقوع الزيادة والنقصان في رواية شريك دليل علىٰ أنه لا يورد إلا ما صح عنده.. ٤٣٤
دليل من قال إن أرض الحرم كلها مسجد.......................... ٤٣٤
ترتيب الأنبياء في السموات لا يلزم منه فضيلة الأعلىٰ علىٰ الأدنىٰ ٤٣٥
التزام الإمام مسلم الصحة في كتابه.................................. ٤٣٥
لا دليل علىٰ أن الإسراء كان أكثر من مرَّة.............................. ٤٣٥
الكلام علىٰ عصمة الأنبياء قبل النبوة وحال كونهم أنبياء..................... ٤٣٦
بيان مرجع الضمير في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ ٤٣٨
الرد علىٰ من يدافع عن أصحاب التفجيرات.............................. ٤٣٨
حديث أنس عن أبي ذر في قصة المعراج................................ ٤٤٢
حديث أنس الأول معدود في مراسيل الصحابة ٤٤٤
أنس حمل حديث الإسراء عن غير واحد من الصحابة ٤٤٤
الصواب أن الإسراء كان بالروح والجسد................................. ٤٤٥
أخذ رسول الله ﷺ من سقف بيته وعرج به من عند الكعبة ٤٤٥
الرد علىٰ متأولي الإيمان والحكمة اللذين أفرغا في صدر رسول الله ﷺ ٤٤٥
الوزن عند الله عَزَّوَجَلَّ لا يختص بالأجسام بل يشمل المعاني والأعراض... ٤٤٦
الرد علىٰ المعتزلة في إنكارهم وزن أعمال العباد يوم القيامة ٤٤٧
المجاز لا يجوز لا في القرآن ولا في اللغة ٤٤٧

رؤية النبيِّ ﷺ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ عن يمينه أرواح أهل الجنة وعن يساره أرواح أهل النار ٤٤٧
التوفيق بين روايتي أنس في ذكر مراتب الأنبياء الذين رآهم رسول الله ﷺ في السموات ٤٤٧
ظاهر الرواية مخالف لقول أهل النسب والتاريخ في كون إدريس أبًا للنبيِّ ﷺ ٤٤٩
النووي يوجه الرواية بما يتفق مع قول أهل النسب والتاريخ ٤٥٠
من وجوه مخالفة الرواية لما سبقها عدم ذكر يحيىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، والتقديم والتأخير في منازل بعض الأنبياء.. ٤٥٠
بلوغ النبيِّ ﷺ إلىٰ مستوىٰ يسمع فيه صريف الأقلام ٤٥٠
التعريف بابن حزم شيخ الزهري.. ٤٥١
معنىٰ قوله ﷺ: «**فوضع شطرها**» ٤٥١
رؤية النبيِّ ﷺ سدرة المنتهىٰ بألوان لا يدري ما هي ٤٥٢
وصف الجنة التي أدخلها رسول الله ﷺ.. ٤٥٢
معنىٰ قوله ﷺ: «**صريف الأقلام**».. ٤٥٣
الإيمان بكتابة الله تعالىٰ الوحي والمقادير، والإيمان بالأقلام بكيفية يعلمها الله تعالىٰ ٤٥٣
حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.......................... ٤٥٥
الإشارة إلىٰ اتفاق الروايات وما انفردت به رواية عن الأخرىٰ ٤٥٦
بكاء موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ غبطة لما علم أن أمة نبيِّنا أكثر من أمته ٤٥٧

النهران الباطنان والنهران الظاهران التي رآها رسول الله ﷺ ٤٥٧
الإيمان بأن النيل والفرات يخرجان من أصل سدرة المنتهىٰ علىٰ ظاهر الحديث. ٤٥٨
رد العقلانيين لكثير من الأخبار الغيبية ٤٥٨
نكتة في تشبيه دخول الملائكة البيت المعمور مرَّة ثم لا يعودون، بوجوب حج مرة في العمر ٤٥٩
أخذ النبيِّ ﷺ إناء اللبن الذي هو علىٰ الفطرة كما خلقه الله ٤٥٩
ذكر الروايات الأخرىٰ في الباب ٤٦١
رؤية النبيِّ ﷺ للأنبياء إما حقيقية أو في المنام، وهي رؤيا حق............ ٤٦٤
قدرة الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ جمع المعاني والأعراض ووزنها.................... ٤٦٤
ذكر صفة موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام ٤٦٥
تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ ٤٦٧
روىٰ مسلم عن أحمد بن حنبل عشرين حديثًا........................ ٤٦٧
رؤية النبيِّ ﷺ موسىٰ ويونس عليهما السلام يلبِّيان........................ ٤٦٨
استحباب النووي وضع المؤذن إصبعه في أذنه عند الأذان لحديث التلبية ٤٦٨
مشروعية وضع الإصبع تؤخذ من صفة الصلاة، لا تؤخذ من طريق القياس ٤٦٩
شريعة من قبلنا ليست شريعة لنا إلا ما وافق شرعنا ٤٦٩
الدجال مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن........................ ٤٦٩
ذكر شيء من اختلاف الروايات في وصف الأنبياء الذين رآهم رسول الله ﷺ. ٤٦٩
عنعنة أبي الزبير الواقعة في صحيح مسلم، وما رواه عنه الليث، كلها لا تضر ٤٧٠

رؤية النبيِّ لموسىٰ وعيسىٰ وإبراهيم وجبريل عليهم السلام................ ٤٧٠
شرح حديث أبي هريرة في رؤية النبيِّ ﷺ موسىٰ وعيسىٰ وإبراهيم عليهم السلام ٤٧١
(٧٥) باب ذكر المسح ابن مريم والمسيح الدجال........................ ٤٧٣
التوفيق بين الروايات في صفة لون عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ٤٧٦
صفة شعر المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.. ٤٧٦
رؤية النبيِّ ﷺ الدجال في المنام يطوف بالبيت................................ ٤٧٦
إثبات العور للدجال وتنزيه الله عَزَّوَجَلَّ عنه ٤٧٧
إثبات العينين لله تعالىٰ والرد علىٰ النووي في محاولة تأويله ٤٧٧
توجيه لغوي لقوله ﷺ: «أعور عين اليمنىٰ» ٤٧٨
رؤية النبيِّ ﷺ المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ والمسيح الدجال كلا منهما واضعًا يديه علىٰ منكبي رجلين ٤٧٨
ذكر ما يقع بين مسيح الهدىٰ ومسيح الضلالة ٤٧٩
طريق أخرىٰ عن ابن عمر في رؤية النبيِّ ﷺ عيسىٰ بن مريم والمسيح الدجال ٤٧٩
تشبيه النبيِّ ﷺ الدجال بابن قطن.. ٤٧٩
حديث جابر في تجلية الله تعالىٰ بيت المقدس لنبيِّه ﷺ لما سألته قريش وصفه ٤٨٠
القصة من أظهر الأدلة علىٰ صدق نبوة نبيِّنا محمد ﷺ........................ ٤٨٠
حديث آخر لابن عمر في رؤية النبيِّ ﷺ المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ والمسيح الدجال . ٤٨١
حديث أبي هريرة في رفع الله تعالىٰ بيت المقدس ليجيب النبيُّ ﷺ قريشًا .. ٤٨٢
رؤية النبيِّ ﷺ الأنبياء وصلاته بهم في ليلة الإسراء........................ ٤٨٢

الرد علىٰ من يقول إن حياة الأنبياء حياة دنيوية........................ ٤٨٣
الرد علىٰ الصوفية في ادعائهم حضور رسول الله ﷺ مجالسهم.............. ٤٨٥
(٧٦) باب في ذكر سدرة المنتهىٰ.. ٤٨٧
قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١)﴾ وقوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨)﴾
المراد به جبريل ٤٨٨
ترجيح قول ابن مسعود ومن وافقه علىٰ قول ابن عباس في الآية............ ٤٨٩
(٧٧) بَابُ مَعْنَىٰ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، وَهَلْ رَأَىٰ
النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ.. ٤٩٠
تفسير ابن عباس لآية النجم مرجوح بما ثبت عن النبيِّ ﷺ من تفسيره لها ٤٩١
حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في تفسير آية النجم ٤٩١
ابن عباس فهم من آيتي النجم أن النبيَّ ﷺ رأىٰ ربَّه بقلبه ٤٩٣
تفسير ابن مسعود وأبي هريرة وعائشة للآيتين هو الصحيح ٤٩٤
دعوىٰ أن رسول الله ﷺ ربه ربه بعيني رأسه غير صحيحة................ ٤٩٤
شيخ الإسلام ابن تيمية ينقل اتفاق أهل السنة علىٰ بطلان دعوىٰ الرؤية البصرية ٤٩٤
(٧٨) باب في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نور أنىٰ أراه»، وفي قوله: «رأيت نورًا» ٤٩٧
نفي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رؤية النبيِّ ﷺ ربَّه.................................. ٤٩٧
قول ابن عباس: «رآه بفؤاده مرتين» يحتمل عود الضمير علىٰ جبريل أو علىٰ الله
تعالىٰ وهو الأقوىٰ ٤٩٩
لم يثبت عن ابن عباس أن النبيَّ ﷺ رأىٰ ربه بعينيه....................... ٤٩٩

لولا ما ورد من تفسير النبيِّ ﷺ للآية لأخذنا بتفسير ابن عباس ٤٩٩
مسروق يفهم من الآية مثل ما فهم ابن عباس حتىٰ صوبته عائشة.......... ٥٠١
حديث ابن مسعود وحديث أبي هريرة يشهدان لحديث عائشة............ ٥٠١
الرؤية القلبية لا تنكر، لكن لا تفسَّر بها الآية بعد ثبوت التفسير النبوي..... ٥٠١
حديث أبي ذر مؤكد لما ذهبت إليه عائشة من نفي الرؤية ٥٠٢
لو رأىٰ رسول الله ﷺ ربه لأخبر بذلك كما أخبر برؤيته الأنبياء ٥٠٢
التنبيه علىٰ تصحيف شنيع وقع في حديث أبي ذر في بعض نسخ مسند الإمام أحمد٥٠٢
معنىٰ قوله ﷺ: «نور أنىٰ أراه ؟!»....................................... ٥٠٣
اعتقاد بعض الناس رؤية النبيِّ ﷺ ربَّه بعينيه أوقعهم في تصحيف لفظ أبي ذر. ٥٠٤
شيخ الإسلام ابن تيمية ينفي الخلاف في الرؤية البصرية.................... ٥٠٥
(٧٩) بَابٌ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَنَامُ».وَفِي قَوْلِهِ: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» ٥٠٦
نفي النوم عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لتنزهه عن ذلك ٥٠٧
وصف الله تعالىٰ بكمال العدل وتنزيهه عن الظلم ولو مثقال ذرة............ ٥٠٨
رفع الملائكة أعمال العباد إلىٰ الله تعالىٰ ٥٠٨
احتجاب الله تعالىٰ عن خلقه بحجاب من نور ٥٠٩
الإيمان بالحجاب، وبوجه الله تعالىٰ صفة له دليل علىٰ كمال الله عَزَّوَجَلَّ ٥٠٩
الرد علىٰ من يعطل صفة الوجه لله تعالىٰ وغيرها من الصفات الثابتة ٥٠٩
الرد علىٰ النووي في تأويله الحجاب والوجه ٥١٠

لفظ الجسم لم يرد إثباته ولا نفيه في القرآن والسنة ٥١١
القاعدة عند أهل السنة إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من غير تشبيه
ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ٥١١
الحجاب هو ساتر حسيٌّ من نور أو نار ٥١٢
ليس في إثبات الحجاب لله تعالىٰ نقص ولا تشبيه ٥١٢
النووي سائر علىٰ مذهب القائلين: «إن الله تعالىٰ في كل مكان ولا يخلو منه مكان» ٥١٣
موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من استعمال الألفاظ المجملة المبتدعة ... ٥١٤
المراد بالحد المنفي عند أهل السنة.................................. ٥١٤
المراد بالحد المثبت عند أهل السنة ٥١٥
نقل كلام لطائفة من الأئمة في إثبات الحد ٥١٥
تفصيل ابن أبي العز الحنفي في لفظ الحد............................. ٥١٧
الرد علىٰ تفسير النووي الوجه بالذات................................ ٥١٧
إثبات البيهقي لصفة الوجه لله تعالىٰ ٥١٨
إثبات أبي الحسن الأشعري لصفة الوجه لله تعالىٰ........................ ٥١٨
تنكب النووي طريق السلف في هذا الباب ٥١٩
إثبات ابن فورك صفة الوجه لله تعالىٰ................................ ٥١٩
النووي لا يرىٰ الحجاب نور أو نار حقيقة ٥٢٠
إسناد النووي الإحراق لجلال الذات فيه إنكار لصفة الوجه ٥٢٠
لله وجه يليق بذاته موصوف بالجلال والإكرام والنور والبصر.............. ٥٢١

حديث أبي موسىٰ في الحجاب يفسر حديث أبي ذر ٥٢١
قول ابن عباس في رؤية النبيِّ ﷺ ربَّه بقلبه صحيح، لكن لا يجعل تفسيرًا . ٥٢١
الحجاب مخلوق ٥٢٢
(٨٠) بَابُ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الآخِرَةِ رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ٥٢٣
(٨١) باب معرفة طريق الرؤية ٥٢٥
رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة ثابتة في الكتاب والسنة ودان به السلف والأئمة، وخالف فيه أهل الضلال ٥٣٣
الشفاعة في الموحدين المذنبين بإخراجهم من النار ثابتة في الكتاب والسنة وبإجماع أهل الحق ٥٣٣
الصورة ثابتة لله تعالىٰ بالسنة ودان بذلك الصحابة فمن بعدهم ٥٣٣
إكرام الله تعالىٰ المؤمنين بالجنة علىٰ حسب درجاتهم ٥٣٣
الرد علىٰ النووي في تأويله رفع رداء الكبرياء بزوال المانع ورفعه عن الأبصار . ٥٣٤
رؤية الله تعالىٰ أعظم من الفوز بالجنة وكذا نيل الرضوان ٥٣٥
الصحابة يسألون رسول الله ﷺ عن الرؤية فيجيبهم بالإيجاب ويؤكد لهم بضرب الأمثال ٥٣٥
اتفاق نصوص الكتاب والسنة المتواترة علىٰ إثبات الرؤية ٥٣٦
أمر الله تعالىٰ كل أمة أن تتبع معبودها الذي كانت تعبده في الدنيا ٥٣٦
الوثنيون شر من أهل الكتاب ٥٣٧
تهوين السياسيين من خطر الشرك بتسميته شركًا شاذجًا ٥٣٧

الشرك أخبث الذنوب وأغلظها ٥٣٧
الأنبياء أشد غيرة علىٰ الله وعلىٰ دينه ٥٣٨
معرفة المؤمنين ربهم بصورته لأنهم عرفوه بالكتاب والسنة ٥٣٩
اتباع المؤمنين ربهم مرورًا علىٰ الصراط يتقدمهم النبيُّ ﷺ وأمَّته ٥٣٩
مواقف لا يتكلم فيها إلا من أذن له عَزَّوَجَلَّ ٥٣٩
صفة الكلاليب التي تخطف المجرمين ٥٤٠
ذكر الاختلاف في ورود هذه اللفظة: «المؤمن يقي بعمله» وتفسيرها ٥٤٠
أمر الله تعالىٰ الملائكة بإخراج الموحدين من النار يعرفونهم بأثر السجود . ٥٤١
صفة نبات هؤلاء المحترقين بالنار بعد الصب عليهم من نهر الحياة ٥٤١
ما يكون بين الله تعالىٰ وآخر رجل يدخل الجنَّة من المحاورة ٥٤٢
جواز القسم بصفات الله تعالىٰ ٥٤٣
إثبات صفة الضحك لله تعالىٰ ٥٤٣
ذكر جزاء أدنىٰ رجل مرتبة في الجنة ٥٤٣
التنبيه علىٰ عظم التوحيد، والتحذير من المعاصي ٥٤٤
رواية مسلم عن سويد بن سعيد نسخة حفص بن ميسرة قبل اختلاطه ٥٤٥
مرور المؤمنين علىٰ الصراط بقدر أعمالهم ٥٤٦
شفاعة المؤمنين في إخوانهم الموحدين ٥٤٦
إخراج الله عَزَّوَجَلَّ من النار من قال لا إله إلا الله، ولم يعمل خيرًا قط ٥٤٧
الرد علىٰ تأويل النووي قوله: «يقبض قبضة» بقوله: «يجمع جماعة» ٥٤٧

معنىٰ قوله: «فيكشف عن ساق» ٥٤٨
تفسير ابن عباس لآية القلم بالشدة تفسير علىٰ مقتضىٰ اللغة ٥٤٨
المراد بالساق في الحديث ساق الله عَزَّوَجَلَّ ٥٤٨
التفسير النبوي مقدَّم علىٰ التفسير اللغوي ٥٤٩
إذن الله تعالىٰ للمؤمنين بالسجود وانكشاف المنافقين ٥٤٩
سجود المؤمنين يكون بعد رؤيتهم الله تعالىٰ في صورته ٥٥٠
العبور علىٰ الصراط بقدر الأعمال السبق للسابق والعكس بالعكس ٥٥٠
شفاعة المؤمنين في إخوانهم الصائمين المصلين الحاجين ٥٥١
شفاعتهم في من في قلوبهم مثقال دينار من إيمان ٥٥١
شفاعتهم في من في قلوبهم مثقال نصف دينار من إيمان ٥٥٢
الحديث دليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه ٥٥٢
شفاعة المؤمنين في من في قلوبهم مثقال ذرة من إيمان ٥٥٢
ثبوت الشفاعة فيمن في قلوبهم أدنىٰ أدنىٰ أدنىٰ من مثقال حبة خردل من إيمان ٥٥٢
إخراج الله عَزَّوَجَلَّ برحمته من قال لا إله إلا الله ولم يعمل خيرًا قط ٥٥٣
مسألة جنس العمل لا يثيرها إلا من لا يؤمن بما تضمنته أحاديث الشفاعة أو في إيمانه بها خلل ٥٥٣
الإيمان ينفع صاحبه وإن أتىٰ الذنوب والمعاصي ٥٥٣
الخوض في مسألة جنس العمل يؤدي إلىٰ فرقة المسلمين والتصادم بينهم . ٥٥٤
حكم من يتعمد الزيادة علىٰ أوامر الرسول ﷺ ٥٥٥

منكرو الشفاعة لا دليل معهم إلا الهوىٰ ٥٥٦
أقسام الشفاعة.. ٥٥٦
نقل النووي إجماع أهل السنة علىٰ إثبات الرؤية في الآخرة وإمكانها بدلائل الكتاب والسنة المتواترة.. ٥٥٦
النووي يقرر إثبات الرؤية لا إلىٰ جهة علىٰ مذهب المتكلمين ٥٥٧
مآخذ علىٰ النووي في كلامه السابق:.................................. ٥٥٧
مخالفة النووي للإجماع الذي نقله في تجويزه الرؤية في صورة خيالية ٥٥٧
تسليم النووي للمتكلمين الذين امتلأت كتب السلف بالتحذير منهم ٥٥٨
صراحة النصوص القرآنية والنبوية في إثبات الرؤية بالعيون الباصرة....... ٥٥٩
خطأ النووي في زعمه أن الرؤية تحصل بالعادة والاتفاق................ ٥٦٠
رؤية المؤمنين ربهم بأعينهم من فوقهم ٥٦١
إنكار النووي للرؤية في جهة مبني علىٰ إنكار علو الله تعالىٰ علىٰ خلقه....... ٥٦١
التشنيع علىٰ النووي في اقتدائه بالمتكلمين وتركه سبيل السلف............ ٥٦١
لفظ الجهة لم يرد إثباته ولا نفيه في الكتاب والسنة ٥٦٢
الثابت في النصوص وكلام السلف إثبات الفوقية والعلو ٥٦٢
تذرع المعطلة بلفظ الجهة إلىٰ إنكار العلو............................... ٥٦٢
(٨٢) باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ٥٦٤
(٨٣) باب آخر أهل النار خروجًا... ٥٦٦
ذكر أنواع الشفاعة.. ٥٦٩

المعتزلة والخوارج والروافض ينكرون الشفاعة في الموحدين أن يخرجوا من النار ٥٦٩
الصفة التي يخرج عليها الموحدون من النار ونباتهم من جديد في نهر الحياة ٥٧٠
أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون فيها ولا يحيون ٥٧٠
الشفاعة لا تنال الكفار ولكنها في المذنبين من الموحدين ٥٧١
حسن وصف رسول الله ﷺ لحياة الجهنميين في نهر الحياة ٥٧١
ذكر حال آخر رجل خروجًا من النار ودخولًا الجنة ٥٧٢
استكثار الرجل للجزاء الذي يعطيه إياه ربه ٥٧٣
إثبات اسم المَلِك لله تعالىٰ ٥٧٣
ضحك النبيِّ ﷺ من قول الرجل ٥٧٣
الفارق الكبير بين همة الصحابة وغيرهم من الناس المتقاتلين علىٰ الدنيا ... ٥٧٣
طريق آخر لحديث ابن مسعود ٥٧٤
رواية أنس بن مالك عن ابن مسعود وغيره من الصحابة ٥٧٤
طريق آخر لحديث ابن مسعود ٥٧٤
ضحك ابن مسعود لضحك رسول الله ﷺ من ضحك رب العالمين ٥٧٦
الرد علىٰ النووي في تأويله صفة الضحك لله تعالىٰ ٥٧٦
اعتقاد أهل السنة أن الله علىٰ كل شيء قدير ٥٧٧
(٨٤) باب أدنىٰ أهل الجنة منزلة فيها ٥٧٨
المعنىٰ الإجمالي لأحاديث الباب ٥٩٣

شرح حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٥٩٣
رواية زهير بن محمد عن الشاميين ضعيفة بخلاف غيرهم ٥٩٣
يعطىٰ أدنىٰ رجل في الجنة زوجتان من اللاتي كنَّ في الدنيا ٥٩٤
الحور العين اللاتي خلقن في الجنة لا يمتن........................ ٥٩٤
أدنىٰ رجل في الجنة يرىٰ أنه لم يؤت أحد مثله ٥٩٥
الكلام علىٰ الشك الواقع في رفع حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٥٩٥
انتقاد الدارقطني الإمام مسلمًا في إيراده هذا الحديث وترجيحه وقفه...... ٥٩٦
ترجيح رفع الحديث من وجوه ٥٩٦
سؤال موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّه عن أدنىٰ أهل الجنة منزلة وأعلاهم منزلة ٥٩٦
الإشارة إلىٰ ترجيح أن لأدنىٰ رجل في الجنة عشرة أضعاف الدنيا ٥٩٧
جزاء النبيِّين والصديقين والشهداء والصالحين لا يدركه العقل ولا يخطر بالبال ٥٩٧
حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في آخر رجل يدخل الجنة وآخر رجل يخرج النار ٥٩٧
تبديل الله عَزَّوَجَلَّ سيئات الرجل حسنات ٥٩٨
استفهام الرجل عن أشياء عملها لم يرها وضحك النبيِّ ﷺ من ذلك....... ٥٩٨
ضحك النبيِّ ﷺ تبسم ٥٩٨
حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الورود علىٰ الصراط ٥٩٨
تنبيه النووي تبعًا للقاضي علىٰ لفظة ظنها النساخ في متن الحديث ٥٩٩
كون النبيِّ ﷺ وأمته علىٰ كثيب فوق الناس........................ ٥٩٩
دعاء الأمم بأوثانها الأول فالأول ٥٩٩

إثبات مجيء الله في ذلك اليوم والرد علىٰ الجهمية والمعتزلة وأفراخهم ... ٦٠٠
انتظار المؤمنين ربهم حتىٰ يتجلىٰ لهم يضحك ٦٠٠
إثبات الضحك لله عَزَّوَجَلَّ ٦٠١
انطفاء نور المنافقين علىٰ الصراط ٦٠١
لا يزال النفاق موجودًا في الأمة في الطوائف الضالة ٦٠١
نجاة المؤمنين من هول الصراط الأسبق فالأسبق ٦٠٢
حلول الشفاعة وإخراج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الموحدين من النار دفعة دفعة ٦٠٢
التنبيه إلىٰ اختصار وقع في الحديث حيث لم يذكر الشفاعة في المصلين ونحوهم ومن يتلوهم ٦٠٢
كون الخارجين من النار علىٰ أفواه الجنة يرش عليهم من ماء الجنة، وإكرام الله لهم بالملك الكبير ٦٠٢
تأويل النووي صفة الغضب لله بالأهوال وأليم العذاب ٦٠٣
الرد علىٰ النووي في هذا التأويل ٦٠٣
قوله «بأن الله يستحيل في حقه التغير في الغضب والرضا» مبني علىٰ الأصل الجهمي ٦٠٤
(٨٥) بَابٌ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا» ٦٠٦
النبيُّ ﷺ أول شافع في دخول الجنة ٦٠٧
النبيُّ ﷺ أكثر الناس تبعًا ٦٠٧
النبيُّ ﷺ أول من يقرع باب الجنة ٦٠٨

وصية الله تعالىٰ خازن الجنة ألا يفتح لأحد قبل محمد ﷺ ٦٠٨
(٨٦) باب اختباء النبيِّ ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ٦٠٩
دلالة أحاديث الباب علىٰ أن النبيَّ ﷺ خبأ دعوته شفاعة لأمته ٦١٢
كل الأنبياء دعوا بدعواتهم المستجابة في الدنيا إلا نبيَّنا ادخرها للآخرة رأفة ورحمة بأمته ٦١٢
(٨٧) باب دعاء النبيِّ ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم ٦١٤
دلالة قوله تعالىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ علىٰ أن الله سيرضي نبيَّه في أمته في الآخرة ٦١٥
(٨٨) باب بيان أن من مات علىٰ الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين ٦١٦
الجنة حرام علىٰ غير المؤمنين ٦١٦
لا تنفع القرابة ولو كان ابن نبيٍّ أو أباه أو زوجه ٦١٦
كثير من الطوائف يعتقدون دخول الجنة بأنسابهم ٦١٨
الإيمان والعمل الصالح من أعظم الأسباب لنيل رضوان الله ودخول الجنة ٦١٨
أهل الجاهلية المشركون من أهل النار لأنه قامت عليهم الحجة بما ورثوه من دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ٦١٩
التسليم لله تعالىٰ في حكمه القدري بإضلال من شاء وهداية من شاء مع بذل أسباب النجاة ٦١٩
(٨٩) باب في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤] . ٦٢٠

استجابة النبيِّ ﷺ لأمر الله تعالىٰ بإنذار عشيرته الأقربين................. ٦٢٣
اختيار النبيِّ صلىٰ الله عليهم مكانًا رفيعًا ليدعو قومه ويبلغهم ما أمر به..... ٦٢٣
مناداة النبيِّ ﷺ قومه بطنًا بطنًا يأمرهم بإنقاذ أنفسهم من النار ٦٢٤
تقرير النبيِّ ﷺ من أول يوم أنه لا تنفع الأنساب ولا يملك لأقرب الناس إليه نفعًا ٦٢٤
لا ينفع الكافر إيمان قريبه المؤمن ولا يضر المؤمن كفر قريبه الكافر...... ٦٢٥
تبليغ النبيِّ ﷺ أمته البلاغ المبين ٦٢٦
شدة عداوة أبي لهب للنبيِّ ﷺ ٦٢٦
قيام النبيِّ ﷺ بدعوة قومه علىٰ أكمل الوجوه وصبره علىٰ أذاهم ٦٢٧
لا يملك النبيُّ ﷺ لقومه شيئًا إلا أن يصل رحمه ٦٢٧
معنىٰ قوله: سأبلها ببلالها ٦٢٧
معنىٰ قوله: يا صباحاه ٦٢٨
نسخ قوله تعالىٰ: «ورهطك منهم المخلصين»................................ ٦٢٨
شهادة قريش للنبيِّ ﷺ بالصدق ٦٢٨
قراءة شاذة للأعمش في سورة المسد ٦٢٨
(٩٠) باب شفاعة النبيِّ ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه ٦٢٩
(٩١) باب أهون أهل النار عذابًا.. ٦٣٠
نصرة أبي طالب للنبيِّ ﷺ وتحمل الأذىٰ لأجله.............................. ٦٣١
موت أبي طالب علىٰ الكفر وترك النبيِّ ﷺ الاستغفار له ٦٣٢

شفاعة النبيِّ ﷺ في أبي طالب مستثناة من تحريم الشفاعة للكافرين ٦٣٣
خروج أبي طالب من الدرك الأسفل إلىٰ ضحضاح من نار ٦٣٣
تحريم الجنة علىٰ الكافرين ٦٣٣
الحكمة من قبول الله تعالىٰ شفاعة النبيِّ ﷺ في عمه أبي طالب ٦٣٣
احتمال اتحاد المجلس في سبب ورود حديث أبي سعيد الخدري وحديث العباس ٦٣٤
تعيين المبهم في الحديث الثاني لأبي سعيد، بأن المراد أبو طالب.......... ٦٣٤
ذكر صفة عذاب أبي طالب الذي هو أدنىٰ عذاب أهل النار ٦٣٤
الرد علىٰ الروافض وغلاة الصوفية في زعمهم أن عبد المطلب كان مؤمنًا .. ٦٣٥
قصة أبي طالب فيها زاجر لمن يتعلق بالأنساب ويترك الإيمان والعمل الصالح ٦٣٥
أبو طالب أهونهم عذابًا ويرىٰ أنه أشدهم عذابًا ٦٣٥
(٩٢) باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ الكفر لا ينفعه عمل ٦٣٧
كفر ابن جدعان حرمه الانتفاع بأعماله العظيمة من النفقة والإحسان والجود . ٦٣٧
لا ينفع عند الله إلا ما قصد به وجه الله وكان صاحبه مؤمنًا متبعًا لشرعه في عمله ٦٣٨
ابن جدعان وغيره من المشركين الذين ذكروا أنهم في النار قد قامت عليه الحجة ٦٣٨
الذين لم تبلغهم الحجة في الدنيا يختبرون يوم القيامة ٦٣٩
ذكر القرائن الدالة علىٰ أن ابن جدعان وقريشًا كانوا علىٰ علم بملَّة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الحنيفية ٦٣٩
فهرس المحتويات ٦٤١

مصـــورات

أبي عبد الرحمٰن السلفي الفلسطيني